

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمُسْتَعْدِي

VIII

البيان بالمحنة

في اختصار أخبار ملك فوندر و المغاربة

لذبي العبراني محبين عزاري

المتوافق بـ ١٢٧٦ هـ

حَمَقَهُ، وَضَبَطَ نَصَهُ، وَعَلَقَ عَلَيْهِ

مُجَاهِدُ الْبَشَرِ الْعَوْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمُغَرِّبِ



دار العرب للطباعة
تونس

البيان المحرّر

في اختصار أخبار ملوك الفتن والغزوات

لأنبياء العبر والأئمّة والعلماء

المتوافق في ذلك على
الشافعية والحنفية والمالكية

لتحقيقه ولنشره

حقّقه، وضبط نصّه، وعلّق عليه

بستان العروج



كتاب المعرفة
تونس



جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفوظَةً
الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

دار الغرب الإسلامي
ص.ب. 677 تونس 1035

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح باعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في
نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل
الكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة مغناطيسية ، أو وسائل ميكانيكية ، أو
الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن علني من الناشر .



البيان العربي
في اختصار الأغبي ملوك للفوز والهز
لشجرة الفتوح

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين
وصحابته أجمعين، وبعد:

فهذا كتاب «البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب»^(١) للمؤرخ المغربي المراكشي أبي العباس أحمد بن عذاري المتوفى بعد سنة ٧١٢ هـ، وهو التاريخ الذي ألف فيه هذا الكتاب^(٢)، والذي لم نقف على ترجمة له سوى ما ورد من معلومات نزرة عنه في هذا الكتاب^(٣).

وقد جعل ابن عذاري كتابه هذا في ثلاثة أجزاء، تناول في الجزء الأول تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى ظهور المرابطين والموحدين. وخصص الجزء الثاني لأخبار الأندلس منذ فتحها، وعصر الولاة، ثم العهد الأموي، وقيام الدولة العاميرية، فظهور ملوك الطوائف وحتى دخول المرابطين إلى الأندلس سنة ٤٧٨ هـ^(٤). أما الجزء الثالث فهو عودة إلى تاريخ المغرب إذ أتى فيه على أخبار الدولة المرابطية اللمتونية وما كان من شأنها في المغرب والأندلس، ثم أخبار الدولة الموحدية وما عاصرها من أخبار الهوادين والحفصيين والنصريين، ثم الدولة المرinية وانتصارها واستيلائها على مراكش في أواخر سنة ٦٦٧ هـ.

وقد وصل إلينا أكثر هذا الذي ذكره المؤلف من أجزاء الكتاب، فنشر المستشرق الهولندي رينهات دوزي الجزء الأول وقسمًا من الجزء الثاني الخاص بالأندلس إلى سنة ٣٨٧ هـ وذلك في السنوات ١٨٤٨-١٨٥١ م معتمدًا مخطوطة في ليدن محفوظة في الرقم (٦٧)، وطبعَ الجُزئَيْن

(١) هذا هو العنوان الصحيح الذي نص عليه المؤلف في المقدمة التي كتبها لكتابه واتفقت عليها النسخ، ومن ثم فإن الاعتماد على ما ورد في عناوين المخطوطات لا قيمة له.

(٢) ينظر المجلد الثالث من نشرتنا هذه، ص ٥٨٥ حيث نص على هذا التاريخ وهو يتكلّم على أولاد المرتضى الموحدى.

(٣) لصديقنا الفاضل الدكتور عبد الواحد ذنون طه المؤصل دراسة ماتعة عن ابن عذاري وكتابه «البيان المغرب» عنوانها: «ابن عذاري المراكشي شيخ مؤرخي المغرب العربي»، كان قد نشر أكثرها منجمةً في مجلة المجمع العلمي العراقي، ثم أعاد النظر فيها ونشرها بكتاب مستقل (بيروت، دار المدار الإسلامي ٢٠٠٤ م)، تناول فيها عصره ومنهجه وموارده، أغنانا عن إعادة الكتابة فيها.

(٤) على أن الذي وصل إلينا منه إلى سنة ٤٦٠ هـ فبقي القسم المتضمن للسنوات ٤٦٠-٤٧٨ هـ.

بمدينة ليدن، وكتب له مقدمة مفصلة بالفرنسية، ولكنه خَلَطَ النص بنصوص كثيرة من كتاب «صلة تاريخ الطبرى» لعربى بن سعيد القرطبي، فأساء إلى الكتاب إساءةً بالغة في الوقت الذي سعى فيه جاهداً إلى تقديم مادة أكثر دسامنة وتفصيلاً، ولكن هذا في علم تحقيق النصوص مما لا يجوز فعله^(١).

ثم قام كل من كولان وليفي بروفنسال في إعادة نشر هذين الجزءين في ليدن في السنوات ١٩٤٨-١٩٥١م، ولكنها من أسفٍ أبقيا علىزيادات التي أقحمها دوزي في النص من كتاب عربى القرطبي، ولا ندري كيف سوّغا هذا الصنيع المخالف لمناهج البحث العلمي وتحقيق النصوص.

ونشر ليفي بروفنسال النص الخاص بدول الطوائف في الأندلس في باريس سنة ١٩٣٠م على أنه الجزء الثالث من «البيان المغرب»، وزاد في آخره قطعة مجهرة المؤلف مبتورة الطرفين، فجاء الجزء في ٣٦٨ صفحة من ضمنها الفهارس.

وعثر ليفي بروفنسال على قطعة خاصة بعصر المرابطين في المغرب والأندلس في خزانة جامع القرويين بفاس تتهي في أوائل سنة ٥٤١هـ ونشر منها القسم الخاص باستيلاء السيد الكبيوطور على بلنسية. ثم قام الأستاذ هوسي ميراندا بنشر سائرها في مجلة «هسبرس» Hesperes سنة ١٩٦٠ والخطوطة التي وقف عليها بروفنسال قد احتاجتها ولم يدها ولا يعلم اليوم أي خبر عنها. ثم أعاد نشر هذه القطعة صديقنا العلامة الأستاذ إحسان عباس يرحمه الله في دار الثقافة استناداً إلى نشرة ميراندا وعلق عليها بعض تعليقات مفيدة أخذنا منها، كما أصلح بعض أخطائها، ولم يكن بوعيه غير ذلك بعد ضياع الأصل الذي نشر عليه ميراندا ما نشره. وكانت دار الثقافة في بيروت قد أعادت طبع الأجزاء الثلاثة التي نشرها كولان وبروفنسال في ثلاثة أجزاء بالتصوير.

وفي سنة ١٩٦٠ ظهر الجزء الخاص بالموحدين بتطوان بتحقيق هوسي ميراندا ومساهمة الأستاذين محمد بن تاویت وحمد بن إبراهيم الكتاني^(٢).

واكتشف الأستاذ عبد القادر زمامه قطعة من تاريخ الموحدين تشتمل على (٢٦) صفحة لم ترد في طبعة تطوان سنة ١٩٦٠م نشرها في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدرید

(١) اعتمد دوزي خطوطه الصلة لعربى المحفوظة في كوتا Gotha رقم (٢٦١). ولما نشر دي خويه كتاب عربى حذف منه القسم الذى نشره دوزي.

(٢) ثم كان الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني قد نشر في العدد العاشر من مجلة تطوان (ص ٢٣٧-٢٤٢) مقالة بعنوان: «العثور على الورقات الأخيرة من البيان المغرب لابن عذاري».

سنة ١٩٨٠ م^(١)، ثم أعاد نشرها في مجلة كلية الآداب والعلوم بفاس سنة ١٩٨١-١٩٨٠ م (العددان: ٤ و ٥).

وفي سنة ١٩٨٥ م ظهر الجزء الكامل الخاص بالموحدين وقد أضيفت إليه القطع الجديدة التي عُثر عليها وكتب على غلافها أنها من تحقيق: محمد بن إبراهيم الكتاني، محمد بن تاویت، محمد زنیر، عبد القادر زمامه. وكان جل اعتمادهم على نشرة میراندا.

وهكذا يتضح أن الكتاب يكاد أن يكون كاملاً لو لا ما اعتبره من نقص يسير، الأول في الجزء الثاني حيث لم تصل إلينا السنوات ٤٦٠-٤٧٨ وهو القسم الخاص بالأندلس، والثاني أوائل القطعة المتعلقة بالمرابطين، وهي التي نشرها میراندا ثم أعاد نشرها العلامة إحسان عباس يرحمه الله.

أما نحن فقد قسمنا الكتاب كما قسمه مؤلفه ابن عذاري إلى ثلاثة أجزاء، إذ لا معنى لكل التقسيمات السابقة، ولا سيما بعد وقوفنا على مخطوطات جديدة من الكتاب أحفنا بها صديقنا العلامة الأستاذ بشير البکوش، وصديقنا الأستاذ المحقق العالم أحمد بنین جزاها الله خيراً.

وقد أعدنا مقابله النص بالمخطوطات الكثيرة التي توفرت عندنا، وأثبتنا الاختلافات ورجحنا القراءة الصحيحة التي رأيناها مناسبة، فضلاً عن الإحالة إلى الموارد التي اقتبس منها مؤلف الكتاب مما وقفت عليه وما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ثم كان من أهم وكتنا تخلص النص من الزيادات التي أقحمها دوزي في نص «البيان المغرب»، وقد قاسينا من أجل ذلك الكثير، ذلك أن دوزي كان يتصرف في النص تصرفاً عجيباً، وكأنه يؤلف تاريخاً جديداً.

وضبطنا ما يُشكل من النص بالشكل ليقرأ قراءة سليمة، والضبط إنما يقوم على دعامتين رئيسيتين، أولاهما: حسن قراءة المخطوطات والإدمان على خطوطها وأساليب رسملها، وثانيهما: المعرفة بموضوع الكتاب. أما الأسماء فهي من أولى الأشياء بالضبط، فإنه شيء لا يدخله القياس ولا سيما في الأسماء الأعجمية، الإسبانية والأمازيغية التي ترسم بأسكال متوعنة، وقد استعينا بخبرتنا وبكل وسيلة لإتقان هذا الضبط؛ إيماناً منا بأن نشر مثل هذه النصوص من غير ضبط مخالف للأصول التحقيق الدقيق الذي نسعى من أجل الوصول إليه.

ولا أراني بحاجة إلى ذكر منهجي في التحقيق، فهو مدون في كتب المؤلفة في هذا الشأن، وفي المقدمات التي كتبتها لعشرات الكتب التي عنيت بتحقيقها.

(١) المجلد العشرون، ص ٧٧-١٠٢.

وقد شاركتني في تحقيق هذا الكتاب ولدي المؤرخ البارع الأستاذ محمود بشار عواد الذي تشرب هذا العلم، فبرع فيه وأجاد، فكان أكثر الحمل عليه، في مقابلة النسخ الخطية التي صار من أميز المحققين في قراءة الخطوط المغربية والأندلسية العسيرة، وفي الإشارة إلى مناجم النصوص والمقابلة بينها.

ولست في هذه المقدمة الوجيزة في معرض انتقاد ما نشر من هذا الكتاب، فقد أشرت إلى إساءة دوزي بإيقحام نصوص من كتاب عريب القرطبي وإدخالها في نص «البيان المغرب» مما أربك النص الأصلي الذي كتبه ابن عذاري، ثم بإبقاء كولان وبروفنسال هذه الإساءة على حالها، لعله ظننا منهم أنهم يصنعون خيراً للدراسات المغاربية والأندلسية، فضلاً عن قراءات معوجة لكثير من النصوص، ولا سيما عند انعدام النسخ الخطية المتقدمة، وقيامهم بالنشر يومئذ على نسخ فريدة، فضلاً عن عجمتهم التي أدت في كثير من الأحيان إلى قراءات غير دقيقة، استدرك بروفنسال بعضها مما يتصل بالجزء الثالث المنشور في باريس سنة ١٩٣٠ م فاستدرك الكثير منها. ومع ذلك فإنَّ مثل هؤلاء يستحقون كل تقدير وثناء لما قاموا به من جهود محمودة لنشر التراث العربي الإسلامي في وقت كانت فيه الأمة العربية في سبات عميق وجهل مدقع، إذ كانوا رواذاً لنشر أمهات الكتب التراثية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

إنما العتب على أبناء هذه الأمة التي كان أكثر تحقيقاتها لا يتعدي في كثير من الأحيان اجتزار هذه الأعمال وإعادة نشرها من غير تحقيق دقيق ومقابلة صحيحة بأصول المخطوطات. ومن ذلك القسم الخاص بالموحدين الذي وضع على غلافه أسماء لامعة في الدراسات المغاربية فإنه لم يكن بالمتزللة التي عُرفت عن هذه الأسماء، فالقراءات غير دقيقة في كثير من الأحيان. وكانت حريصاً على بيان ما وقع من تصحيف وتحريف وسقط في هذا الجزء المهم من الكتاب، ثم توقفت عن ذلك بعد برهة لم تتجاوز المئة صفحة لعدم إحالة ذلك على سبب من الأسابيб سوى متابعة نشرة هوسي ميراندا السقمية، فالسقط كثیر قد تجاوز الحد المعقول، والتحريف والتصحيف يكثر في كل صفحة، وربما غيروا بعض العبارات مما لا أصل له في النسخ الخطية ظنَّا منهم أن هذا هو الصواب الذي ليس فيه ارتياح. وربما تركوا نص المخطوطات وراحوا ينقلون من المصدر الذي ينقل منه المؤلف، كما في كثير من النصوص المنشورة من كتاب «المن بالإمامية»، وهو أمر غريب عجيب في تحقيق النصوص لم نعهد له عند أحد قبلهم.

ولا بد لي وقد أنهيت تحقيق هذا الكتاب أن أنوه بفضل من كان السبب في ظهوره بهذه الهيئة العلمية التي نأمل أن تسر كل محب لتراث هذه الأمة حريص عليه، وفي مقدمتهم الصديق الصدوق الحاج الأستاذ حبيب اللمسي الذي أصر على هذا العمل ووفر له كل ما يحتاجه على أحسن متوفر.

ثم إلى صديقنا العلامة الأستاذ بشير البكوش الذي صور لنا بعض المخطوطات وأتمنى لها طبع من الكتاب، ثم ما اقترحته من خطة لتحقيق الكتاب دللت على فهم عميق ودرأة بالتراث المغاربي. أما الصديق المحقق العلامة الأستاذ أحمد بن بنين فإن أفضاله علينا تترى بها وفراه لنا من صور المخطوطات ليس لهذا الكتاب حسب، بل لكتير مما نشرنا في سلسلة الترجم الأندلسية فاستحق كل ثناء وتقدير على كرمه وأريحيته وتشوقة الدائم لخدمة التراث العربي الإسلامي والعاملين على تحقيقه ونشره.

وصف النسخ الخطية:

أولاً: مجلد الخزانة الملكية بالرباط رقم (٣٣٤).

ويتكون من ثلاثة أقسام في مجلد واحد، خالٍ من تاريخ النسخ ومن تسمية الناسخ، كتب بخط مغربي متاخر، وكتب العناوين بالحمراء، ومسطرته (٢٩) سطراً في كل صفحة.

القسم الأول: ويقع في (١١٥) صفحة، وهو موافق للجزء الأول من تقسيم المؤلف وقد رمزنا له «ر١».

القسم الثاني: يبدأ عند الصفحة (١١٦) وأوله: «الجزء الثاني من الكتاب في أخبار الأندلس» ويستمر إلى الصفحة (٢٥٤) وجاء في آخره: «كمل السفر الأول بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوقيه الجميل ويمنه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً»، وقد رمزنا له «ر٢»، وهو القسم الأول من التاريخ الأندلسي.

القسم الثالث: وقد كتب في صفحة مستقلة منه: «السفر الثالث، وهو الأخير من البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تأليف الشيخ الأجل الأثير الأفضل الرواية المطلع الحبيب الأكميل أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري رحمه الله بهمنه آمين». ويبدأ في الصفحة (٢٥٥): «بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومواناً محمد وآلـه وصحبه وسلم» ثم بخط أحمر وسط الصفحة: «اختصار الخبر بحركة تأشفين إلى الجبل برسم قتال الموحدين» ويتنهى بآخر الكتاب عند الصفحة (٤٨٨)، وقد رمزنا له «ر٣».

ثانياً: مجلد المكتبة الوطنية للمملكة المغربية رقم (٣٣٣).

وهذا المجلد كان في خزانة العلامة المحدث الشريف السيد محمد عبد الحفيظ بن عبد الكبير الكتاني بمدينة فاس، ثم انتقل إلى المكتبة الوطنية بالرباط، ويكون من (١٢٠) ورقة، في كل ورقة صفحتان، مسطرة الصفحة (٢١) سطراً، كتب بخط عتيق جيل مشكول، لكن الأرضية والإصلاح غير الفني لكتير من أوراقه جعل النسخة صعبة القراءة، لكن الحسابات (الكمبيوترات) تسهل هذه

المهمة. وهذا المجلد هو الذي نشره بروفنسال باسم الجزء الثالث في باريس سنة ١٩٣٠ م، ويبدأ بـ«ذكر ولادة عبد الملك بن أبي عامر الحجاية للخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر». ويستهي بقوله: «وقال الحميدي في كتابه: كان أبو عمرو عباد صاحب إشبيلية من أهل الأدب البارع والشعر الرائع، وقد رأيت له سفراً صغيراً في نحو ستين ورقة من شعر نفسه فمن قوله:

كأنما ياسميننا الغَضْنُ كواكب في السماء تبَيِّضُ

وقد رمزا له بـ«الأصل».

ثالثاً: مجلة الخزانة الملكية بالرباط رقم (٣٣٦).

وهو قسم من المجلد الثالث الذي يبدأ بـ«اختصار الخبر بحركة تأشفين إلى الجبل برسم قتال الموحدين»، وينتهي بآخر الكتاب، ويقع في (٤٥٩) صفحة مسطرتها (٢١) سطراً، كتب بخط مغربي جميل، وكتبت العناوين بالحمراء وتاريخ نسخه مثبت في آخره وهو: «وكان الفراغ منه بين صلاة الظهر من يوم الاثنين الموافق عشرين للشهر المبارك شعبان سنة خمس وستين ١١٦٥ هـ فكانه يزيد ١١٦٥ هـ. وقد رمزا لهذا المجلد بالحرف (ك)».

رابعاً: مجلد الخزانة الملكية بالرباط رقم (٧٧٧).

ومحتواه مثل محتوى المجلد (٣٣٦) إذ يبدأ باختصار الخبر بحركة تأشفين وينتهي بآخر الكتاب، ويكون من (١٨٣) ورقة ذات وجهين مسطرتها (٣٢) سطراً، وخطه مغربي جيد، وكتبت العناوين بالحمراء وبخط غليظ. وقد رمزا له بالحرف (ق).

خامساً: مجلد الخزانة الملكية بالرباط رقم (٢١٥٠).

ومحتواه مثل سابقه، ويقع في (٢٢٢) ورقة ذات وجهين مسطرتها (٢٣) سطراً، كتب بخط مغربي جميل، وكتبت عناوينه باللون الأحمر، وليس فيه اسم الناشر ولا تاريخ النسخ. وقد رمزا له بالحرف (ب).

سادساً: مجلد الخزانة الملكية بالرباط رقم (١٠٣٠١).

وهو قسم من أول الجزء الثاني الخاص بالأندلس ويقع في (٦٩) ورقة، ويبدأ في أثناء حوادث سنة ١٩٣ هـ^(١)، وينتهي في آخر الجزء الثاني الذي نشره بروفنسال، وهو آخر القسم الأول من الجزء الثاني. وقد رمزا له بالحرف (ت).

أما رمز ما طبع من الكتاب فهو (م).

(١) تنظر الصفحة ٨٩ من المجلد الثاني.

آخر المجلد المحفوظ في الخزانة الملكية بالرباط برقم (٣٣٤) وهو آخر القسم الثالث من الكتاب

لهم إني أنت عدو أعداءك وأنت حميّة محبّيكم

وَالْمُهَاجِرُونَ إِذْ أُخْرِجُوا مِنْ أَرْضِهِمْ بِغَيْرِ مُحِيطٍ بِمَا يَحْتَلُّونَ
أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُمْ بِقُوَّةٍ وَإِنَّ رَبَّهُمْ
أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ إِذْ أُخْرِجُوا لَا يَرْجِعُونَ
أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْتَوْنَ الْأَمْرَ
أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْتَوْنَ الْأَمْرَ
أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْتَوْنَ الْأَمْرَ
أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْتَوْنَ الْأَمْرَ

وَرِجْمَهُ كَمْكَرْجَهُ وَسَلْكَهُ حَمْدَهُ
خَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ
وَلَدْهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ
يَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ
وَلَدْهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ
يَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ
وَلَدْهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ
يَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ كَلْدَهُ

234

راموز أول المجلد المحفوظ في الخزانة الملكية بالرباط برقم (٣٣٤)

الْمَسْعُودِ مُحَمَّدْ قَوْلَى الْكَرْمَانِيِّ التَّوْرَانِيِّ

راموز الورقة الأولى من نسخة الخزانة العامة بالرياط رقم (٣٣٣)

٣٣٦

يخرج تائفيين أكثراً مجاهاً، وأدواره تأثر بذلك، ولذلك حاول
كتبه من الفساد والتداهش والدهشة، وله في سلسلة مقالاته ودراساته التي يمثل
من اهتمامه ويطبعها كلها رصداً هو صاحب المجمع وحضرت، العبرة بالقول
ترجم العهد بترجم المنهى عنه العبرة ومن تعاليمه مصادره وما أشار إليه الفارس
بهم وفيها فنادق وفلكم بالمعنى لهم بذلك الضابط وبيان الحال
الذئاب على قوائم تائفيين بالرماة وإنهم في صيادين في البر والبحر ولهم العبرة
البلاد لهم فاد لفظي به ولقد ذكر ذلك في تأفيلاً شافعياً لما في المسالك وكان
عبد العزير قد عمل على جعله متنبك لآدابه والمصالحة الكبار ولخص
له عذرها العبرة بتلك المصادر كاعتراض في مقولاته وبياناته
تأسيس ونحوها بتلك الأدلة والأدلة، تخرج عليه صفات العبرة بما يدور في
الإسرار والمال رقم وفتحه واستفاد منها وبيانها، هنالك سيد على إنسان
حرب تأفيلاً ويعذر المأذن لغایة اشتياق حروبه، النور والغدرة، مما يمس
العمر وذكر له بذلك كلاماً أخذته
أيضاً في تأفيلاً شافعياً من المذهبية، ثم أعاد تأفيلاً آخر
في آخر المقام من تأفيلاً شافعياً في المذهبية، ثم أعاد تأفيلاً آخر
الوصي على مهاراته تأفيلاً شافعياً في معجمه الجهمي، وله تأفيلاً عدداً من الـ
لصومع البهارات، معهه هناك كلامات وبيانات وكتابات، فاغلبها من كلامه

موجهة

راموز الورقة الأولى من نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم (٣٣٦)

وَكَانَ فَلْلَادِيُّ بِدِبْرِزِنْ وَأَمْرَالْتَارْلَانْ وَعَصْمَانْ
خَلْقَ مَا يَهُ وَصَرْ وَسَلَادْ وَفَدْ
بَرْسَفْ وَزَيْنْ وَالْمَهْرَلْدَرْ
أَبْرَارْ بِعَصْرِ الْمَارْ لِصَنْوَةِ أَهْبَلْ لِعَرْمَ أَكْمَرْ
نَاسَلْمَى بِعَدْ لِلْكَلْكَلْ أَوْلَادْ بَرْسَفْ فَنْحَلْلَهْ قَاصِمْ
وَلَدْ بِأَعْلَمِ اللَّهِ وَصِفَمْ مَادَلْلَمْ عَلَاجْ وَلَغْمَنْ فَلْلَادِيُّ رَصَدْ بَلْهَانْ
أَبْدَبُورْ بِلَهَدْ بِلَادْ هَمْ وَعَالَهَمْ وَفَصَمْهَنْ وَهَدْ وَحَرْبَرْ
الْأَنْسَرْ
الْعَاشْلَمْ وَمَرْصِنْهْ عَهْلَرْ
الْمَسْلَمْ لَيْلَيْفْ جَرْلَلْهَبْ بَرْ عَنْسَرْ
كَوْلَنْشَتْ
مَلَاهَا
جَوْدَشْ لَيْلَهْ دَلْهَرْ وَدَرْ
كَانْ مَسْلَكْهْ وَالْبَقْرَهْ دَلْهَيْ
عَصَامْهْ مَهْزُورْ السِّرْ فَوْجَهْ لَكْلَهْ

بِالْفَاتِحَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَكُلُّ الْقَرْبَىٰ يَسِّرْ فَرْصَلَ الْمُهْمَنْ مُسْوَدَّهُ اَنْتَ الْمُجْعَنْ عَصِيمَهُ مُرْكَبَهُ
الْمُشْفَرَهُ الْمَارِدَهُ اَسْتَهْمَرَهُ مُسْرَسَهُ . اَلْمُوَلَّهُ بِالْعَمَّ

1

آخر نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم (٣٣٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَوةُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ

三

وَعِنْهُ سَلَامٌ وَحَمْدٌ لِلَّهِ وَالْمُرْسَلِينَ تَلَيَّ وَلَا يَنْهَا
جَرْوَةٌ وَهُمْ يَعْصُمُونَ إِذْ يَعْصُمُونَ الْمُرْسَلُونَ هُمْ جَاهِدُوا فَوْزًا
عَمَدُ الْمُتَّقِيِّ وَعَسْرَهُ الْمُنْتَهَى وَعَلَيْهِمْ كُلُّ قَارَبٍ مَوْفَرٍ
عَنْ الْوَمْوَادِ حَمْمَاسِيَّةٌ بَوْ جَانَلَ لِيَكَانَ الْمَاءُ شَرٌّ يَمْسِكُ بِهِ
دَكْمَ الْغَرْبِ يَمْسِكُ بِهِ نَطْلَ الْمَنَادِيِّ وَيَمْسِكُ بِهِ الْمَوْهَابِيُّونَ تَسْعِمُ أَهْلَ
دَاتِ تَسْبِيرِ الْمَهْبِلِيَّاتِ صَرْنَاقِيَّاتِهِنَّ رَوْعَنَاتِهِنَّ بَرْجَوَنَاتِهِنَّ كَاهِنَاتِهِنَّ
جَاهِنَاتِهِنَّ لَعْنَهُنَّ الْمَهْدِيَّ وَذَالِعَنَهُنَّ تَسْكُوَاتِهِنَّ الْمَسَالِيَّةَ كَارْعَنْتَلَوْمَهُنَّ
هُنَّ عَلَى خَرْوَلَهُنَّ لَهُنَّ مُرْلَهُنَّ أَوْ قَارَوْ الْمَحَابِلُونَ الْكَمَارِيَّاتِ يَمْسِكُهُنَّ لَهُنَّ
مَرْبُوحِيَّهُنَّ وَتَنْلَهُ الْمَحَابِلُونَ كَامِيَّهُنَّ ثَمَّ اِبْرَهُنَّ لَهُنَّ دَهْمَهُنَّ وَصَصَهُنَّ تَاسِيَّهُنَّ
عَصَلْطَوْنَيْنَ لَطَلَّ الْمَوْلَادِ وَالْمَهَاجِرَةِ عَلَيْهِمْ عَشْرَ اِثْرَيَّهُنَّ تَرْيَانَهُنَّ لَهُنَّ
الْعَرْسَانِيَّاتِ الْمَهَاجِرَةِ مَوْهَبَهُنَّ وَمَنْلَوْهُنَّ وَاسْتَأْفَوْهُنَّ هَلْمَهُنَّ رَهْنَهُنَّ هَلْمَهُنَّ
لَمْ يَنْجُو حِرْبَهُنَّ تَاسِيَّهُنَّ وَنَعْمَلَهُنَّ رَهْبَهُنَّ لَهُنَّ اِسْلَاحَهُنَّ هَرْزَهُنَّ لَهُنَّ دَسَّهُنَّ وَالْمَخْوا
دَكَاغَهُ الْمُوْهِدِيَّنَ عَصَيَّلَهُنَّهُمْ دَهَنَهُنَّ كَهَنَهُنَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَلَالُ الْمُهْرَبِ إِذَا بَرَأَ وَكَفَرَ الْمُهْرَبُ الْوَالِدِ

لِحَصَالِ الْمُغَيَّبِ

تَنْسِيَتُ الْمُهْرَبِ إِذَا كَسَرَ

وَتَالُ الْمُغَيَّبِ

لِحَصَالِ الْمُغَيَّبِ تَأْشِيرُ مِنْ كِتَابِ عَهَادِ رَبِّ الْمَرْسَامِ نَظَارَةً وَنَاقِشَةً مُسَمَّاً بِهِ
بِهِ حَكْمَ كُثُرِ الْعَزَّوَاتِ وَلِرِجَالِ الْعِصَمِ حَلَالَ وَأَهْلَهُ فِي دِرْبِهِ وَعَوْنَقَهُ أَنْ يَضْرُبَ
بِكَلْمَنِ نَاصِفَهُ وَغَلَبَ كَامِلَهُ عَارِفَهُ بِوَصْلِ الْجَمِيعِ الْمُشَوَّعِ وَعَشْكُورِ الْمُسْمَدِ: الْمُ
مُهْرَبِهِ مُرْجِعُ الْمُوَدِّدِ فِرْقَةُ اللَّهِ مِنَ الْمُوَرَّدِ وَأَنْتَمُ مُخَالِفُهُ وَمِنَ الْمُجَاهِدِ
الْمُجَاهِدِ وَصَرِيفُ الْمُجَاهِدِ فَكَرِيَ الْعَرْفِ بِقَمَدِ الْمَاضِيِّ وَبِفَرِيَ الْمُجَاهِدِ
الْمُجَاهِدِ وَمِنَ الْمُجَاهِدِ تَأْشِيرُ بِالْمُجَاهِدِ فَإِنْصَارُهُ مُسَانِدُهُ وَبِفَرِيَ الْمُجَاهِدِ
الْمُجَاهِدِ بِالْمُجَاهِدِ وَفَالْمُجَاهِدِ تَأْشِيرُ لِتَلْكِيَّاتِ الْمُجَاهِدِ وَكَارِعِينِ
الْمُوَرَّدِ فِيلِمُ اِخْرَوَلَهَةَ هُنْمَهُ، لِلْمُؤْمَنِ وَالْمُطَاهِنِ اِنْجَلِي، فَارْصَدُهُمْ عَسْرًا
مِنَ الْمُوَجِّدِينِ بِتَلْلَهِ الْحَادِي وَكَامِيَهِ، اِخْرَوَلَهَةَ نَسْمَعُهُ وَوَصِيَّهُ تَائِفِينِ
وَغَالِيَّتِهِ: دِلْكَوَافِنِ لَهُ الْأَفْعَارِ وَلَدَهُ اِغْرِيَعُهُمْ عَنْكِرَهُ اِنْ
الْمُوَجِّدِي، بِاعْدَادِهِ الْفَرِسَارِ وَالْجَاحِلِ وَهَرَمُونِ وَفَلَوْرِهِ وَأَسْفَافِهِ لَهِلَمِ وَسَائِمِ
الْمَتَبَّلِي وَلَبِلِهِ عَرِيَّاتِهِ شَيْرِهِ، مِنْدَهُ الْأَيْمَانِ اِشْلَاخِ حَرْلَوَهَةِ الْمُوَرَّدِ وَالْمُجَاهِدِ
مَاعَةَ الْمُوَجِّدِي وَمِنْكِهِ اِعْمَالُ الْمُجَاهِدِ اِنْسَا

لِحَصَالِ الْمُغَيَّبِ

مَحْبَلُ الْمُوَرَّدِ الْكَوَافِلِ الْأَغْوَافِ

راموز الورقة الأولى من المجلد المحفوظ بالهزارة الملكية بالرباط برقم (٢١٥٠)

آخر المجلد المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط رقم (٢١٥٠)

224

راموز الورقة الأولى من نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم (١٠٣٠١)

دُولَةِ عَمَّانِ مَا وَرَكَ مِنْ . . . الْمَدِينَةِ يَا إِلَيْكُمْ أَتَوْجَهُ
 لَهُ عَوْدَةُ الْعُوْدَةِ الْمُرْتَبَةِ كُوْنَتْ وَدَدْ . . . حَمَارَاتِ
 شَحْنَةِ الْأَنْهَى حَمَابَهُ رَاهِنَهُ الْمُهَوَّبَهُ بَهْنَهُ حَمَارَاتِ
 الْأَدَهُ ثَبَسَهُ عَرَاشَهُ حَمَيَّاتِكَ الْعَيْنَهُ
 حَمَّهُ مَاهَهُ الْبَيْزَهُ حَمَّهُ مَهَهُ حَفَّهُ وَمَاهَهُ الْمَهَهُ حَمَّهُ
 حَمَّهُ حَمَّهُ حَمَّهُ حَمَّهُ حَمَّهُ حَمَّهُ حَمَّهُ حَمَّهُ حَمَّهُ حَمَّهُ حَمَّهُ
 سَعَادَهُ حَمَّهُ حَمَّهُ سَعَادَهُ حَمَّهُ سَعَادَهُ حَمَّهُ سَعَادَهُ حَمَّهُ سَعَادَهُ حَمَّهُ

أَسْعَرَ لَافَلَ الْمَدِينَهُ أَهْلَهُ حَلَّ الْمَدِينَهُ حَلَّ

حَلَّتْ لَهُ دَهْنَهُ الصَّنَعَهُ

راموز الورقة الأخيرة من نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم (١٠٣٠١)

وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه^(١)

الحمدُ لله مُصْرِفُ الأقدار، ومحبِي الآثار، المُتعالي^(٢) عن الأشباء والأنظار،
 المُمُتَّزُ عن تمثيل الأوهام وتكييف الأفكار^(٣)؛ الذي احتجَ بحجاب عزّته وقدرتة،
 فلا تُذْكُرُهُ الأَبْصَار، وهو يُدْرِكُ الْأَبْصَار؛ الذي خَضَعَتْ هُبْطَتْهُ وعَظَمَتْهُ رقابُ الأَكَاسِرَة
 والجَبَابِرَةِ والأشْرَار؛ العَالَمُ بِالْكَوْنَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِهَا، والحوادِثُ مَعَ تَشْتِيتِ أَوْصَافِهَا،
 وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ؛ مُكَوَّرُ اللَّيلِ عَلَى النَّهَارِ، وَالنَّهَارُ عَلَى اللَّيلِ مَا جَرَى الْفَلَكُ
 الدَّوَارِ، وَجَعَلَهُمَا آيَتَيْنِ يَتَتَّبِعِنَ لِلتَّفَكُّرِ فِي الْعَظَمَةِ^(٤)؛ الاعتبار؛ وَخَصَّ الإِنْسَانَ بِفَضْلِ
 النَّظَرِ وَالْأَسْتِبْصَارِ، فَقَالَ، جَلَّ وَتَعَالَى: «فَاعْتَبِرُوا إِنَّا فَلِلْأَبْصَارِ» [الْحَشْرُ: ٢]؛ وَعَلَمَهُ
 مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَرَرَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَلْحُقْ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَّةِ فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارِ؛
 وَأَرَاهُ مُتَقَلَّبَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهُمْ دَارِيَ اِنْتِقالِ، وَمَفَرِّزِ مِنْ زَوَالٍ^(٥)،
 وَجَعَلَ الْأَيَّامَ بَيْنَهُمْ دُولَةً، وَالْأَقْوَامَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بَدَلَّا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْقَهَّارِ! نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا مِنَ الْهُدَى لِلنَّظرِ فِي مَوْاقِعِ الْأَدْلَةِ بِأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ
 الْمَلِكُ الْغَفَّارُ! وَنَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، الَّذِي اخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ وَخَتَمَ بِهِ الرُّسُلُ الْكَرَامُ الْأَبْرَارُ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينِ وَصَحْبِهِ الْأَكْرَمِينِ الْأَخْيَارِ، وَسَلَّمَ كَثِيرًا، وَبَعْدَ:
 جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ نَظَرِ فَاعْتَبَرَ، وَوُعِظَ فَازْدَجَرَ، فَإِنَّ خَيْرَ مَا شُغِلَتْ بِهِ الْأَذْكَارُ
 وَالْأَفْكَارُ، وَتَحْدَثَتْ مَعَهُ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ، حَفِظَ مَا أَفَادَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَخْبَارِ، وَإِنَّ أُولَى

(١) بعد هذا في ر ١: «قال الشيخ الأجل الأثير الأكمل الراوية المطلع الحسيب الأفضل أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري رحمه الله»، وهي من قول الناسخ بلا ريب.

(٢) في م: «ومتعالي».

(٣) في م: «الأذكار»، ولا معنى لها.

(٤) في م: «العظة»، وما هنا من النسخ.

(٥) في م: «وزوال».

ما رَيَضْنَا بِهِ النُّفُوسَ الْبَشَرِيَّةَ مُجَالِسَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْأَخْيَارِ، وَمُذَاكِرَةُ الْأَدْبَاءِ ذُوِّي الْهَمَمِ وَعُلُوِّ الْمِقْدَارِ، فَفِي مُجَالِسِهِمْ وَمُذَاكِرَتِهِمْ مَا يَسْتَحْضُرُ الذَّهَنَ وَيَنْبُرُ الْأَفْكَارُ؛ فَإِنْ فَقِدَتْ مُجَالِسَهِمْ، فَلَا عِوَضٌ مِنْهَا غَيْرُ كِتَابٍ يَتَّخِذُهُ جَلِيسَهُ، وَيَجِدُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنِيسَهُ، وَيَتَّسَمُهُ رَوْضًا يَانِعَ الْأَزْهَارِ، وَإِذَا نَظَرَ الْلَّبِيبُ بِفَطْنَتِهِ إِلَى أَصْنَافِ الْعِبَادِ، وَمُخْتَلِفِ الْأَبَادِ، أَغْنَاهُ ذَلِكُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ، وَقَامَ لَهُ الْاِسْتِمَاعُ مَقَامُ الْمَعَايِنَةِ وَالْاِسْتِخْبَارِ.

قال المؤلف: ولما كُنْتَ كَلِفْتُ بأخبار الْخُلُفَاءِ والأئمَّةِ والأمراءِ بالبلادِ
الْمَسْرِقِيَّةِ والْمَغْرِبِيَّةِ وما وَالاَهْمَا من الأقطارِ، وَوَلَعْتُ بِالْمُنَاظِرَةِ فِي ذَلِكَ مَعَ
الْفُضَلَاءِ وَالْأَخْلَاءِ ذَوِي الْأَقْدَارِ وَالْأَخْطَارِ، طَلَبَ بَعْضَهُمْ إِلَيَّ، مَمَّنْ يُحِبُّ إِكْرَامُهُ
عَلَيَّ، أَنْ أَجْمَعَ لَهُ كِتَابًا مُفْرَدًا فِي أَخْبَارِ مُلُوكِ الْبَلَادِ الْغَرْبِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ الإِيجَازِ
وَالْأَخْتَصَارِ، وَلَا زَمَنِي فِي طَلْبِهِ مِرَارًا؛ فَلَمْ يُمْكِنِي التَّوْقُّفُ فِي ذَلِكَ وَلَا الْاعْتَذَارَ،
وَحَمَلَنِي عَلَى جَمْعِهِ وَتَأْلِيفِهِ حَمْلًا اضْطَرَارَ لَا اخْتِيَارَ، فَجَمَعْتُ لَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ
نُبُدًا وَلُمَعًا مِنْ عَيْنَ النَّوَارِيخِ وَالْأَخْبَارِ، مَمَّا أَجْرَى اللَّهُ بِهِ تَصَارِيفَ الْأَقْدَارِ، فِيمَا
مَرَّ مِنَ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَعْصَارِ، فِي بَلَادِ الْمَغْرِبِ وَمَا وَالاَهْمَا مِنَ الْأَقْطَارِ؛ جَمَعْتُ ذَلِكَ
مِنَ الْكُتُبِ الْجَلِيلَةِ مُقْتَضَبًا مِنْ غَيْرِ إِسْهَابٍ وَلَا إِكْثَارٍ، فَاقْتَطَفْتُ عَيْنَهَا، وَاقْتَضَبْتُ
فَنَوَّهَا، وَوَصَلْتُ الْحَدِيثَ بِالْقَدِيمِ، وَالْقَدِيمَ بِالْحَدِيثِ؛ لَأَنَّهُ إِذَا اتَّصلَ، يُسْتَأْرِفُ
وَيُسْتَحْلِي، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ^(١) [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَاملِ]:

وَسَيْمَتُ كُلَّ مَارِبٍ
فَكَانَ أَطْيَّهَا خَيْثٌ
إِلَّا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ
عِنْدَ اسْمِهِ أَبْدًا حَدِيثٌ

فَنَقْلَتْ - وَاللَّهُ وَلِيُ التَّوْفِيقُ - مِنْ تَارِيخِ الْطَّبَرِيِّ، وَالْبَكْرِيِّ، وَالرَّاقِقِ، وَالْقُضَايَىِّ، وَمِنْ كِتَابِ «الذِيْل» لَابْنِ شَرْفَ، وَمِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي الصَّلْتَ، وَمِنْ «الْمَجْمُوعِ الْمُفَرَّقِ»، وَمِنْ كِتَابِ «بَهْجَةِ النَّفْسِ وَرَوْضَةِ الْأَنْسِ»، وَمِنْ كِتَابِ «الْمِقْبَاسِ»، وَ«الْمُقْتَبَسِ»، وَ«الْقَبَسِ»، وَمِنْ مُخْتَصَرِيْ عَرِيبِ وَابْنِ حَيْبٍ، وَمِنْ «ثُرَرِ الْقَلَائِدِ وَغَرَرِ الْفَوَادِ»، وَمِنْ «الْقَلَائِدِ» وَ«الْمَطْمَحِ» لَابْنِ خَاقَانَ، وَمِنْ كِتَابِ ابْنِ حَزْمٍ، وَ«ذِخِيرَةِ» ابْنِ بَسَّامَ،

(١) هو ابن الرومي، كما في ديوانه ٩٣٤، والإمتاع والمؤانسة ٣٤، والبصائر والذخائر ١٩٨ وغيرها.

ومن «أخبار الدولة العامرية» لابن حيّان، ومن كتاب «تفصيّي الأنبياء في سياسة الرؤساء»، ومن كتاب «الأنوار الجلية في الدولة المُرابطية»، ومن «نظم الجمان في أخبار الزمان» لابن القطان، ومن كتابي الأسيري والبيدق، وكتاب يوسف الكاتب، وكتاب ابن صاحب الصلاة أبي مروان، ومن كتاب ابن رشيق، ومن كتابٍ وجده أو تعلق، ومن شيوخ أخذت الأخبار الواقية عنهم بتحقيق، واللهُ الهادي إلى سواء الطريق^(١).

ولمَّا كمل ما قيدته وجردته، جزأه على ثلاثة أجزاء: كل جُزء منها كتابٌ قائمٌ بنفسه، ليكون لمطالعه أوضحَ بيان، وأسهلَ مرام لدى العيان. سميته بـ«البيان المُغِرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمُغِرب». أما الجزء الأول: فاختصرت فيه أخبار إفريقيَّة من حين الفتح الأوَّل، في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثمَّ أخبار أمرائها من ولادة الخلفاء الأمويَّين، ومن دخل الغرب منهم، ومن قام بإفريقية من الصُّفْرية والإباضية^(٢)، ثمَّ قام فيها بالدولة العباسية، ومن ملكها من بني الأغلب؛ وأخبار بني عبيد الشيعة؛ وأخبار زناته الصُّنْهاجين^(٣) وغيرهم، وكلَّ ما اشتهر من أمرهم، إلى حين انتقال العُبيديَّة إلى البلاد المصريَّة، واستخلافهم صُنْهاجة على إفريقية؛ ثمَّ خلَع صُنْهاجة لهم، واستيلائهم على إفريقية. ونذكر فتنة العرب وأسبابها، ودخولهم إلى القَيْرَوان وخرابها، وتنقلُ أمراء صُنْهاجة إلى المَهْدِيَّة، ومن ملكها منهم، وما اشتهر في ذلك من أخبار عنهم من ملوك المَنَادِيَّين، والحمَادِيَّين، إلى حين ظهور المُوحَّدين. ولخصتُ في ذلك كله أخبار أمراء البلاد الغربيَّة، ومن دخلها، من أخبار الدولة العُبيديَّة؛ وذكرتُ أخبار المِدراريَّين السجلماسيَّين، والأمراء الإدريسيَّين، وأخبار البرغواطيَّين، والزناتيَّين، ومن ملك فاساً من زناته المَغْراويَّين، ومن ولادة الخلفاء الأمويَّين الأندلسيَّين، على أنَّ أخبار المغرب الأقصى أكثرُ من أن تُحصَى؛ لكنني نسقتُها نسقَ الأسلاك، وسُقْتُ من كان فيه

(١) فَصَلَ الأَسْتَاذُ الدَّكْتُورُ عَبْدُ الْوَاحِدِ ذُنُونُ طَهُ مَوَارِدُ ابْنِ عَذَارِيِّ فِي الْبَيَانِ فِرَاجِعُهُ تَجَدُّدُ فَائِدَة.

(٢) الصُّفْرِيَّةُ وَالإِبَاضِيَّةُ - نَسْبَةٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبَاضِ التَّمِيمِيِّ - فَرْقَتَانِ مِنْ فَرَقِ الْخَوارِجِ.

(٣) قَيَّدَهَا نَاسِرُ (م) بِفَتْحِ الصَّادِ، وَالْمَحْفُوظُ أَنَّهَا بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، وَالضَّمِّ أَكْثَرُ.

على الولاء من الأملاك، من حين فتحه الأول إلى حين ابتداء الدولة اللّمُوتُونِيَّةِ المُرابِطِيَّةِ.

والجزء الثاني: اختصرتُ فيه أخبار جزيرة الأنْدُلُسِ، وأملاكها الغابرين الدَّارِسِين، من حين الفتح الأول؛ ثمَّ من ولِيهَا من الأمراء للخلفاء الأمويَّين بالشَّرْقِ؛ ثمَّ من قام بها من العَرَبِ الفَهْرِيِّين إلى حين دخول الخلفاء الأمويَّين في ابتداء أمرهم؛ ومن قام عليهم من الثَّوَارِ الأنْدُلُسِيِّين. وذكرتُ بعض أخبارهم وأثارهم في غَزوَاتِهم وحرَّكاتِهم، إلى انقضاء مَدَّتهم بعد ذِكر حُجَّاجِهم العاَمِرِيِّين وما ترثُوا إلى حين انقضاء الدولة العاَمِرِيَّةِ، وقيام الفتنة البرَّبرِيَّةِ. وذكرتُ فيه أخبار ملوك الطَّوَافِ، بعد انقضاء دول الخلاف، من الْحَمُودِيِّين، والهُوَدِيِّين، والجَهُورِيِّين، والعاَبِدِيِّين، وفيَّان العاَمِرِيِّين، والصَّادِحِيِّين، والرَّنَاتِيِّين، والبَكْرِيِّين، والأفْطَسِيِّين، والصُّنْهَاجِيِّين، وغيرهم من الرؤساء الأنْدُلُسِيِّين؛ وكل ذلك إلى حين دخول لَمُوتُونَةِ إلى الأنْدُلُسِ سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مئة.

والجزء الثالث: اختصرتُ فيه أخبار الدولة المُرابِطِيَّةِ اللّمُوتُونِيَّةِ، وخروجهم من صَحْرائهم في ابتداء أمرهم، واستيلائهم على مملكة أمراء المغرب والأنْدُلُسِ، وخلعهم جميعهم، وتَغْلِبِهم على مملكة كُلِّ منهم، وما تَسْنَى لهم فيها من الفتوحات والمُنْوَحات، إلى حين ابتداء دولة المُوَحَّدين وظهورهم، ونُبَيِّنُ من أحواهم وأمورهم، ثمَّ ما كان بين أمراء الدولتين من مُقاتلات ومتنازلات، وحضر من حُصْر ونَصْرِ من نَصْر - سمح الله لهم - وذلك إلى حين انقراض الدولة المُرابِطِيَّةِ، وابتداء الدولة المُوحَّدية. ثمَّ ما تخلَّلَ بعد ذلك للمُوَحَّدين من النصر والتَّأيُّد، ومن فتوحه ومنه، وصُنْعَ عَجِيبٍ في البلاد الإفريقيَّةِ والأنْدُلُسِيَّةِ، إلى حين انقراض دولتهم، وذلك بسبب أحداثٍ حدثتُ عليهم، وأحوال نُسِبَتُ إليهم؛ وذكرتُ الدولة الحَفْصِيَّةِ المُوَحَّديةِ في الْهِنْتَاتِيَّةِ، في البلاد الإفريقيَّةِ، والدولة الْهُوَدِيَّةِ الْمُوتَكَلِّيَّةِ والنَّصْرِيَّةِ الْأَحْمَرِيَّةِ في البلاد الأنْدُلُسِيَّةِ، والدولة السعيدة المَرِينِيَّةِ في البلاد^(١) الغَرْبِيَّةِ؛ اختصرتُ من ذلك كُلُّهُ ما اشتهر أمره، وأمكنتني ذكره. وذكرتُ بعض البيعات والرسائل السُّلْطَانِيَّاتِ،

(١) سقطت من را.

وما تعلق بها، وكان بسببها من الواقع المذكورات، والأمور المشهورات؛ وذلك إلى انقضاء الدولة المُوَحَّدية، واستيلاء الإمارة اليوسفية المرinية على حُضرة المَرَاكُشِيَّة؛ وذلك على مرور السَّنِين إلى عام سبعة وستين وست مئة.

قال المؤلّف - سمح الله له : فإن كنت اقتصرت، فيها اختصرت، فعذرًا فيما ظهر من تقصير، وباع قصير، فإنَّ الذَّهْنَ كليل، والقلْبَ شَغِيل. وكنت قد قدَّمت نسخة من هذا الكتاب، وربما زدت في هذه الثانية أو نقصت، إذ كان الأولى بي والأخرى، ألا أقدَّمَ الأولى ولا أؤخِّرَ الأخرى؛ ولكنني لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا؛ وحسبني الاعتراف، فهو سبيل الإنصاف، نسأل الله الإرشاد إلى سواء السبيل، فهو حسبي ونعم الوكيل.

ذكر حد المَغْرِب وإفريقيَّة وما اتَّصل بها وعَدَ مَعَهُمَا

قال أبو مروان في كتاب «المِقْبَاس»، وابن حماده في كتاب «القبس» وغيرهما، من المؤرخين لأخباره، المُعْتَنِينَ بآثاره: إن حد المَغْرِب^(١) هو من ضفة النيل بالإسكندرية، التي تلي بلاد المغرب، إلى آخر بلاد المَغْرِب؛ وحدُه مدينة سلا^(٢). وينقسم أقساماً: فقسمٌ من الإسكندرية إلى أطربُلُس؛ وهو أكبرُها، وأفْلَحُها عمارةً؛ وقسمٌ من أطربُلُس وهي بلاد الجَرِيد، ويُقال أيضًا: بلاد الزَّاب الأعلى^(٣)؛ ويلي هذه البلاد بلادُ الزَّاب الأسفَل؛ وحدُها إلى مدينة تِيهَرْت^(٤)، ويليها بلادُ المَغْرِب؛ وهي بلاد طَنْجَة؛ وحدُها مدينة سلا، وهي آخر المَغْرِب. وإذا جُزِّت سلا، وأخذت إلى ناحية الجنوبيَّة، ترَكَت مَغْرِبَ الشَّمْس يَمْنَة، وأخذت منها قافلاً إلى القِبْلَة، فتُسَمَّى تلك البلاد بلاد تامَسْنَا^(٥). ويُقال لها أيضًا: بلاد السُّوس الْأَدْنَى، وحدُها إلى جبل دَرَن^(٦). وإذا جُزِّت هذا الجبل، فعن يمينك بلاد السُّوس الْأَقْصَى، ويُقال لها: بلاد ماسَّة؛ ويَتَّصل السُّوس الْأَقْصَى ببلاد الصحراء إلى السودان، وهي بلاد الزَّنْج^(٧). وببلاد الْأَندَلُس أيضًا من المَغْرِب، وداخلة فيه، لا تَصَاهُها به. ويليها المجاز الأعظم، الذي يُسَمَّى بحر الزُّقَاق؛ وفيه مَصْبُوْتُ البحر الكبير، الذي يُسَمَّى المُحيط؛ ويُقال له: بحر الظُّلُمات^(٨). وهذا البحر لا يُعلَم له ساحلٌ غير الذي عليه بلاد السُّودان وببلاد المَجُوس، الذين يَلُون بلاد الْأَندَلُس. ويَصْبُو ماء الزُّقَاق في البحر الرومي؛

(١) ينظر عن المَغْرِب وحدوده في نظر ياقوت وما نقله عن بعض الجغرافيين (معجم البلدان ٥ / ١٦١).

(٢) بلفظ الفعل الماضي، مدينة عاصمة إلى اليوم (معجم البلدان ٣ / ٢٣١).

(٣) ينظر الروض المعطار ٢٨١-٢٨٢.

(٤) ويُقال فيها: تاهرت (معجم البلدان ٢ / ٧).

(٥) ينظر الروض المعطار ١٢٩، وتاريخ ابن خلدون ٦ / ١٦٢.

(٦) بفتح الدال والراء (معجم البلدان ٢ / ٤٥٣).

(٧) في م: «الزنْج» بكسر الراء، خطأ.

(٨) هو المعروف بالمحيط الأطلسي.

ويقال له أيضًا: البحر الشامي^(١); وهو يتصل إلى بلاد الشام وينعطف^(٢) إلى ناحية القُسْطَنْطِينِيَّة. وبينه وبين بحر الزُّقاق الخليج الذي منه. وذكر ابن حَمَادُه أن حدَّ المغرب من بحر القُلُزُم^(٣) وهو الهاباط^(٤) من اليمَن إلى عَدَن إلى عَيْذَاب^(٥) إلى القُلُزُم ويأتي من مصر قبلة وشرقاً. وحدُ المغرب من الجَوْف: البحر الشامي، وهو بحر الإسْكَنْدَرِيَّة، وهو المُتَفَرِّغ في بحر الزُّقاق من جزيرة طَرِيف^(٦); وعلامته صَنْمٌ قادِسٌ. وحدُ المغرب من الغرب: البحر المُحيط المسمى الأَبْلَاعِيَّة. وصار المغرب كالجزيرة؛ دخل فيه بعض أعمال مصر، وإفريقية كلُّها، والزَّابُ، والقَيْرَانُ، والسُّوسُ الأَدْنَى، والسُّوسُ الْأَقْصَى، وببلاد الحَبَشَة، ومنه يتفرَّغ نيلُ مصر.

ذكر فضل المغرب وما ورد [فيه]^(٧) من الأخبار والآثار

رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفةٌ من أمتي بالغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»^(٨)، ومن ذلك ما أخرجه مُسْلِم في «صَحِيحِه»^(٩) عن سَعْدٍ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال أهل المغرب^(١٠) ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»، وذكر البُخاريُّ، عن النبي ﷺ قال: «ستكون فتنة، خَيْرٌ

(١) هو البحر المتوسط.

(٢) سقطت من م.

(٣) كتبت في م: «القلزوم»، وهو البحر الأحمر.

(٤) في ر: «الضابط»، ولا معنى لها.

(٥) معجم البلدان ٤/١٧١.

(٦) الروض المعطار ٣٩٢.

(٧) ما بين الحاضرين زيادة متعينة للتوضيح.

(٨) هذا حديث عام من المؤلف، وسيأتي تفصيله فيما يأتي عنده من أحاديث.

(٩) صحيح مسلم (١٩٢٥).

(١٠) هكذا في النسخ، وفي صحيح مسلم: «الغرب»، وهو الصواب، وفي تفسيره اختلاف كما بينه الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم.

الناس فيها الجُنْد الغَرْبِيُّ^(١). وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَرَالْ عِصَابَةً مِنْ أَمَّتِي بِالْمَغْرِبِ، يَقْاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَالِفَهُمْ، حَتَّى يَرَوْنَ^(٢) قِيَامًا فَيَقُولُونَ: غَشِّيْتُمْ! فَيَغْشَوْنَ سَرْعَانَ خَيْلَهُمْ؛ فَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ، فَيَقُولُونَ: الْجَبَالُ سَيْرَتْ! فَيَخْرُجُونَ سُجَّدًا فَتَبَقَّبُسُ أَرْوَاحُهُمْ»^(٣). وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «سَخِيرُ الْأَرْضِ مَغَارِبُهَا؛ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْغَرْبِ»^(٤)، وَذَكَرَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ بْنَ لُبَابَةَ كَانَ يَرْوِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي زِيدَ الْمُصْرِيِّ، يَرْفَعُ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ، إِذْ تَوَجَّهُ تَلْقَاءَ الْمَغْرِبِ؛ فَسَلَّمَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَقَلَّتْ: عَلَى مَنْ تَسْلِمْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «عَلَى رِجَالٍ مِنْ أَمَّتِي يَكُونُونَ فِي هَذَا الْمَغْرِبِ، بِجَزِيرَةٍ يُقَالُ لَهَا: الْأَنْدَلُسُ؛ حَيْثُمْ مُرَابِطٌ، وَمَيَتُهُمْ شَهِيدٌ! وَهُمْ مِنْ اسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾» [الزمر: ٦٨]^(٥)، وَصَحَّ وَعْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْإِسْلَامَ سَيَلْغُ مُشَارِقَ الْأَرْضِ وَمُغَارِبَهَا، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَعَدَ.

وقال السُّهْمِيُّ^(٦) في قول رسول الله ﷺ لا يزال أهل الغرب ظاهرين على

(١) هذا خطأً فاضح فإن البخاري لم يخرج هذا الحديث، وأخرجه البزار ٢٨٧/٦ (٢٣١١)، والطبراني كما في جمجم الزوائد ٥/٢٨١، والحاكم في المستدرك ٤/٤٩٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٩٢/٤٥ من حديث عميرة بن عبد الله المعافري، عن أبيه، عن عمرو بن الحمق، وعميرة هذا مجهول، ولذلك ذكره الذهبي في الميزان ٣/٢٩٤ وقال: «لا يدرى من هو» وساق حديثه هذا. وأخرجه نعيم بن حماد في الفتنة ١/٥٤ (٨٥) من طريق يزيد بن أبي حبيب بلاغاً، فهذا حديث لا يصح.

(٢) هكذا في النسخ، وهي صحيحة لأن «حتى» هنا غير عاملة لا تفيد الحال والاستقبال.

(٣) لا أصل له من حديث أنس ولا من حديث غيره!

(٤) لا أصل له في حديث النبي ﷺ.

(٥) هذا حديث ظاهر الوضع لا أصل له في حديث النبي ﷺ.

(٦) جذوة المقتبس، ص ٢٦.

الحق حتى تقوم الساعة»: هذا، وإن كان عاماً فللاندلس منه حظٌ وافرٌ بدخولها في الإسلام، وتحققها من المغرب^(۱)، وأنها عن^(۲) آخر المعمور فيه، وبعض ساحلها الغربي والبحر محيطٌ بجميع جهاتها؛ فصارت بين البحر والرُّوم^(۳).

وروى الرَّقيق عن عبد الله بن وَهْبٍ، يرفع الحديث إلى النبي، آتَهُ بعثَةَ سَرِيَّةً في سبيل الله؛ فلَمَّا رجعوا، ذكروا شدة البرد الذي أصابهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «لكن إفريقياً أشد بَرداً وأعظَمْ أَجراً»^(۴)، وعن سُفيان بن عُيينة، أنَّ النبي ﷺ قال: «الشَّرُّ عشرة أجزاء؛ فتِسعةُ في المشرق، وواحدٌ في سائر البلدان»^(۵).

ويقال: إن بإفريقيا ساحلاً يُقال له: المُنْسَيْر^(۶)؛ وهو بَابٌ من أبواب الجنَّة، وبها جبلٌ يُقال له: المَمْطُور: بَابٌ من أبواب جَهَنَّم^(۷). وفي الحديث أن إفريقيا يُخَسِّر منها سبعون ألف شهيد، وجوهرُهم كالقمر ليلة البدْر^(۸). وعن سُفيان بن عُيينة، قال: يُروى أن بالغرب بَاباً للثَّوْبة، مفتوحاً مسيرة أربعين خريفاً، لا يغلقه الله حتى تطلع منه الشمس^(۹).

ودخل إفريقيا من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين الأوَّلين^(۱۰) ناسٌ كثيرٌ. ودخل الأندلسَ من التابعين قومٌ. فأولُ من دخل إفريقيا غازياً، في زمن عمر

(۱) في الجذوة: «الغرب».

(۲) في الجذوة: «من».

(۳) في الجنو: «وبعض ساحلها الغربي على البحر المحيط، وليس بعده مسلك».

(۴) لا أصل له في حديث النبي ﷺ.

(۵) لا يُعرف مثل هذا من حديث سفيان بن عيينة، ولا من حديث النبي ﷺ، وفي تاريخ ابن عساكر من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «الشَّرُّ عشرة أعشَار واحد بالشام وتسعه في سائر البلدان» أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ۱۵۴ / ۱ یاستاد ضعيف.

(۶) معجم البلدان ۵ / ۲۰۹ وهي قائمة إلى يوم الناس هذا بتونس.

(۷) هذا كذب لا يصح.

(۸) وهذا لا أصل له في حديث النبي ﷺ.

(۹) كذلك.

(۱۰) قوله: «من المهاجرين الأوَّلين» ليس في رأ.

ابن الخطّاب رضي الله عنه عمرو بن العاص؛ وكان استفتح مصر في سنة عشرين من الهجرة، ووجه منها عقبة^(١) بن نافع الفهري إلى لوبية^(٢) وإفريقية؛ فافتتحهما. ثم توجه عمرو بنفسه إلى برقة؛ فصالح أهلها على الجزية: دينار على كل حالم. وتوجه منها إلى أطرabilus؛ فافتتحهما بعد استغاثة أهلها بقبيل من البربر يقال لهم ثقوسة، إذ كانوا دخلوا معهم في دين النصرانية.

(١) تاريخ الإسلام ٦٨٢ / ٢.

(٢) ومنها اشتقت اسم ليبيا (وينظر معجم البلدان ٥ / ٢٥).

ابتداءُ التأريخ سنةً إحدى وعشرين من الهجرة

فيها افتتح عَمْرُو بن العاص مدينة الإسكندرية.

وفي سنة اثنين وعشرين بعدها: افتتح بلاد أطرايلس، وكتب إلى أمير المؤمنين عَمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه يُخْبِرُه بما أفاء الله عليه من النَّصْر والفتح، وأنَّ ليسَ أمامه إلا بلاد إفريقيا، وملوکها كثیرٌ، وأهلُها في عدد عظيم؛ وأكثُرُ رُؤوبهم الخيل. فأمره بالانصراف عنها؛ فأمر عَمْرُو العسكر بالرحيل قافلاً إلى مصر. ثُمَّ استُشهدَ عَمَرَ رضي الله عنه؛ فلَمَّا ولي عُثْمَانُ الْخِلَافَةَ، عَزَّلَ عَمْرُو بن العاص عنِ مصر، ووَلَّهَا عَبْدُ الله^(١) بن سَعْدٍ بن أبي سَرْحٍ سنة خمس وعشرين من الهجرة.

وفي سنة سبع وعشرين من الهجرة: أمر أمير المؤمنين عُثْمَانُ عبدَ الله بن سَعْدٍ بن أبي سَرْح العامريَّ بغزو إفريقيا.

فتح إفريقيا للإسلام

نَدَبَ عُثْمَانَ رضي الله عنه النَّاسَ إِلَى غَزوَهَا؛ فخرَجَ المُسْلِمُونَ في جيش عظيم، فيهم مروان بن السَّحَّافَ، وجَمْعٌ كَبِيرٌ من بني أمية، وبَشَّرَ كَثِيرٌ من بني أسد بن عبد العزَّى، وعبد الله بن الزَّبَيرِ بن العوَّامِ في عَدَّةٍ من قومه، وعبد الرحمن بن الأسود^(٢) وعبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنه وعبد الله بن عمرو^(٣) بن العاص، والمُمْطَلِّبُ بن السائب، وبُشَّرَ^(٤) بن أرطاة، وغَيْرُ هُؤُلَاءِ من المهاجرين. وأعانَ عُثْمَانَ المُسْلِمِينَ في هذه الغَزْوةِ بِالْفَلَقَ بَعِيرٍ، يُحملُ علىَهَا ضُعْفَاءُ النَّاسِ؛ وفتحَ بيوتَ السَّلَاحِ التي كانت لِلْمُسْلِمِينَ. فلَمَّا تَوَافَ النَّاسُ، جَدُوا السَّيرَ، وذَلِكَ فِي الْمَحْرَمَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَمَرَ النَّاسَ فَعَسَكُرُوا، وَقَامَ فِيهَا خَطِيبًا، فَوَعَظَهُمْ، وَذَكَرَهُمْ وَحَرَّضَهُمْ عَلَىِ الْجَهَادِ؛ ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ عَهَدتُّ

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢٩٧ / ٢.

(٢) سقط هذا الاسم جملة من م، وهو عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب أبو محمد القرشي الزهربي، وترجمته في تهذيب الكمال ١٦ / ٥٢٥، وتاريخ الإسلام ٦٧١ / ٢.

(٣) في م: «عمر» وهو تحريف ظاهر.

(٤) في م: «بشر»، وهو تصحيف ظاهر، ويقال فيه: ابن أبي أرطاة، وينظر تاريخ الإسلام ٧٩٣ / ٢.

إلى عبد الله بن سعدْ أن يُحسِّن صحبتكم، ويرفق بكم؛ وقد استعملتُ عليكم الحارث بن الحكمَ، إلى أن تقدَّموا على ابن أبي سرْح، فيكون الأمر له.

بعضُ أخبار عبد الله بن سعدٍ وإمرته^(١)

نسبة^(٢): هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامريُّ. وكان^(٣) يكتب الوَحْيَ إلى رسول الله ﷺ ثم ارتدَ عن الإسلام، ولحق بالمشركين بمكَّةَ. وكان معاوية بن أبي سفيان بمكَّةَ قد أسلمَ، وحسُن إسلامُه؛ فأخذَه رسول الله ﷺ كاتبًا للوحيِّ، بعد ابن أبي سرح. فلما فتح النبي ﷺ مكَّةَ، استجَّارَ ابن أبي سرح بعثمان؛ فأخذَ له عثمان الأمانَ من النبي ﷺ. وكان ابن أبي سرح أخًا لعثمان من الرَّضاعة؛ فحسُن إسلامُه من ذلك الوقت. فلما أفضلت الخليفة إلى عثمان رضي الله عنه ولاه ملك مصر وجُنُدَها. فكان يبعث المسلمين في جرائد الخيل، يُغيرونَ على أطراف إفريقيَّة، فيُصيِّبونَ كثيراً من الأنفس والأموال. فكتب إلى عثمان بذلك؛ فكان السبب في توجيه الجيش إليه، وتقديمه عليه. وأمر له بالدخول لغزو إفريقيَّة، فخرج عبد الله من مصر في عشرين ألفاً إلى إفريقيَّة، وصاحبها بطريرق^(٤) يقال له: جرجير؛ وكان سلطانه من أطربالس إلى طنجة؛ فبعث عبد الله السرايا في آفاق إفريقيَّة؛ فغنموا في كل وجه. والتقي عبد الله مع البطريرق صاحب النهار في^(٥) موضع يُعرف بسبيلطة^(٦). وكان جرجير في مئة وعشرين ألفاً؛ فضاقَ المسلمين في أمرهم واختلفوا على لين

(١) انظر: طبقات ابن سعد ٧/٤٩٦، ونسب قريش ٤٣٣، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/٩١٨، والكامل لابن الأثير ٣/٨٨، وتاريخ الإسلام ٢/٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٥-٣٣ وغيرها.

(٢) من هنا إلى قوله: «كان يكتب الوحي» ليس في ر١.

(٣) في ر١: «كان عبد الله يكتب... إلخ».

(٤) البطريرق: القائد العسكري الكبير، وهو بكسر الباء، لا بفتحها كما هو مقييد في م.

(٥) سقط من ر١.

(٦) ينظر معجم البلدان ٣/١٨٧ وقيدت في الأصل بضم الطاء المهملة، وما هنا هو تقدير ياقتون الحموي.

سَعْدٌ فِي الرأيِ. فَدَخَلَ فُسْطَاطَهُ مُفْكَرًا فِي الْأَمْرِ، فَلَمَّا رَأَى جِرْجِيرَ خَيْلَ الْعَربِ، اشْتَدَّ رُعْبُهُ، وَأَهْمَّهُ نَفْسُهُ، فَأَخْرَجَ دَيْدَبَانَهُ، وَصَاعَدَ فِيهِ يُشَرِّفُ عَلَى الْعَسَكِرِ وَيُرِى الْقَتَالِ؛ وَأَمْرَ ابْنَتَهُ؛ فَصَعَدَتِ الدَّيْدَبَانُ^(١)، وَسَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا. وَكَانَ عَدَّهُ خَدْمَهَا الْلَّائِي صَعِدُنَّ الدَّيْدَبَانَ أَرْبَعينَ جَارِيَةً، فِي الْحِلَّ وَالسُّحْلَ، مِنْ أَجْلَمِ مَا يَكُونُ. ثُمَّ قَدَّمَ كَرَادِيسَهُ، كُرْدُوسَا كُرْدُوسَا، وَهُوَ تَحْتَ الدَّيْدَبَانَ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «أَتَعْرَفُونَ هَذِهِ!» فَقَالُوا: نَعَمْ! هَذِهِ سَيِّدُنَا، ابْنَةُ الْمَلِكِ، وَهُؤُلَاءِ خَدْمَهَا! فَقَالَ لَهُمْ: وَحْقُّ الْمَسِيحِ وَدِينِ النَّصَارَى! لَئِنْ قَتَلَ رَجُلٌ مِنْكُمْ أَمِيرُ الْعَرَبِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، لَأَزُوْجَنَّهُ^(٢) ابْنِي هَذِهِ، وَأَعْطِيَتُهُ^(٣) مَا مَعَهَا مِنِ الْجَوَارِيِّ وَالنَّعْمَةِ، وَأَنْزَلْتُهُ^(٤) الْمَنْزِلَةَ الَّتِي لَا يَطْمَعُ فِيهَا أَحَدٌ عَنِّيِّ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ، حَتَّى مَرَّ عَلَى مَسَامِعِ خَيْلِهِ وَرَجْلِهِ؛ فَحَرَّضَ بِذَلِكَ تَحْرِيضاً شَدِيداً.

وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ، لَمَّا انتَهَى إِلَيْهِ مَا فَعَلَ جِرْجِيرُ، وَمَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ، نَازَى فِي عَسْكِرِهِ؛ فَاجْتَمَعُوا، فَأَخْبَرُوهُمْ بِالذِّي كَانَ مِنْ جِرْجِيرِ؛ ثُمَّ قَالَ: وَحْقُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ لَا يَقْتَلُ أَحَدٌ^(٥) مِنْكُمْ جِرْجِيرًا إِلَّا نَفَلَهُ ابْنَتَهُ وَمِنْ مَعْهَا، ثُمَّ زَحَفَ بِالْمُسْلِمِينَ؛ فَالْتَّقَى الْجَمْعَانَ، وَاسْتَحْرَرَ الْقِتَالُ، وَاشْتَعَلَتْ نَارُ الْحَرْبِ، وَالْمُسْلِمُونَ قَلِيلُ، وَالْمُشْرِكُونَ فِي عَشْرِينَ وَمِئَةَ أَلْفٍ. فَأَشْكَلَ الْأَمْرُ عَلَى ابْنِ سَعْدٍ، وَدَخَلَ فُسْطَاطَهُ مُفْكَرًا فِي الْأَمْرِ.

ذَكْرُ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلِرْجِيرِ مَلِكِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ كُلُّهُ
 قال عبد الله بن الزبير: فرأيت عورة من جرجير، والناس على مصافهم؛ رأيته على يردون أشهب خلف أصحابه، منقطعاً عنهم، معه جاريتان له تظلانه من الشمس بريش

(١) في المعجم الوسيط: الديدبان: الحارس والرقيب والطليعة. قلنا: وهو تفسير قاصر، فالظاهر أن من معانيه: الشيء الذي يُعتلى به، وهو المرقب كما في كليات أبي البقاء، ص ١٣٣٢.

(٢) في م: «لأزوجه».

(٣) في م: «وأعطيه».

(٤) في م: « وأنزله».

(٥) ليست في ر١.

الطواويس. فأتتني فساطط عبد الله بن سعد؛ فطلبت الإذن عليه. فقال لي حاجبه: دعه فإنه يفكّر في شأنكم، ولو أتجه له رأيي لدعى بالناس، فقلت: أني محتاج إلى مذكراته، فقال: إنه أمرَ في ^(١) أن أحبس الناس عنه، حتى يدعوني. قال: فدُرْت حتى كنت من وراء الفساطط. فرأى وجهي، فأوْمأ إلى برأسه ^(٢) أن تَعَالَ، فدخلت عليه وهو مُسْتَلِقٌ على فراشه، فقال: ما جاء بك يا ابن الزبير؟ فقلت: رأيت عورةً من عدونا، فرجوت أن تكون فرصةً هيأها الله لنا، وخشيت الفوت. فقام من فوره، وخرج حتى رأى ما رأيت. فقال: أئها الناس، انتدبو مع ابن الزبير إلى عدوكم. فتسَرَعَ إلى جماعة اخترتهم منهم ^(٣) ثلاثين فارساً، ثم قلت ^(٤): «إني حاملٌ فاصرفوا عن ظهري من أرادني، فأني سأكفيكم ما أمامي إن شاء الله. قال عبد الله: فحملت في الوجه الذي هو فيه؛ ودبَّعني الناسُ الذين انتدبو معي واتبعوني، حتى خرقْت صُفوفهم إلى أرض خالية فضاء بيني وبينهم، فوالله ما حَسِبَ إلَّا أتَى رسولُ إليه حتى رأى ما بي من أثر السلاح؛ فقدَرَ أتَى هاربٌ إليه. فلما أدركته، طعنته؛ فسقط: فرميْت نفسي عليه، وألقت جاريته عليه أنفسهما؛ فقطعت يد إحداهما، أجهزت عليه، ورفعت رأسه على رُمحِي، وحال أصحابه، وحملَ المسلمون في ناحيتي، وكَبَرُوا؛ فانهزمَ الرُّوم، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وثارت الكمائن من كل جهة ومكان، وسبقت خيول المسلمين ورجالهم إلى حصن سبيطلة؛ فمنعوهم من دخوله، وركبهم المسلمون يميناً وشمالاً في السهل والوغر؛ فقتلوا أنجادهم وفرسانهم، وأكثروا فيهم الأسرى، حتى لقد كنت أرى في موضع واحد أكثرَ من ألف أسير.

وذكر أشياخ من أهل إفريقيا أن ابنة جرجير، لما قُتِل أبوها، تَنَازَعَ الناسُ في قتلها، وهي ناظرة إليهم؛ فقالت: ما لي أرى العرب يتَنَازَعون؟ فقيل لها: في قتل أبيك، فقالت: قد رأيت الذي أدرك أبي فقتله.

(١) في م: «قال له: أمرني»، وهو تحريف.

(٢) سقطت من م.

(٣) في م: «منها».

(٤) في م: «فقلت».

قال لها الأمير ابن أبي سرّح: هل تعرِفينيه؟ فقالت: إذا رأيْتُه عَرَفْتُه. قال: فمَنْ الناسُ بين يديه، حتَّى مَرَ عبد الله بن الزبير. قالت: هذا، والمسيح قُتلَ أبي. فقال له ابن أبي سرّح: لِمَ كَتَمْتَنَا قَتْلَكَ إِيَاهُ؟ فقال عبد الله: عَلِمْهُ الَّذِي قَاتَلَهُ مِنْ أَجْلِهِ. فقال الأمير: إِذَا وَالله أَنْفَلَكَ ابنته. فنَفَلَهُ ابن أبي سرّح ابنةَ المَلِكِ جُرْجِير، فِيُقَالُ: إِنَّهُ اتَّخَذَهَا أُمًّا وَلَدًا.

ولَمَّا اهْزَمَتْ جِيوشُ جُرْجِير، سَارَ عبد الله بن أبي سرّح حتَّى نَزَلَ عَلَى^(١) بَابِ مدِيَتَهُ الْعُظْمَى: قَرْطاجَةَ، فَحَصَرَهَا بِمِنْ^(٢) كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَصَارًا شَدِيدًا حتَّى فَتَحَهَا^(٣)، فَأَصَابَ فِيهَا مِنَ السَّبِيِّ وَالْأَمْوَالِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَضْفُ. وَكَانَ أَكْثَرُ أَمْوَالِهِمُ الْذَّهَبُ وَالْفَضَّةُ، فَكَانَتْ تَوْضِعُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَكْوَامُ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ، لَأَنَّهُ افْتَرَعَ إِفْرِيقِيَّةً بِكُرْكَارًا، فَعَجَّبَ، هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ، مِنْ كَثْرَةِ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلْأَفَارِيقَةِ: مَنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا؟ فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَلْتَمِسُ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى جَاءَ بِنَوَافِرَ زَيْتَونٍ؛ فَقَالَ: مِنْ هَذَا أَصَبَنَا الْأَمْوَالَ، لَأَنَّ أَهْلَ الْبَحْرِ وَالْجُرُزِ لَيْسُ لَهُمْ زَيْتٌ؛ فَكَانُوا يَمْتَارُونَهُ مِنْ هَنَا، فَكَانَ سَهْمُ الْفَارِسِ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ عَيْنًا، وَسَهْمُ الرَّاجِلِ أَلْفَ دِينَارٍ. وَقَسَمَ ابن أبي سرّح السَّرَايَا وَالْغَارَاتِ مِنْ مَدِيَتَهُ سُبْيِطَةً. فَبَلَغَتْ جِيوشُهُ بِمُضِرٍ^(٤) قَفْصَةً، فَسَبُوا كَثِيرًا وَغَنَمُوا. فَأَذَلَّتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الرُّومَ بِإِفْرِيقِيَّةِ، وَرُعِبُوا رُعْبًا شَدِيدًا. فَلَجَأُوا إِلَى الْحَصُونَ وَالْمَعَاقِلِ. ثُمَّ طَلَبُوا مِنْ عبد الله بن سَعْدٍ أَنْ يَقْبِضَ مِنْهُمْ ثَلَاثَ مِئَةَ قَنْطَارٍ مِنَ الْذَّهَبِ فِي السَّنَةِ، جِزْيَةً عَلَى أَنْ يَكْفَّ عَنْهُمْ، وَيُخْرِجَ مِنْ بَلَادِهِمْ، فَقَبِيلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَقَبْضَ الْمَالِ. وَكَانَ فِي شَرْطِ صَلْحَهُمْ أَنَّ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ الصَّلْحِ فَهُوَ لَهُمْ، وَمَا أَصَابُوهُ بَعْدَ الصَّلْحِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ.

وَدَعَا الأمير عبد الله بن سَعْدَ عبد الله بن الزبير؛ فَقَالَ لَهُ: مَا أَحَدُ أَحَقُّ بِالْبَشَارَةِ مِنْكَ فَامْضِ، فَبَشَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمَدِيَّةِ، بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،

(١) سقطت من م.

(٢) في م: «من»، وهو تحريف.

(٣) في م: «فتحت».

(٤) في م: «بَقْسَر»، وهو تحريف.

فتوجَّه عبد الله بن الزُّبَير من سُبْيَطَة، فقيل: إنَّه وافَ المدينة في أربعة وعشرين يوماً، وكانت إقامته بإفريقية سنةً وشهرين. ثُمَّ وصلَ في إفريقية إلى المدينة؛ فبيعَ المَغْنَم. فطَفِقَ مروان بن الحَكَم على الْخُمُس، فأخَذَ منه خمسين ألف دينار؛ فسلَّمَ له من ذلك عثمان رضي الله عنه، فكان ذلك مِنْ انتقد عليه. وفي رَدِّ الحَكَم أبيه بعد أن أنفَاه رسول الله ﷺ يقول عبد الرحمن أخوه كنْدَة [من المقارب]:

سَاحِلِفُ بِاللهِ جَهْدَ الْيَمِينِ	لِكَيْ نُبْتَلِي بِكَ أَوْ تُبْتَلِي ^(١)	دَعَوْتَ اللَّعِينَ فَأَدَنَيْتَهُ	وَأَعْطَيْتَ مَرْوَانَ خُمُسَ الْحِمَى
نِمَّا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئًا سُدَى	خِلَافًا لِسُنْنَةِ مَنْ قَدْ مَضَى	وَلَكِنْ خُلِقْتَ لَنَا فِتْنَةً	دِ ظُلْمًا لَهُمْ وَحَمِيتَ الْجِمَى

وقال مَرْوَان بن الحَكَم يوماً، في مجلسِ مُعاوِيَة: ثلاَثٌ لم أدخلَ فيهنَ حِراماً قُطُّ: داري بالمدينة، ومالي بِذِي خُشْب، وصَدَقَاتُ نِسَائِي. فنظرَ مُعاوِيَة إلى عبد الله بن الزُّبَير، وكان حاضراً، فقال له: ما تقول؟ فَإِنَّك طَعَانٌ مَا عَلِمْتُ^(٢)، فقال: مَهْلَأ أبا عبد المَلِك! خرجنا مع ابن أبي سَرْح إلى غزو إفريقية، فوالله ما كان مروان أَحْسَنَنا وَجْهًا، ولا أَكْثَرَنَا نَفْقَةً، ولا أَعْظَمَنَا في العدُو نَكَاهَةً، فطَفِقَ على خُمُسِ إفريقية بِمَعْلُوم، وَتَحَابَى له من تَعْلَم؛ فبَنَى منه الدار، وَاتَّخَذَ منه الْمَال، وَتَزَوَّجَ منه النِّسَاء. فقال له مروان: أَنْطَعْنُ على أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له مُعاوِيَة: دَعْهُ وَخُذْ مَنِي غَيْرَ هذا، فَإِنَّك صِحَّةً مَا أَقُول.

قال الطَّبَرِي^(٣): كان عثمان، رحمه الله، قال عبد الله بن سَعْد: إن فتحَ اللهُ عليك إفريقية، فلَكَ مِنْ أفاء الله على المسلمين خُمُسُ الْخُمُسِ تَقْلَلاً. فلما فتحَ إفريقية في هذه

(١) في م: «وتبتلى»، وما أثبتناه من ر١ ولا يستقيم الوزن إلا به.

(٢) قوله: «ما علِمْتُ» سقط من م.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤/٢٥٣ مع اختلاف في اللفظ.

السنة، وهي سنة سبع وعشرين، قَسَمَ عَبْدُ اللَّهِ الْفَقِيْءَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فَأَبْقَى الْخُمُسَ لِنَفْسِهِ، وَبَعَثَ بِأَرْبَعَةِ أَخْمَاسِهِ إِلَى عُثْمَانَ، وَضَرَبَ فُسْطَاطَهُ فِي أَرْضِ الْقَيْرَوَانِ؛ فَوَفَدَ وَفْدٌ عَلَى عُثْمَانَ، يَشْكُونَ بَابِنَ أَبِي سَرْحٍ فِيهَا أَخْدَ من الْخُمُسِ؛ فَقَالَ لَهُمْ عُثْمَانُ: أَنَا نَفَّلْتُهُ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ الآنِ إِلَيْكُمْ؛ فَإِنْ رَضِيْتُمْ، فَقَدْ جَازَ، وَإِنْ عَصِبْتُمْ، فَهُوَ رَدٌّ. قَالُوا: إِنَّا نَسْخَطُ. فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ بِرَدٍّ ذَلِكَ. قَالُوا: فَاعْزِلْهُ عَنَّا، إِنَّا لَا نُرِيدُ أَنْ يَتَأْمَرَ عَلَيْنَا، وَقَدْ وَقَعَ مَا وَقَعَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ اسْتَخْلِفَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ رَجْلًا تَرْضَاهُ وَيَرْضُونَهُ، وَاقْسِمْ خُمُسَ الْخُمُسَ الَّذِي كُنْتُ نَفَّلْتُكَ فِي سَبِيلِ الْأَخْمَاسِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَخَطُوا النَّفْلَ. فَفَعَلَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ، وَرَجَعَ إِلَى مِصْرٍ وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ إِفْرِيقِيَّةَ. فَمَا زَالُوا مِنْ أَسْمَعِ أَهْلِ الْأَقْالِيمِ أَطْوَعِهِمْ، إِلَى زَمْنِ هَشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. ثُمَّ وَرَدَ الْخُمُسُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ؛ فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مَرْوَانَ بْنِ السَّحَّافَ فِيهِ مَا تَقْدَمَ ذِكْرُهُ.

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ وَعَشْرِينَ: غَزَا حَبِيبُ بْنَ مَسْلَمَةَ قُوْرِيَّةَ^(١) مِنْ أَرْضِ الرُّومِ. ذَكَرَ ذَلِكَ الطَّبَرِيُّ^(٢) وَغَيْرُهُ^(٣).

وَفِي سَنَةِ تِسْعَ وَعَشْرِينَ: افْتَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ أَرْضَ فَارِسَ^(٤).

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثَتِينَ: سُقْطُ الْخَاتَمِ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَئْرِ أَرِيسِ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَا خَبَرَ سُقْطِهِ فِي كِتَابِنَا الْمُسْمَىَ بـ«الْبَيَانُ الْمُسْرِقُ فِي أَخْبَارِ الْمُسْرِقِ».

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثَتِينَ: كَانَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الصَّوَارِيِّ، وَغَزْوَةُ الْأَسَاوِرَةِ، فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ^(٥).

(١) هَكَذَا فِي النُّسْخَ، وَهُوَ وَهُمْ صَوَابُهُ: «سُورِيَّة» كَمَا فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٤/٢٦٣، وَهُوَ مَوْضِعُ بَالشَّامِ بَيْنِ خَنَاصِرَةِ وَسُلْمِيَّةِ كَمَا فِي مَعْجمِ الْبَلْدَانِ لِيَاقُوتٍ ٣٠/٢٨٠. أَمَّا قُورِيَّةُ فَمَدِينَةٌ مِنْ نَوَاحِي مَارِدَةِ بِالْأَنْدَلُسِ، كَمَا فِي مَعْجمِ الْبَلْدَانِ ٤/٤١٢ فَأَيْنَ هِيَ مِنْ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ؟!

(٢) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤/٢٦٣.

(٣) تَارِيخُ خَلِيفَةِ ١٦١.

(٤) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤/٢٦٣.

(٥) نَقْلَهُ عَنْهُ الطَّبَرِيِّ فِي تَارِيْخِهِ ٤/٢٨٨.

وفي سنة اثنين وثلاثين: توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو ابن خمس وسبعين سنة. وفيها مات عبد الله بن زيد بن عمرو بن نفيل. وفيها مات أبو طلحة، وأبو ذر رضي الله عنهم. وفيها توفي عبد الله بن مسعود؛ دُفون بالبقاء.

وفي سنة ثالث وثلاثين: كانت غزوة عبد الله ابن أبي سرح إفريقية، مرّة ثانية، حين نقض أهلها العهد؛ هكذا ذكره عَرِيب في مُختصره. وقد تقدّم خبر ابن أبي سرح على الجملة دون تعين سنة.

وفي سنة أربع وثلاثين: مات عبادة بن الصامت في قول الواقدي^(١) وهو ابن اثنين وتسعين سنة؛ دُفون بالرملة^(٢). وفيها غزا معاوية بن حذيف^(٣) إفريقية، وهي أول غزواته إلى المغرب، ثم اشتغل الناس بعد ذلك بأمر عثمان رضي الله عنه وبوقائع الجمل وصفين وغيرهما، إلى أن اعتدلت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان.

وفي سنة خمس وثلاثين: استشهد عثمان رضي الله عنه واستخلفه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فنazuءه معاوية ولم يبايعه.

وفي سنة ست وثلاثين: عزل علي رضي الله عنه ابن أبي سرح عن مصر، وقدم^(٤) عليها قيس بن سعد^(٥) بن عبادة الأنصاري.

وفي سنة سبع وثلاثين: كان العامل على مصر محمد بن أبي بكر الصديق^(٦).
وفي سنة ثمان وثلاثين: قُتل محمد بن أبي بكر الصديق بمصر، قتله معاوية بن حذيف بأمر معاوية بن أبي سفيان^(٧). وقد ذكرنا شرح مقتله في «[البيان المُشرق]»^(٨) في أخبار المشرق.

(١) طبقات ابن سعد ٣/٥٠٦ (ط. الخانجي).

(٢) معجم البلدان ٣/٦٩.

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢/٥٣٩.

(٤) في م: «وأقام»، وما أثبتناه من رواية.

(٥) سقطت من م، وترجمته في تاريخ الإسلام ٢/٥٣٢.

(٦) ينظر تاريخ الإسلام ٢/٣٤٠.

(٧) تاريخ الطبرى ٥/٩٤.

(٨) ما بين الحاضرين زيادة متعمنة للتوضيح.

وفي سنة أربعين: كانت مهادنةٌ بين عليّ رضي الله عنه وبين معاوية، إلى أن توفي علي، وفيها دُعيَ معاوية بأمير المؤمنين؛ وكان قبل ذلك يُدعى الأمير.

وفي سنة أربعين المذكورة: توفي أمير المؤمنين أبو الحسن عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وبويع بالخلافة ابنُ الحَسَن رضي الله عنهمَا^(١).

وفي سنة إحدى وأربعين: كان تسليمُ الحَسَن رضي الله عنه الأمر لِمُعاوية، واستوستقت المُملكة له.

وفيها غزا معاوية بن حُدَيْج إفريقية المرّة الثانية؛ قال عَرِيب في مُختصره: ذكر أهل العِلم بأخبار إفريقية أن معاوية بن حُدَيْج نزل جَبَلاً فيها؛ فأصابه فيها مطْرٌ شدِيدٌ، فقال: إن جَبَلًا هذا لَمَمْطُورٌ فُسُمِيَ الْبَلْدَ مَمْطُورًا إلى الآن^(٢)، وقال: اذهبوا بنا إلى ذلك القرْن، فُسُمِيَ ذلك الموضع قَرْنًا^(٣). وكانت لِمُعاوية هذا إلى إفريقية ثلاثَ غَزَوات.

وفي سنة اثنين وأربعين: ولد الحَاجَاج بن يوسف الشَّفَعِيُّ^(٤). وولَى معاوية مروانَ بن السَّحْمَنَ المدينة^(٥). وفيها غزا عُقبة بن نافع إفريقية؛ قال عَرِيب في مُختصره للطَّبَرِي: فيها غزا عُقبة بن نافع المَغْرِب، وافتتح غَدَامِس^(٦)؛ فقتل فيها وسَبَ^(٧).

وفي سنة ثلاثة وأربعين: مات عَمْرُو بن العاص بِمَضْرَرٍ، يوم الفطر. فذُكِرَ آنَه عملَ فيها لعُمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعَ سنين، ولعثمان رضي الله عنه أربعَ سنين إلا شَهْرِين^(٨)، ولمعاوية سنتَيْن إلا شَهْرًا.

(١) انظر: تاريخ خليفة ١٩٨، وتاريخ الطبرى ٥ / ١٤٣.

(٢) ذكر خليفة هذا الخبر في حوادث سنة خمس وأربعين (تاریخه، ص ٢٠٧).

(٣) ينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤ / ١٠.

(٤) هذاقول الطبرى في تاریخه ٥ / ١٧٢، أما خليفة فذكر أن مولده سنة إحدى وأربعين (تاریخه ٢٠٥).

(٥) هذا قول الطبرى في تاریخه ٥ / ١٧٢، وذكر خليفة ذلك في حوادث سنة إحدى وأربعين (تاریخه ٢٠٤).

(٦) بفتح الغين المعجمة وتُضم (معجم البلدان ٤ / ١٨٧).

(٧) تاريخ خليفة ٥ / ٢٠٥.

(٨) قوله: «إلا شهرين» سقط من م، وأثبتناه من ر١ ويعضده ما في تاريخ الطبرى ٥ / ١٨١، وينظر تاريخ خليفة.

وفي سنة أربع وأربعين: عَمِلَ مروان بن الْحَكَمَ المَقْصُورَة بِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، كَرَّمَهَا اللَّهُ، وَعَمِلَهَا أَيْضًا مُعَاوِيَةً بِالشَّامِ^(١).

وفي سنة خمس وأربعين: غزا معاوية بن حُدَيْجَ الْكِنْدِيَّ إفريقياً، وكانت حرباً كلّها؛ قال الطَّبَرِيُّ^(٢): وذلك أنَّ حُبَابَةَ الرُّومِيَّ قَدِمُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَانَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَعْثُثَ مَعَهُ جِيشًا إِلَى إفريقيَّةٍ؛ فَوَجَهَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ فِي عَشْرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، فَسَارَ^(٣) حَتَّى انْتَهَى إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ؛ فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا حُبَابَةَ الرُّومِيَّ. وَمَضَى بْنُ حُدَيْجٍ حَتَّى دَخَلَ إفريقيَّةً. وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَيَحِيَّى بْنِ الْحَكَمِ بْنِ الْعَاصِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرْيَشٍ. فَبَعْثَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى إفريقيَّةٍ بِطَرِيقًا يُقَالُ لَهُ: نَجْفُور^(٤) فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فَنَزَلَ السَّاحِلُ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيرِ فِي خَيلٍ كَثِيفٍ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى شَرَفٍ عَالٍ، يُنْظَرُ مِنْهُ إِلَى الْبَحْرِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَدِينَةِ سُوسَةِ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ نَجْفُورًا، أَقْلَعَ فِي الْبَحْرِ مِنْهَزَمًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ. فَأَقْبَلَ بْنُ الزُّبَيرِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى بَابِ سُوسَةٍ؛ فَوَقَفَ عَلَى الْبَحْرِ، وَصَلَّى بِالْمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَالرُّومُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ جُرْأَتِهِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ خَيْلًا، وَابْنَ الزُّبَيرِ مُقْبِلًا عَلَى صَلَاتِهِ، لَا يَهُولُهُ خَبْرُهَا، حَتَّى قَضَى الصَّلَاةَ. ثُمَّ رَكِبَ، وَحَلَّ عَلَى الرُّومِ بِمَنْ مَعَهُ، فَانْكَشَفُوا مِنْهَزَمِينَ. وَرَجَعَ بْنُ الزُّبَيرِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ، وَهُوَ بِجَبَلِ الْقَرْنِ.

ثُمَّ وَجَّهَ بْنُ حُدَيْجٍ عَبْدَ الْمَلِكَ بْنَ مَرْوَانَ فِي أَلْفِ فَارِسٍ إِلَى مَدِينَةِ جَلُولَا؛ فَحاَصِرَهَا، وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِهَا عَدَدًا كَثِيرًا، حَتَّى فَتَحَاهَا عَنْوَةً؛ فَقُتِلَ الْمَقَاتِلَةُ، وَسَبَى الدُّرَّيَّةُ،

(١) تاريخ الطبرى / ٥ / ٢١٥.

(٢) لم نقف على هذا الخبر في المطبوع من تاريخ الطبرى، ومعلوم أن المؤلف ينقل من مختصر عريب بن سعيد لتاريخ الطبرى فلعل هذا من زياداته على تاريخ الطبرى فظنه المؤلف منه، وهي موجودة في نهاية الأرب للنويرى ٢٤ / ١٠.

(٣) في ر١: «فصار».

(٤) في ر١: «عفور» ولعله تحرير.

وأخذَ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي الْمَدِينَةِ، وَحَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ؛ فَقَسَمَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ أَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَئِيْثَيْ مِثْقَالٍ.

وأَغْزَى مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ جَيْشًا فِي الْبَحْرِ إِلَى صِيقَلِيَّةَ فِي مَئِيْتِيْ مَرْكَبٍ؛ فَسَبَوْا وَغَنَمُوا وَأَقَامُوا شَهْرًا؛ ثُمَّ انْصَرُفُوا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ بِغَنَامٍ كَثِيرَةَ، وَرَقِيقَ، وَأَصْنَامَ مَنْظُومَةَ بِالْجَوْهَرِ؛ فَاقْتَسَمُوا فَيهُمْ. وَبَعْثَ ابْنَ حُدَيْجٍ بِالْخُمُسِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ابْنَ أَبِي سَفِيَّانَ. هَكَذَا نَصَّ عَرِيبٍ فِي مُخْتَصَرِهِ لِلطَّبَرِيِّ.

وَمِنْ أَخْبَارِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجِ الْكِنْدِيِّ^(١) بِإِفْرِيقِيَّةِ^(٢)

ذَكَرَ الرَّقِيقُ فِي كِتَابِهِ قَالَ: كَانَ هِرَقْلُ مَلِكُ الْقُسْطَنْطَنْيَّةِ الْعَظِيمِ وَرُومَةَ^(٣) يَؤْدِي إِلَيْهِ كُلُّ نَصْرَانِيٍّ، فِي بَرٍّ وَبَحْرٍ، جِزْيَتَهُ؛ مِنْهُمُ الْمُمْقَوْقَسُ، صَاحِبُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَبَرْقَةُ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ أَطْرَابُلُسِ وَصَبَرَةَ^(٤)؛ وَمِنْهُمْ صَاحِبُ صِيقَلِيَّةَ، وَرُومَ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْأَنْدُلُسِ. فَلَمَّا بَلَغَهُ مَا صَالَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ، بَعَثَ إِلَيْهِ إِفْرِيقِيَّةً بِطَرِيقًا يُقَالُ لَهُ: وَلِيْمَةَ^(٥)، وَأَمْرَهُ أَنْ يَأْخُذْ ثَلَاثَ مِائَةَ قَنْطَارَ مِنَ الدَّهْبِ، كَمَا أَخْذَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ. فَنَزَلَ قَرْطَاجَةَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ. فَأَبْوَا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي كَانَ بِأَيْدِينَا مِنَ الْأَمْوَالِ، فَدَيْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا مِنَ الْعَرَبِ! وَأَمَّا الْمَلِكُ، فَهُوَ سَيِّدُنَا؛ فَيَأْخُذُ عَادَتَهُ مِنْنَا. وَكَانَ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ حُبَّاجَةٌ؛ فَطَرَدُوا وَلِيْمَةَ الْوَاصِلَ إِلَيْهِمْ، وَاجْتَمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ الْأَطْرَيْوَنَ^(٦). وَصَارَ حُبَّاجَةُ إِلَى الشَّامِ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَوُصَّفَ لَهُ

(١) عن معاویة بن حذیج الکندي ينظر: تاريخ خلیفة ١٦٨، ١٩٢، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٢-٢١٢، وطبقاته ٧١، ٢٩٢، وتاريخ البخاري الكبير ٧ / الترجمة ١٤٠٧، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨ / الترجمة ١٧٢٤، والاستيعاب ٣ / ١٤١٣، وسیر أعلام النبلاء ٣ / ٣٧، وتهذیب الكمال ٢٨ / ١٦٣ وفيه مزيد مصادر عنه.

(٢) ليست في ر ١.

(٣) قوله: «العظيمى ورومَة» ليس في ر ١.

(٤) ينظر عن صبرة معجم البلدان ٣ / ٣٩١ وهي قرية من القيروان.

(٥) في م: «أوليما»، وما هنا من النسخ، وسيأتي بعد قليل على الصواب.

(٦) في ر ١: «الأطربون».

حال إفريقية، وسأله أن يبعث معه جيشاً من العرب، فوجَّهَ معه معاوية بن حُدَيْجٍ، في جيش كثيف، وذلك سنة خمس وأربعين. فسار ابن حُدَيْجٍ حتى وصل إلى إفريقية وقد صارت ناراً. وكان معه جماعةٌ من قُريش، قد تقدم ذكرُهم. وبعث ملك الروم بطريق المتقدم ذكره في ثلاثين ألفاً؛ فبعث ابن حُدَيْجٍ إليه عبد الله بن الزبير؛ فقاتله. فأقلع منهزمًا في البحر. وحاصر ابن حُدَيْجٍ جَلُولاً، فكان يقاتلهم وسط النهار، وينصرف إلى عسكره.

فلما انصرف ذات يوم، نسي عبد الملك بن مروان قوساً له معلقةً بشجرة؛ فانصرف إليها؛ فإذا بجانب من [سور]^(١) المدينة قد انهدم، فصاح في أثر الناس، فرجعوا، فكان بينهم قتال شديد، حتى دخلت المدينة عنوةً، واحتوى المسلمين على جميع ما فيها، كما تقدم ذكره. وكان بين معاوية بن حُدَيْجٍ وعبد الملك بن مروان تنازعٌ في ذلك، لأن عبد الملك أراد مُحاباة إخوانه وأصحابه، لأنَّه كان سببَ فتح المدينة، فقال حَنْش الصَّنْعَانِي^(٢) يوماً لعبد الملك: ما شائلك؟ فوالله، لَتَلَيَنَ الْخِلَافَةَ، ويصير ذلك الأمرُ إليك فلا تغتنم. فلما أفضلت الخلافة إلى عبد الملك، بعث الحجاج بن يوسف لقتال عبد الله بن الزبير، فأخذ حَنْشَ الصَّنْعَانِيَّ أسيراً، ويعُث إلى عبد الملك ابن مروان، فلما وقف بين يديه، قال له: ألسْتَ أنتَ الذي بَشَّرَتِنِي بالخلافة يوم جَلُولاً؟ قال: نعم. قال: فلِمَ مِلْتَ عَنِي إِلَى ابن الزبير؟ فقال: رأيْتُه يُرِيدُ اللهَ، ورأيْتُك تريِدُ الدُّنيَا فلذلك مِلْتُ إِلَيْهِ، فقال: قد عفوتُ عنك.

وفي سنة ست وأربعين: قال البَلَادُرِيُّ^(٣): أول من غزا صِقلِيَّةَ معاوية بن حُدَيْجٍ، بعث إليها عبد الله بن قيس، ففتحها، وأصاب فيها أصناماً من ذهب وفضة مَكَلَلَةً بجَوَهَرٍ؛ فحملت إلى معاوية ابن أبي سفيان^(٤)، فبعث بها إلى الهند؛ فأخذ ثمنَها. فأنكر الناسُ عليه ذلك إنكاراً كُلْياً. وكان العاملُ على بلاد إفريقية من قبل معاوية ابن أبي سفيان معاوية بن حُدَيْج الكِنْدِيَّ.

(١) زيادة متعينة ليست في النسخ.

(٢) أحد التابعين المعروفين (تاريخ الإسلام ١٠٨٦ / ٢).

(٣) فتوح البلدان ٢٣٣ (بيروت ١٩٨٨م).

(٤) قوله: «ابن أبي سفيان» ليس في را.

وفي سنة سبع وأربعين: عزل معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر، وولأها معاوية بن حديج الكندي^(١)، وكان عثائياً، فسار متوجهاً إليها^(٢) من إفريقية. وكان قد قتل محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فلقيه عبد الرحمن^(٣) ابن أبي بكر، فقال له: يا معاوية، قد أخذت أجرك من معاوية بن أبي سفيان، حين قتلت محمد بن أبي بكر، ليوليك مصر، فقد ولأكها. فقال: ما قتلت محمد بن أبي بكر لولاية، وإنما قتلت لـ فعل بعثان رضي الله عنه.

وفي سنة ثمان وأربعين: كان العامل على مصر وإفريقية لمعاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج.

وفي سنة تسع وأربعين: غزا عقبة بن نافع الفهرمي الروم في البحر بأهل مصر^(٤). وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة^(٥)، وأمر عليها سعيد بن العاص. وكانت ولاية مروان المدينة لمعاوية ثانية سنين وشهرين.

وفي سنة خمسين من الهجرة: عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج عن إفريقية، وأقره على ولاية مصر، ووجه إلى إفريقية عقبة بن نافع الفهرمي.

ذكر ولاية عقبة بن نافع^(٦) إفريقية وغزواته فيها

واختطاطه مدينة القيروان

نسبه: هو عقبة بن نافع بن عبد قيس بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر^(٧)، ومن فهر بن مالك تفرقت القبائل.

(١) ينظر تاريخ الطبرى / ٥ / ٢٢٩.

(٢) ليست في را.

(٣) في را: «محمد» وهو تحريف ظاهر.

(٤) تاريخ الطبرى / ٥ / ٢٣٢.

(٥) تاريخ الطبرى / ٥ / ٢٣٢. أما خليفة فذكر أن العزل كان في سنة ثمان وأربعين (تاریخه ٢٠٨).

(٦) عن عقبة بن نافع ينظر: فتوح مصر لابن عبد الحكم ١٩٤، ١٩٧، ١٩٧، والاستيعاب ٣ / ١٠٧٥.

وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٠ / ٥٢٥، والكامل لابن الأثير ٤ / ١٠٥، وتاريخ الإسلام

٦٨٢ / ٢، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٥٣٢، والإصابة ٢ / ٤٩٢.

(٧) بعد هذا في را: «و QUI SH L قلب»، ولا معنى لها هنا.

وقال ابن أبي الفيَاض: إن عقبة ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنة واحدة.

قال إبراهيم بن القاسم: ووصل عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية في عشرة آلاف من المسلمين، فافتتحها، ودخلها، ووضع السيف في أهلها، فأفْنَى مَنْ^(١) بها من النصارى. ثم قال: إن إفريقية، إذا دخلها إمام، أجابوه إلى الإسلام؛ فإذا خرج منها، رجع مَنْ كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرَى لكم، يا مَعْشَرَ المسلمين أن تَخِذُوا بها مدينة تكون عِزًا للإسلام إلى آخر الدهر. فاتَّفق الناسُ على ذلك، وأن يكون أهلها مُرابطين؛ وقالوا: تَقْرُبُ من البحر ليتمَ لنا الجهاد والرباط. فقال عقبة^(٢): إني أخاف أن يَطْرُقَها صاحبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ بَعْتَةً، فيملأها. ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يُوجِبُ فيه التقصير للصلوة، فهم مُرَابطون. فلما آتَنَقَ رأيُهُمْ على ذلك، قال: قَرَبُوها من السَّبَخَةِ، فإنَّ دوابِكُمُ الإبل، وهي التي تحمل أثقالكم؛ فإذا فرغنا منها، لم يكن لنا بُدُّ من الغزو والجهاد، حتى يفتح الله لنا منها الأوَّل فالأوَّل، وتكون إيلُنا على باب قصرنا في مَرَاعيها، آمنةً من عادية البربر والنصارى.

قال الإشْيَلُ في مَسَالِكِهِ: إنَّ البرْبَرَ حِينَ دَخَلُوا الْمَغْرِبَ، وَجَدُوا الإِفْرَنجَ قد سبقوهم إليه، فأخلوا بهم حتَّى اصطلحوا، على أن يسكن البرْبَرُ الجبالَ، وتسكن الإفْرنجُ الأَوْطَنَةَ، فبنوا المدائِنَ بها.

رجُعُ الْحَبَرِ:

وفي سنة إحدى وخمسين: شرع عقبة رضي الله عنه في ابتداء بناء مدينة القَيْرَوان، وأجابه العَرَبُ إلى ذلك^(٣). ثم قالوا: إنَّكَ أَمْرَنَا بالبناء في شَعَارِي وغياض لَا تُرَامُ، ونحن نخافُ من السَّبَخَةِ والحيَّاتِ وغَيرِ ذلك. وكان في عسكره ثانية عشرَ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، وسايرُهم من التابعين. فدعَا الله سبحانه وأصحابه يؤمّنون على دُعائِهِ، ومضى إلى السَّبَخَةِ وواديها، ونادى: أَيُّهَا الْحَيَّاتُ وَالسَّبَعُ، نحن أصحابُ

(١) سقطت من را.

(٢) ليست في را.

(٣) ذكر خليفة أن ذلك كان في سنة خمسين (تاریخه ٢١٠)، وكذلك جاء في نسخة أ.

رسول الله ﷺ فارحلوا عنّا فإنّا نازلون ومن وجدناه بعد هذا قتلناه. فنظر الناس بعد ذلك إلى أمر مُعِجب، من أن السباع تخرج من الشّعرى، وهي تحمل أشبالها سمعاً وطاعةً، والذئب يحمل جرّوه، والحيّة تحمل أولادها. ونادى في الناس: كُفوا عنهم، حتى يرحلوا عنها. فلما خرج ما فيها من الوَحْش والسباع والهوام^(١)، والناس ينظرون إليها، حتى أوجعهم حرّ الشمس، فلما لم يروا منها شيئاً، دخلوا، فأمرهم أن يقطعوا الشجر. فأقام أهل إفريقيا بعد ذلك أربعين عاماً لا يرون بها حيّة، ولا عقرّباً، ولا سبعاً.

فاختلطَ عقبةً أوّلاً دار الإماراة، ثم أتى إلى موضع المسجد الأعظم، فاختلطَه، ولم يُحدِث فيه بناء^(٢) وكان يصلّي فيه وهو كذلك، فاختلف الناس عليه في القبلة، وقالوا: إنّ جميع أهل المغرب يصّعون قبلتهم على قبّلة هذا المسجد، فاجهّد نفسك في تقويمها^(٣)، فأقاموا أياماً ينظرون إلى مطالع الشّتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس. فلما رأى أمرهم قد اختلف، بات معموماً، فدعا الله عزّ وجلّ أن يُفرج عنه، فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: إذا أصبحت، فخذ اللواء في يدك، واجعله على عنقك، فإنّك تسمع بين يديك تكبيراً ولا يسمعه أحدٌ من المسلمين غيرك. فانظر الموضع الذي ينقطع عنك فيه التكبير: فهو قبلتك ومحرابك، وقد رضي الله لك أمر هذا العسكر وهذا المسجد وهذه المدينة، وسوف يُعزّ الله بها دينه، ويُذلّ بها من كفر به. فاستيقظ من منامه، وهو جائع، فتوضاً للصلوة، وأخذ يصلّي، وهو في المسجد ومعه أشرافُ الناس. فلما انفجر الصبح، وصلّى ركعتي الصبح بالMuslimين، إذا بالتكبير بين يديه. فقال لمن حوله: أسمعون ما أسمع؟ فقالوا: لا، فعلم أنّ الأمر من عند الله. فأخذ اللواء، فوضعه على عنقه، وأقبل يتبع التكبير، حتى وصل إلى موضع المحراب، فانقطع التكبير. فركّز لواءه، وقال: هذا محرابكم. فاقتدى به سائر مساجد المدينة. ثم أخذ الناس في بناء الدور والمساكن والمساجد، وعمرت، وشدَّ الناس إليها المطايَا من كل أفق، وعظم قدرُها. وكان دورُها ثلاثة عشر ألفَ ذراع وستَّ مئة ذراع^(٤)، حتى كُمل أمرُها.

(١) ليست في را.

(٢) في را: «أمرًا».

(٣) في را: «فاجهّد نفسك في تقويمها».

(٤) قوله: «وست مئة ذراع» ليس في را.

وكان عقبة خير وال وخير أمير، مستجاب الدعوة.

وفي سنة خمس وخمسين: استعمل معاوية ابن أبي سفيان على مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد الأنصاري^(١)، وعزل معاوية بن حديج عن مصر، وعزل عقبة بن نافع عن إفريقية، فكانت ولائيته عليها أربعة أعوام. وكان معاوية قد ولَّ مسلمة مصر، فلما ولَّ مسلمة الآن إفريقية، عزل عنها عقبة، وولَّ عليها مولاه أبو المهاجر ديناراً، وبقي هو صاحب مصر؛ جمع ذلك كلَّه معاوية له، من أطراف إقليم مصر إلى طنجة. وهو أول من جمع له المغرب كلَّه؛ فلم يزل واليًا عليه حتى هلك معاوية.

ولالية أبي المهاجر إفريقية وعزل عقبة

لما جمع معاوية ولالية المغرب لمسلمة بن مخلد، استعمل عليه مولاه ديناراً، ويُكتَنِي أبو المهاجر، وعزل عقبة عن إفريقية. فقيل لمسلمة بن مخلد ولاليه مصر: لو استعملت عقبة^(٢)، وأقررتَه على إفريقية، فإنَّ له فضلاً وسابقةً وهو الذي بنى القَيْرَوان ومسجدها^(٣). فقال مسلمة: إنَّ أبي المهاجر، كأحدنا، صبر علينا في غير ولالية، ولا كبير نيل، فنحن نحبُّ أن نكافيه ونصطنه. فقدم أبو المهاجر إفريقية، فأساء عزل عقبة، ونزل خارجاً عن المدينة، وكره أن يتزل الموضع الذي اختطَّه عقبة، ومضى حتى خلفه بميلين، مما يلي طريق تونس، فاختطَّ بها مدينة، وأراد أن يكون له ذكرها، ويفسَد عمل عقبة، فبني مدينة، وأخذ في عمرانها، وأمرَ الناس أن يخربوا^(٤) القَيْرَوان ويَعْمِرُوا مدنته. فخرج عقبة من صرفاً، وأدركه الخبر في الطريق، فتوَّجه إلى المشرق، آسفاً على أبي المهاجر، ودعا الله عليه أن يُمَكِّنه منه. فبلغت أبي المهاجر دعوته، فقال: هو عبد لا تُردد دعوته. ولم يزل أبو المهاجر خائفاً منه، نادِيًّا على ما فعل معه.

(١) ترجمته ومصادرها في تهذيب الكمال ٢٧ / ٥٧٤-٥٧٦، وتاريخ الإسلام ٢/٧١٦.

(٢) سقطت من را.

(٣) من را.

(٤) في م: «تحرق»، وهو تحريف.

ولمّا قدم عقبة على معاوية، قال له: إني^(١) فتحت البلد، ودانت لي، وبنيت المنازل، والخذلت مسجداً للجماعة، وسكنت الناس، ثم أرسلت عبد الأنصار، فأساء عزلي. فاعتذر له معاوية، وقال له: قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام عثمان، وبذله مهجهة، صابراً محتسباً مع^(٢) من أطاعه من قومه ومواليه، وأنا أرددك إلى عملك. وترأخي الأمر حتى توفي معاوية وأفضي الأمر إلى يزيد ابنه. فلما علم حال عقبة، قال: أدركها قبل أن تفسد، فردها والياً على إفريقية، وقطعها عن^(٣) مسلمة بن مخلد وإلى مصر.

وفي سنة ست وخمسين من الهجرة: دعا معاوية بن أبي سفيان إلى بيعة يزيد، وجعله ولی عهده من بعده، فانقاد له الناس كلهم، إلا خمس نفر: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم^(٤).

وفي سنة سبع وخمسين: عزل معاوية مروان عن المدينة، واستعمل الوليد بن عقبة^(٥) وكان العامل على مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد، ووالي^(٦) مسلمة على إفريقية أبو المهاجر، وبقي الحال على ذلك، إلى وفاة معاوية.

وفي سنة ستين: توفي معاوية بن أبي سفيان، يوم الجمعة مُنْتَصِفَ رَجَب، وهو ابن اثنين وثمانين سنة^(٧)، وتولى الخلافة من بعده يزيد ابنه، وتلقب بالمستنصر بالله في بعض الأقوال، وكنيته أبو خالد، وقد ذكرنا أخباره في تأليف.

(١) ليست في م.

(٢) في م: «طع» ولا معنى لها.

(٣) في م: «على»، وهو تحريف.

(٤) تاريخ الطبرى ٣٠١ / ٥.

(٥) تاريخ خليفة ٢٢٤، وتاريخ الطبرى ٣٠٨ / ٥.

(٦) في م: «وولي»، وهو تحريف.

(٧) تاريخ الطبرى ٣٢٣ / ٥.

وفي سنة إحدى وستين: كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما^(١)، وفيها أظهر عبد الله بن الزبير الخلاف بمكة، وخلع طاعة يزيد بن معاوية، وخبرهما [مشهور]^(٢). وفي سنة اثنين وستين ولّي يزيد بن معاوية على بلاد إفريقية والمغرب كله عقبة بن نافع الفهري، وهي ولايته الثانية على إفريقية.

ذكر فتح المغرب الأقصى على يد عقبة المُجاب^(٣)

رضي الله عنه وغزواته

فرحل عقبة من الشام، ومعه خمسة وعشرون رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما مرّ على مسلمة بن مخلد صاحب مصر، خرج إليه، واعتذر من فعل أبي المهاجر، وأقسم له أنه خالقه فيما صنع، وأنه كان قد أوصاه بتقوى الله وحسن السيرة، وأن يُحسن عشرة عقبة. فقبل منه عقبة، ومضى حنقاً^(٤) على أبي المهاجر، حتى قدم إفريقية. فأوثق أبا المهاجر في الحديد، وأمر بتخريب مدنته التي بناها، وردد الناس إلى القيروان، وركب في وجوه العسكر ومن معه من الصحابة والتابعين، فدار بهم حوال مدينة القيروان، وهو يدعوهما، ويقول: يا رب إملأها علينا وفقها، وأملأها بالمؤطعين لك، واجعلها عزاً الدينك، وذلاً على من كفر بك. ثم عزم رضي الله عنه، على الغزو في سبيل الله، وترك بها جنداً من المسلمين، واستخلف عليهم زهير بن قيس البلوي^(٥)، وكان رجلاً صالحًا. ودعا عقبة أولاده، فقال لهم: إني قد بعثت نفسي من الله عز وجل وعزمت على من كفر به، حتى أُقتل فيه، وألحق به، ولست أدرى أترؤني بعد يومي هذا أم لا، لأنّ أمني الموت في سبيل الله. وأوصاهم بما أحب، ثم قال: عليكم سلام الله، اللهم تقبل نفسي في رضاك. ثم مضى بعسكره، فكانت النصارى تهرب من طريقه يميناً وشمالاً، وهو يستفتح البلدان، ويغزو في سبيل الله.

(١) تاريخ خليفة ٢٣٤، وتاريخ الطبرى ٥ / ٤٠٠.

(٢) بياض في النسخ، وما بين الحاصرين للسياق.

(٣) من را.

(٤) في م: «حنقاً» وهو تصحيف.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢ / ٨١٣.

وشرع عقبة في هذه الغزوات المذكورة بعد، فلا أعلم هل كانت متعلقةً في هذا العام وحده، أو فيه وفيها بعده من بقية أيام يزيد بن معاوية، فرأيت إيراد غزوته هنا مجموعة مختصرةً. لئلا ينقطع خبرها. إذ مبدأها كان^(١) في هذه السنة وفي ولاية يزيد، فهو منسوبٌ إليها.

فخرج رحمة الله عليه غازياً للروم والبربر، وهم إذ ذاك مجوسونَ ونصارى، وذلك بمدينتي باغاية^(٢) وقرطاجنة وما والاهم. فهزتهم، وقتلهم تقتيلاً، وأخذ المسلمون من سبيهم وخيلهم شيئاً كثيراً.

وغرَّوهُ إلى مدينة باغاية، وذلك أنه جاء إليها الروم واجتمعوا بها. فنزل بجمعه^(٣) عليهم، وحاصرهم. فخرجوإليه في جمع كير، فقاتلهم قتلاً ذريعاً، وأخذ لهم خيلاً كثيرة. فلم ير المسلمين في مغازيهم أصلب منها. وكانت من نتاج جبل أوراس المطل علىها. ودخل على الروم حصنهم، فكره أن يُقيِّم عليهم. وكان قد حصار صاحب قلعة بجاية^(٤)، فمضى إلى مدينة المُنسٰتير، وكانت في ذلك الزمان من أعظم مداين الروم. فلجم إليها من كان حولها منهم، وخرجوا إليه في عدّة وقوّة. فقاتلهم قتلاً شديداً، حتى ظنَ الناس^(٥) أنه الفناء، إلى أن هزمهم الله إلى باب حصنهم. فأصاب المسلمين غنائم كثيرة، ورحل عنهم.

وغرَّوهُ أيضاً للروم بمدينة المُنسٰتير ثانيةً، وكانت من أعظم مداين الروم، فخرجوإليها، واجتمع جميعهم بها، وخرجوا لحربه، فهزتهم الله، وقتلوا تقتيلاً، وأصيب من غنائمهم ما لم يُعهد مثله.

وغرَّوهُ لهم أيضاً بالزاب وقتلهم إياهم على وادي المسيلة^(٦)، فهزتهم، وقتلهم. وذهب عز الروم وملكتهم من الزاب إلى آخر الدهر.

(١) سقطت من م.

(٢) ينظر عنها معجم البلدان ١/٣٢٥.

(٣) في را: «بجمعهم»، وهو تحريف.

(٤) في أ: «باغاية»، وما أثبتناه من را وهو الصواب.

(٥) سقطت من م.

(٦) ينظر عن المسيلة معجم البلدان ٥/١٣٠.

وَغَزَوْتُهُمْ أَيْضًا بِتِيهْرَت^(١)، وَقَدْ اجْتَمَعَ الرُّومُ وَالْبَرْبُرُ فِي إِقْلِيمٍ تِيهْرَتْ اجْتِمَاعًا عَظِيمًا. فَخَطَبَ عَقْبَةُ النَّاسِ، وَوَعَظَهُمْ، ثُمَّ زَحَفَ إِلَى الْكُفَّارِ، فَالْتَّحَمَ الْجَمْعَانِ، فَوَلَّ الْكُفَّارُ مِنْهُمْ مِنْهُمْ، فَأَبَادَ فُرْسَانَهُمْ، وَقَتَلَ حُمَّاَتَهُمْ، وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ. وَسَبَقَتْهُمْ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَابِ مَدِينَتِهِمْ، فَأَفْنَوْهُمْ وَقَطَعُوا آثَارَهُمْ.

صِفَةُ مَدِينَةِ تِيهْرَتْ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَطَّانَ، قَالَ: هِيَ مَدِينَاتُ الْقَدِيمَةِ مِنْهَا هِيَ الْمَذَكُورَةُ فِي هَذِهِ الْغَزَا، عَلَى خَمْسَةِ أَمِيالٍ مِنَ الْحَدِيثَةِ، وَفِي شَرْقِهَا قَصْرٌ لِبَعْضِ الْقَبَائِلِ. وَالْحَدِيثَةُ مَشْهُورَةٌ، وَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ: بَابُ الصَّفَّ، وَبَابُ الْمَنَازِلِ، وَبَابُ الْأَنْدَلُسِ، وَبَابُ الْمَوَاجِنِ، وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُزُولُ. وَهَا قَصَبَةٌ مُشْرِفةٌ عَلَى السَّوقِ، يُقَالُ لَهَا: الْمَعْصُومَةُ. وَهِيَ عَلَى تَهْرِيَّاتِهَا مِنَ الْقَبْلَةِ. وَهِيَ كَثِيرَةُ الْبَرْدِ وَالثَّلَجِ وَالْأَمْطَارِ، حَتَّى قَيلَ لِبَعْضِهِمْ: كَمْ زَمَانُ الشَّتَاءِ عِنْدَكُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثَةِ عَشَرَ شَهْرًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ [مِنَ السَّرِيعِ]:

مَا أَطْوَلَ الْبَرْدُ وَرِيعَانَهُ وَأَطْرَافَ الشَّمْسِ بِتِيهْرَتْ
 تَبَدُّلُ مِنَ الْغَيْمِ إِذَا مَا بَدَأَتْ كَائِنًا تُنْشَرُ مِنْ طَخْتِ^(٢)
 فَنَحْنُ فِي بَحْرِ بِلَالُجَّةِ تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلَى السَّكِّتِ^(٣)
 نَفَرَحُ بِالشَّمْسِ إِذَا مَا بَدَأَتْ^(٤) كَفَرَحَةُ الْذَّمَّيِّ بِالسَّبَّتِ

وَيَقْبِلُهَا مِنَ الْقَبَائِلِ: لُواَتِهِ، وَهُوَارَةُ، وَبَغْرِيَّهَا: زُوَاغَةُ، وَبَجُوفِيَّهَا: مَطْمَاطَةُ وَزَنَاتَةُ. وَكَانَ إِحْدَاثُ تِيهْرَتْ الْحَدِيثَةَ بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعينِ وَمِائَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَالْقَدِيمَةَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَا لَا يُعْرَفُ أَوْلَاهُ. وَلِلْحَدِيثَةِ أَسْوَاقٌ كَثِيرَةٌ عَامِرَةٌ وَاثْنَا عَشَرَ حَمَاماً، وَحَوَالِيهَا مِنْ قَبَائِلِ الْغَرْبِ^(٥) أَمْمٌ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ مِنْ أَحَرِ إِفْرِيقِيَّةِ.

(١) وَيُقَالُ فِيهَا «تَاهِرَتْ» كَمَا فِي ر١.

(٢) فِي م: «تَحْتٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَالْطَّخْتَ: شَدَّةُ الظَّلَامِ.

(٣) فِي م: «السَّمَتْ» مَحْرَفَةٌ.

(٤) فِي ر١: «بَدَا» خَطَأً.

(٥) فِي م: «الْمَغْرِبْ».

وَغَزَوْتُهُ أَيْضًا إِلَى طَنْجَةِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَوَالَتُ الْهَزَائِمُ عَلَى نَصَارَى إِفْرِيقِيَّةٍ
وَبَرْبَرِهَا، وَكَثُرَ القَتْلُ فِيهِمْ حَتَّى كَادَ يَسْتَأْصِلُهُمْ، بِلْ مَنْ بَقَى مِنْهُمْ إِلَى الْحَصُونِ
وَالْمَعَاقِلِ، فَلَمْ يَرْحُوهَا. فَكَرَهَ الْمُقَامُ عَلَى مُحَاصِرَتِهِمْ، فَيَفُوتُهُ الْغَزُوُّ وَقَتْلُ
غَيْرِهِمْ مِنْ طَوَافَ الْكَفَّارِ، إِذَا كَانَتْ أُمُّ الْمَغْرِبِ مِنْ نَصَارَى وَبَرَابِرٍ لَا يُحْصَوْنَ
كُثْرَةً وَانْتَشَارًا، وَلَا يُكَاثِرُونَ بِالرَّمْلِ وَالْحَصَاءِ. فَتَرَكَ أَهْلَ إِفْرِيقِيَّةٍ مُتَحَصِّنِينَ
بِحَصُونِهِمْ، وَأَوْغَلَ فِي الْغَرْبِ، يَقْتَلُ وَيَأْسِرُ أُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ، وَطَائِفَةً بَعْدَ طَائِفَةً،
بَايْئَعًا نَفْسَهُ مِنْ مَوْلَاهُ، لَا تَرْؤُوهُ كُثْرَةً، وَلَا تَعْتَرِيهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ سَامَةً وَلَا قَتْرَةً،
حَتَّى صَارَ بِأَحْوَازِ طَنْجَةِ. وَكَانَ بِهَا مَلِكٌ اسْمُهُ يُلْيَانُ، يَمْلِكُ مِنْهَا إِلَى سَاحِلِ
الْمَجَازِ بَسِيْطَةِ. وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ مُلُوكِ الرُّومِ وَأَعْظَامِهِمْ، وَذَوِي الْعُقْلِ وَالدِّهَاءِ
فِيهِمْ. فَلَمَّا قَارَبَهُ، وَجَّهَ إِلَيْهِ أَرْسَالَهُ، مُسْتَطْلِطًا وَمُسْتَعْطِفًا، وَبَعْثَ لَهُ هَدِيَّةً عَظِيمَةً،
وَسَأَلَ مِنْهُ الْمُسَالَّمَةُ، وَأَنْ يَنْزَلَ عَلَى حُكْمِهِ. فَقَبِيلَ مِنْهُ، وَاجْتَمَعَ بِهِ، وَسَأَلَهُ عَنِ
الْأَنْدَلُسِ، فَعَظَمَ عَلَيْهِ أَمْرُهَا، وَقَالَ لَهُ: قَدْ تَرَكْتَ الرُّومَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ، وَمَا
أَمَامَكَ إِلَّا الْبَرْبَرُ، وَهُمْ مِثْلُ الْبَهَائِمِ، لَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ نَصَارَائِنَّ وَلَا غَيْرِهِمْ،
وَهُمْ يَأْكُلُونَ الْحِيْفَ، وَيَأْكُلُونَ مَوَاشِيهِمْ، وَيَشْرِبُونَ دَمَاءِهِمْ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ، فَقَدْ
كَفَرُوا بِاللهِ الْعَظِيمِ، فَلَا يَعْرُفُونَهُ، وَمُعْظَمُهُمُ الْمَصَادِمَةُ. قَالَ: فَسَارَ عَقْبَةً نَحْوَ
الْمَصَادِمَةِ بَعْدَ فَتْحِهِ طَنْجَةَ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الصلْحِ وَالْمُسَالَّمَةِ بِسِيَاسَةِ يُلْيَانِ.
وَهِيَ طَنْجَةُ الْقَدِيمَةِ فِي التَّوَارِيخِ، وَفِيهَا آثارٌ كَثِيرَةٌ لِلْأَوَّلِ.

صِفَةُ طَنْجَةِ^(۱): قِيلَ: عَمَلُهَا مَسِيرَةُ شَهْرٍ فِي شَهْرٍ، وَإِنَّهَا كَانَتْ دَارَ مُلْكَةِ
مُلُوكِ الْمَغْرِبِ، وَإِنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِهَا كَانَ فِي عَسْكَرِهِ إِذَا اجْتَمَعَ ثَمَانُونَ أَفَّاً.
وَمَسَافَةُ مَا بَيْنَ الْقَيْرَوانِ وَطَنْجَةِ مَسِيرَةُ أَلْفِيْ مِيلٍ. وَهِيَ قَدِيمَةُ أَزْلِيَّةٍ، لَيْسَ
بِالْمَغْرِبِ أَقْدَمُ مِنْهَا، لَكِنَّهَا غَلَبَ عَلَيْهَا الرَّمْلُ، وَالْعِمارَةُ الْيَوْمُ فَوْقَهَا. وَهِيَ
طَنْجَةُ الْمَذَكُورَةِ فِي هَذِهِ الْغَزَا، وَيُحْفَرُ خَرَابُهَا، فَيُوجَدُ فِيهِ أَصْنَافُ الْجَوَاهِرِ؛
هَكَذَا ذَكَرَ الْبَكْرِيُّ فِي كِتَابِهِ.

(۱) يَنْظَرُ مَعْجمُ الْبَلْدَانِ ۴/۴۳.

وقال الوراق: إن كورة طنجة هي مساكن صنهاجة الهبط بطريق الساحل مما يلي سبتة. وبطون صنهاجة كثيرة، تفرق من قبيلتين، وبطون مصمودة تشبع من أربع قبائل: دغاغ، وأصاد، وبني سمنارة، وكتمة.

رجح الخبر إلى ذكر عقبة المجباب، وغزوه أيضا للبرير بالسوس الأدنى، وهي بلاد تامسنا، وهي بلاد المصامدة، فهزهم، وأفناهم، وبث الخيل في بلادهم، فافتقرت في طلتهم إلى كل موضع هربوا إليه، لا يدفعهم أحد.

وغزوه أيضا للسوس الأقصى، فاجتمع به البرير في أمم لا تُحصى، ولا تكاثر بالحصا، فقاتلهم^(١) قتالاً ما سمع أهل المغرب بمثله قط، ثم^(٢) هزمهم، وقتل منهم خلقاً عظيماً، وأصاب منهم نساء لم ير الناس في الدنيا مثلهن؛ قيل: إن الجارية منهن كانت تبلغ بالشرق ألف دينار أو نحوها. وهرب الناس أمامه، لا يُدافعه أحد، ولا يقوم له، تأييده من الله لأوليائه. وسار حتى بلغ البحر المحيط، فدخل فيه، حتى بلغ الماء بطن فرسه، ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: يا رب لولا أن البحر منعني، لمضي في البلاد إلى مسلك ذي القرئين، مدافعاً عن دينك، مقاتلاً من كفر بك. ثم قال لأصحابه: انصرعوا على بركة الله، فجلا الناس أمامه بكل ناحية هاربين، وخففت المشركون أشدّ مخافة، حتى أن قلوبهم تنخلع لذكره. وانصرف قافلاً من السوس الأقصى؛ قال ذلك ابن أبي الفياض وغيره.

وقال غيره: ونزل من درعة^(٣) إلى بلاد صنهاجة، ثم إلى بلاد هسکورة، ثم نزل أغمات وريكة^(٤)، ثم نزل منها على وادي نفيس^(٥). وقام عقبة من وادي نفيس، وسار حتى نزل إيجلي^(٦) بالسوس، وبنى فيه مسجداً.

(١) في م: «فقتلهم»، وهو تحرير.

(٢) قوله: «قط، ثم» لم يتمكن ناشر و(م) من قراءتها فوضعوا بدلها «حتى» بين حاصرين.

(٣) معجم البلدان ٢/٤٥١.

(٤) قريبة من مراكش (معجم البلدان ١/٢٢٥).

(٥) الروض المعطار .٥٧٨

(٦) معجم البلدان ١/٢٨٨.

أخبرني الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح أنه لم يصحَّ عنده أنَّ عقبة رضي الله عنه حضر بُنيان شيءٍ من المساجد بالمغرب، إلَّا مسجد القِيروان، ومسجدًا بدْرُعة، ومسجدًا بالسوس الأقصى، وأمَّا غير ذلك من المساجد المسماة باسمه؛ فإنَّ الناس، والله أعلم، بنوها بموضع نزوله.

وقال الإشبيليُّ، في كتاب^(١) «المَسَالِك» له: إنَّ المسجد الذي على وادي نقّيس، بناه عقبة رضي الله عنه.

قال أبو علي: ثُمَّ سار عقبة من إيجيل، حتَّى وصل ماسة^(٢)، فأدخل فرسنه في البحْر، حتَّى وصل الماء تلابيه، وقال: السلام عليكم يا أولياء الله، فقال له أصحابه: على من تسلَّم؟ قال: على قوم يُؤْسَرُ عليه السلام، ثُمَّ قال: اللَّهُمَّ إِنَّك تعلم أَنِّي لَم أطلب إلَّا مَا طلَبَ عَبْدُكَ وَلِيُّكَ ذُو الْقَرْبَانَ إلَّا يُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ غَيْرُكَ.

ثمَّ رجع عقبة قافلاً إلى المغرب الأوسط، وسلكَ على إيغير^(٣) فطَوَّفَ^(٤) ثمَّ أتى^(٥) تارنا^(٦)، ثُمَّ إلى موضع شاكيَّ، وترك به صاحبَه شاكيَّاً، فسمَّيَ باسمه. ثُمَّ رحل منه إلى بلاد دَكَالَة^(٧)؛ فوجد فيها قومًا، فدعاهُم إلى الإسلام، فامتنعوا، فقتلوا جملةً من أصحابه، فسمَّيَ ذلك الموضع مقبرة الشُّهداء إلى الآن. ثُمَّ رجع من دَكَالَة إلى بلاد هَسْكُورَة إلى موضع يُقال له: إطار، فوجدَ فيه أقواماً، فدعاهُم إلى الإسلام، فامتنعوا، فتقاتلَ معهم حتَّى فُرُوا أمامه. فلم يقاتلْه بعد ذلك أحدٌ من أهل المغرب.

(١) في م: «كتابه» وهو تحريف، ولا يستقيم مع قوله بعد: له.

(٢) ذكرها ياقوت في «أدبِي» من معجمه ١٢٥ / ١.

(٣) هكذا في النسخ، وفي م: «إيغير»، ولم تلفظ عليه.

(٤) في م: «أن يطوف»، وهو تحريف.

(٥) في م: «إلى»، وهو تحريف.

(٦) هكذا في النسختين، وفي معجم البكري ٨٧ والروض المعطار ١٢٧: «تارنانا» وهو الصواب.

(٧) قيده ناشر و (م) بضم الدال، وقيده ياقوت بالفتح (معجم البلدان ٤٥٩ / ٢).

قال ابن عبد البر^(١): فتح عقبة عامّة بلاد البربر، إلى أن بلغ طنجة؛ وجال هنالك، ولا يقاتلها أحدٌ، ولا يعارضه، حتّى فتح كورٍ من كور السُّودان. وقال أبو علي المذكور: لما رجع عقبة من بلاد جزولة، سلكَ على بلاد صودة.

قال ابن القطان: ثم سار عقبة إلى إفريقيا. وغزوهُ أيضًا للروم والبربر بقربِ من إفريقيا، قافلًا إليها بعد تلك الغزوات، فتفرق عنْه جيشه، للإياب إلى أحياائهم، والبدار إلى عيالهم، فبقي في جمِّ قليل.

ذكر وفاة عقبة بن نافع رضي الله عنه

وذلك أن عقبة، لما وصل إلى مدينة طيبة^(٢)، أمر أصحابه، فتقدموه ثقةً منه بما دوَّخ من البلاد، وأنه لا يقوم له أحدٌ لينفذ قدر الله ومراده، ويتعجلَ لعبده من كرامته ميعاده. فصرف أصحابه إلى منازلهم عند قربهم منها، وسار هو إلى مدينة تهودا^(٣)، لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان. فلما انتهى إليها في بقيةَ من معه وكانوا قليلاً، نظر الروم إليهم؛ فطمعوا فيهم، فأغلقوا باب حصنهم، وجعلوا يشتمونه ويرمونه بالحجارة والنبل، وهو يدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ، فلما توسيطَ البلاد، بعث الروم إلى كسيلة بن لزم الأوربي، وقيل: البرسي، وقد كان في عسكر عقبة، وذلك أن أبي المهاجر في ولاته لإفريقيا، كان نهض إلى المغرب، فنزل عيوناً عند تلمسان، تعرَّفَ الآن بعيون أبي المهاجر. فزحف منها إلى كسيلة، وهو في عدَّة من قبائل البرانس، فظفر به أبو المهاجر، وعرض عليه الإسلام، فأسلم، وأحسن إليه أبو المهاجر واستبقاءه. فلما قدم عقبة وعزَّل [أبا المهاجر عرفة]^(٤) أبو المهاجر

(١) ينظر الاستيعاب ١٠٧٥ بتصرف، ولعله ذكره في كتاب آخر.

(٢) معجم البلدان ٤/٢١.

(٣) هي التي ذكرها ياقوت في معجميه باسم «تهودة» ٢/٦٤.

(٤) ما بين الحاضرين منا لا يستقيم النص إلا به.

بحال كُسيلة، وأنه من ملوك البربر، ولم يستحكم الإسلام بقلبه. فاستخفَّ به عقبة. وأتى عقبة يوماً بدُودِ غنَم، فأمر بذبحها للعسكر، وأمر كُسيلة أن يسلخ منها مع السلاхين، فقال كُسيلة: أصلاح الله الأمير، هؤلاء فتیانی وعَبیدی یکفونی. فقال عقبة: لا، فقام كُسيلة مُغضباً. فكان، كلما دحس، مسح بلحیته؛ فجعل العرب يمرون به، فيقولون: يا بَرْبَرِي ما تَصْنَع؟ فيقول: هذا جيدٌ للشَّعر^(۱). حتى مرَّ به شيخٌ من العرب، فقال لهم: كلا إنَّ البربرِيَّ يتوعَدُكم، فقال أبو المهاجر لعقبة: بئس ما صنعتَ، كان رسول الله ﷺ يتألف جباراً العرب، وأنت تأتي إلى رجل جبار في قومه، في دارِ عِزَّه، قريب العهد بالشرك، فتُهينه؟! فهاون عقبة بكلامه.

فانتهز كُسيلة فُرصةً، فنكث، وقام في أهل بيته وقبائله من البربر، فقال أبو المهاجر: عاجله قبل أن يستفحَل^(۲) أمره. فوقف إليه عقبة، فتنحَّى أمامه. فقالت له البربر: لِمَ تتنحَّى عنه، وهو في خمسة آلاف، ونحن في خمسين ألفاً في الزيادة، والرجل ليس عنده من يمُدُّه، وقد سار عنه أصحابه؟ فركَّبه البربر في الجيوش العظيمة، وغَشِيَّ بهم كُسيلة بقرب تَهُوداً. فنزل عقبة رضي الله عنه وركع ركعتين، وقال لأبي المهاجر: الحق بال المسلمين، فُقم بأمرهم، فإنما أغتنم الشهادة. فقال له أبو المهاجر: وأنا والله أغتنمُها معك. فكسر كل واحد منها جفنَ سيفه، وكسر المسلمون كذلك أغنادَ سيفهم، وأمرَهم أن يترجَّلوا عن خيولهم. فقاتلوا قتالاً شديداً، حتى بلغ منهم الجهدُ، وكثُر فيهم الجراحُ. وتکاثر عليهم العدو؛ فُقتل عقبة، وأبو المهاجر، ومن كان معهما من المسلمين، ولم يفلت منهم أحدٌ إلَّا بعض وجوههم أُسرَوا، ففداهم صاحبُ ققصة^(۳)، وبعث بهم إلى زُهير بن قيس، وكان عقبة قد خلفه أميراً على القِيَروان وعلى تلك البلاد في كثير من المسلمين، فلما بلغ ذلك زُهيرًا، أراد الانصراف إلى مصر.

(۱) ليست في را.

(۲) في النسختين: «يستحِل»، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

(۳) معجم البلدان ۴ / ۳۸۲.

فقيل له: الهزيمة بال المسلمين من إفريقية إلى مصر؟ فعزم على القتال. فاجتمع إلى كُسْيَلَة أهْل الْمَغْرِب قاطِبَةً وزحف يريد القِيرَوان. واضطربت إفريقية. وكان وصول عقبة إلى الغرب سنة إحدى وستين. وقيل: سنة اثنتين وستين. وجال في المغرب ثلاثة أعوام، يُجاهِد في سبيل الله، رحمة الله عليه.

ويُروى أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أندَرَ بَقْتُلَ عُقْبَةَ وَاصْحَابِهِ رضي الله عنهم، وأنَّه عليه الصلاة والسلام نَهَى عن سُكُنَى مدينة تَهُودَا، وقال: «سَوْفَ يُقْتَلُ عَلَيْهَا رَجَالٌ مِنْ أَمْتَي مُجَاهِدِوْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثَوَابُهُمْ كَثُوبَةٌ أَهْلَ بَدْلَوَا وَلَا غَيْرُوا، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسِيَوْفُهُمْ عَلَى عَوَاقِبِهِمْ»^(١). وكان شَهْرُ بْنُ حَوْشَبَ^(٢) يقول: وَاشْوَقَاهُ إِلَيْهِمْ. وكان يقول: سَأَلْتُ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ عَنْ هَذِهِ الْعِصَابَةِ، فَقَالُوا: ذَلِكَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ وَاصْحَابِهِ، قَتَلَهُ الْبَرْبَرُ وَالرُّومُ بِمَدِينَةٍ تَهُودَا، فَمِنْهَا يُخْشَرُونَ حَتَّى يَقْفَوْا بَيْنَ يَدِيِ اللهِ سَبَحَانَهُ.

وقال ابن القَطَّان في «نظم الجُهَان»: وأخْرِثْتُ أَنَّ عُقْبَةَ كَانَ قَدْمَ مِصْرَ، وعليها عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ في خِلافَةِ مُعاوِيَةَ، فنَزَلَ مَنْزِلًا مِنْ بَعْضِ قُراها، وَمَعَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللهِ، وَجَمِيعُهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوُضِعَ بَيْنَهُمْ طَعَامٌ، فَلَمَّا تَنَوَّلُوا مِنْهُ، ضَرَبَتْ حِدَادًا عَلَى الطَّعَامِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَأَخْذَتْ مِنْهُ فَقَالَ عُقْبَةُ: اللَّهُمَّ دُقْ عُنْقَهَا، فَأَقْبَلَتِ الْحِدَادُ حَتَّى ضَرَبَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَقَدْ اندَقَ عُنْقُهَا. فَاسْتَوْجَعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَوْمًا، فَقَالَ لِهِ عُقْبَةُ: مَا لَكَ يَا أَبا عَبْدِ اللهِ تَتوَجِّعُ؟ فَقَالَ لَهُ: بِلْغَنِي أَنَّ قَوْمًا مِنْ قُرْيَشٍ يُسْتَشْهِدُونَ جَمِيعًا، فَقَالَ عُقْبَةُ: اللَّهُمَّ وَأَنَا مِنْهُمْ. فَكَانَ مِنْهُ مَا تَقدَّمُ ذَكْرُهُ.

ومدينة^(٣) تَهُودَا: هي مدينه أَرَالِيَّة، بُنيَتْ بِالْحِجَارَةِ، لها أَسْوَاقٌ كَثِيرَةٌ، وَرَبَضٌ وَاحِدٌ. وبها جامِعٌ جَلِيلٌ، وَمَسَاجِدٌ، وَفَنَادِقٌ كَبَارٌ، ويُسْكِنُهَا قَوْمٌ مِنَ الْبَرْبَرِ.

(١) لا أصل مثل هذا في حديث النبي ﷺ.

(٢) وشهر بن حوشب هذا ضعيف، وينظر تاريخ الإسلام ١١١٤ / ٢.

(٣) في م: «وصفَةِ مَدِينَةٍ».

وفي سنة أربع وستين: دخل كُسْيَلَةُ الْبُرْئِيُّ مدِينَةَ الْقَيْرَوَانَ، وانتزَعَهَا مِنْ أَيْدِيِ الْمُسْلِمِينَ، فِي مُحَرَّمٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ اجتَمَعَ مَعَهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، وَزَحْفَ إِلَى الْقَيْرَوَانَ. فَعَظُمَ الْبَلَاءُ عَلَىِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَامَ رُهَيْرُ بْنُ قَيْسٍ خَطِيبًا فِي النَّاسِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ أَصْحَابَكُمْ قَدْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالشَّهادَةِ فَاسْلُكُوهَا سَيِّلَهُمْ أَوْ^(۱) يَفْتَحَ اللَّهُ لَكُمْ دُونَ ذَلِكَ. فَقَالَ حَنْشُ الصَّنْعَانِيُّ: لَا وَاللَّهِ مَا نَقْبَلُ قَوْلَكَ، وَلَا لَكَ عَلَيْنَا وَلَا يَدُّ وَلَا عَمَلٌ أَفْضَلُ مِنَ النَّجَاهَةِ بِهَذِهِ الْعَصَابَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَشْرِقِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ أَرَادَ مِنْكُمُ الْقَفْولَ إِلَى مَشْرِقِهِ، فَلْيَتَبَعْنِي، فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ. وَلَمْ يَقُلْ مَعَ رُهَيْرٍ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِهِ. فَنَهَضَ فِي أَثْرِهِ وَلَحِقَ بِقَصْرِهِ بَرَّقَةَ، فَأَقَامَ بِهَا مُرَايِطًا إِلَى دُولَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

وَأَقْبَلَ كُسْيَلَةُ الْبُرْئِيُّ بِعَسَاكِرِهِ، فَلَمَّا قَرَبَ مِنَ الْقَيْرَوَانَ، خَرَجَ مِنْ كَانَ فِيهَا هَارِبِينَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَّهُ طَاقَةُ بِقَتَالِهِ، لَعْظِيمٌ مَا اجْتَمَعَ عَنْهُ مِنَ الْبَرِّ وَالرُّومِ. فَأَمَّنَ كُسْيَلَةً مِنْ بَقِيَ الْقَيْرَاوَنَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَقَامَ بِالْقَيْرَاوَنَ أَمِيرًا عَلَى سَائِرِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ، وَعَلَى مَنْ فِيهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَى أَنَّ وَلَيَّ الْخِلَافَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

وَفِي سَنةِ خَمْسٍ وَسَتِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ: وَلَيَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. فَلَمَّا اشْتَدَ سُلْطَانُهُ، وَاجْتَمَعَ أَكَابِرُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، سَأَلُوهُ تَخْلِيَصُ إِفْرِيقِيَّةَ، وَمَنْ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ يَدِ كُسْيَلَةِ الْلَّعِينِ. فَقَالُوا: لَا يَصْلُحُ لِلطلبِ بِدَمِ عُقْبَةِ الْرُّومِ وَالْبَرِّ إِلَّا مَنْ هُوَ مِثْلُهُ دِيَنًا وَعَقْلًا. فَاسْتَشَارَ مَعَ وَزَرَائِهِ، فَاجْتَمَعَ رَأِيُّهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ رُهَيْرِ بْنِ قَيْسِ الْبَلَوِيِّ، وَقَالُوا: هَذَا صَاحِبُ عُقْبَةِ الْرُّومِ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِسِيرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَأَوْلَاهُمْ بِطْلَبِ دَمِهِ. فَوَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى رُهَيْرٍ، وَهُوَ بَرَّقَةَ، يَأْمُرُهُ بِالْخَرْوَجِ عَلَى أَعِنَّةِ الْخَيْلِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ، لِيَسْتَنْقِذَ مَنْ بِالْقَيْرَوَانَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُهَيْرٍ يُعَرِّفُهُ بِكَثِيرٍ مَّنْ اجْتَمَعَ عَلَى كُسْيَلَةِ الْبَرِّ وَالرُّومِ، فَأَمَدَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

(۱) فِي مِنْ: «وَ» وَهُوَ خَطَأً.

بالخيَل والرجال والأموال، وحشد إليه وجوه العرب، وبعثهم إليه. فوفدت الجيوش على زُهير، وتسَرَّع النَّاسُ معه إلى إفريقيَة.

وفي سنة تسع وستين: أقبل زُهير بن قَيْسَ الْبَلْوَى في عسكر عظيم إلى إفريقيَة. فبلغ كُسَيْلَةَ بن لَمْزَمَ قدوِّمه إليه، وعزمه عليه. فجعل لا يَهابُه ولا يخاف منه، وكان كُسَيْلَةً في خَلْقٍ عظيم من البربر والروم، أضعف ما مع زُهير مُضاعفةً. فدعا كُسَيْلَةَ أشرافَ البربر وقال لهم: إني رأيت أن أرحل عن هذه المدينة، فإنَّ بها قوماً من المسلمين، هم علينا عهودٌ، ونحن نخاف، إن أخذنا القتال معهم، أن يكونوا علينا، ولكن ننزل على موضع مسيرهم^(١) وهي على الماء فإنَّ عسكَرَنا خَلْقٌ عظيمٌ، فإنَّ هزمناهم إلى أطْرَابُلْس، قطعنا آثارهم، فيكون لنا المغرب إلى آخر الدهر، وإنْ هزمونا، كان الجبل منا قريباً والشَّعْرَاءُ نتحصَّن^(٢) بها.

ذكر محاربة زُهير بن قَيْسَ الْبَلْوَى مع كُسَيْلَةَ بن لَمْزَمَ الْبُرْنُسي^(٣)

لَمَّا رحل كُسَيْلَةَ عن القيروان، نزل عليها زُهير بن قَيْسَ ثلاثة أيام، ولم يدخلها، وفي اليوم الرابع رحل عنها حتى أشرف على عسكر كُسَيْلَةَ في آخر النهار، فأمر الناس بالنزول. فلَمَّا أصبحَ وصَلَّى، زحف إليه. وأقبل كُسَيْلَةَ ومن معه، فالتقى الجمuan، والتَّحَمَ القتال بين الفريقين؛ ونزل الضُّرُّ وكثير القتل في الفريقين، حتى يئس الناس من الحياة. فلم يزالوا كذلك حتى انهزم كُسَيْلَةَ وُقتُلَ. ومَضَى النَّاسُ في طلب البربر والروم، فلحقوا كثيراً منهم، وقتلواهم، وجدوا في طلبهم إلى وادي مَلْوِيَة بالغرب؛ ففي تلك الواقعة ذهب رجال الروم والبربر المشركين، وُقتُلَ ملوكُهم وأشرافُهم وفُرسانُهم. ثم انصرف زُهير إلى القيروان، فأوطنها. ففرز منه أهل إفريقيَة، واشتد خوفُهم، فلجأوا إلى الحصون والقلاع. ثم إنَّ زُهيرَا رأى بِإفريقيَة مُلْكًا عظيماً، فأبى أن يقيم بها، وقال: إني ما قدمتُ

(١) في ر ١: «ميسِر»، وفي م: «مبِس» ولعل ما أثبتناه من أ هو الصواب.

(٢) في النسختين: «نتحصَّنوا»!

(٣) جاء العنوان في ر ١ كما يأتي: «ذكر محاربة زهير مع كسيلة».

إلا للجهاد وأخافُ أن تَمِيلَ بِي الدُّنْيَا^(١) فَأَهْلَكَ، وكان من رؤساء العابدين، وَكُبَرَاءِ الْزَاهِدِينَ. فترك القِيرَوانَ آمِنَةً، وانصرف عنها، وأقام بها كثير^(٢) من أصحابه.

خروج زُهير إلى برقة وكيفية مقتله بها

ثم رحل زُهير إلى المَشْرُق في خلقٍ عظيم. بلغ الرومَ خروجه من إفريقيا إلى برقة، فامكنتهم ما يُريدون. فخرجوا إليها في مراكبَ كثيرة، وقوّةً عظيمة. فأغاروا على برقة، فأصابوا فيها سَبِيّاً كثيراً، وقتلوا ونبهوا. ووافق ذلك قドوم عسکر زُهير إلى برقة من إفريقيا، فأخبرَ زُهير بخبرهم. فأمر عسکره بالمسير إلى الساحل، طَمَعاً أن يُدرك سَبِيّ المسلمينَ، فيستنقذهم. فأشرفَ على الرُّوم، وإذا هم في خلقٍ عظيم. فلم يقدر على الرجوع، وقد استغاث به المسلمون وصاحوا، والروم^(٣) يُدْخِلُونَهُم المراكب. فنادى بأصحابه النَّزُولَ، فنزلوا. وكانوا أشراف العابدين، ورؤساء العرب المجاهدين، أكثرُهم من التابعين. فنزل الروم إليهم وتلقُّوهُم بعدهِ عظيم. والتهم القتال، وتکاثرت عليهم الروم، فُقِتِلَ زُهير رضي الله عنه وأشرافُ مَنْ كان معه من العرب.

ومضى المسلمون إلى دمشق، فدخلوا على عبد الملك بن مروان، فأخبروه أنَّ أميرَهم وأشرافَ رجاتهم قد استُشهدا، فعظمُ ذلك عليه، لفضل زُهير ودينه. وكانت مُصيبةٌ مثل مُصيبة عقبة قبله. فاجتمع أشرافُ العرب، وسألوا عبد الملك أن ينظر لإفريقيا مَنْ يُسُدُّ ثغَرَها، ويُصلحُ أمرَها. فقال لهم عبد الملك: ما أعرفُ^(٤) أحداً كُفُوا لإفريقيا كحسَانَ بنَ الْعَمَانِ^(٥).

(١) في م: «إلى الدنيا» ولا معنى لها.

(٢) في م: «كثيراً»، خطأ.

(٣) سقطت من را.

(٤) في أ: «أرى».

(٥) تنظر ترجمته في تاريخ الإسلام ٨٠٨/٢.

وفي^(١) سنة أربع وسبعين: مات عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، ذكر أن الحجاج بن يوسف سمه، في خبر طويل.

وفي سنة ست وسبعين: كان حدوث السكّة في الإسلام، وأمر أمير المؤمنين عبد الملك بضرب الدنانير والدرارهم بنقش الإسلام^(٢).

وفي سنة سبع وسبعين: ثار المطرّف بن المعيّرة بن شعبة على عبد الملك بن مروان، فكايده عبد الملك، واحتال عليه إلى أن قُتل^(٣). وفيها كان [قتل] رؤساء الخوارج.

ولاية حسان بن النعمان إفريقية والمغرب

وفي سنة ثان وسبعين^(٤): قدم حسان بن النعمان إفريقية^(٥). اختاره لها عبد الملك بن مروان، وقدّمه على عسّكر فيه أربعون ألفاً: أقامه أوّلاً في مصر بالعسكر، عدّة لـما يَحْدُث. ثم كتب إليه يأمره بالنهوض إلى إفريقية، ويقول له: إني قد أطلقتك يدك في أموال مصر، فأعطي من معك ومن ورَدَ عليك، وأعطي الناس، وأخرُج إلى بلد إفريقية، على بركة الله وعونه.

بعض أخبار حسان بن النعمان

نَسَبُه^(٦): هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن الأزد. قدم إفريقية في عسّكر عظيم، فلم يدخل المسلمين قطُّ إفريقية بمثل ما دخلها حسان بن النعمان. فلما حصل بالقيروان، سأله أهل إفريقية: من أعظم الملوك بها قدرًا؟ فقالوا: صاحب قرطاجنة دار ملك إفريقية، فسار حتى نزل عليها.

(١) من هنا إلى «ولاية حسان بن النعمان إفريقية» سقط كله من را.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/٢٥٧.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/٢٨٤.

(٤) في را: «ثمانين»، خطأ.

(٥) ذكر ذلك خليفة وقال: إن عبد الملك زاده أطربلس على إفريقية (تاریخه ٢٧٧).

(٦) ليست في را.

وكان بها من الروم خلق لا يحصون^(١) كثرة. فخر جوا إليه مع ملكهم، فقاتلهم حسان حتى هزمهم، وقتل أكثرهم. ثم نازلها حتى افتحها، وهي كانت دار الملك بإفريقية.

ذكر قرطاجنة إفريقية^(٢)

ويسمىها أهل إفريقية^(٣) بالمعلاقة. وكانت قرطاجنة مدينة عظيمة، تضرب مواوج البحر سورها. وهي من مدينة تونس على الثني عشر ميلاً. وكان بينهما قررى متصلة عامرة. وكان البحر لم يُخرق إلى تونس، وإنما انحرق بعد ذلك. وفي هذه المدينة آثار عظيمة، وأبنية ضخمة، وأعمدة ثابتة غليظة، تدل على عظم قدرة الأمم الدائرة. وأهل تونس، إلى الآن، لا يزالون يطالعون في خراها على أعجيب ومصانع لا تقطع بطول الأزمان لمتأمل^(٤).

فلما قدم حسان إليها، وقتل فرسانها ورجالها، اجتمع رأي من بقي بها على الفرار منها. وكانت لهم مراكب كثيرة، فمنهم من مضى إلى صقلية، ومنهم من مضى إلى الأندلس. فلما انصرف عنها حسان، وعلم أهل بواديها وأقاليمها هروب الملك عنها، بادروا إليها، فدخلوها. فرحل إليها حسان ونزل عليها. فحاصرها حصاراً شديداً حتى دخلها بالسيف، فقتلهم قتلاً ذريعاً، وسباهم، ونبههم. وأرسل من حواليها، فاجتمعوا إليه مسارعين، خوفاً من عظيم سطوه، وشدة بأسه. فلما أتوه، ولم يبق منهم أحد، أمرهم بتخريب قرطاجنة وهدمها. فخرجوها حتى صارت كأمس الغابر. ثم بلغه أن النصارى اجتمعوا، وأمدّهم البربر بعسكر عظيم في بلاد صطفورة^(٥)، فرحل إليهم حسان حتى لقيهم، وقاتلهم حتى هزمهم، وقتل الروم والبربر قتلاً ذريعاً، وترك^(٦) عليهم أغنة

(١) في أ: «يخصى».

(٢) قوله: «إفريقية» ليس في را. ونقل النويري هذه الأخبار عن الرقيق القيرواني (نهاية الأربع ٢٤-١٨).

(٣) في أ: «أهل تونس اليوم».

(٤) في را: «المتأمل بطول الأزمان».

(٥) ينظر عنها وعن ضبطها معجم البلدان ٣/٤٠٥.

(٦) في م: «وحمل»، ولا معنى لها.

خيله، فما ترك من بلادهم مَوْضِعًا إِلَّا وَطَئَهُ. ولجأ الروم خائفين هاربين إلى مدينة باجة^(١)، فتحصّنوا بها، وهرب البربر إلى إقليم بُونه^(٢). وانصرف حَسَان إلى القَيْرَوان.

خُبُرُ حَسَان مع الْمَلِكَةِ الْكَاهِنَةِ وَهَزِيمَتْهَا لَهُ^(٣)

لَمَّا دخل حَسَان القَيْرَوان، أراحَ بها أَيَّامًا. ثُمَّ سأَلَ أهْلَهَا عَمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ إفْرِيقِيَّة، لِيَسِيرَ إِلَيْهِ، فَيُبَيِّدَهُ أَوْ يُسْلِمَ، فَدَلَّوهُ عَلَى امْرَأَةٍ، بِجَلْ أُورَاس^(٤)، يُقالُ هُنَّ الْكَاهِنَةُ، وَجَمِيعُ مَنْ بِإِفْرِيقِيَّةِ مِنَ الرُّومِ مِنْهَا خَائِفُونَ، وَجَمِيعُ الْبَرْبَرِ لَهَا مُطِيعُونَ، فَإِنْ قَتَلَهَا، دَانَ لَكَ الْمَغْرِبُ كُلُّهُ، وَلَمْ يَبْقَ لَكَ مُضَادٌ وَلَا مُعَانِدٌ. فَدَخَلَ بِعِجْوَشِهِ إِلَيْهَا، وَبَلَغَ الْكَاهِنَةَ خَبْرُهُ، فَرَحَلَتْ مِنَ الْجَبَلِ فِي عَدْدٍ لَا يُحْصَى، وَلَا يُؤْلَمُ بِالاستِفْسَاءِ، وَسَبَقَتْهُ إِلَى مَدِينَةِ بَاغَايَة^(٥)، فَأَخْرَجَتْ مِنْهَا الرُّومَ، وَهَدَمَتْهَا، وَظَنَّتْ أَنَّ حَسَانًا يَرِيدُ مَدِينَةً لِيَتَحَصَّنَ بِهَا مِنْهَا. فَبَلَغَ خَبْرُهَا حَسَانًا، فَنَزَلَ بِوَادِي مَسْكِيَّانَة^(٦). فَرَحَلَتِ الْكَاهِنَةُ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَى الْوَادِي المَذْكُورِ، فَكَانَ هُوَ يَشْرُبُ مِنْ أَعْلَى الْوَادِيِّ، وَهِيَ مِنْ أَسْفَلِهِ. فَلَمَّا تَوَافَتِ الْخَيْلُ، دَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَأَبَى حَسَانٌ أَنْ يَقَاتِلَهَا آخِرَ^(٨) النَّهَارِ. فَبَاتَ الْفَرِيقَانِ لِيَلْتَهُمْ عَلَى سُرُوجِهِمْ. فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ، التَّقَى الْجَمْعَانُ، فَقَاتَلُوْا قَتَالًا لَمْ يُسْمَعْ بِمُثْلِهِ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ صَبْرًا لَمْ يَنْتَهِ أَحَدُهُ إِلَيْهِ، إِلَى أَنْ انْهَزَمَ حَسَانُ بْنُ النُّعْمَانَ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَقُتِلَتِ الْكَاهِنَةُ الْعَرَبَ قَتْلًا ذَرِيعًا،

(١) هي المعروفة بباجة القِيَرْوان وبباجة الْقَمْح، وهي غير باجة الأندلس (وينظر معجم البلدان ٣١٤/٣١٥).

(٢) معجم البلدان ١/٥١٢.

(٣) قوله: «وهزمتها له» ليس في ر١. والخبر نقلًا من تاريخ الرقيق في نهاية الأرب للنويري ٢٤/١٩-٢٠.

(٤) معجم البلدان ١/٢٧٨.

(٥) معجم البلدان ٤/٢٨٩.

(٦) في ر١: «لها».

(٧) في ر١: «سكتانة»، وهو تحريف، وما هنا من أ، وينظر الروض المطار ٥٥٨.

(٨) في ر١: «داخل»، وهو تحريف.

وأسرت ثمانين رجلاً من أعيان أصحابه^(١). وسمى ذلك الوادي وادي العذارى. وأتبعه الكاهنة حتى خرج من عمل قايس^(٢). فكتب حسان إلى أمير المؤمنين عبد الملك يخبره بذلك، وأن أمة المغرب ليس لها غاية، ولا يقف أحد منها على نهاية، كلما بادت أمة، خلفتها أمة، وهم من العجول والكثرة كسامئة النعم. فعاد له جوابُ أمير المؤمنين يأمره أن يقيم حيئها وفاه الجواب، فورداً عليه في عمل برقة. فأقام بها وبنى هنالك قصوراً تسمى إلى الآن بقصور حسان.

وملكت الكاهنة المغرب كله بعد حسان خمس سنين. فلما رأت إبطاء العرب عنها، قالت للبربر: إن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلا خراب بلاد إفريقية كلها، حتى يتأس منها العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر. فوجّهت قومها إلى كل ناحية: يقطعون الشجر، ويهدمون الحصون، فذكروا أن إفريقية كانت ظلاً واحداً من أطربالس إلى طنجة، وقرى متصلة، ومدائن متنظمة، حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات، ولا أوصيل بركات، ولا أكثر مدائن وحصوناً من إقليم إفريقية والمغرب، مسيرة ألفي ميل في مثله. فخرّبت الكاهنة ذلك كله، وخرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق كثير، مُستَغِيثين مما نزل بهم من الكاهنة^(٣)، فتفرقوا على الأندلس وسائر الجزر البحريّة.

وكانت الكاهنة، لما أسرت ثمانين رجلاً من أصحاب حسان، أحسنت إليهم، وأرسلت بهم إلى حسان، وحبست عندها خالد بن يزيد. فقالت له يوماً: ما رأيت في الرجال أجمل منك، ولا أشجع، وأنا أريد أن أرضعك، ف تكون أخاً لولدي - وكان لها ابنان أحدهما بربيري، والآخر يوناني - وقالت له: نحن جماعة البربر لنار رضاع: إذا فعلناه، نتوارث به. فعمدَت إلى دقيق الشاعر فلّثة بزيت، وجعلته على ثدييها، ودعت ولديها، وقالت: كلا معه على ثديي، ففعلنا، فقالت: قد صرتم إخوة.

(١) في ر ١: «وأسرت من أعيانهم ثمانين رجلاً».

(٢) معجم البلدان ٤ / ٢٨٩.

(٣) في ر ١: «ما نزل بالكافنة»، وهو تحريف.

ذكر مقتل الكاهنة المِلِكَة^(١)

ثم إن حسّاناً توافت عليه فُرسانُ العرب ورجالُها من قِبَل أمير المؤمنين عبد الملك. فدعا حسّان عند ذلك بـرجل يَثْقُب به، وبعثه إلى خالد بن يزيد بكتاب. فقرأه وكتب في ظهره: إن البربر مُتَفَرّقون، لا نظام لهم ولا رأي عندهم، فاطُّوا المراحل، وجُدُّ في السَّيْر. وجعل الكتاب في خبزة وجعلها زاداً للرجل، ووجهه بها إلى الأمير حسّان. فلم يَغْبُ عن خالد بن يزيد إلا يسيراً حتى خرجت الكاهنة ناشرةً شعرَها، تضرب صَدْرَها، وتقول: يا وَيْلَكُم يا مَعْشَرَ البربر، ذهب مُلْكُكم فيما يأكلُه النَّاسُ. فافترقوا يميناً وشمالاً يطلبون الرجل، فستَّرَه الله تعالى حتى وصل حسّاناً، فكسر الخبزة وقرأ الكتاب الذي كتبه إليه خالد، فوجده قد أفسَدَه النَّارُ. فقال له حسّان: ارجع إليه، فقال الرجل^(٢): إن المرأة كاهنة: لا يخفي عليها شيءٌ من هذا^(٣)، فرحل حسّان بجنوده إليها. وبلغ الكاهنة خبره، فرحلت من جبل أوراس في خلق عظيم، ورحل إليها حسّان. فلما كان في الليل، قالت لابنِيهَا: إني مقتولة، وأعلمُتُهم أنها رأت رأسها مقطوعاً موضوحاً بين يدي مَلِك العرب الأعظم الذي بعث حسّاناً. فقال لها خالد: فارحلي بنا، ونخلِّي له عن البلاد فامتنعت، ورأته عازراً لقومها. فقال لها خالد وأولادها: فما نحن صانعون بعدك؟ فقلت: أما أنت، يا خالد فستُدْرِك مُلْكًا عظيماً عند المِلِك الأعظم^(٤)، وأما أولادي، فيدركون سُلطاناً مع هذا الرَّجُل الذي يقتلني ويعقدون للبربر عَرَائِم^(٥)، ثم قالت: اركبوا واستأْمنوا إليه. فركب خالد وأولادها في الليل، وتوجهوا إلى حسّان. فأخبره خالد بخبرها، وإتها علمت قتلها، وقد وجهت إليك بأولادها. فوَكَّلَ بها من يحفظهما، وقَدَّمَ خالداً على أعنَةِ الْخَيْلِ. وخرجت الكاهنة

(١) ينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤ / ٢٠.

(٢) ليست في ر ١.

(٣) في ر ١: «لا يخض عليها هذا القدر».

(٤) بعد هذا في ر ١: «عبد الملك».

(٥) في م: «غرائم»، وهو تصحيف.

ناشرة شعرها، فقالت: انظروا ما دهمكم فإني مقتولة، ثم التحم القتال، واشتدَّ الحربُ والنزال، فانهزمت الكاهنة، واتبعها حَسَانٌ حتى قتلها.

وكان مع حَسَانَ جماعةً من البربر استأمنوا إليه. فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه من جميع^(١) قبائلهم اثنتي عشر ألفاً يجاهدون مع العرب. فأجابوه وأسلموا على يديه. فقد لولَّي الكاهنة، لكل واحد منها على ستة آلاف فارس، وأخرجهم مع العرب يجولون في المغرب يُقاتلون^(٢) الروم ومن كفر^(٣) من البربر. وانصرف حَسَانٌ إلى مدينة القيروان، بعد ما حسن إسلام البربر وطاعتهم، وذلك في شهر رمضان من^(٤) سنة الشتتين وثمانين. وفي هذه السنة، استقامت بلاد إفريقية لحسَان بن النعمان، فدُونَ الدواوين، صالح على الخَرَاج، وكتبه على عَجَمٍ إفريقيَّة وعلى مَنْ أقامَ معهم على دين النصرانية. وأقامَ حَسَانٌ بعد قتل الكاهنة، لا يغزو أحداً، ولا ينزعه من أهل المغرب^(٥) أحدٌ. ثُمَّ عزله عبدُ العزيز بن مروان الوالي على مصر، وكان الوالي على مصر يُولِّي على إفريقيَّة، فعزل حَسَانًا وأمرَه بالقدوم عليه. فعلمَ حَسَانٌ ما أرادَ عبدُ العزيز بن مروان، أخوه عبد الملك، فعمد إلى الجوهر والذهب والفضة، فجعله في قرب الماء، وأظهر ما سوى ذلك من الأمتعة، وأنواع الدواب، والرقيق، وسائر أنواع الأموال. فلما قدم على أمير مصر عبد العزيز بن مروان^(٦)، أهدى إليه مثي جارية من بنات ملوك الروم والبربر. فسلَّبه عبدُ العزيز جميعَ ما كان معه من الخيل والأحمال والأمتعة والوصائف والوصفان. ورحلَ حَسَانٌ بالانتقال التي بقيت له، حتى قَدِمَ على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة^(٧)،

(١) هذه اللفظة من را.

(٢) في را: «يُقتلون».

(٣) في را: «وفر من البربر».

(٤) من را.

(٥) قوله: «من أهل المغرب» من را فقط.

(٦) في را: «فلما قدم على عبد العزيز بن مروان أمير مصر».

(٧) قوله: «ابن عبد الملك وهو خليفة» من را. على أنَّ هذا الخبر ربما يصح مع عبد الملك بن مروان لا مع الوليد، لأنَّ عبد العزيز بن مروان توفي سنة خمس وثمانين في عهد عبد الملك بن مروان الذي بقي خليفة حتى سنة ست وثمانين (تاریخ خلیفۃ ٢٩٢).

فشكاله ما صنع به عبد العزيز. فغضب الوليد على عمّه عبد العزيز، ثم قال حسّان
لمن معه: اثنوني بقرب الماء، ففرغ منها من الذهب والفضة والجُوهر والياقوت
والزَّبرجد^(١) ما استعظمته الوليد، وعجب من أمر حسّان، فقال له الوليد: جراك
الله خيراً، يا حسّان. فقال: يا أمير المؤمنين، إنما خرجمت مُجاهاً في سبيل الله،
وليس مثل يخون الله وال الخليفة. فقال له الوليد: أنا أرُدك إلى عملك، وأحسن إليك^(٢)
 وأنوّه بك، فحلف حسّان: لا أُويّلبني أمية أبداً! فغضب الوليد بن عبد الملك على
عمّه عبد العزيز.

وكان حسّان يُسمى الشيخ الأمين. وغزوات حسّان لم تُضبط بتأريخ محقق^(٣)
ولا فتحه لمدينة قطاجنة وتونس، ولا قتل للكاهنة. وذكر ابن القطاط أن عزل حسّان
وولاية موسى بن نصیر كان من قبل عبد العزيز بن مروان، دون أمر أخيه عبد الملك،
ولا مشورته.

ذكر ولادة أبي عبد الرحمن موسى بن نصیر إفريقية والمغرب وبعض أخباره رحمة الله عليه^(٤)

نَسَبُه: قيل: إنه من لَحْم، وقيل: من بَكْر بن وائل. وذكر ابن بشكوال في كتاب
«الصلة» له^(٥)، أنه موسى بن نصیر بن عبد الرحمن بن زيد. وكان موسى على خراج
البصرة، قدّمه عليها عبد الملك بن مروان، فاحتاجن الأموال، على ما ذُكر، لنفسه. فأوصى

(١) من را.

(٢) قوله: «وأحسن إليك» ليس في را.

(٣) في را: «معين».

(٤) جاء العنوان في را كما يأتي: «ذكر ولادة موسى بن نصیر المغرب وبعض أخباره رحمة الله عليه». ثم بعد هذا: (كنيته: أبو عبد الرحمن).

(٥) لم يذكر ابن بشكوال موسى بن نصیر في «الصلة» وسيعيد ذلك في أول الجزء الثاني، ولعله ذكر ذلك في كتابه: «التبيه والتعيين من دخل الأندلس من التابعين» وهو كتاب مشهور
لابن بشكوال (تنظر التكميلة الأبارية ١/٤٣٤ و ٢/٤٢٥، ٥/٤٢٥ و ٣/٤٢٤).

الحجاج به ألا^(١) يفوتَه، فخافَهُ موسى وقصدَ إلى عبد العزيز بن مروان صاحب مصر، لانقطاعِ كان منه إليه. فتوجَّه عبد العزيز مع موسى إلى الشام، فوفدا^(٢) على عبد الملك، فأغْرَمَه عبد الملك مئة ألف دينار، فغرم عنه عبد العزيز نصفَها. وعادَ مع عبد العزيز إلى مصر، فولاه منها إفريقية.

فأوَّل فتوحه: قلعة راغوان^(٣) ونواحيها. وبينها وبين القيروان مسيرة يوم كامل. وبينواحي راغوان قبائل بربَّرَ بعثَ إليهم موسى خمس مئة فارس، ففتحها الله. بلغ سبعمِهم عشرة آلاف، وهو أوَّل سبُّي دخل القيروان في ولاية موسى. ثم وجَّه ابنَه اسمه عبد الله إلى بعض نواحي إفريقية، فأتى بمئة ألف رأس من السبي. ثم وجَّه ابنه مروان، فأتى بمثلها. فكان الخُمس يوماً ستين ألفاً. فكتب موسى إلى عبد العزيز يعلمه بالفتح، ويعلمه أنَّ الخُمس بلغ ثلاثين ألفاً. وكان ذلك وهما من الكاتب، كتب^(٤) ثلاثين ألفاً بدلاً من ستين ألفاً. فلما قرأ عبد العزيز بن مروان الكتاب، وأنَّ الخُمس من السبي ثلاثة^(٥) ألفاً، استكثر ذلك، ورأى أنه وهم من الكاتب لكثرة. فكتب إلى موسى يقول له: إنه قد بلغني كتابك تذكر أنَّ خُمس ما أفاء الله عليك ثلاثة ألف رأس، فاستكثرت ذلك، وظننته وهما من الكاتب، فاكتبه بالحقيقة. فكتب إليه موسى: قد كان ذلك وهما من الكاتب على ما ظنه الأمير، والخمس، أيها الأمير، ستون ألف رأس ثابتاً بلا وهم. فلما بلغه الكتاب، عجبَ كلَّ العجب، وامتلاءُ سروراً. وقد كان عبد الملك كتب إلى أخيه عبد العزيز^(٦): قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتولية موسى، وقد أمضى لك أمير المؤمنين ما كان

(١) في ر١: «لا».

(٢) ليست في ر١.

(٣) معجم البلدان ١٤٤ / ٣.

(٤) من هنا إلى قوله: «الكتاب» سقط من ر١.

(٥) في ر١: «ثلاثين»، خطأ.

(٦) في ر١: «وكتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز».

من رأيك وولاية من وليت. فكتب عبد العزيز إلى أخيه يعلمه بالفتح ويكتاب موسى. ثم وجّه عبد الملك رجلاً إلى موسى، ليقبضَ^(١) ذلك منه على ما ذكر، فدفعَ موسى إليه مثل ذلك، وزادَ أفالاً.

وكان موسى عند وصوله إلى إفريقيا، لـهَا صار في الجيش الأول، أتى عصفورٌ حتى نزل على صدره، فأخذته موسى^(٢)، وذبحه، ولطخ بدمه صدره من فوق الشياطين، ونفتَ ريشَهُ، وطرحَهُ على نفسه، وقال: هو الفتح وربُّ الكعبة.

قال ابن قتيبة: فتح موسى بن نصير سجومة^(٣) وقتل ملوكيها، وأمر أولاد عقبة: عياضًا وعثمان وأبا عبدة، أن يأخذوا حقهم من قاتل أبيهم، فقتلوا من أهل سجومة ست مئة رجل من كبارهم^(٤)، ثم قال لهم: كفوا، فكفوا، وذلك سنة ثلاث وثمانين على قول من قال: إنه ولِي فيها^(٥).

ثم فتح موسى هوارة وزناناته وكُنامة، فأغار عليهم وقتلهم وسباهم، فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس. وكان عليهم رجل يُقال له: طامون^(٦)، فبعث به موسى إلى عبد العزيز بن مروان، فقتله عند البركة التي عند قرية عقبة، فسمّيت بـبركة طامون^(٧) إلى اليوم. وكانت كُنامة قد قدِمت على موسى، فولَّ عليهم رجلاً منهم، وأخذ منهم رهائن من خيارهم.

وفي سنة خمس وثمانين: تُؤْقِي عبد العزيز بن مروان، صاحب مُلك مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين^(٨) عبد الملك بن مروان، ووليها عبد الله بن مروان آخر

(١) في م: «ليقبضن»، وهو تحريف.

(٢) في أ: «فأخذ به موسى»، وما هنا من را.

(٣) لم نقف عليها، والظاهر أنه اسم قبيلة من البربر.

(٤) في را: «من كبار سجومة ست مئة رجل».

(٥) قوله: «على قول من قال: إنه ولِي فيها» من ليست في أ.

(٦) في أ: «كامون».

(٧) كذلك.

(٨) من را.

عبد الملك^(١). وكان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخيه عبد العزيز بن مروان^(٢) عن مصر في هذه السنة، على ما فعل من عزل حسان^(٣) بن النعمان وفيه. فنهاه قيصرة بن ذؤيب^(٤)، وقال: لعل الموت يأتيه فنستريح منه، ففكَّ عبد الملك عنه، وبقيت نفسه تنازعه أن يخلعه. فبينا هو على ذلك، ورُوح بن زباع^(٥) الجذامي يقول له يوماً: لو خلعته، ما انتطح فيه عزان، إذ دخل عليهما^(٦) قيصرة، فقال: أجرك الله يا أمير المؤمنين في أخيك، فقال: وهل تُوفي؟ قال: نعم. فقال عبد الملك: كفانا الله يا أبا زرعة ما كُنا أجمعنا عليه. وكانت وفاة عبد العزيز^(٧) في جمادى الأولى من السنة المرة.

وفي سنة ست وثمانين: تُوفي عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين^(٨)، فكتب الوليد إلى عمّه عبد الله بن مروان بولاية موسى بن نصیر إفريقية والمغرب، وقطعها عن عمّه. وكانت أكثر مدن إفريقية خالية باختلاف البرابر عليها.

فتح المغرب الأقصى على يد^(٩) الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصیر

ثم خرج موسى، رحمه الله، غازياً من إفريقية إلى طنجة، فوجد البربر قد هربوا^(١٠) إلى الغرب خوفاً من العرب. فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، وسبى منهم سبياً كثيراً، حتى بلغ السوس الأدنى، وهو بلاد دُرعة. فلما رأى البربر ما نزل بهم، استأنموا

(١) قوله: «أخو عبد الملك» ليس في ر ١. والخبر في تاريخ الطبرى ٦ / ٤١٣.

(٢) قوله: «عبد العزيز بن مروان» ليس في أ.

(٣) في ر ١: «على ما فعل مع حسان».

(٤) في م: «قيصرة بن ذؤيب»، وهو تقييد خطأ في الاسمين.

(٥) قيده ناشر (م) بفتح الزاي، وهو خطأ، وترجمته في تاريخ الإسلام ٢ / ٩٨٨.

(٦) في ر ١: «عليه».

(٧) في ر ١: «وكانت وفاته».

(٨) تاريخ خليفة ٢٩٢، وتاريخ الطبرى ٦ / ٤١٨.

(٩) في م: «يدي».

(١٠) في أ: «خرجوا».

وأطاعوا. فولَى عليهم واليَا، واستعمل مَوْلَاه طارقاً على طَنْجَة وما والاها، في سبعة عشر ألفاً من العرب واثني عشر ألفاً من البربر^(١). وأمر العرب أن يُعلّموا البرابر القرآنَ، وأن يُفَقِّهُوهُم في الدين. ثم مضى^(٢) موسى قافلاً إلى إفريقيَّة.

قال ابن القَطَّان: وذُكِرَ أنَّ موسى بن نُصَيْر^(٣) بعث أثر بيته للوليد، في هذه السنة المُؤَرَّخة، زُرْعَة بن أبي مُدْرِك إلى قبائل من البربر، فلم يُلْقَ حَرْبًا منهم. فرغبوا في الصلح منه، فوجَّهَ رؤسائهم إلى موسى بن نُصَيْر، فقبض رهونهم، ثم عقد لعيَّاش بن أَخْيَل على مَرَاكِب إفريقيَّة، فمضى في الْبَحْر إلى صِقلِيَّة، فأصاب مدينة يُقال لها: سَرْقُوْسَة^(٤)، فغنمتها وجميع ما بها، ووقف سالماً غائماً.

ولَمَّا حمل أبو مُدْرِك^(٥) زُرْعَة بن أبي مُدْرِك رهائن المَصَادِمة، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم إلى إفريقيَّة والمَغْرِب، وكانوا على طَنْجَة، وجعل عليهم مَوْلَاه طارقاً، ودخل بهم جزيرة الأَنْدَلُس. وترك موسى بن نُصَيْر سبعة عشر رجلاً من العرب، يُعلّموهم القرآن وشَرَائِعِ الإِسْلَام. وقد كان عُقبة بن نافع ترك فيهم بعض أصحابه يُعلّموهم القرآن وشَرَائِعِ الإِسْلَام، منهم: شاكيِر صاحب الرباط وغيره. ولم يدخل المغرب الأقصى أحدٌ من ولاة خُلُفاء بني أميَّة بالشرق إلا عُقبة بن نافع الفهري، ولم يعرف المصَادِمة غيره. وقيل: إنَّ أكثرهم أسلموا طَوْعاً^(٦) على يديه، ووصل موسى بن نُصَيْر بعده.

وفي سنة اثنتين وتسعين من الهجرة: جازَ طارق إلى الأَنْدَلُس، وافتتحها بمن كان معه من العرب والبرابر، ورهائنهم^(٧) الذين تركَ موسى عنده، والذين أخذهم

(١) في ر.١: «في سبعة عشر ألفاً من البربر والعرب»، وما هنا من أ وهو الصواب.

(٢) في ر.١: «رجع».

(٣) قوله: «ابن نصَير» ليس في ر.١.

(٤) قيدها ناشر (م) بكسر السين، خطأ، وينظر معجم البلدان ٣/٢١٤.

(٥) الكنية ليست في ر.١.

(٦) سقطت من أ. م.

(٧) ليست في ر.١.

(٨) في ر.١: «ورهائبهم»، وهو تحريف.

حَسَانٌ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ قَبْلَهُ^(١). وَكَانَتْ وَلَايَةُ طَارِقٍ عَلَى طَنْجَةِ وَالْمَغْرِبِ الْأَقْصِيِّ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ. وَفِي هَذَا التَّارِيخِ، تَمَّ إِسْلَامُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصِيِّ، وَحَوَّلُوا الْمَسَاجِدَ الَّتِي كَانَ بَنَاهَا الْمُسْتَرِّ كَوْنَ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَجَعَلُوا الْمَنَابِرَ فِي مَسَاجِدِ الْجَمَاعَاتِ. وَفِيهَا صُبِّنَ مَسْجِدٌ أَغْمَاثٌ هَيْلَانَةً.

وَنَسَبُ طَارِقٍ: هُوَ طَارِقُ بْنُ زَيَادٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَلْغُو بْنِ وَرْفَجُومَ بْنِ نَبْرِ غَاسِنَ بْنِ وَامَّاصَ بْنِ يَطْوُفَتِ بْنِ نَفْزاً. فَهُوَ نَفْزِيٌّ، ذُكِرَ أَنَّهُ مِنْ سَبْيِ الْبَرِّ، وَكَانَ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ.

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ: جَازَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ إِلَى الْأَنْدَلُسَ، فَعَبَرَ الْبَحْرَ غَاضِبًا عَلَى طَارِقٍ، وَمَئَشِي عَلَى غَيْرِ طَرِيقِهِ، وَفَتَحَ فَتْوَحًا كَثِيرًا^(٢)، يَقَعُ ذِكْرُهَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فِي الْجُزْءِ الثَّانِيِّ مِنَ هَذَا الْكِتَابِ، فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ.

وَفِيهَا: وَلِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُوسَى إِفْرِيقِيَّةً عِوْضًا مِنْ أَيِّهِ، حِينَ تَوَجَّهَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُوهُ مِنْهَا مَتَوَجِّهًا إِلَى الْمَسْرَقِ، فَقَدِمَ مَدِينَةَ الْقَيْرَوَانَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ.

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ: انْصَرَفَ مُوسَى مِنَ الْأَنْدَلُسَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ، بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَجَازَ الْأَمْوَالَ مِنَ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوْهَرِ فِي الْمَرَاكِبِ إِلَى طَنْجَةِ. ثُمَّ حَلَّهَا عَلَى^(٣) الْعَجَلَاتِ^(٤).

قَالَ الرَّقِيقُ: كَانَتْ وَسْقَيَ مِئَةً عَجَلَةً وَأَرْبَعَ عَشْرَةً عَجَلَةً. وَفِيهَا الْمَائِدَةُ، وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ، يَشْوِيهُ شَيْءًا مِنْ فَضَّةٍ، مُطَوَّقَةً بِثَلَاثَةِ أَطْوَاقٍ: طَوْقٌ يَاقُوتٌ، وَطَوْقٌ زَبَرْجَدٌ، وَطَوْقٌ جَوْهَرٌ^(٥); وَحُمِّلَتْ يَوْمًا عَلَى بَغْلٍ عَظِيمٍ أَفْرَهُ وَأَقْوَى مَا وُجِدَ، فَمَا بَلَغَ الْمَرْحَلَةَ حَتَّى تَفَتَّحَ قَوَاهُمْ.

(١) يَنْظَرُ تَارِيخُ خَلِيفَةٍ ٣٠٤، وَتَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤٦٨ / ٦.

(٢) تَارِيخُ خَلِيفَةٍ ٣٠٥، وَتَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤٦٨ / ٦.

(٣) فِي ر١: «إِلَى».

(٤) يَنْظَرُ تَارِيخُ خَلِيفَةٍ ٣٠٧، وَتَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤٩٢ / ٦.

(٥) فِي أَ: «الْلَّوْلَوْ».

قال الليث بن سعد: لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام.
ولما قدم عليه ابنه من السوس، خرج للقاء مع وجوه الناس. فلما التقى، قال
مروان بن موسى لرجاله: مروا الكل من خرج مع والدي بوصيف أو وصيفة. وقال
موسى: مروا أنتم لهم من عندي بمثل ذلك. فرجع الناس كلهم بوصيف أو وصيفة.
ومن أخبار موسى بن نصير أيضا^(١)، رحمة الله، لما انصرف من الأندلس،
ولى عليها ابنه عبد العزيز، وشخص قافلا إلى إفريقيا. فقدم القيروان في آخر سنة
خمس وتسعين، فلم يدخلها، ونزل بقصر الماء. ثم قعد في مجلسه، وجاءه جيوش
العرب من القيروان، فمنهم من سافر معه، ومنهم من تخلف مع ابنه^(٢) عبد الله
بإفريقيا، فقال لأصحابه: أصبحت اليوم في ثلاث نعم، منها: كتاب أمير المؤمنين
بالسكر والثنا، ثم وصف ما أجرى الله على يديه من الفتوحات، ثم كتاب ابني
عبد العزيز يصف ما فتح الله عليه في الأندلس بحمد الله تعالى. فقاموا إليه، فهناوه،
وأما الثالثة، فأنا أريكموها، وقام، فأمر برفع سترا^(٣)، فإذا فيه جواري مختلفات،
كأئن البدور الطوالع، من بنات ملوك الروم والبربر، عليهن الحلي والحلل،
فهنيء أيضا بذلك. فقال علي بن رباح السلمي^(٤): أيا الأمير، أنا أنسح الناس إليك:
ما من شيء انتهى إلا ورجأ فارجع قبل أن يرجع إليك. قال: فانكسر موسى،
وفرق جواريه من حينه على الناس.

ثم رحل إلى المشرق، وخلف على إفريقيا ابنه عبد الله، وعلى الأندلس ابنه
عبد العزيز، وعلى الغرب^(٥) وطنجة ابنه عبد الملك.

وقال ابن القطان: الأكثرون يقولون إن مستقر طارق قبل محاولة الأندلس
كان بطنجة، ومنهم من يقول: كان بموضع سجلاسة، وإن سلا، وما وراءها من

(١) ليست في را.

(٢) كذلك.

(٣) في را: «فقام برفع سترا».

(٤) المحفوظ أن علي بن رباح لحمي كما في تهذيب الكمال ٤٢٦-٤٢٧ والمصادر المذكورة فيه.

(٥) ليست في أ، م.

أرض فاس وطنجة وسبتة، كانت للنصارى. قال: واختلف الناس هل دخل موسى القَيْرَوان في هذه الوجهة أم لا.

ثم رحل عنها مع بقية أولاده: مروان، وعبد الأعلى، وغيرهما، ومعه أشراف الناس من قريش والأنصار وسائر العرب، ومن وجوه البربر مئة منهم: كُسيلة بن لَمَّزَم، وبنو يسُور ومَزْدَانَة مَلِك السُّوس وَمَلِك مِيورقة وَمِنْورقة، ومن أولاد الكاهنة، ومئة من وجوه ملوك الروم الأندلُسِين، وعشرون مَلِكًا من ملوك المداين التي افتحتها بإفريقية. وخرجوا معه بأصناف ما كان في كل بلد من طرفها، حتى انتهى إلى مصر. فلم يبق بها فقيه ولا شريف إلا وصله وأعطاه. ثم خرج من مصر متوجّها إلى فلسطين، فتلقاءه آل روح بن زبُنْاع ونحرروا له خمسين بعيراً. ثم خرج وترك عندهم بعض أهله وصغار ولده فأعطيه آل روح بن زبُنْاع عطاء جَزْلاً. ثم وفاه كتاب الخليفة الوليد بن عبد الملك، يأمره بشدّ السَّيْر إِلَيْهِ، ليُدْرِكَه في قَيْدِ الْحَيَاةِ، وكان مريضاً. ووفاه كتاب من سليمان بن عبد الملك ولِيَّ عَهْدِ أخيه الوليد، يأمره بالتأني والتربص. فأسرع موسى، ولم ينظر في كتاب سليمان، إلى أن وصل إلى الوليد قبل موته بثلاثة أيام. فقال سليمان: لَئِنْ ظَفَرْتُ بِهِ لِأَصْلِبَنَّهُ، فدفع موسى الأموال والمائدة والدرَّ^(١) والياقوت والتيجان والذهب والفضة إلى الوليد بن عبد الملك.

وقال المَسْعُودِيُّ، في كتابه المسمى بـ«عجائب البلاد والزَّمن»، قال: لِمَا فتح طارق طليطلة، وجد فيها^(٢) بيت الملك، ففتحه. فوجد فيه زُبُورَ داود عليه السلام في ورقات ذهب، مكتوبًا بباء ياقوت مَحْلُولٍ، من عجيب العمل الذي لم يكُدْ يُرَ مثله^(٣)، ومائدة سليمان عليه السلام وقد تقدّم وصفّها. ووجد فيه أربعة وعشرين تاجًا منظومًا بعَدَ ملوك القوطيين بالأندلس: إذا توقي أحدُهم، جعل تاجه بذلك البيت، وفعل الملك بعده لنفسه غيره، جرت عوائدُهم على ذلك. ووجد فيه قاعة كبيرة مملوءة بِإِكْسِيرِ الكِيمِيَاءِ، فحمل ذلك كله^(٤) إلى الوليد بن عبد الملك.

(١) في ر١: «الدرر».

(٢) في م: «بها».

(٣) قوله: «الذي لم يكُدْ يُرَ مثله» ليس في ر١.

(٤) ليست في ر١.

وفي سنة ست وتسعين: توقي الوليد بن عبد الملك في جُمادى الآخرة. وولي الخلافة سليمان^(١). فغضب على موسى غَبَباً عظيماً^(٢)، وأمر عليه، فأُوقفَ في يوم شديد الحرّ في الشمس، وكان رجلاً بادناً ذا نسمة. فوقف حتى سقط مغشياً عليه. وقال له سليمان: كتبْتُ إِلَيْكَ، فلم تنظر كتابي، هَلْمَ مائة ألف دينار. قال: يا أمير المؤمنين، قد أخذْتُ ما كان معه من الأموال، فمن أين لي مائة ألف دينار؟ قال: لا بدَّ من مئتي ألف، فاعتذر، فقال: لا بدَّ من ثلاثة مائة ألف دينار. وأمر بتعذيبه، وعزمَ على قتله. فاستجارَ بيزيد بن المُهَلَّبَ، وكانت له حُظوةٌ عند سليمان، فاستوهبهُ منه، وقال: يُؤْدِي ما عنده، وقيل: إنَّ موسى افْتَدِيَ من سليمان بـألف ألف دينار؛ ذكر ذلك ابن حَبِيبٍ وغيره. ثم إنَّ يزيد بن المُهَلَّبَ سَهَرَ ليلةً مع الأمير موسى، فقال له: يا أبا عبد الرحمن في كم كُنْتَ تَعْتَدُ أنتَ وأهْلُ بيتك، من المولى والخدَّام، أتَكُونُونَ فِي الْفِي؟ فقال: نعم وألف ألف إلى منقطع النفس. قال: فَلِمَ القيتَ بِنَفْسِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ، أَفَلَا أَقْمَتَ فِي قَرَارِ عِزَّكَ، وَمَوْضِعِ سَلَطَانِكَ؟ فقال: والله لو أردتُ ذلك، لَمَّا نالوا من أطْرافي شيئاً، ولكنَّي أثْرَتُ الله عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ، ولم أَرِ الخروجَ عن الطاعةِ. وقيل: إنَّ سليمان بن عبد الملك، بعد ما افْتَدِيَ منه موسى، دعا يوماً بطلبِ من ذَهَبٍ، فرأاه موسى ينظر إليه، فقال له^(٣): يا أمير المؤمنين، إنَّك لتعجبُ من غير عجب، والله ما أخْسِبْتُ أَنَّ فِيهِ عَشْرَةَ آلَافَ دِينَارٍ، والله لَقَدْ بَعْثَتُ إِلَيْكَ الوليدَ بِتَنُورٍ مِّنْ زَبْرَجَدِ أَخْضَرٍ كَانَ يُصَبُّ فِيهِ الْلَّبَنُ فِي خَضْرَهِ، وَلَقَدْ قُوِّمَ بِمائةَ آلَافَ دِينَارٍ، وَلَقَدْ أَصْبَتُ كَذَا وَأَصْبَتُ كَذَا، وَجَعَلْتُ يُكْثِرُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ^(٤)، حتَّى بُهِتَ الْأَمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ.

وكان مَوْلِدُ موسى بن نُصَيْرٍ سنة تسعَ عَشْرَةَ، ووفاته سنة ثمان وتسعين، فكان عُمُرهُ تسعًا وسبعين سنة. وفي سنة ثمان وثمانين ولي إفريقيَّة، فأقامَ عليهما أميرًا وعلى

(١) تاريخ خليفة ٣٠٩، وتاريخ الطبرى ٦/٤٩٥.

(٢) في ر١: «شدِيداً».

(٣) ليست في ر١.

(٤) قوله: «وَجَعَلْتُ يُكْثِرُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ» ليس في ر١.

الأندلس^(١) والمغرب كله نحو ثمان عشرة سنة، إلى أن مات. وممّا ذُكر في وفاته، أنه حجَّ مع سُليمان، فلِمَا وصلَ المدينة، قال موسى بن نصَير لِأصحابه: لَيُمُوتَنَّ بعدَ غَدِ رجُلٌ قد ملأَ ذِكْرَهُ المشرقُ والمغارِبُ، فماتَ موسى في ذلك اليوم^(٢).

ولاية محمد بن يزيد إفريقية^(٣) والمغارِبُ

قال الواقديُّ: ثُمَّ إنَّ أميرَ المؤمنين^(٤) سُليمانَ بنَ عبدِ الملكِ قال لرجائِهِ بنَ حَيْوَةَ^(٥): أُريدُ رَجُلاً، لهُ فضلٌ في نفسهِ، أَوْ لِيهِ إفريقيةَ^(٦). فقالَ لهُ^(٧): نعم. فمكثَ آيَامًا، ثُمَّ قالَ لهُ^(٨): قد وجدْتُ رَجُلًا لهُ فضلٌ. قالَ: مَنْ هُوَ؟ قالَ: محمدُ بنُ يزيدَ مَوْلَى قُرْيَشَ^(٩). فقالَ: أَدْخِلْهُ عَلَيَّ، فادْخُلْهُ عَلَيْهِ. فقالَ سُليمانُ: يا محمدُ بنُ يزيدَ أَتَقِ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَقُمْ فِيهَا وَلَيْتُكَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَقُدْ وَلَيْتُكَ إفريقيةً وَالمغارِبَ كُلَّهُ^(١٠) قالَ: فوَدَّعَهُ وَانْصَرَفَ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا لِي عُذْرٌ عِنْدَ اللهِ إِنْ لَمْ أَعْدُلْ.

وفي سنة سبع وتسعين من الهجرة: استقرَّ محمدُ بنُ يزيدَ بإفريقية بأحسن سيرة وأعدّها. ثُمَّ وصلَهُ الأمرُ بأخذِ عبدَ اللهِ بنَ موسى بنِ نصَيرٍ وتعذيبِهِ، واستصالِ أموالِ بني موسى، فسجنهُ محمدٌ وعذبهُ، ثُمَّ قتلهُ بعدَ ذلك. وكانَ سُليمانَ قد أمرَهُ^(١١) بأخذِ أهل^(١٢)

(١) سقطت من ر١.

(٢) في ر١: «فماتَ موسى ذاكَ اليوم».

(٣) ليست في ر١.

(٤) قوله: «أمير المؤمنين» ليس في ر١.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٦٤/٣.

(٦) في ر١: «المغارِبُ».

(٧) ليست في ر١.

(٨) من ر١.

(٩) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٦٤/٣.

(١٠) في ر١: «وليتَكَ المغارِبَ كُلَّهُ».

(١١) سقطت من ر١.

(١٢) في ر١: «آل».

موسى وَوَلْدُه وَكُلُّ مَن تَبَسَّبَ بِهِم^(١) وَاسْتَئْصَالُ أَمْوَالَهُمْ، وَتَعْذِيْبُهُم^(٢)، حَتَّى يُؤَدِّوا ثَلَاثَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ. وَتَوَلَّ فَقْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى خَالِدًا بْنَ أَبِي حَبِيبِ الْقُرَشِيِّ.

وَأَمَّا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُوسَى، فَخَلَعَ دُعْوَةَ بَنِي مَرْوَانَ وَاسْتَبَدَّ بِأَمْرِهِ لَمَّا بَلَغَهُ مَا نَزَلَ^(٣) بِأَبِيهِ وَأَخِيهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَجَاءَتِ الْكُتُبُ إِلَى حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَبْدَةَ وَوَجْهَ الْعَرَبِ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلْكِ، يَأْمُرُهُمْ بِقتْلِهِ، فَقَتَلُوهُ، وَحُمِّلَ رَأْسُهُ وَرَأْسُهُ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى وُضِعَا بَيْنَ يَدِي أَبِيهِمَا مُوسَى، وَهُوَ فِي عَذَابِهِ^(٤). فَكَانَ فِعْلُ سُلَيْمَانَ هَذَا بِمُوسَى وَبَنِيهِ، وَقَدْ فَعَلَ مِنَ الْفَتْحِ فِي الْإِسْلَامِ مَا فَعَلَ، مِنْ هَفَوَاتِ سُلَيْمَانَ الَّتِي لَمْ تَزُلْ تُنْقَمُ عَلَيْهِ.

وَاسْتَعْمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ الْحُرُّ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقِيسِيِّ^(٥). وَكَانَ الْأَنْدَلُسُ إِذَا ذَاكَ إِلَى وَالِيِّ إِفْرِيقِيَّةِ، كَمَا كَانَ أَيْضًا وَالِيِّ إِفْرِيقِيَّةِ مِنْ قَبْلِ وَالِيِّ مِصْرَ. وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ يَبْعَثُ بِسَرِيرَةٍ إِلَى ثُغُورِ إِفْرِيقِيَّةِ، فَمَا أَصَابَهُ قَسْمَهُ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ وَلَاهِتُهُ سَنْتَيْنَ وَأَشْهُرًا.

وَفِي سَنَةِ تِسْعَ وَتِسْعَينَ: تَوَفَّى سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلْكِ، وَاسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ وَفَاتِهِ^(٦)، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْمُهَاجِرِ^(٧)، مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ.

وَفِي سَنَةِ مِائَةٍ: وَلِيَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْمُهَاجِرِ إِفْرِيقِيَّةً مِنْ قَبْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. فَكَانَ خَيْرُ أَمِيرِ وَخَيْرُ وَالِيِّ^(٨). وَمَا زَالَ حَرِيصًا عَلَى دُعَاءِ الْبَرِيرِ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى أَسْلَمَ بَقِيَّةَ الْبَرِيرِ بِإِفْرِيقِيَّةِ عَلَى يَدِيهِ، فِي دُولَةِ عُمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَهُوَ الَّذِي

(١) فِي أَ: «بَهُ».

(٢) قَوْلُهُ: «وَاسْتَئْصَالُ أَمْوَالَهُمْ وَتَعْذِيْبُهُمْ» لِيُسَ فِي ر١.

(٣) فِي ر١: «فِعْلٌ».

(٤) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٥٢٣ / ٦.

(٥) هَكَذَا فِي النَّسْخَتَيْنِ، وَفِي م: «الْثَّقْفِيُّ»، مَعْرُوفٌ، وَتَنْظَرُ جَذْوَةِ الْمَقْبَسِ (٤٠٦).

(٦) تَارِيخُ خَلِيفَةِ ٣١٦، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٥٤٦ / ٦.

(٧) مِنْ هَنَا إِلَى قَوْلِهِ فِي الْفَقْرَةِ الثَّانِيَةِ: «الْمُهَاجِرُ» سَقَطَ مِنْ ر١ مِنْ قَفْزِ النَّظَرِ بَيْنَ الْفَظَيْنِ الْمُتَهَالِيْنِ.

(٨) تَارِيخُ خَلِيفَةِ ٣٢٣.

عَلِمَ أهْلُ إفْرِيقِيَّةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَبَعَثَ مَعَهُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَشَرَةً مِنَ التَّابِعِينَ أَهْلِ عِلْمٍ وَفَضْلٍ، مِنْهُمْ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَافِعٍ، وَسَعْدُ^(١) بْنُ مَسْعُودَ التَّجْيِيِّيِّ، وَغَيْرُهُمَا. وَكَانَتِ الْخَمْرُ يَأْفِي قِيَّةً حَلَالًا، حَتَّىٰ وَصَلَ هُؤُلَاءِ التَّابِعِيْوْنَ، فَيَبْنُوا تَحْرِيمَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَفِيهَا: اسْتَخْلَفَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْمُهَاجِرِ عَلَى الْأَندَلُسِ السَّمْخَ بْنِ مَالِكِ الْخَوْلَانِيِّ، فَكَانَ حَلَوْلُهُ بِهَا فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ.

وَفِي سَنَةِ إِحدَى وَمِئَةٍ: تَوَقَّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَدَيْرَ سَمْعَانَ، لَسْتَ خَلُونَ مِنْ شَعْبَانَ، فَكَانَتِ خَلَافَتُهُ سَتِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ. وَوَلَيَ الْخِلَافَةَ بَعْدِهِ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٢). فَوَلَّ عَلَى إفْرِيقِيَّةِ يَزِيدِ^(٣) بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ مَوْلَى الْحَجَاجِ بْنِ يَوْسَفِ وَصَاحِبِ شُرْطَتِهِ^(٤).

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمِئَةٍ: قَدِمَ إِلَى إفْرِيقِيَّةِ، وَالْيَا عَلَيْهَا، يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ، وَكَانَ ظَلُومًا عَشْوَمَا، وَكَانَ الْبَرِيرَ يَحْرُسُونَهُ، فَقَامَ عَلَى الْمَنْبَرِ حَاطِيَّا، فَقَالَ: أَمْيَا النَّاسِ^(٥)، إِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَرْسِمَ اسْمَ حَرَسِيِّ فِي أَيْدِيهِمْ كَمَا تَصْنَعُ مَلُوكُ الرُّومَ بِحَرْسِهَا، فَأَرْسَمَ فِي يَمِينِ الرَّجُلِ اسْمَهُ وَفِي يَسِيرِهِ حَرَسِيِّ لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النَّاسِ، فَإِذَا وَقَفُوا عَلَى أَحَدٍ، أَسْرَعُ لِهَا أَمْرِتُ بِهِ. فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ، أَعْنَى حَرَسَهُ، اتَّقَوْا عَلَى قُتْلِهِ، وَقَالُوا: جَعَلْنَا بِمِنْزِلَةِ النَّصَارَى. فَلَمَّا خَرَجْ مِنْ دَارِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ، لِصَلَةِ الْمَغْرِبِ، قُتِلَوْهُ فِي مُصَلَّاهُ، فَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي رَجُلٍ يَقُولُ بِأَمْرِهِمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيهِمْ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ، فَتَرَاضَوْا بِالْمَغْرِبَةِ بْنُ أَبِي بُرْدَةِ^(٦) وَكَانَ شَجَاعًا كَبِيرًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ قُتِلَ بِحُضُورِكَ. إِنَّ قُمْتَ بِهَذَا الْأَمْرِ، اتَّهِمْتَ بِقُتْلِهِ، وَلَكِنَ الرَّأْيُ أَنَّ نَتَرَاضِي لِمُحَمَّدِ بْنِ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ^(٧)، وَكَانَ غَازِيًّا بِصِقْلَيَّةَ، فَلِمْ يَلْبِثْ إِلَّا يَسِيرًا

(١) فِي أَ: «سَعِيد»، مُحْرف.

(٢) تَارِيخُ خَلِيفَةٍ ٣٢١، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٥٦٥/٦.

(٣) تَرَجَّمَهُ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ ١٨٣/٣.

(٤) تَارِيخُ خَلِيفَةٍ ٣٣٤.

(٥) قَوْلُهُ: «أَمْيَا النَّاسِ» مِنْ رِأْيِهِ.

(٦) تَرَجَّمَهُ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ ١١٧٥/٢.

(٧) تَرَجَّمَهُ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ ١٥١/٣.

حتى قدم بغنائم قد أصابها، فقلدوه أمر إفريقية، فكتب إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما حَدَثَ من الأمر، فاستعمل على إفريقية بِشْرَ بن صَفْوان.

ولاية بِشْرَ بن صَفْوان^(١) إفريقية والمغرب^(٢)

هو بِشْرَ بن صَفْوان بن نُوْفَل^(٣) بن بِشْرَ بن حَنْظَلَةَ بن عَلْقَمَةَ بن شَرَاحِيلَ بن عَزِيزَ بن خَالِدٍ. وُوْيَ إفريقية سنة ثلَاثٍ وَمِائَةٍ. فاستُصْفِي بِقايا آل^(٤) مُوسَى بن نُصَيْرٍ، ووفَدَ بعد ذلك إلى يزيد بن عبد الملك، فألفاه قد هلك.

وفي سنة خمسٍ ومئةٍ: هلك يزيد بن عبد الملك في ربيع الأوَّل^(٥)، ووَلَيَ هشام بن عبد الملك، فرَدَّ بِشْرَ بن صَفْوان إلى إفريقية. فلَمَّا قَدِمْهَا، وَلَيَ على الأَندَلُسِ عَنْبَسَةَ بن سُحَيْمَ الْكَلْبَيَّ^(٦). ثُمَّ إنَّ بِشْرَ بن صَفْوانَ غَزا بِنَفْسِهِ صِقْلَيَّةَ. فأصابَ بها سَيِّئًا كثِيرًا، وَقُفلَ إلى القيروان. فلَمَّا حُضِرَتْهُ الوفاة، قالت جاريَّتُهُ: وَاشَّهَاتَةَ الأَعْدَاءِ، فَقَالَ لَهَا: قَوْلِي لِلأَعْدَاءِ لَا يَمُوتُ^(٧)، واستخلف العباسَ بن باضِعَةَ الْكَلْبَيَّ^(٨).

وفي سنة سبعٍ ومئةٍ: ولَيَ بِشْرَ بن صَفْوانَ عَلَى الْأَندَلُسِ يَحْيَىَ بن سَلَمَةَ الْكَلْبَيَّ. فَقَدِمَهَا في شَوَّالٍ. وفي هذه السنة اخْتَلَطَ أَمْرُ وَلَاهِ مَضْرُ اخْتِلاطًا كثِيرًا.

وفي سنة تسعٍ ومئةٍ: تُوْقِيَ بِشْرَ بن صَفْوانَ وَالِيَ إفريقية بِمَدِينَةِ القيروانِ، فَكَانَتْ وَلَاهِتُهُ سَبْعَ سَنِينَ، وَبَقِيَ نَائِبَهُ عَلَى القيروانِ حتَّى وَصَلَ وَالِيَ مِنْ قِبَلِ الْخَلِيفَةِ هشامَ بن عبدِ الملك.

(١) ترجمته في تاريخ دمشق ١٠ / ٢٢٣، وتاريخ الإسلام ١٨ / ٣.

(٢) من ر١.

(٣) في م: «توبيل»، حرف.

(٤) في ر١: «مال».

(٥) ذكر خليفة والطبرى أن وفاته لخمس بقين من شعبان (تاريخ خليفة ٣٣١، وتاريخ الطبرى ٧ / ٢١).

(٦) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١ / ٤٤١، وجذوة المقتبس (١٠١١)، وتاريخ الإسلام ٣ / ١٣٤.

(٧) في ر١: «يموتوا»، وهو تحريف.

(٨) هكذا في النسختين، وفي تاريخ خليفة: «نعماس بن قرط الكلبي» (ص ٣٣٩).

ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي إفريقية والمغرب^(١)

وهو ابن أخي أبي الأعور السلمي صاحب خيل معاوية بصفين، فقدم إفريقية سنة عشر ومئة في ربيع الأول، فدخل القبروان فجاءه ذلك يوم الجمعة. فألفى خليفة بشر بن صفوان قد تهياً لشهود الجمعة، ولبس ثيابه، فقيل له: هذا عبيدة قد قدم أميراً، فقال: لا حَوْلَ^(٢) ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ هكذا تقوم الساعة بعثة وألقى بنفسه، فما حلته رجلاه، ودخل عبيدة، فأخذ عمال بشر وأصحابه، فحبسهم وأغرمهم وعدّ بعضاً منهم^(٣).

وفي سنة عشر ومئة: ولَّ عبيدة بن عبد الرحمن المذكور عثمان بن أبي نسعة على الأندلس، فقدمها في شعبان^(٤).

وفي سنة إحدى عشرة ومئة: قدم إلى الأندلس والياً أيضاً من قبل عبيدة بن عبد الرحمن صاحب إفريقية والمغارب كله حذيفة بن الأحوص القيسى، وقيل: الأشجعى، وذلك في غرة محرم من السنة المذكورة^(٥).

وفي سنة اثنى عشرة: ولَّ عبيدة المذكور على الأندلس أيضاً الهيثم بن عبيدة الكنانى، فقدمها في محرم أيضاً من هذه السنة، ثم توفي سنة أربع عشرة ومئة، فكانت ولايته ستين وأياماً.

(١) ينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤ / ٣٠.

(٢) قوله: «لا حَوْلَ» ليس في رواية.

(٣) الخبر في الحلة السيراء لابن الأبار ١ / ٦٤ - ٦٥.

(٤) الكامل لابن الأثير ٥ / ١٤٦، ذكر ابن الأثير أن عبيدة استعمل حذيفة بن الأحوص الأشجعى، فقدم الأندلس في ربيع الأول سنة ١١٠ هـ وبقي والياً عليها ستة أشهر ثم عزل بعثمان بن أبي نسعة، ولعل هذا هو الصواب.

(٥) هكذا قال وفيه اضطراب واضح، فهل تولاه ثانية؟! وذكر ابن الأثير أن الذي تولى الأندلس في محرم سنة ١١١ هو الهيثم بن عبيدة الكنانى، وأنه أقام والياً عليها عشرة أشهر وأياماً، ثم توفي في ذي الحجة، فقدم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعى، وكانت ولايته شهران، وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى في صفر سنة اثنى عشرة ومئة، واستشهد في أرض العدو في رمضان سنة أربع عشرة ومئة (الكامل ٥ / ٤٩٠)، وما ذكر هنا فمضطرب.

ولما أخذ عيادة عمّال بشر وأصحابه، وأغرّهم، وعذّبهم، كان فيهم أبو الخطّار الحسّام بن ضرار الكلبي^(١)، وكان شريعاً في قومه، مع فصاحة وبراعة. وكان ولّي في إفريقية ولايات كبيرة في أيام بشر بن صفوان، فعزله عيادة ونكل به، فقال [من الطويل]:

أَفَأُتُمْ بَنِي مَرْوَانَ قَيْسًا دِمَاءنَا
كَائِنُكُمْ لَمْ تَشْهُدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ
تَعَامِيْتُمْ عَنَّا بَعْنَى جَلِيَّةٍ
وَأَنْتُمْ كَذَا مَا قَدْ عَلِمْنَا لَنَا فُعْلُ^(٢)

وبعث بهذه الأبيات إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، فأمر هشام بعزل عيادة عن إفريقية والمغرب، فقفّل^(٣) واستخلف عقبة بن قدامة، وذلك^(٤) في شوال سنة أربع عشرة ومئة. فكان ملك عيادة بإفريقية أربع سنين وستة أشهر. وتوجه إلى الشام سنة أربع عشرة ومئة ببدايا وتحف عظيمة، وبقي خليفته على القيروان ستة أشهر.

وفي سنة ثلاثة عشرة ومئة: كان عمّال إفريقية والأندلس الذين كانوا في السنة قبلها. ثمّ ولـيـ الـأنـدلـسـ عبدـ الرـحـمـنـ بنـ عـبـدـ اللهـ الغـافـقـيـ^(٥). فغزا الروم، واستشهد

(١) ترجمته في جذوة المقتبس (٤٠٣) وتعليقنا عليها.

(٢) جاءت الأبيات في ر:

أَفَادَتْ بَنُو مَرْوَانَ قَيْسًا دِمَاءنَا
كَائِنُهُمْ لَمْ يَشْهُدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ
تَعَاقَلْتُمْ عَنَّا كَانَ لَمْ نَكُنْ لَكُمْ
صَدِيقًا وَأَنْتُمْ مَا رَعَيْتُمْ لَنَا فُعْلُ

وهي متفقة مع ما ورد في جذوة المقتبس، ص ٢٩٢.

(٣) بعد هذا في أ: « منه ».

(٤) ليست في ر.

(٥) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١ / ٣٤٢ (٧٧٠)، وجذوة المقتبس (٦٠٤)، وبغية الملتمس (١٠٢١)، وتاريخ الإسلام ٣ / ٢٧٣، وتهذيب الكمال ١٧ / ٢٤٣ - ٢٤٥.

مع جماعة من عسكره سنة خمس عشرة ومئة بموضع يُعرف ببلاط الشهداء. وفيها أصاب الناس مجاعةً عظيمة.

ولاية عبيد الله بن الحبحاب^(١) إفريقية والمغرب كله

وهو مولىبني سلول. وكان رئيساً نبيلاً، وأميرًا جليلًا، بارعًا في الفصاحة والخطابة، حافظًا لأيام العرب وأشعارها ووقائعها. فقدَم إفريقية في ربيع الآخر من سنة ست عشرة ومئة. وهو الذي بَنَى المسجد الجامع دار الصناعة بتونس. وكان أولَ الأمر كاتِبًا. ثم تناهَتْ به الحال إلى ولاية مصر وإفريقية والأندلس والمغرب كلُّه، فاستخلفَ على مصر ابنه القاسم، واستعملَ على الأندلس عقبة بن الحجاج السَّلْوَلِيَّ^(٢)، واستعملَ على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ابنه إسماعيل، ثم عمرَ بن عبد الله المُراديَّ.

وبعث حبيب^(٣) بن أبي عبدة^(٤) بن عقبة بن نافع الفهريَّ غازياً إلى السُّوس الأقصى، فبلغَ أرض السُّودان، ولم يقابلْه أحدٌ إلا ظهرَ عليه، ولم يدعَ بالغرب قبيلةً إلا دخلها وأصابَ من السبي أمراً عظيمًا. ووجد جاريَّين ليس لكل واحدة منها إلا ثديُّ واحدٍ. ثم رجع سالماً ظافراً. فغزا صقلية وظفرَ بأمر لم يُرِّ مثله.

ثم إنَّ عمرَ بن عبد الله المُراديَّ، عاملَ طنجة وما والاها، أساءَ السيرة وتعدَّى في الصدقات والعُسر، وأرادَ تَخْمِيس البرير، وزعمَ أنَّهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عاملٌ قبله، وإنما كان الولاة يُخْمِسون من لم يَحِبَ للإسلام. فكان فعلُه الدَّمِيم هذا سبباً لنقضِّ البلاد ووقوعِ الفتنة العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد، نعوذ^(٥) بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله.

(١) تاريخ الإسلام ٦٩١/٣.

(٢) جذوة المقتبس (٧٤٠)، والحلة السيراء لابن الأبار ٢/٢٣٦.

(٣) ترجمته في جذوة المقتبس (٣٩٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٢/٤٢، وتاريخ الإسلام ٣/٣٩٤.

(٤) هكذا في النسخ، وفي مصادر ترجمته: «عبيدة».

(٥) من هنا إلى آخر الفقرة ليس في ر١.

فلما علم البربر خروج حبيب بن أبي عبدة إلى بلاد الروم، نقضوا الطاعة لعبيد الله^(١) بن الحبّاب بطنجه وأقاليمها، وتَدَاعَت برابر المغرب بأسره، فشارت البربر بالغرب الأقصى، فكانت أول ثورة فيه وفي إفريقيا في الإسلام.

وفي سنة اثنتين وعشرين ومئة: كانت ثورة البربر بالغرب، فخرج ميسرة المدْغَرِيُّ، وقام على عمر بن عبد الله المُرادي بطنجه، فقتله. وثارت البرابر كلُّها مع أميرهم ميسرة الحَقِير. ثم خَلَفَ ميسرة على طنجه عبد الأعلى بن حُديج، وزحف إلى إسماعيل بن عبيد الله بن الحبّاب إلى السُّوس، فقتلته. ثم كانت^(٢) وقائع كثيرة بين أهل المغرب الأقصى وأهل إفريقيا، يطول ذِكرُها. وكان بالغرب حينئذ قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج، ولم يَعْدُ كثيرون شوكة كبيرة، وهم بَرْغَوَاطة.

وكان السبب في ثورة البربر وقيام ميسرة أنها أنكرت على عامل ابن الحبّاب سُوء سيرته كما ذكرنا. وكان الْخُلُفاءُ بالشرق يستحبون طرائف المغرب، ويعثون فيها إلى عامل إفريقيا، فيبعثون لهم البربريات المسبيات^(٣) فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبّاب، منأهُم بالكثير، وتتكلّف لهم أو كلفوه أكثر مما كان. فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة. فحينئذ عَدَت برابر^(٤) على عاملِهم، فقتلواه وثاروا بآجمعهم على ابن الحبّاب.

وكان لعبيد الله بن الحبّاب أولاد قد أعجبتهم أنفسهم، فقدم عقبة بن الحجاج عليهم، وكان أبو عقبة قد أعتق الحبّاب والد عبيد الله. فلما دخل عقبة على عبيد الله، قام إليه، وأعظمه، وأقعده على سريره. فلما خرج عقبة من عنده، أنكر ذلك عليه أولاده^(٥)، فقال لهم: ما رأيكم؟ قالوا: أن تعطيه شيئاً وتصرفه عنا فلا

(١) في ر ١: «على عبيد الله».

(٢) في ر ١: «فكانت».

(٣) في م: «السننات»، وهو تحريف.

(٤) في ر ١: «البربر».

(٥) في ر ١: «أولادهم»، وليس بشيء.

يكسر شَرْفنا. فقال لهم: نعم. فلما كان في غدِّ، أمرَ الناسَ، فدخلوا عليه ودخل عُقبة في جُملتهم فقامَ إليه، وأجلسهُ على سريره، ووقفَ قائماً، فقال: أيها الناس، إنَّ بنى هؤلاء غَرَّتهم غَرَّةُ الشيطان لعزةٍ^(١) السُّلطان، وأرادوا أمراً أخرجُ به عن الحقِّ، وأنكروا ما رأوا من بُرُّي بهذا الرجل، وإنما أخبرُكم أنه مَوْلَاي، وأنَّ آباءَ أعتقَ أبي وأنا أكْرَهُ كِتْمَانَ أمِّ اللهُ سُبْحَانَهُ شهيدٌ به علىَّ. ثمَّ خَيَّرَ عُقبةَ في ولاته ما شاءَه من سُلطانه، فاختارَ الْأَنْدُلُسَ، فولَاه عليها، وذلك في^(٢) سنة ستَّ عشرة ومئة. وأقام بها إلى سنة إحدى وعشرين ومئة. وقام عليه عبدُ الملك بن قَطَن الفهري^(٣)، فخلعهُ. وقيل: بل هو استخلفهُ.

رَجْعُ الْخَيْرِ إِلَى مَيْسِرَةِ الْمَدْغَرِيِّ، رَأْسِ الصُّفْرَيَّةِ^(٤)، أميرُ الغرب: لَمَّا بلغ عَبْيَدُ اللهِ بنَ الْحَبْحَابَ قُتلَ عاملهُ وَوَلِيْدُهُ، كتبَ إِلَى صاحبِ جيشهِ^(٥) حَبِيبَ بنَ أَبِي عَبْدَةَ، يأْمُرُهُ بالرجوعِ من صِقْلَيَّةَ، ليأخذَ في الْخَرَكَةِ معَ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةِ إِلَى حَرْبِ^(٦) مَيْسِرَةَ. وَوَلَّ ابنَ الْحَبْحَابَ عَلَى عَسْكَرِ إِفْرِيقِيَّةِ وَأَشْرَافِهِمْ وَوَجْوهِهِمْ خَالِدَ بنَ أَبِي حَبِيبِ الفَهْرِيِّ. فَشَخَصَ إِلَى مَيْسِرَةَ، وَوَصَلَ حَبِيبَ بنَ أَبِي عَبْدَةَ فِي إِثْرِهِ. وَسَارَ خَالِدُ حَتَّى عَبَرَ وَادِيَ شَلَفَ^(٧)، وَهُوَ نَهْرٌ بِمَقْرَبَةِ تِيهَرْتِ. ثُمَّ قَدِمَ حَبِيبُ، فَنَزَّلَ عَلَى مَجَازِ الْوَادِيِّ^(٨) المذكورِ، فَلَمْ يَبْرُحْ مِنْهُ. وَمَضَى خَالِدُ مِنْ فُورِهِ حَتَّى لَقِيَ مَيْسِرَةَ بِمَقْرَبَةِ مِنْ طَنْجَةَ، فَاقْتُلَ مَعَهُ قَتَالاً شَدِيداً لَمْ يُسْمَعْ قُطُّ بِمُثْلِهِ. ثُمَّ انْصَرَفَ مَيْسِرَةَ إِلَى طَنْجَةَ فَأَنْكَرَتِ الْبَرِّيرُ عَلَيْهِ سَوْءَ سِيرَتِهِ وَتَغَيِّرَهُ عَمَّا كَانُوا بَايَعُوهُ عَلَيْهِ.

(١) في ر١: «بِقُوَّة».

(٢) ليست في ر١.

(٣) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١/٣٥٨ والتعليق عليه.

(٤) قوله: «رأْسِ الصُّفْرَيَّةِ» ليس في ر١.

(٥) قوله: «صاحبِ جيشهِ» ليس في أ.

(٦) ليست في أ.

(٧) الروض المعطار ٣٤٣.

(٨) في ر١: «وَادِيِّ الْمَجَازِ».

قال الرَّقيق: وكان مَيْسِرَة قد تسمى بالخلافة، وبويغ عليها، فقتلُوه وولوا أمرهم بعده خالد بن حُمَيْد الزَّناتِي. فالتحق خالد بن أبي^(١) حَبِيب بالبربر، فكان بينهم قتال شديد. فینا هم^(٢) كذلك إذ عَشِيُّهم خالد بن حُمَيْد الزَّناتِي من خلفهم بعسکرٍ عظيم، فتكاثرت عليهم البربر، فانهزم العرب وكَرِه خالد بن أبي حبيب أن يهرب، فألقى نفسه، هو وأصحابه، إلى الموت أَنفَةً من الفرار^(٣)، فُقْتُل ابن أبي حبيب ومن معه، حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد. فُقْتُل في تلك الواقعة حُمَاة العرب، وفُرسانُها، وكُمَاءُها، وأبطالُها، فسُمِّيت الغزوة غزوة الأشراف، فانتفضت البلاد. وبلغ أهل الأندلس ثورة البربر، فوثبوا على أميرهم؛ فعزلُوه وولوا عبد الملك بن قَطَن. فاختلت الأمور على ابن الحَبْحَاب، فاجتمع الناس عليه وعزلوه. وبلغ ذلك الخليفة هشام بن عبد الملك فقال: والله لا أغضبَنَّ لهم غَضْبَةً عَرَبِيَّةً ولا بَعْثَنَّ لهم جِيشًا أولَهُ عندهم وآخرَه عندِي^(٤) ثم كتب إلى ابن الحَبْحَاب بقدومه عليه، فخرج في جُمادى الأولى من سنة ثلاثة^(٥) وعشرين ومئة.

ولاية كُلُثوم بن عياض إفريقيـة^(٦) ومقاتلته مع أمير المغرب خالد بن حُمَيْد الزَّناتِي

ما بلغ هشام بن عبد الملك انتقامَ البلاد الغربية والأندلسية، بعث كُلُثوم بن عياض هذا إلى إفريقيـة، وعقد له على اثنين عشر ألفاً من أهل الشام. وكتب إلى والي كل بلد أن يخرج معه بمن معه. فصارت عمَال مصر وأطرabilس وبيرقة معه حتى قَدِم إفريقيـة في رمضان سنة ثلاثة وعشرين ومئة، فنكَبَ عن القَيْروان. وكان على

(١) سقطت من را.

(٢) في را: «فينما».

(٣) قوله: «أنفَة من الفرار» ليس في أ.

(٤) في را: «أوله عندِي وآخرَه عندَهُم»، خطأ.

(٥) في را: «ثمان»، خطأ.

(٦) ينظر تاريخ خليفة ٣٦٠.

طَلَائِعه بَلْجُ^(١) بْن بَشْر الْقُشَيْرِيُّ ابْن عَمِّه. فَلَمَّا وَصَلَ بَلْجُ، قَالَ لِأَهْل إِفْرِيقِيَّةِ: لَا تُغْلِقُوا أَبْوَابَكُمْ، حَتَّى يَعْرُفَ أَهْلُ الشَّامَ مَنَازِلَكُمْ^(٢). وَمَعَ ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ يَغْيِظُهُمْ بِهِ^(٣). فَكَتَبُوا إِلَى حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَبْدَةَ، يُعرِّفُونَهُ بِمَقَالَةِ بَلْجُ. فَكَتَبَ إِلَى كُلُّثُومٍ: إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ السَّيْفِيَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَارْحَلْ بِعَسْكَرِكَ عَنْهُمْ، وَإِلَّا حَوَّلْنَا أَعْنَةَ الْخَيْلِ إِلَيْكَ. فَكَتَبَ كُلُّثُومٌ يَعْتذرُ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُقِيمَ بِشَلَفٍ حَتَّى يَقْدُمُ عَلَيْهِ. فَاسْتَخَلَفَ كُلُّثُومٌ عَلَى الْقَيْرَوَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ عُقْبَةَ الْغَفارِيَّ، وَسَارَ حَتَّى عَسْكَرَ حَبِيبَ، فَرَفَضَهُ، وَاسْتَهَانَ بِهِ، وَسَبَّ بَلْجُ بْنَ بَشْرَ حَبِيبًا^(٤) وَتَنَقَّصَهُ، وَقَالَ: هَذَا الَّذِي يُحَوِّلُ أَعْنَةَ الْخَيْلِ إِلَيْنَا؟ فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنَ بْنَ حَبِيبَ، وَقَالَ: يَا بَلْجُ، هَذَا حَبِيبٌ فِي إِذَا شَئْتَ، فَاعْرِضْ لَهُ لِلْمَقَابِلَةِ، وَصَاحَ النَّاسُ: السَّلَاحُ السَّلَاحُ! فَهَمَّ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةِ إِلَى نَاحِيَّةِ، وَمَعْهُمْ أَهْلُ مِصْرَ. ثُمَّ سَعَى بَيْنَهُمْ فِي الصَّلْحِ. فَكَانَ هَذَا الْخَلْفَةُ سَبَبَ هَلاَكَهُمْ، مَعَ سَوءِ رَأِيِّ كُلُّثُومٍ وَبَلْجِ.

وَلَمَّا قَدِمَ كُلُّثُومٌ عَلَى وَادِي سُبُو^(٥)، وَهُوَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا، قَالَ ابْنُ الْقَطَّانَ: فِيهِمْ عَشْرَةَ آلَافَ مِنْ صُلْبِ بْنِي أُمَّيَّةَ، وَعِشْرُونَ أَلْفًا مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ. فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ حُمَيْدِ الرَّنَانِيُّ الَّذِي تَوَلََّ الْأَمْرَ بَعْدَ مَيْسِرَةِ فَوْجِهِ كُلُّثُومٌ بِلَجْأَةِ لَيْلَةً، لَيُوقَعُ بِالْبَرْبَرِ. فَسَرَى لِلَّيْلَةِ، وَأَوْقَعَ بَهُمْ عَنْدَ الصَّبَاحِ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ عُرَاءً، فَهَزَمُوهُ وَوَصَلُوا إِلَى كُلُّثُومٌ. فَأَمْرَ بَدَيْدَبَانَ^(٦) فَنُصِّبَ لَهُ، وَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَشَبَ الْقَتَالُ^(٧)، وَقَعَدَتِ الْبَرْبَرُ تَحْتَ الدَّرَقِ، وَنَاشَبَتِ الْخَيْلُ الْخَيْلَ، وَكَشَفَتِ خَيْلُ الْعَرَبِ خَيْلَ الْبَرْبَرِ، ثُمَّ

(١) ترجمته في جذوة المقتبس (٣٣٧) وتعليقنا عليه.

(٢) في ر١: «مَنَازِلَهُمْ»، وهو تحريف.

(٣) في ر١: «وَكَلَامٌ كَثِيرٌ مَعَ ذَلِكَ يَغْيِظُهُمْ».

(٤) في أ: «الْحَبِيب».

(٥) ينظر معجم البلدان ١٨٦/٣.

(٦) تقدِّمُ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، وَقَالَ دُوزِيُّ: «نَوْعٌ مِنَ الدَّبَابَاتِ الْمُتَحْرِكَةِ يَرْكُبُ فِيهَا القَائِدُ لِيَرْاقِبَ الْمَعْرَكَةَ وَيَصُدُّ مِنْهَا أَوْامِرَهُ» (المُسْتَدِرُكُ ٤٥٩/٤).

(٧) قَوْلُهُ: «وَقَعَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ نَشَبَ الْقَتَالُ» سَقْطٌ مِنْ ر١.

انكشفت خيل العرب، وألتفت الرجال بالرجال، فكان صبرٌ وقاتلٌ. وخلطت خيل البربر^(١) ورجالهم كلثوماً وأصحابه، فقتل كلثوم، وحبيب بن أبي عبدة، وسليمان بن أبي المهاجر، ووجوه العرب. فكانت هزيمة أهل الشام إلى الأندلس، وهزيمة أهل مصر وإفريقية إلى إفريقية.

قال ابن القطان: لما بعث هشام بن عبد الملك كلثوماً والياً على إفريقية والمغرب، أمره بالجحود والاجتهد في أمرها، إذ كان بنو أمية يجدون في الروايات^(٢) أن ملك القائمين عليهم لا يجاوز الزاب. فتوهموا أنه زاب مصر، وإنما كان زاب إفريقية. وعهد إليه في سدّها وضبطها، وعهد إن حدث بكلثوم حدث^(٣) أن يكون ابن أخيه بلج مكانه. فدارت بينه وبين البرير حروب، هزموا في بعضها كلثوم بن عياض وقتلوه، وصار أمراً العرب بإفريقية إلى بلج بالعهد المذكور. وبلغ فلتهم إلى سبعة، وبقوا بها حتى ضاق عليهم الأمر؛ فكاتب بلج وأصحابه عبد الملك بن قطن أمير الأندلس، وسألوه إدخالهم الأندلس. فلم يأْمِنْهم عبد الملك، ومطلهم بالميرية والسفُن. ثم اضطُرَّ إلى إدخالهم الأندلس بعد ذلك، لسبب أشرُّه في الجزء الثاني إن شاء الله، وهو موضعه في أخبار الأندلس. فكاتبهم، وشرط عليهم إقامة سنة في الأندلس، ثم يخرجون عنها. فرضوا بذلك، وكانوا نحو عشرة آلاف من عرب الشام. ولما دخلوا الأندلس وأقاموا فيها سنةً، ترفهوا بها. فأمرُهم عبد الملك بالخروج منها، كما اشترط عليهم. فامتنعوا، وقتلوا عبد الملك بن قطن، واستولى بلج على الأندلس، وبقي بها أحد عشر شهراً، أميراً. وقد شرحنا أمره في أخبار الأندلس في الجزء الثاني.

وقال الرقيق: لم ينهزم من أهل إفريقية إلا عبد الرحمن بن حبيب، فإنه جاز إلى الأندلس، فقال لأميرها عبد الملك بن قطن: هؤلاء أهل الشام يقولون: أبَعْثُ لنا مَائِكَبَ نجوز فيها، وهم، إن جازوا إليك، لم نأمنهم عليك. فلما أجازهم إليها، ما

(١) في ر ١: «العرب»، ولا تصح لما سيأتي.

(٢) في أ: «الدرایات».

(٣) سقطت من ر ١.

لبثوا فيها إلا سنة حتى وثبوا عليه مع بلج. فكانت بينهم اثنتا عشرة وقعة^(١)، كلها على عبد الملك بن قَطْنَ حتي قتلته بلج واستولى على الأندلس.

وفي سنة أربع وعشرين ومئة: قُتل بلج بالأندلس، ووليهما ثعلبة بن سالمة العاملية^(٢)، أقعده أصحاب بلج مكانه بما عهدا به هشام إليهم، وبايدهم. فثارت^(٣) في أيامه بقايا البربر بمبردة؛ فغزاهم ثعلبة، وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر منهم نحو الألف، ثم انصرف^(٤) إلى قُرطبة. فكانت ولايته عشرة أشهر. وفيها كان ابتداء ظهور برغواطة.

ذكر برغواطة وارتدادهم عن الإسلام^(٥)

قال ابن القطان وغيره: كان طريف من ولد شمعون بن إسحاق عليه السلام، وإن الصفرية رجعت إلى مدينة القيروان لنهبها واستباحتها في ثلاث مئة ألف من البربر مع أمير منهم. وكانوا قد اقتسموا بلاد إفريقيا وحررمتها وأموالها، فهزّهم الله تعالى بأهل القيروان، وهم في اثنى عشر ألف مقاتل، نصرهم الله تعالى عليهم، وخبرهم طويلاً، يمنع من إراده هنا خيفة التطاول. وكان طريف هذا من جملة قواد هذا العسكر، وإليه تُنسب جزيرة طريف. فلما هزمهم الله بأهل القيروان، وتفرقوا، وقتل من قُتل منهم، وتشتت جمعهم، سار طريف إلى تامسنا، وكانت بلاد بعض قبائل البربر. فنظر إلى شدة جهلهم، فقام فيهم، ودعا إلى نفسه، فبایعوه وقدّموه على أنفسهم، فشرع لهم ما شرع، ومات بعد مدة. وخلف من الولد أربعة. فقدم البربر ابنه صالحًا، فأقام فيهم على الشرع الذي شرعه أبوه طريف. وكان قد حضر مع أبيه حرب ميسرة الحمير ومجروه بن طالوت الصفررين، اللذين كانوا رأس الصفرية،

(١) في ر ١: «وقد».

(٢) ترجمته في جذوة المقتبس (٣٤٩) والتعليق عليه.

(٣) في أ: «فثار».

(٤) في أ: «وانصرف».

(٥) هذا العنوان والمادة الآتية بعده إلى ذكر ولاية حنظلة كله ليس في ر ١.

فَادَعَى أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ قُرْآنَهُ، الَّذِي كَانُوا يُقْرَأُونَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ صَالِحٌ لِلْمُؤْمِنِينَ،
الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

وَعَهْدُ صَالِحٍ إِلَى ابْنِهِ إِلْيَاسَ بِدِيَانَتِهِ، وَعَلَمَهُ شَرائِعَهُ، وَفَقَّهَهُ فِي دِينِهِ، وَأَمْرَهُ أَلَا
يُظْهِرُ الدِّيَانَةَ حَتَّى يَظْهُرَ أَمْرُهُ، وَيُنْتَشِرَ خَبْرُهُ، فَيَقْتُلُ حِينَئِذٍ مِنْ خَالَفَهُ، وَأَمْرَهُ بِمُوَاْلَةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَنْدَلُسِ. وَخَرَجَ صَالِحٌ إِلَى الْمَشْرُقِ، وَوَعْدُهُ أَنَّهُ يَرْجِعُ فِي دُولَةِ السَّابِعِ
مِنْ مُلُوكِهِمْ، وَزَعْمَ أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لِقَاتَالِ الدَّجَالِ وَأَنَّ عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكُونُ مِنْ رِجَالِهِ وَأَنَّهُ يُصَلِّي عَلَيْهِ خَلْفَهُ. وَذَكَرَ فِي ذَلِكَ كَلَامًا نَسَبَهُ إِلَى مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَوَلَّيَ بَعْدَ خَرْجِهِ إِلَى الْمَشْرُقِ ابْنُهُ إِلْيَاسَ خَمْسِينَ سَنَةً. فَكَتَمَ شَرِيعَتَهُ إِلَى سَنَةِ
ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ وَمِئَةً. فَخُرُّجَ عَنِ الْمَشْرُقِ كُلَّهُ مِنْ أَمْرِ صَالِحٍ وَابْنِهِ أَنَّ ابْتِداَءَهُ كَانَ فِي
هَذِهِ السَّنَةِ، أَوِ التِّي قَبْلَهَا، وَمَا يَأْتِي بَعْدَهَا مِنِ السَّنِينِ، إِذْ خَمْسُونَ سَنَةً آخِرُهَا سَنَةٌ
ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ وَمِئَةً، مِبْدَأَهَا سَنَةٌ أَرْبَعُ وَعِشْرِينَ وَمِئَةً أَوْ نَحْوُهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلَايَةُ حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانِ^(۱) إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ كُلَّهُ^(۲)

وَلَا يَبْلُغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(۳) هَشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمُلْكِ قَتْلُ كُلْثُومَ بْنَ عِيَاضِ وَأَصْحَابِهِ،
بَعْثَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانِ الْكَلْبِيِّ. وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى مِصْرَ، وَلَا
عَلَيْهَا سَنَةٌ تَسْعَ عَشْرَةَ وَمِئَةً. فَقَدِمَهَا فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا. فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ
أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ عَامِلًا، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَبَا الْخَطَّارِ حُسَامَ بْنَ ضِرَارِ الْكَلْبِيِّ. فَسَارَ فِي
الْبَحْرِ مِنْ تَوْسُّنٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَالْيَأْمَاءِ عَلَيْهَا، فَقَدِمَهَا فِي رَجَبٍ، وَسَأَذْكُرُ خَبْرَهُ فِي أَخْبَارِ
الْأَنْدَلُسِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنْ أَخْبَارِ حَنْظَلَةَ أَمِيرِ إِفْرِيقِيَّةِ مَعَ أُمَّرَاءِ بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْغَرْبِيَّةِ: وَذَلِكَ لِمَا
اسْتَقَرَ حَنْظَلَةَ بِالْقَيْرَوَانِ، لَمْ يَمْكُثْ فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى زَحَفَ إِلَيْهِ عُكَاشَةَ الصُّفْرِيِّ

(۱) ترجمته في تاريخ الإسلام ۸۵۳/۳.

(۲) جاء العنوان في ر ۱: «ولادة حنظلة بن صفوان المغرب».

(۳) قوله: «أمير المؤمنين» ليس في ر ۱.

الخارجيُّ، في جمع عظيم من البربر، وزحفَ أيضًا إلى حنْظلة عبد الواحد بن يزيد الهاوريُّ في عدد عظيم. وكانا افترقا في الزاب. فأخذ عُكاشة على طريق مَجَانة، فنزل بالقيروان، وأخذ عبد الواحد على طريق الجبال، وعلى مقدمته أبو قرَّة المغيليُّ. فرأى حنْظلة أن يُعجل قتال عُكاشة، قبل أن يجتمعوا عليه، فزحف إليه بجماعة أهل القيروان، فالتقوا بالقرن، وكان بينهم قتال شديد، فهزم الله عُكاشة ومن معه، وقتل من البربر ما لا يُحصى كثرةً. وقيل: إن حنْظلة، لما رأى ما دَهِمَه من البربر، قال لأصحابه: نَسْتَمِدُ أمير المؤمنين، فقال له شابٌ جميل الوجه: بل نخرج إلى عدوّنا حتى يحكم الله بيننا، فعزّم حنْظلة، وخرج، فهزم الله عُكاشة في خبر طويل.

قال عبد الله بن أبي ^(١) حسان ^(٢): فأخرج حنْظلة ^(٣) كلَّ ما في الخزائن من السلاح، وأحضر الأموال، ونادى في الناس، فأول من دخل عليه، رجلٌ من يَحْصُب. فقال له: ما اسمك؟ فقال ^(٤): نَصر بن يَنْعَم. قال: فتبسم حنْظلة كالْمُكَذِّب له وقال له: بالله أصدق! فقال: والله، ما لي اسمٌ غير ما قُلْتُ لك. فتفاءل به، وقال: نَصر وفتح. فأعطى الناس، وخرج لمقابلة الصُّفريَّة، وهم الخوارج. فكان بينه وبينهم حربٌ يطول ذكرها، فالتحم فيها القتال، وتداعى الأبطال، ولزم الرجال الأرض، فلا تسمع إلا وقع الحديد على الحديد، وتقابض الأيدي بالأيدي. وكانت كسرةً على ميسرة العرب، ثم انكسرت ميسرة البربر وقبعهم، ثم كَرَّت العرب على ميمنة البربر، فكانت المزيمة. وسيق إلى حنْظلة رأس عبد الواحد، وأخذ عُكاشة أسيرًا، فأتي به إلى حنْظلة، فقتله وخرَّ لله ساجداً.

وقيل: إنَّه ما عُلم في الأرض مقتلة كانت أعظم منها؛ أراد حنْظلة أن يُحْصي من قُتل، وأمرَ بعدهم، فما قُدر على ذلك، فأمر بقصبٍ، فطُرِح على كل قتيل قصبة ^(٥).

(١) سقطت من ر١.

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٥٩٤ / ٥.

(٣) ليس في ر١.

(٤) في ر١: «قال».

(٥) في أ: «فطرح قصبة على كل قتيل»، وما هنا من ر١.

ثم جُمعت القَصَبُ، وعُدَّتْ، فكانت القتلى^(١) مئة ألف وثمانين ألفاً وكانوا صُفْرِيَّةً يستحلُّون النساء وسُفْلَ الدماء.

وكتب بذلك حَنْظَلَةً^(٢) إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، فسُرَّ بذلك سروراً عظيماً^(٣)، وكان الليث بن سعد يقول: ما غزوة كنتُ أحبُّ أن أشهدَها، بعد غزوة بدر، أحبُّ إلى من غزوة القرن والأصنام.

وفي سنة خمس وعشرين ومئة: تُوفَّى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بعلة الْذُبُحَةِ^(٤). وعَمِّهُ في هذه السنة هم الذين كانوا في السنة قبلها، ومن جُملتهم: حَفْصَ بن الْوَلِيدَ^(٥) على مصر، وحَنْظَلَةَ بن صَفْوانَ على إفريقيا والمغرب^(٦)، وأبو الخطَّار على الأندلس. ثم استُخلفَ بعده الوليد بن يزيد، يوم موت هشام بن عبد الملك، وذلك يوم الأربعاء لستَّ خَلَوْنَ من ربيع الآخر^(٧).

وفي سنة ست وعشرين ومئة: تُوفَّى الوليد بن يزيد مقتولاً، يوم الخميس لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة^(٨)، قتله يزيد بن الوليد المسمى بالناقض واستُخلفَ من بعده^(٩). ولم يكن في أيامه في هذه السنة بإفريقيا أمرٌ. وبُويع بدمشق وجعل العهد بعده لأخيه^(١٠) إبراهيم. وتُوفَّى في ذي الحجَّةِ^(١١) من هذه السنة^(١٢)؛ واستُخلفَ

(١) ليست في را.

(٢) في را: «وكتب حنظلة بالفتح».

(٣) في را: «فسرَ به».

(٤) تاريخ خليفة ٣٥٦، وتاريخ الطبرى ٢٠٠ / ٧.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٣٩٨ / ٣.

(٦) في را: «على المغرب» فقط.

(٧) تاريخ خليفة ٣٦٩، وتاريخ الطبرى ٢٠٨ / ٦.

(٨) تاريخ خليفة ٣٦٩، وتاريخ الطبرى ٢٥٢ / ٧.

(٩) في أ: «واستخلف يزيد».

(١٠) في أ: «لابنه»، وما أثبتناه من را وهو الصواب، وينظر تاريخ الطبرى ٢٩٥ / ٧.

(١١) قوله: «في ذي الحجَّةِ» ليس في را.

(١٢) تاريخ خليفة ٣٦٩، وتاريخ الطبرى ٢٩٨ / ٧.

إبراهيم بن الوليد^(١)، فأقام نحو شهر ونصف. ثم خلع نفسه لموان الجعدي، فقيل: إنه نَبَشَ على يزيد بن الوليد وأخرجَه من قبره وصَلَبه^(٢).

انتزاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري^(٣) بإفريقية وبعض أخباره^(٤)

كان عبد الرحمن بن حبيب هذا قد هرب إلى الأندلس عند هزيمته من الواقعة^(٥) التي قُتل فيها أبوه حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع، مع كُلثوم بن عياض. فلم يزل، وهو بالأندلس، يُحاوِل أن يتغلّب عليها. فلم يمكنه ما أراد، إلى أن وجَهَ حنْظَلَةُ أبا الخطَّارِ إليها، فخافَ على نفسه، وخرجَ مُسْتَرًا، فركَ البحرَ إلى تونس، فنزلَ بها، وذلك في جُمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومئة. فدعا الناس إلى نفسه، فأجابوه. وأراد حنْظَلَةُ الخروجَ إليه، والزحفَ لقتاله. ثمَّ كره قتال المسلمين، وكان ذا وَرْعَ ودين، فوجَهَ إليه^(٦) حنْظَلَةُ جماعةً من وجوه إفريقية يدعونه إلى مراجعة الطاعة. فلما قدموا عليه، أوثقُهم في الحديد، وأقبل بهم إلى القيروان، وقال: إن رَمَى أحدُ من أوليائهم بحجر، قتلُهم، وكانوا وجوههم ورؤسائهم. فلما رأى حنْظَلَةَ ذلك، دعا القاضي والعُدُولَ، وفتحَ بيت المال، فأخذَ منه ألف دينار، وترك الباقي، وقال: لا أتبَسَ منه إلَّا بقدر ما يكفيوني ويبلُغُني، ثمَّ شخصَ عن إفريقية في^(٧) سنة تسْعَ وعشرين ومئة في جُمادى الأولى. وأقبل عبد الرحمن حتى دخل القيروان، ونادَى مُناديه: لا يَخْرُجَنَّ أحدٌ مع حنْظَلَةَ، ولا يشيَّعَه أحدٌ. فرجعَ عنه الناسُ خوفًا من عبد الرحمن. ولما قفلَ حنْظَلَةُ إلى المشرق، دعا على عبد الرحمن وعلى أهل إفريقية،

(١) في أ، م: «يزيد» خطأ، كما بينا سابقاً.

(٢) تاريخ الطبرى ٣١١ / ٧.

(٣) ترجمته في جذوة المقتبس (٥٩٥) والتعليق عليه.

(٤) جاء العنوان في ر ١: «انتزاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري وبعض أخباره في انتزائه».

(٥) في ر ١: «الواقعة».

(٦) في أ، م: «إلى»، خطأ.

(٧) ليست في ر ١.

وكان مُستجابَ الدعوة، فوقع الوباءُ والطاعون بِإفريقيَّة سبع^(١) سنين، لا يكاد يرتفع إلَّا مرَّةً في الشتاء ومرَّةً في الصيف.

وقال بعض المؤرِّخين: إنَّ مروان بن محمد الجَعْدِيَّ بعثَ إلَى عبد الرحمن بن حبيب بولايته على إفريقيَّة بعد تغلُّبه عليها.

ولمَّا ولي عبد الرحمن، ثارَ عَلَيْهِ جماعةٌ من العرب والبربر. ثمَّ ثارَ عَلَيْهِ عُروبة بن الوليد الصَّدِيقُ، فاستولى على تونس، وثارَ عَلَيْهِ عَرَبُ الساحل، وقامَ عَلَيْهِ ابن^(٢) عَطَافَ الأَزْدِيُّ. وثارت البربر في الجبال. وثارَ ثابتُ الصُّنْهاجي بِباجة، فأخذها. فخرجَ إلَيْهِ إلياسُ بن حبيب، أخو عبد الرحمن، في ستَّ مائةٍ فارسٍ، ولمْ يُظْهِرْ أَنَّهُ خرجَ إلَيْهِ، بل أَعْمَلَ الحيلةَ مع أخيه في ذلك. ولمَّا وصلَ الجاسوسُ، وقالَ: إنَّ القومَ آمِنُونَ غافلُونَ^(٣)، خرجَ العسْكُرُ إلَيْهِمْ، فقتلَ ابنَ عَطَافَ وأصحابِه، وأمعنَ عبدُ الرحمن بن حبيب في قتلِ البربر، وامتحنَ النَّاسَ بِهِمْ، وابتلاهُم بِقتْلِ الرجالِ صَبَرًا، يؤتَى بالأسيرِ من البربر، فيأمرُ مَنْ يَتَهَمِّه بِتحرِيمِ دمه بِقتْلِه، فيقتله. وكانت بِإفريقيَّة حروُبٌ ووقائعٌ يطولُ ذكرُها.

وكان عبدُ الرحمن بن حبيب قد كتبَ إلَى مروان بن محمد، وأهدىَ إلَيْهِ المدِيَا، فكتَبَ إلَيْهِ مروان، يأمرُه بالقدومِ عَلَيْهِ. ثُمَّ ضعَفَ أَمْرُ بني أمِيَّةَ بِالْمَشْرُقِ، واشتغلَ مروان بِحربِ المُسَوَّدة^(٤). فأقامَ عبدُ الرحمن بالقَيْرَوانَ، حتَّى كانتْ سنتُ خمسَ وثلاثينَ ومائةً. فغزا تِلْمُسَانَ، وخلَّفَ ابْنَهْ حبيبًا عَلَى القَيْرَوانَ، فظفرَ بِطُوائفِ من البربرِ، وعادَ إلَى القَيْرَوانَ، ثُمَّ غزَى صقلِيَّةً، ثُمَّ بعثَ إلَى سَرْدَانِيَّة^(٥)، فقتلَ بِهَا^(٦) قتالًا ذريعًا، ثُمَّ صاحَوَهُ عَلَى الجزيرَةِ. وبعثَ إلَى إِفْرَنْجَةَ، فأتَى بِسَبِيلِهَا؛ ودَوَّخَ المَغْرِبَ كُلَّهُ،

(١) في رأي: «ست».

(٢) في رأي: «أبو».

(٣) في رأي: «آمنين غافلين»، خطأ.

(٤) هم العباسيون اتخذوا السواد شعارًا لهم.

(٥) معجم البلدان ٣/٢٠٩.

(٦) فيرأي: «من بها».

وأذلَّ مَنْ بِهِ^(١) مِنَ الْقَبَائِلِ، لَمْ يُهْزَمْ لَهُ عَسْكُرٌ، وَلَا رُدَّتْ لَهُ رَايَةٌ، وَدَخَلَ^(٢) جَمِيعَ أَهْلِ
الْمَغْرِبِ الرَّعْبِ وَالْخُوفِ مِنْهُ.

وُقُتِلَ مُروانُ بْنُ مُحَمَّدَ بِالْمَشْرِقِ، وَزَالَتْ دُولَةُ بَنِي أُمِّيَّةَ^(٣)، وَبَقِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ بْنَ حَبِيبٍ
أَمِيرِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ. وَهَرَبَ جَمِيعًا مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ خَوْفًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ،
وَمَعْهُمْ حُرَمَهُمْ، فَتَزَوَّجُ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنُ وَإِخْوَتُهُ. وَكَانَ فِيمَنْ قَدِمَ ابْنَانِ لِلْوَلِيدِ بْنِ
يَزِيدَ، وَكَانَتْ ابْنَةُ عَمِّهِمْ أَعْنَمَهُمْ أَعْنَمَهُمْ عِنْدَ إِلِيَّا سَبْنَ حَبِيبٍ، فَأَنْزَلَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنَ فِي دَارٍ، ثُمَّ احْتَالَ
فِي بَعْضِ الْلَّيَالِيِّ، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمَا مِنْ مَوْضِعٍ خَفِيٍّ، وَهُمَا عَلَى نَبِيِّنَا، وَمَوْلَاهُمَا يَسْقِيهِمَا،
إِذْ قَالَ أَحَدُهُمَا: أَيُظْنُ عَبْدُ الرَّحْمَنَ أَنَّهُ يَبْقَى أَمِيرًا مَعْنَا، وَنَحْنُ أُولَادُ الْخَلِيفَةِ؟ فَلَمَّا
سَمِعْهُمْ هَذَا مِنْهُ، انْصَرَفَ. ثُمَّ دَعَا هُمَا، وَأَظْهَرَهُمَا بَشَرًا، حَتَّى أَتَاهُمَا مِنْ أَخْبَرِهِمَا أَنَّ
عَبْدَ الرَّحْمَنَ سَمِعَ كَلَامَهُمَا. فَرَكِبَا جَمَلَيْنِ وَهَرَبَا. فَبَعْثَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ^(٤) الْخَيلَ فِي طَلْبِهِمَا،
وَأَدْرَكَاهُمَا. فَأَمْرَ بِضُربِ أَعْنَاقِهِمَا. وَكَانَتْ ابْنَةُ عَمِّهِمَا عِنْدَ إِلِيَّا سَبْنَ حَبِيبٍ، فَقَالَتْ لَهُ: قُتِلَ أَخْتَانُكَ،
وَأَنْتَ صَاحِبُ حَرْبِهِ وَصَاحِبُ سِيفِهِ، وَجَعَلَ الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِهِ لِحَبِيبٍ وَلَدَهُ، فَهَذَا
تَهَاوُنُ بَكَ، وَلَمْ تَزُلْ بِهِ حَتَّى اجْتَمَعَ رَأْيُ إِلِيَّا سَبْنَ حَبِيبٍ وَأَخْيَهِ عَبْدَ الْوَارِثِ عَلَى قُتْلِ أَخِيهِمَا
عَبْدَ الرَّحْمَنِ. وَهَاوَدَهُمَا عَلَى ذَلِكَ جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ عَلَى مَا يَأْتِي ذُكْرُهُ.

وَفِي سَنَةِ سِعِيْ وَعِشْرِينِ وَمِئَةً: كَانَ دُخُولُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيبٍ هَذَا إِفْرِيقِيَّةَ
وَدُعَاوَهُ لِنَفْسِهِ، كَمَا تَقْدَمَ. وَفِيهَا كَانَ انتزاعُ ثُوَابَةِ بْنِ سَلَامَةِ بِالْأَنْدَلُسِ، وَبُوْيِعَ بِهَا.
وَكَانَ قَدْ هَزِمَ^(٥) أَبَا الْخَطَّارَ سَنَةَ خَمْسِ وَعِشْرِينِ وَمِئَةً. وَتَمَّ لِهِ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ،
لَكِنْ بِغَيْرِ^(٦) مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ، وَلَا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، بَلْ عَنْوَةً بِالسِّيفِ. وَأَقَامَ مَعَهُ الصَّمِيلُ،
فَكَانَ السُّلْطَانُ لِثُوَابَةِ وَالْأَمْرِ لِلصَّمِيلِ.

(١) فِي ر١: «بَهَا».

(٢) فِي ر١: «وَدَخَلَ».

(٣) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٧/٤٣٧.

(٤) الاسمُ لِيُسُ في ر١.

(٥) فِي ر١: «تَقْدَم»، وَهُوَ تَحْرِيفُ ظَاهِرٍ.

(٦) فِي أ١، م١: «لَكِنْ لَا بِعَهْدٍ»، وَمَا هَنَا مِنْ ر١.

وفي سنة ثمانٍ وعشرين ومئة: هلك أمير الأندلس ثُوابة في شعبان، فكانت دولته نحو سنة، حسبما ذكر ذلك في أخبار الأندلس، إن شاء الله. فبقيت الأندلس دون أمير أربعة أشهر. فاجتمع الناس على الصَّمِيل بن حاتِم، فوق نظره ونظرُهم على تقديم يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

وفي سنة تسع وعشرين ومئة: استقلَّ يوسف الفهري بولاية الأندلس، فكانت ولايته إِيَّاهَا عَشْرَ سِنِينَ: فما من سنة من هذه السنين إِلَّا ويمكن أن يكون له فيها غَزْوَة، إذ قالوا: إِنَّهُ وَاصِلُ الْجَهَادِ؛ وَسَيَّاْتِي ذِكْرُهُ وَخَبْرُهُ فِي خَبَرِ الْأَنْدَلُسِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وفيها كانت بالأندلس حروبٌ ووقائعٌ وغلاٌءٌ في السُّعْرِ. وقيل: إنَّ ولاية يوسف كانت في صَفَرٍ من هذه السنة، وإنَّهم كتبوا لعبد الرحمن بن حبيب عامل القiroان، فأنفذَ إِلَيْهِ عهده بولاية الأندلس.

وفي سنة ثلاثين ومئة: كان استيلاء أبي مُسلِّم على مَرْو^(١)، وتفریقه كلمة العَرَبِ، واختيارة اليهانية لُنصرَتِهِ، وتشريده المُضْرِيَّة، وكان له غَزَواتٌ ومواقعاتٌ، وعبد الرحمن بن حبيب أمير إفريقيَّة كذلك، في حروب ووقائع مع البربر.

وفي سنة إحدى وثلاثين ومئة: كان استيلاء أبي مُسلِّم على خُراسان، وعامل مصر وإفريقيَّة والأندلس على ما كان عليه قبل ذلك. وفيها بَنَى عبد الرحمن بن حبيب سُورَ مدِينة أَطْرَابُلُس، وانتقلَ النَّاسُ إِلَيْها من كُلِّ مكان.

وفي سنة اثنين وثلاثين ومئة: كانت الْوَقْعَةُ الَّتِي هُزِمَ فيها الأُمُوِّيُّونَ مع ابن هُبَيْرَةَ، وفتح العَبَاسِيَّةَ لِلْكُوفَةَ. ثُمَّ اتَّصَلَتِ الْوَلَايَاتُ الْعَبَاسِيَّةُ، وَالْفَتوحُ لِلْبَلَادِ الْشَّرْقِيَّةِ، وَخَرَوْجُهَا عَنِ الْأُمُوِّيَّةِ وَاحِدًا مِنْ بَعْدِ وَاحِدٍ. فُقِتِلَ مروان بن محمد^(٢) الجَعْدِيُّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَانْقَطَعَتِ الدُّولَةُ الْأُمُوِّيَّةُ. وَكَانَتْ دُولَتُهُمْ إِحْدَى وَتِسْعِينَ سَنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ. وَخَلَفَهُمْ^(٣) أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا: مِنْهَا أَيَّامُ ابْنِ الزُّبِيرِ تِسْعَ سَنِينَ وَاثْنَانَ وَعِشْرُونَ يَوْمًا.

(١) تاريخ الطبرى ٣٧٧ / ٧.

(٢) قوله: «ابن محمد» ليس في را.

(٣) في أ، م: «وهم».

ثم تفرقت بنو أمية في البلاد هرباً بأنفسهم، وهرب عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، فباعه أهلها وتجددت لهم بها دولة استمرت إلى بعد الأربع والعشرين والأربعين مئة.

فانقطعت دولتهم ستَّ سنين أو نحوها، من هذه السنة إلى حين دخول عبد الرحمن الأندلس، وجددها في^(١) سنة سبع وثلاثين ومائة. فإن صحَّ أنَّ عَهْدَ عبد الرحمن بن حبيب، صاحب القيروان وإفريقية من قِبَلِ بني أمية، وصلَ إلى يوسف بن^(٢) عبد الرحمن المتغلب على الأندلس، الذي أدخل عبد الرحمن إليها وهو أميرها، فعلى هذا، كانت لهم دولة متصلة بالأندلس. فتأملُ هذا: فإنَّه، إنْ صحَّ، نُكْتهُ غَرِيبَةٌ وفَائِدَةٌ عَجِيْبَةٌ^(٣).

قال أبو محمد بن حزم: وانقطعت دولة بني أمية، وكانت على علاتها دولة عَرِيَّة، لم يَتَخَذُوا قاعدةً ولا قَصْبَةً، إنما كان سُكْنَى كُلَّ أمير^(٤) منهم في داره وضياعته التي كانت له قبل خلافته، ولا كَلْفَوا الْمُسْلِمِينَ^(٥) أن يخاطبواهم بالعبودية والملك ولا تقبيل يَدِه^(٦) ولا رِجْلٍ، إنما كان عَرَضُهُم التَّوْلِيَّةُ وَالعَزْلُ فِي أَقْاصِيِّ الْبَلَادِ، فكانت عَمَالُهُمْ وَوْلَاهُمْ فِي الأندلس، وفي الصَّينِ، وفي السَّنْدِ، وفي خُراسان، وأرمانيَّة، واليَّمنِ، والشَّامِ، والعِرَاقِ، ومصرَّ، والمَغْرِبِ، وسائر بلاد الدنيا، ما عدا الْهِنْد^(٧).

وانتقل الأمر إلى بني العباس في هذه السنة، قال ابن حزم في جملة كلامه أيضًا: فكانت دولتهم أَعْجَمِيَّةً: سقطت فيها دُواوِينُ الْعَرَبِ، وغلب عَجَمُ خُراسان على الأمر، وعادَ الْأَمْرُ مُلْكًا عَضْوَضًا كِسْرَوِيًّا، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُعْلِنُوا بِسَبِّ أَحَدٍ مِن الصَّحَابَةِ، رضوان الله عليهم، وافتقرت في دولة بني العباس دُعْوَةُ الْمُسْلِمِينَ وَكَلْمَتُهُمْ،

(١) ليس في را.

(٢) قوله: «يوسف بن» سقط من را.

(٣) قوله: «وفائدَة عَجِيْبَة» ليس في را.

(٤) في أ: «أمرئ».

(٥) بعد هذا في را: «قبل».

(٦) في أ: «أرض».

(٧) قوله: «ما عدا الهند» ليس في أ.

فغلبت على البلاد طوائفٌ من الخوارج والشيعة والمُعترِّفة، ومن ولد إدريس وسليمان أبْنَي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، ظهروا في المغرب الأقصى، وتملّكوا فيه. ومنهم من ولد معاوية تغلبوا على الأندلس، وكثيرٌ من غيرهم أيضًا. وفي خلال هذه الأمور، تغلبت الكفرة على أكثر بلاد الأندلس وأكثر بلاد السندين. وفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة المذكورة، كان المؤولون للعمال بالبلاد أربعة أمراء: وهم مروان بن محمد، وأبو سلمة الخلال، وأبو مسلم، وأبو العباس السفاح. فأماماً مروان، فعزل الوليد بن عروة^(١) عن المدينة، وولّاها أخاه عيسى، وأماماً أبو سلمة، فاستعمل محمد بن خالد على الكوفة إلى أن ظهر أبو العباس السفاح ظهوراً تاماً، وأماماً أبو مسلم، فهو كان السلطان الأعظم الذي لا يُردد أمره، وهو الذي قدم محمد بن الأشعث^(٢) على فارس، وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم، ففعل ذلك، وأماماً أبو العباس، فوجّه بعد ذلك إسماعيل بن علي^(٣) واليأ على فارس، وأخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وولّ أخاه يحيى بن محمد بن علي على المؤصل^(٤)، وولّ على مصر أبا عون عبد الملك بن يزيد، وولّ على إفريقية عبد الرحمن بن حبيب؛ لأنّه، لما بلغته بيعة أبي العباس، كتب إليه بالسمع والطاعة، فأقرّه^(٥).

وفي سنة ثلاثة وثلاثين ومئة: ولّ أبو العباس السفاح عمّه سليمان بن علي^(٦) البصرة وأعمالها والبحرين وغير ذلك، وولّ عمّه إسماعيل على^(٧) الأهواز^(٨)، وولّ عمّه داود المدينة، وولّ عمّاله سائر البلاد الشرقية، وإفريقية والأندلس على ما كانت عليه.

(١) في را: «عقبة»، خطأ، وهو الوليد بن عروة بن محمد بن عطية، وينظر تاريخ خليفة ٤٠٧.

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٩٥٨/٣.

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٨١٨/٣.

(٤) في أ: «ولى سائر البلاد الشرقية».

(٥) ليست في أ.

(٦) قوله: «ابن علي» ليس في را.

(٧) ليست في را.

(٨) تاريخ الطبرى ٤٥٩/٧.

وفي سنة أربع وثلاثين ومئة: بعث أبو العباس السفاح موسى بن كعب^(١) في الثاني عشر ألفاً لقتال منصور بن جمّهور^(٢) من المُتُّزِّين علىبني العباس، فسار إليه حتى لحقه بأرض الهند، فهزمه ومن كان معه، ومضى، فمات عطشاً في الرمال^(٣). وفيها كان أيضاً العَزْلُ والولايات بالشرق. وبقي على مصر أبو عون، وعلى إفريقية عبد الرحمن بن حبيب، وعلى الأندلس يوسف الفهريُّ.

وفي سنة خمس وثلاثين ومئة: كانت غزوة عبد الرحمن بن حبيب صاحب إفريقية صِقْلِيَّة، فسبَّيَ وغَنِّمَ^(٤). وغزا أيضاً سَرْدَانِيَّة، وصالحهم على الجزية. وغزا أرض البربر بجهة تِلْمِسَان. ومدينة تِلْمِسَان قاعدة المَغْرِب الأوسط، وهي دار مملكة زَنَاتَة.

قال البَكْرِيُّ: بنو^(٥) يَغْمُرُ اسْنَنْ من هَوَارَة يَعْتَدُونْ في سِتِّينَ أَلْفًا، وَتِلْمِسَانْ دَارُ مملكة زَنَاتَة على قديم الزَّمَان، مُنْوَسْطَة بِلَادِ الْقَبَائِلَ مِنْ زَنَاتَة وَغَيْرِهِمْ، وَمَقْصِدُ التَّجَارِ، وَنَزَلَهَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِنْ ذُرَيَّةِ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمِنْ ذُرَيَّتِهِ أَبُو الْعَيْشِ عَيْسَى بْنِ إِدْرِيسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ جِرَاوَة^(٦).

ونسب زَنَاتَة: قال أَبُو الْمَجْدِ الْمَغْيَلِيُّ، وَعَلَيُّ بْنُ حَزْم^(٧)، وَغَيْرُهُمَا: إِنَّ زَنَاتَةَ هُمْ أَوْلَادَ جَانَا^(٨) بْنَ يَحْيَى بْنَ صُولَاتَ بْنَ وَرْتَاجَ بْنَ ضَرِّيَّ بْنَ سَفَكَوْ^(٩) بْنَ قِيدَوَادَ بْنَ شَعْبَا بْنَ مَادَغِيَّسَ بْنَ هَدْكَ بْنَ هَرْسَقَ بْنَ كَدَادَ بْنَ مَازِيْغَ. وَذَكَرُوا أَنَّ ضَرِّيَّ هُوَ ابْنَ

(١) ترجمة الذهبي في تاريخ الإسلام ٩٨٨ / ٣.

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٣٩ / ٣.

(٣) تاريخ الطبرى ٢٦٤ / ٧.

(٤) الكامل لابن الأثير ٤٥٦ / ٥، ونهاية الأرب للنويرى ٤٣ / ٢٢.

(٥) من هنا إلى قوله: «زناتة» سقط كله من را.

(٦) في را: «كِيرَاوَة» وهو جائز، فأصل الجيم كاف أعمجية.

(٧) الجمهرة ٤٩٥ باختلاف يسير.

(٨) في الجمهرة: «شانا».

(٩) في الجمهرة: «سققو».

وَزْجِيج بن مادغس بن بَرّ، فولد ابن بُرُّنوس كُتامة، ومَصْمُودة، وأُورَبة، وَوَرْدَاجة^(١)، وأوزيغة، فولد أوزيغة هوارة، ومن قبيل هَوَارَة بَنُو كَهْلَان ومَلِيلَة، وولد يحيى جانا وسَمْجَان وَوَرْسَطِيف، وولد جانا وَرْسِيج، وولد وَرْسِيج مَرِين، وولد مَرِين نَجْدَة وَنَهَالَة، وولد وَرْسَطِيف وَرْكُونَة وَمَكْنَاسَة، وولد ضَرِي أَيْضًا تَمْزِيتَة، وولد تَمْزِيتَة، وَمَدْغَرَة، وَصَدِينَة، وَمَغْيَلَة وَمَلْزُوزَة^(٢)، وَمَدْبُونَة، وولد وزَجِيج لَاوِي الْكَبِير، وولد لَاوِي الْكَبِير لَاوِي الصَّغِير، وَمَغْرَاوَة، وَإِيفَرَن، وولد لَاوِي الصَّغِير^(٣) نَفْزاو، وولد نَفْزاو^(٤) يَطْوَفَة، وولد لَاوِي^(٥) الصَّغِير أَيْضًا كَطْوَفَة، وولد كَطْوَفَة، فولد وَنِيَطَطَة، سَدْرَاتَة، وَكَانَت سَدْرَاتَة إِخْوَانَ بَنِي مَغْرَاوَة لَأْمَّهُم، وَكَانَ أَوْلَادَ مَغْرَاوَة وَبَنِي يَفْرَنَ مِنْ أَعْظَمِ بَطُونَ زَنَاتَة.

قال رُجَارَ من كِتَابِه: كَانَ بَنُو مَرِين يَسْكُنُون وَرَاءَ تِلْمِسَانَ، وَهُوَ مِنْ زَنَاتَة، مِنْ وَلَدَ^(٦) جانا بْنَ يَحْيَى بْنَ ضَرِيسَ بْنَ لَوا بْنَ نَفْزاوَ بْنَ بَتْرَ بْنَ قَيْسَ عَيْلَانَ بْنَ إِلِيَّاسَ بْنَ مُضَرَّ. قَالَ: وَبَنِو مَرِين مِنَ الْعَرَبِ الْصَّرِيجِيَّينَ.

وَفِي سَنَةِ سَتِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةً: كَانَ ابْتِدَاءَ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَاحِ مُحاوَلَةَ الْعَذْرَ بِأَبِي مُسْلِيمَ، وَظَفَرَ أَبِي مُسْلِيمَ بِمَنْ حَاوَلَ ذَلِكَ، وَقُتِلَ هُمْ، وَذَلِكَ فِي خَبَرِ طَوِيلٍ. وَقَيْلَ^(٧): بَلْ كَانَ ابْتِدَاءَ تَلْكِيَّةَ الْمَحَاوَلَةِ فِي سَنَةِ خَمْسِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةٍ قَبْلَهَا. وَقَدْمَ أَبْوَ مُسْلِيمَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ مُسْتَأْذِنًا فِي الْحَجَّ، فَهُمَّ أَبُو الْعَبَّاسِ بِقَتْلِهِ، ثُمَّ اشْتَنَى عَنْ ذَلِكَ، وَحَجَّ أَبُو مُسْلِيمَ وَأَبُو جَعْفَرَ.

(١) رَسَمَتْ فِي الْجَمَهُورَةَ «بُرُّسٌ».

(٢) فِي الْجَمَهُورَةَ: «أَزْدَاجَةً».

(٣) مِنْ هَنَا إِلَى قَوْلِهِ: «وَوَلَدَ لَاوِي الْكَبِير» سَقْطَ كَلَهُ مِنْ أَ.

(٤) قَوْلِهِ: «وَوَلَدَ لَاوِي الْكَبِير» سَقْطَ مِنْ أَ.

(٥) قَوْلِهِ: «وَوَلَدَ نَفْزاوَ» سَقْطَ مِنْ أَ.

(٦) لَيْسَ فِي ر١ .

(٧) فِي ر١: «أَوْلَادَ».

(٨) مِنْ هَنَا إِلَى قَوْلِهِ: «وَقَدْمَ» سَقْطَ مِنْ ر١ .

وفيها: توفي أبو العباس السفاح في ذي الحجة، بعد أن ولّ العهد أخاه أبي جعفر المنصور، وبابيعه الجمھور، واستقامت له الأمور^(١).

وفي سنة سبع وثلاثين ومائة: كان قدوم أبي جعفر المنصور من مكة، وتميم بيته، فدخل أبو جعفر الكوفة وصل الجمعة، ووافاه كتاب أبي مسلم بالحيرة، ثم شخص أبو مسلم إلى الآثار.

وفيها: انتزى عبد الله بن علي على أخيه وامتنع من بيته، فبعث إليه أبو جعفر أبي مسلم، فحاربه^(٢). وفيها قتل المنصور أبي مسلم^(٣). وكيفية ذلك في أخبار المشرق.

بقيّة أخبار عبد الرحمن بن حبيب بإفريقية

لما صار^(٤) الأمر إلى أبي جعفر المنصور، كتب إلى عبد الرحمن يدعوه إلى الطاعة. فأجابه، ودعا له^(٥)، ووجه إليه بهدية كان فيها بُزَّةً وكِلَابٌ، وكتب إليه^(٦) إن إفريقية اليوم إسلامية كلُّها، وقد انقطع السُّبُّ منها، فغضب أبو جعفر وكتب إليه يتوعّده. فلما وصل إليه الكتاب، غضب غضباً شديداً، ثم نادى: الصلاة جامعةٌ إليه يتوجه. فلما وصل الكتاب، غضب غضباً شديداً، ثم نادى: الصلاة جامعةٌ فاجتمع الناس، وخرج عبد الرحمن في مطرّف خز، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أخذ في سب أبي جعفر، وقال: إني ظننت أن هذا الخائن يدعو إلى الحق ويقوم به، حتى تبيّن لي خلاف ما بابيعته عليه من إقامة العدل وإني الآن خلعته، كما خلعت نعلي هذا، وقدفه من رجلي. ثم دعا بخلع السُّود وأمر بتخريقها، وقال^(٧):
هذا لباس أهل النار في النار.

(١) في أ، م: «بعد أن ولّ العهد لأخيه أبي جعفر المنصور، فاستوست له الأمور وبابيعه الجمھور»، وما أثبناه من ر، وينظر تاريخ الطبری ٤٧٠ / ٧.

(٢) تاريخ الطبری ٧ / ٤٧٤.

(٣) تاريخ الطبری ٧ / ٤٧٩.

(٤) في ر: «وصل».

(٥) في ر: «فدعاه وأجابه».

(٦) قوله: «وكتب إليه» سقط من أ.

(٧) من هنا إلى آخر الفقرة ليس في أ.

قال الرقيق: كان قد لبسها قبل ذلك، ودعا فيها لأبي جعفر، فقطّعت قطاعاً وأُحرقت.

وقال ابن القطان: كان عبد الرحمن بن حبيب يُظهِر الطاعة لأبي جعفر، ويذعن له على المنابر، إلا أنه لم يلبس السواد، وقال: إن هذا لباس أهل النار في النار، ثم خلعه ونبأ طاعته. وحقق^(١) عَرِيب أَنَّ خَلْعَهُ لطاعة أبي جعفر كان في هذه السنة.

مقتل عبد الرحمن

كان عبد الرحمن يوجّه أخاه غازياً، فإذا ظفر، كتب عبد الرحمن بالفتح، ويزعم أنّ ابنته كان يتولى الفتوح. وكان قد ولّاه عهده، فعمد إلياس إلى قتل أخيه عبد الرحمن، وشاور في ذلك أخاه عبد الوارث، فأجابه^(٢). ودعوا إلى ذلك قوماً من أهل القيروان من العرب على أن يقتلوا عبد الرحمن، ويؤمّروا إلياس بن حبيب، وتكون الطاعة لأبي جعفر. وكان عبد الرحمن ولّ أخاه إلياس تونس، وودّعه للخروج إليها، وعبد الرحمن إذ ذاك مريض. فدخل عليه، وهو في غاللة ورداء، وابن له صغير في حجره، فقد طويلاً، وعبد الوارث يغمزه. فلما قام يوادعه^(٣)، أكبّ عليه ووضع السكين بين كتفيه حتى وصل إلى صدره، ثم ردّيده على السيف، فضربه، وخرج هارباً ذهشاً. فقال له أصحابه: ما فعلت؟ قال: قتلتُه. قالوا: ارجع فحزّ رأسه. فرجع وحزّه. وثارت الصيحة. وأخذ إلياس أبواب دار الإمارة، وسمع ابنه حبيب الصيحة، فأخْبِر بقتل والده، فاختنف، ثم تحامل على وجهه إلى باب تونس، أحد أبواب القيروان، فخرج منه ومضى إلى عمّه عمراً بن حبيب، وهو والي تونس لوالده. فكانت ولاءً عبد الرحمن بن حبيب إفريقية عشر سنين وسبعة أشهر^(٤). وكان أول ثائر متغلّب على بلاد^(٥) إفريقية.

(١) من هنا إلى آخر الفقرة سقط من را.

(٢) تاريخ خليفة ١٢٣.

(٣) في أ: «يُوادعه»، وكلاهما بمعنى.

(٤) الكامل لابن الأثير ٥/٣١٤.

(٥) ليست في را.

ولاية إلياس بن حبيب إفريقيية

ولما قتل أخاه، ولي أمرور^(١) إفريقيه والقيروان، وحبيب عند عمّه عمران بتونس. فأخبره بخبر أبيه، ولحق بهما مواليهما وعيدهما من كل ناحية. فخرج إلياس، وأتاه حبيب وعمران بمن معهما، فهموا بالقتال. ثم اصطلحوا على أن يعود عمران إلى ولاية تونس وصطفورة والجزيرة، ويكون حبيب على قصبة وقسطنطيلية، وإلياس لسائر إفريقيه والمغرب^(٢). ومضى إلياس مع أخيه عمران إلى تونس، فوثب عليه إلياس، وبعث به إلى الأندلس^(٣). وولى على تونس محمد بن المغيرة، وانصرف إلى القيروان، فبلغه عن حبيب أخبار كرهها. فعلم ذلك حبيب، فدَسَّ له من زين له الخروج إلى الأندلس، ففعل، ووجه معه شقيقه عبد الوارث ومن أحب من مواليه^(٤). فركوا البحر، وقد تعذرْتُ بهم الريح، فكتب حبيب إلى إلياس يعلمه بأن الريح ردته، ووقفوا بطرقة^(٥). فكتب إلياس إلى عامله بها يُحدِرُه من أمره. فسمع به موالي عبد الرحمن وأهل طاعته، فأتوا إليه من كل ناحية، وطرقوا سليمان بن زياد عامل إلياس ليلاً، وهو في معسكره بمحرس^(٦) حبيباً، فأسروه، وشلوا وثاقه، وركبوا إلى حبيب، فآخر جووه إلى البر^(٧).

ذكر قيام حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمّه إلياس وتغلبه على بلاد إفريقيه^(٨)

لما خرج حبيب هذا إلى البر، واجتمعت عليه أهل طاعة أبيه، ظهر أمره، وشاع ذكره. وتوجه إلى الأربُس، فأخذها. وبلغ خبره إلى^(٩) إلياس، فخرج يريدُه،

(١) كذلك.

(٢) في ر ١: «ويكون إلياس على القيروان وسائر إفريقيه».

(٣) ذكر ابن الأثير أن إلياس سار مع عمران إلى تونس فغدر به وقتلها (الكامل ٥ / ٣١٤).

(٤) في ر ١: «الموالي».

(٥) معجم البلدان ٤ / ١٦.

(٦) في أ: «يمارس».

(٧) نهاية الأربع للنويري ٢٤ / ٣٧.

(٨) جاء العنوان في ر ١ كما يأتي: «ذكر تغلب حبيب بن عبد الرحمن على إفريقيه».

(٩) قوله: «وبلغ خبره إلى» في ر ١: «وسمع».

واستخلف على القَيْرَوانِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ الْقُرْشِيِّ. فلما قرب إِلَيْا سِنْهُ، تَحَارَّ بِهَا حَرَبًا خفيفًا. فلما أَمْسَى حَبِيبًا، أَوْقَدَ النَّيرَانَ لِيظِنَّ النَّاسَ أَنَّهُ مُقِيمٌ. ثُمَّ سَرَى، فَأَصْبَحَ بِجَلْوَلَا. ثُمَّ نَفَذَ إِلَى الْقَيْرَوانَ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا. ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْا سِنْهُ فِي طَلْبِهِ، فَفَسَدَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَتَقَوَّى حَبِيبٌ وَخَرَجَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ عَظِيمٍ. فلما التَّقَيَا، نَادَاهُ حَبِيبٌ: لِمَ نَقْتُلُ صَنَاعَنَا وَمَوَالِيْنَا بَيْنَنَا^(١)، وَهُمْ لَنَا حِصْنٌ وَلَكُنْ أَبْرُزُ أَنَا وَأَنْتَ: فَإِنَّا قُتَلَ صَاحِبَهُ، اسْتَرَاحَ مَنْهُ. فَنَادَاهُ النَّاسُ: قَدْ أَنْصَفَكَ يَا إِلَيْا سِنْهُ، فَخَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، وَوَقَفَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ يَنْظَرُونَ إِلَيْهِمَا، فَتَطَاعَنَا حَتَّى تَكَسَّرَتْ قَنَاتَاهُمَا، ثُمَّ تَضَارَّ بِسَيِّفَهُمَا، وَعَجَبَ النَّاسُ مِنْ صَبْرِهِمَا. ثُمَّ ضَرَبَ إِلَيْا سِنْهُ ضَرْبَةً^(٢) فِي ثِيَابِهِ وَدِرْعِهِ، وَوَصَلَتْ إِلَى جَسَدِهِ، وَضَرَبَ حَبِيبٌ عَمَّهُ إِلَيْا سِنْهُ ضَرْبَةً أَسْقَطَتْهُ. ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ، فَحَرَّ رَأْسَهُ، وَأَمْرَ بِرْفَعَهُ عَلَى رُمْحٍ، وَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى الْقَيْرَوانَ. فَدَخَلَهَا وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَأْسُ عَمَّهُ وَرَؤُوسُ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ عُمُّ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ بْنَ أَبِي عَبْدَةَ بْنَ عُقْبَةَ، وَرَأْسُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُغَيْرَةِ الْقُرْشِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِنْ وُجُوهِ الْعَرَبِ، وَذَلِكَ فِي عَامِ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةٍ، فَكَانَتْ وِلَايَةُ إِلَيْا سِنْهُ إِلَى أَنْ قُتِلَ نَحْوَ سَنَةِ وَسَتَّةِ أَشْهُرٍ^(٣).

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةٍ: قَامَ الْبَرِيرُ بِإِفْرِيقِيَّةِ عَلَى حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيبٍ^(٤). وَلَا قُتَلَ حَبِيبٌ عَمَّهُ إِلَيْا سِنْهُ، هُرِبَ عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ حَبِيبٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَى عَسْكَرِ إِلَيْا سِنْهُ أَخِيهِ إِلَى بَطْنِ مِنْ الْبَرِيرِ، يُقَالُ لَهُمْ وَرْفَجُومَةٌ مِنْ نَفْزَةٍ، لِاجِئِينَ إِلَيْهِمْ، فَنَزَلُوا عَلَيْهِمْ، وَأَمِيرُهُمْ عَاصِمٌ بْنُ جَيْلٍ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ حَبِيبٌ يَأْمُرُهُ بِتَوْجِيهِهِمْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، فَزَحَفَ إِلَيْهِ حَبِيبٌ، وَلَقِيَهُ عَاصِمٌ، وَمَعَهُ كُلُّ مَنْ هَرَبَ مِنْ حَبِيبٍ، فَاقْتَلُوهُ، فَانْهَزَمَ حَبِيبٌ. وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ، اسْتَخْلَفَ عَلَى الْقَيْرَوانَ أَبَا كُرَيْبَ الْقَاضِيِّ، فَكَتَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْقَيْرَوانَ إِلَى عَاصِمٍ وَأَشِيَّخٍ وَرَفَجُومَةٍ، وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ يُوفُونَ لَهُمْ بِالْعَهْدِ، وَأَظَهَرُوا لَهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُونَ أَنْ يَدْعُوا لِأَبِي جَعْفَرَ. فَزَحَفَ

(١) سقطت من أَمْ.

(٢) قفز نظر ناسخ ر١ من هنا إلى «ضربة» الآية.

(٣) الكامل لابن الأثير ٥ / ٣١٥، ونهاية الأربع للنويري ٢٤ / ٣٧.

(٤) قفز نظر ناسخ ر١ من هنا إلى «حبيب» الثانية، سقط ما بينها.

عاصِم بن جَمِيل^(١) وأخوه مُكْرَم بمن كان معهم من البربر، ومن جاء إليهم من العَرَب، بعد أن هزموا حبيباً، وساروا إلى ناحية قابس، حتى انتهوا إلى القَيْرَوان فخرج إليهم القاضي في أهل القَيْرَوان^(٢). فلما دنا بعضُهم من بعض، خرج جماعة من عسكر عاصِم، فقتلوا منهم أَنَاساً، وتفرق الناس عن القاضي أبي كُرَيْب، ورجعوا إلى القَيْرَوان، ولم يعلموا ما يحلُّ بهم من البربر. وثبتَ أبو كُرَيْب في نحو ألف رجل من أهل الدين، مُسْتَسِلِّمِين للموت، فقاتلوا حتى قُتل أبو كُرَيْب وأكثرُ أصحابه. ودخل وَرْجُومَة القَيْرَوان، فاستحلُّوا المحارم، وارتکبوا الكبائر، ونزل عاصِم بمُصلَّى رَوْح. ثُمَّ استخلف على القَيْرَوان عبد الملك بن أبي الجَعْد الْيَقْرَنِي، وسار إلى حبيب، وهو بقابس، فانهزم حبيب^(٣) ولحق بجبل أوراس. فسار إليه عاصِم، فهزمَه حبيب، وقتلَه مع جملة من أصحابه. وأقبلَ حبيب إلى القَيْرَوان، فخرج إليه عبد الملك بن أبي الجَعْد، فاقتلا، فانهزم حبيب وقتل في المَحْرَم من سنة أربعين ومئة، فكانت^(٤) ولاية عبد الرحمن بن حبيب نحو عَشْر سنين وأشهراً، وولادة أخيه إلياس سنة وستة أشهر^(٥).

ثُمَّ تغلَّبَ على إفريقيَّة بعض القبائل^(٦) الصُّفْرِيَّة بعد قتل حبيب وعاصِم، فدخلوا القَيْرَوان وربطوا دوابَّهم في المسجد الجامع، وقتلوا كلَّ من كان من قُرُيش، وعدَّبوا أهلها. وأساءت^(٧) وَرْجُومَة لأهل القَيْرَوان سوء العذاب، وندم الذين استدعوهُم أشدَّ ندامة. ثُمَّ قام أبو الخطَّاب عبد الأعلى بن السَّمْح المَعَافِري^(٨)، وكان ثائراً متغلَّباً خرج من أطراُبُلُس بعد ما كان استولى عليها يريد القَيْرَوان، لقتال وَرْجُومَة. فالتحقَّى معهم وقاتلهم. ثُمَّ هزمَهم وتبعهم يقتلهم. ثُمَّ انصرف إلى القَيْرَوان،

(١) ليس في ر ١.

(٢) قوله: «فخرج إليهم القاضي في أهل القَيْرَوان» سقط من أ، م.

(٣) من هنا إلى نهاية الفقراء جاء بدلاً عنها في ر ١: «فكانت ولاية ستين وأشهرًا».

(٤) ينظر الكامل لابن الأثير ٥ / ٣١٥، ونهاية الأربع للنويري ٢٤ / ٣٧-٣٨.

(٥) قوله: «بعض القبائل» ليس في ر ١.

(٦) هكذا في أ، ر ١، م، ولعل الصواب: «وسامت».

(٧) ينظر الوافي للصفدي ١٨ / ٥.

فولى عليها عبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت بعد ذلك. ومضى أبو الخطاب إلى أطربالس^(١). وكانت مدة هذه الأحوال^(٢) والفتنة التي اخترناها هنا مُجملة في نحو ثلاثة أعوام.

وفي سنة تسع وثلاثين ومئة: كان الفداء بين أبي جعفر المنصور والروم، فاستنقذ المنصور منهم أسرى المسلمين، ولم تكن بعد ذلك صائفة للمسلمين إلى سنة ست وأربعين ومئة^(٣).

وفي سنة إحدى وأربعين ومئة^(٤): كان ابتداء بناء سجلاسة. وفيها^(٥) كان خروج أبي الخطاب إلى القيروان^(٦) لقتال ورجومه، فخرج إليه وإليها عبد الملك، فخذله أهل القيروان وانهزموا عنه، فقتل عبد الملك وأصحابه في صفر. وكان تغلب ورجومه على القيروان سنة وشهرين.

وفي سنة اثنين وأربعين ومئة: أقبل أبو الأحوص العجلي بالمسودة. فخرج إليه أبو الخطاب، فالتقوا بمقداس على شاطئ البحر، فانهزم أبو الأحوص وأصحابه، واحتوى أبو الخطاب على عسكرهم. ورجع أبو الأحوص إلى مصر، وانصرف أبو الخطاب إلى أطربالس. وكانت إفريقية كلها في يديه إلى أن وجّه المنصور ابن الأشعث^(٧).

وفي سنة ثلاث وأربعين ومئة: اتصل بأبي الخطاب أنّ ابن الأشعث يريد القيروان. فخرج إليه في زهاء مئي ألف، فعسكر بهم في أرض سرت^(٨). واتصل ذلك بمحمد بن الأشعث.

(١) نهاية الأربع للنويري .٣٩ / ٢٤

(٢) في ر١ : «الأحوال».

(٣) تاريخ الطبراني .٥٠٠ / ٧

(٤) في أ: «أربعين ومئة».

(٥) في أ: «وفي سنة إحدى وأربعين ومئة».

(٦) في ر١ : «القبائل».

(٧) من هنا إلى «الأشعث» في الفقرة الآتية قفز نظر ناسخ ر١ فسقط ما بينهما.

(٨) قوله: «في أرض» ليس في ر١.

(٩) معجم البلدان .٢٠٦ / ٣ والضبط منه.

وفي سنة أربع وأربعين ومئة: ولِي إفريقيَّةٌ مُحَمَّدٌ بْنُ الْأَشْعَثِ الْخُزَاعِيُّ^(١).

ذكر ولاية مُحَمَّدٌ بْنُ الْأَشْعَثِ الْخُزَاعِيِّ إفريقيَّةٌ^(٢)

لما غلبت الصُّفْرِيَّة على إفريقيَّة، بعد أن قتلت وَرْجَجُومة مَنْ قُتِلَ من قُرْيُش وغَيْرِهِمْ، خرجَ جماعةٌ من عَرَبِها إلى المنصور يستنصرُونَ به على البربر، ويصفونَ له ما نالُوهُمْ منهم. فولَّ أبو جعفر ابن الأشعث مصرَ. فوجَّهَ أبا الأَحْوَصِ، فهزَّتهُ البربر كما تقدَّمَ، فكتب أبو جعفر إلى ابن الأشعثَ أن يسِيرَ بِنَفْسِهِ، فخرجَ إلى إفريقيَّة في أربعين ألفاً، عليها ثمانية وعشرون قائداً. فالتقىوا بأبي الخطابِ، وكان قد جمعَ أصحابَهُ في كُلِّ ناحيةٍ، ومضوا في عددٍ عظيمٍ. فضاقَ دُرُّغُ ابن الأشعثَ بلقاء أبي الخطابِ لما بلغَهُ كثرةُ جيوشهِ. ثمَّ إِنَّ زَنَاتَةَ وَهَوَارَةَ تنازعَتْ فِيهَا بَيْنَهُمَا، وَاتَّهَمَتْ زَنَاتَةَ أبي الخطابِ في ميله مع هَوَارَةَ، ففارَقَهُ جماعةٌ منهمُ، وبلغَ ذلكَ ابن الأشعثَ، فسُرَّ بهُ ورُحِلَ إِلَيْهِ. فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمَ البربرُ، وُقُتِلَ أَصْحَابُ أبي الخطابِ وأبو الخطابِ. فظنَّ ابن الأشعثَ أَلَا بقيَّةً بعدَ أبي الخطابِ، ثمَّ طلعَ عليهمُ أبو هُرَيْرَةَ الزَّنَاتِيُّ في ستَّةِ عَشَرَ ألفاً. فتلَّقاهمُ ابن الأشعثُ، فهزَّمُوهُمْ وقتلَ بعَصْهُمْ، وذلكَ في ربيعِ الأوَّلِ من السنة^(٣). ووَجَّهَ ابن الأشعثَ برأسِ أبي الخطابِ إلى بغداد.

ولما انتهى إلى عبد الرحمن بن رُسْتُم قُتِلَ أبي الخطابُ، ولَّ هاربًا إلى موضعٍ تيَّهَّرَتْ فاختلطَّها ونزَلَها. وأخذَ أهْلُ الْقَيْرَوانَ عَامِلَهُ عليهَا، فأوثقوهُ في الحديدِ وولَّوا على أنفسِهِمْ عمَرُو بن عُثْمَانَ الْقُرَشِيَّ، إلى أنْ وَفَدَ عَلَيْهِمْ ابن الأشعثَ فدخلَ الْقَيْرَوانَ غَرَّةً جَادِيَ الأوَّلِ من السنة^(٤).

وفي هذهِ السنة: أمرَ ابن الأشعثَ ببناءِ سورِ الْقَيْرَوانَ في ذِي القَعْدَة^(٥). وكان تَمامُهُ في رجبِ من سَنَةِ سَتَّ وأَرْبَعينَ. وضَبَطَ ابن الأشعثَ إفريقيَّةً وأعْمَلَهَا، وأَمْعَنَ في

(١) سقطت النسبة من را ، وانظر نهاية الأرب للنويري .٣٩ / ٢٤

(٢) سقط العنوان من أ.

(٣) قوله: «وَذَلِكَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ» سقط من را .

(٤) نهاية الأرب للنويري .٤٠ - ٣٩ / ٢٤

(٥) في را بدلاً من هذهِ العبارة: «وَلَمَا حَلَّ بَهَا ابن الأشعث أمرَ بِبَنَاءِ سُورِهَا».

كل من خالقه من البربر بالقتل، فخافوه وأذعنوا له بالطاعة. ثم ثار عليه عيسى بن موسى بن عجلان، وكان أحد جنده، في جماعة من قواده. فأخرجوا ابن الأشعث من القيروان من غير قتال. فكان خروج ابن الأشعث من القيروان في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومئة. فكانت ولايته بها ثلاثة أعوام وعشرة أشهر، في خلافة أبي جعفر المنصور.

وفي سنة خمس وأربعين ومئة: اشتغل ابن الأشعث ببناء سور القيروان، وأخصبَتْ بلاد إفريقية. وكان قد بعث إلى زويلا وودان، فافتتحهما وقتل من بهما من الإباضية. وقتل عبد الله بن حبان الإباضي، وكان رأس أهل زويلا. وسكنَ ابن الأشعث أحوال أهل إفريقية في هذه السنة، فلم تكن بها حركة له.

وفي^(١) سنة ست وأربعين ومئة: استتمَّ ابن الأشعث ببناء سور مدينة القيروان. وفيها أيضًا استتمَّ المنصور ببناء بغداد، ولازم العمل فيها، وانتقل إلى سكناها في شهر صَفَر من هذه السنة.

وفي سنة سبع وأربعين ومئة: كان الأمير على مصرَ يزيد بن حاتم، وعلى إفريقية محمد بن الأشعث الخزاعي، وليس هو محمد بن الأشعث^(٢) الكندي ابن أخت عائشة رضي الله عنها.

وفي سنة ثمان وأربعين ومئة: ثارَ الجنُد على محمد بن الأشعث بإفريقية، وسألوه الخروج عنهم. فخرجَ في ربيع كما تقدَّم ذكره. ثم انفقَ الجنُد على تولية عيسى بن موسى الخراساني.

ثورة عيسى بن موسى بالقيروان وببعض بلاد إفريقية

فتغلَّب عليها بعض العرب والجنُد من غير عهد من المنصور، ولا رضي منه، ولا تراضي من العامة، وذلك في شهر ربيع الآخر من عام ثمانية وأربعين ومئة المذكور. فكانت مدَّتها ثلاثة أشهر.

(١) سقطت هذه الفقرة كلها من را.

(٢) قفز نظر ناسخ را من هنا إلى «الأشعث» في الفقرة الآتية، فسقط ما بينهما.

ولاية الأغلب بن سالم التميمي^(١)

لما بلغ المنصور ما كان من أمر قواد الجند المصريّة وصرفهم محمد بن الأشعث،
بعث إلى الأغلب بن سالم بن عقال التميميّ عهده بولايته، في آخر جمادى الآخرة
من السنة المؤرّخة. فاستقامت له الحال^(٢). وكان من أهل الرأي وذوي المسورة.
ووصله كتاب المنصور بعد كتاب العهد، يأمره بالعدل في الرعية، وحسن السيرة في
الجند، وتحصين مدينة القيروان وخندقها، وترتيب حرسها ومن يترك فيها إذا
رحل إلى عدوه، وغير ذلك من أموره.

وستة تسع وأربعين ومئة: لم يكن فيها حركةٌ.

وفي سنة خمسين ومئة: ثار الحسن بن حرب الكندي^(٣) بالقيروان على الأغلب بن
سالم، وسبب ذلك أنّ أبا قرة الصفرى خرج في جمع كبير من البربر، فسار إليه
الأغلب في عامّة القواد الذين معه، وخلّف على القيروان سالم بن سوادة. فلما علم
أبو قرة أنّ الأغلب قرب منه، هرب، وتفرق أصحابه. وقدم الأغلب الزاب، وعزّم
على الرحيل منه إلى تلمسان، قاعدة رناته، ثم إلى طنجة. فكره الجنديّ المُسیر معه^(٤)،
وقالوا: قد هرب أبو قرة الذي خرجنا إليه، وجعلوا يتسلّلون عنه إلى القيروان. فلم
ييقّ معه إلا نفرٌ يسيرٌ من وجوههم. وكان الحسن بن حرب بتونس. فلما خرج
الأغلب يريد أبا قرة، كاتبَ جميع القواد. فلحق به بعضهم، وأقبل معهم إلى القيروان،
فدخلها، وأخذ سالم بن سوادة عاملها، فحبسه. وبلغ الخبر الأغلب، فأقبل في عدّة
يسيرة، وكتب إليه، يعرّفه بفضل الطاعة، ووبالعصية. فأعاد الجواب إلى الأغلب،
وفي آخره^(٥) [من الوافر]:

(١) تنظر الحلقة السيراء لابن الأبار ٦٨ / ١.

(٢) نهاية الأربع للنويري ٤١ / ٢٤.

(٣) الحلقة السيراء لابن الأبار ٧٢ / ١.

(٤) ليست في را.

(٥) الأبيات في الحلقة السيراء ١ / ٧٢، ونهاية الأربع للنويري ٤١ / ٢٤ باختلاف لفظي.

مُعْلَغَلَةٌ عن الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ

عَلَيْكَ وَقُربُهُ لَكَ شُرُّ قُربٍ

وَعَفْوِي فَادْنُ مِنْ طَعْنِي وَضَرْبِي

أَلَا قُولُوا لِلْأَغْلَبِ غَيْرَ سُوءٍ

بِأَنَّ الْبَغْيَ مَرَتَّعَهُ وَخَيْمٌ

فَإِنْ لَمْ تَشْنَى لِتَنَالِ سِلْمِي

وَأَقْبَلَ الْأَغْلَبُ يَحْثُ السَّيرَ بَعْدَ مَا مَضَى إِلَى قَابِسٍ، وَقَدَمَ رَسُولُ^(١) الْمُنْصُورَ عَلَيْهِ بِكِتَابٍ مِنْهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ، يَدْعُ الْحَسَنَ إِلَى الطَّاعَةِ، فَلَمْ يَقْبَلْ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ الْأَغْلَبُ، فَاقْتُلُوا، وَانْهَزَمَ الْحَسَنُ وَمَضَى رَاجِعًا إِلَى تُونِسَ، وَدَخَلَ الْأَغْلَبَ الْقَيْرَوَانَ. ثُمَّ حَشَدَ الْحَسَنُ وَسَارَ فِي عَدَّةِ عَظِيمَةٍ إِلَى الْقَيْرَوَانَ. ثُمَّ إِنَّ الْأَغْلَبَ، لَمَّا بَلَغَهُ قَدْوُمُ الْحَسَنِ إِلَيْهِ، جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَخَاصَّتَهُ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ، فَهَمَّ مِنْهُ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمُؤَرَّخَةِ. فَكَانَتْ وَلَا يَتَّهِي سَنَةً وَاحِدَةً وَثَنَانِيَةً أَشْهَرَ^(٢).

وِلايَةُ عَمْرِو^(٣) بْنِ حَفْصٍ بْنِ قَبِيْصَةِ إِفْرِيقِيَّةِ

ثُمَّ وَلِيَ إِفْرِيقِيَّةُ عَمْرُو بْنُ حَفْصٍ بْنِ قَبِيْصَةِ سَنَةً إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِئَةً^(٤). وَكَانَ شَجَاعًا بَطَّلًا. وَسَبِيلُ وَلَايَتِهِ أَنَّ أَبَا جَعْفَرَ، لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ الْأَغْلَبَ بْنَ سَالمَ، وَجَّهَهُ فِي نَحْوِ^(٥) خَمْسِ مِئَةٍ فَارِسٍ. فَأَقْامَ بِالْقَيْرَوَانَ ثَلَاثَ سَنِينَ وَأَشْهَرًا مِنْ وَلَايَتِهِ، وَالْأُمُورُ لَهُ مُسْتَقِيمَةٌ. ثُمَّ سَارَ^(٦) إِلَى الزَّابِ، وَاسْتَخْلَفَ حَبِيبَ بْنَ يَزِيدَ^(٧) بْنَ الْمُهَلَّبِ. فَخَلَّتْ إِفْرِيقِيَّةُ مِنَ الْجَنْدِ، وَثَارَ بَهَا الْبَرِّيرُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ حَبِيبٌ وَالْتَّقِيُّ مَعْهُمْ، فَهُزِمُوهُ وَهُزِمُوا^(٨) عَسْكَرًا

(١) سقطت من را.

(٢) نهاية الأرب للنويري ٤١ / ٤٢ - ٤٣.

(٣) هكذا في أ، ر، م، وهو تحريف صوابه «عمر» كما في تاريخ خليفة ٤٣٤، وتاريخ الطبرى ٣٣ / ٨، وغيرهما وهو المعروف بهزار مرد.

(٤) جاء في را بدلًا من هذه العبارة: «وفي سنة إحدى وخمسين ومئة ولي المغارب».

(٥) ليست في را.

(٦) في را: «صار».

(٧) سقط من را.

(٨) في را: «وُهُزمَ».

أطربُلُس معه. فاشتدَّت الفتنة بإفريقية واحتُشِلَ نارُها. وأتاهَا أمْرَاءُ القبائل من كُلُّ فجَّ، واجتمعوا في اثني عشرَ عسْكراً، وتوجَّهُوا إلى الزاب وليس مع عمرو بن حفص إلَّا خمسةَ عشرَ ألفاً وخمس مائة. وكان أمْرَاءُ المغرب في ذلك الوقت ورؤساؤهم: أبو قرَّة الصُّفريُّ في أربعين ألفاً، وعبد الرحمن بن رُسْتُم الإباضيُّ في خمسةَ عشرَ ألفاً، وأبو حاتم في عَدَدٍ كثير، وعاصِم السَّدْرانيُّ في عَدَدٍ كثير، قيل: في ستَّةَ آلاف، والمسنُور^(١) الزَّنانيُّ في عشرَةَ آلاف، وعبد الملك بن سكر ديد الصُّنْهاجيُّ الصُّفريُّ في أَلْفَيْنِ سوَى جماعاتٍ أُخْرَ^(٢). قال^(٣) الرقيق: لم أذُكُّرُ هُم.

فلمَ رأى عَمْرُو بن حفص ما أحاط به من العساكر بمدينه طُبْنَةَ بالزاب، جمع قَوَادَه، فاستشارهم، وقال لهم: إني أُريد مُناهضةَ هذا العدو، فأشاروا عليه ألا يبرح من مدينة طُبْنَةَ، وقالوا له: أخْرِجْ مِنَّا من أردتَ إلى عدوِكَ ولا تَخْرُجْ أنت، فإنَّكَ أَنْ أُصِيبَتَ، تَلِفَ الْمَغْرِبَ وَفَسَدَ، فوَجَّهَ عَمْرُو إلى أبي قَرَّةَ مالا كثِيرًا وَكَسَّى^(٤) كثيرةً، على أن ينصرف عنه، فقال: لا حاجةَ لي بذلك، فانصرف الرسُولُ بذلك إلى أخيه، فدفع له بعضَ المال والثياب على أن يعمَلَ في صَرْفِ أخيه أبي قَرَّةَ والصُّفريَّةَ إلى بِلادِهِمْ، فعَمِلَ في ليلته تلك، واجتمع بأهلِ العسْكَرِ، فلم يعلم أبو قَرَّةَ حتَّى انصرف عنه أكثرُ أهلِ العسْكَرِ، فلم يجد بُدُّا من اتَّباعِهِ^(٥).

فلمَّا انصرف الصُّفريَّةُ، وجَّهَ عَمْرُو إلى ابن رُسْتُم عسْكراً، وكان في تَهُودَا. فانهزَمَ ابن رُسْتُم، وُقُتِلَ من أصحابِهِ نحوُ ثلَاثَةَ آلاف، ووصلَ منهزمًا إلى تِيهَرَتْ.

وَرَجَعَ عَمْرُو بن حفص إلى الْقَيْرَوَانَ، فجعلَ يُدخلَ إليها كُلَّ ما يُصلَحُهُ من الطعام والمرافق وعدَّةُ الحصار. ثُمَّ أقبلَ أبو حاتم في جموعه حتَّى نزلَ عليه. وكُثُرتَ الفتَنُ بِلادِ إفريقية. ويقال: إنَّ عَدَدَهُ من حاصر الْقَيْرَوَانَ مائةُ ألفٍ وثلاثون ألفاً. وكان ابن

(١) في أ: «المصور».

(٢) الكامل لابن الأثير ٥٩٨-٥٩٩ / ٥.

(٣) هذه العبارة ليست في ر١.

(٤) في ر١: «وكتباً»، ولا معنى لها.

(٥) الكامل لابن الأثير ٥٩٩ / ٥.

حُفْصَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَيُحَارِبُهُمْ. فَلَمْ يَزَالُوا حَتَّىٰ ضَاقَ أَمْرُهُمْ، وَأَكْلُوا دُواَبَهُمْ وَكَلَابَهُمْ وَسَنَانِيهِمْ، وَمَا تَوَاجَعَ^(١)، وَانْتَهَىٰ الْمَلْحُ عَنْهُمْ أُوقِيَّةً بِدِرْهَمٍ. وَاضْطَرَبَ عَلَى ابْنِ حُفْصَ أَمْرُهُ وَسَاءَتْ خُلُقُهُ، وَبَلَغَهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ حَاتَمَ بَعْثَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) فِي سَيْنَىَ الْفَالَّا لِنَصْرَةِ الْقَيْرَوَانَ. فَقَالَ: لَا خَيْرٌ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ يَقَالَ: يَزِيدُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْحَصَارِ، إِنَّمَا هِيَ رَقْدَةٌ وَأَبْعَثَتْ إِلَى الْحِسَابِ.

وَخَرَجَ، فَجَعَلَ^(٣) يُطْعَنُ وَيُضْرَبُ حَتَّىٰ قُتْلُ فِي النَّصْفِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَةٍ^(٤). وَلَمْ يُعْطِ الْحَالُ تَفْصِيلًا هَذِهِ السَّنِينَ مِنْ سَنَةِ إِحدِي وَخَمْسِينَ وَمِئَةٍ إِلَى ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ وَمِئَةٍ بَعْدَهَا سَنَةً سَنَةً: فَأَجْمَلَتُ أَمْرَهَا هَنَا إِجْمَالًا مُخْتَصِرًا، يُعْنِي^(٥) عَنِ إِعْادَتِهِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا.

وَلَمَّا قُتِلَ^(٦) عُمَرُ بْنُ حَفْصَ، بَايِعَ النَّاسُ أَخَاهُ جَمِيلَ بْنَ حَفْصَ بِالْقَيْرَوَانَ. فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ الْحَصَارُ، دَعَاهُ الاضْطَرَارُ إِلَى مُصَالَحةِ أَبِي حَاتَمَ، عَلَى أَنْ جَمِيلًا وَأَصْحَابَهُ لَا يَخْلُعُونَ طَاعَةً سُلْطَانِهِمْ، وَلَا يَنْزِعُونَ سُوَادَهُمْ. فَغَضِبَ أَبُو حَاتَمَ، وَأَحْرَقَ أَبْوَابَ الْقَيْرَوَانَ، وَثَلَمَ سُورَهَا، وَدَخَلَهَا عَنْوَةً. وَلَمَّا دَخَلَ أَبُو حَاتَمَ الْقَيْرَوَانَ، أَخْرَجَ^(٧) أَكْثَرَ أَهْلِهَا إِلَى الزَّابِ. ثُمَّ بَلَغَهُ قَدُومُ يَزِيدَ بْنَ حَاتَمَ، فَتَوَجَّهَ لِلقاءِ نَحْوَ أَطْرَابُّهُ، وَاسْتَخَلَفَ عَلَى الْقَيْرَوَانَ عَبْدَ الْعَزِيزِ الْمَعَاافِيَ. فَقَامَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ، وَقُتِلَ أَصْحَابُ أَبِي حَاتَمَ، فَرَحِفَ إِلَيْهِمْ أَبُو حَاتَمَ إِلَى الْقَيْرَوَانَ، فَاقْتُلَ مَعْهُمْ. وَتَوَجَّهَ ابْنُ^(٨) عُثْمَانَ إِلَى تُونِسَ، وَرَجَعَ أَبُو حَاتَمَ إِلَى أَطْرَابُّهُ حِينَ بَلَغَهُ قَدُومُ يَزِيدَ بْنَ حَاتَمَ،

(١) قولُهُ: «وَمَا تَوَاجَعَ» لِيُسَّ في أَ.

(٢) فِي ر١: «أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْثَ يَزِيدَ بْنَ حَاتَمَ».

(٣) لِيُسَّ فِي ر١.

(٤) الْكَاملُ لَابْنِ الْأَثِيرِ / ٥ ٦٠٠.

(٥) مِنْ هَنَا إِلَى نَهايَةِ الْفَقْرَةِ سَقْطُ مِنْ ر١.

(٦) فِي ر١: «مَاتَ».

(٧) فِي ر١ بَدَلًا مِنَ الْجَمْلَةِ الْأُخْرَى: «وَدَخَلَهَا عَنْوَةً، فَأَخْرَجَ».

(٨) فِي أَمْ: «أَبُو»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

فقيل: إنَّه كان بين الْعَرَبِ والبرير، من لُدُن قاتلهم عَمْرُو بن حَفْصٍ إِلَى انْقِضَاءِ أَمْرِهِمْ، ثلَاث مائة وخمسين وسبعين وقِيَعةً.

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِائَةً: وَلَيْلَ المُنْصُورُ عَمْرُو بْنُ حَفْصٍ الْمُتَقْدِمُ الَّذِي إِفْرِيقِيَّةُ، فَقَدِمَهَا فِي صَفَرٍ فِي خَمْسِ مائةٍ فَارِسٍ^(١)، وَكَانَ قَدْ ولِي إِفْرِيقِيَّةً سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةً، بَعْدَ مَوْتِ الْأَغْلَبِ، الْمَخَارُقَ بْنَ غَفار الطَّائِبِيِّ، اسْتَخْلَفَهُ الْأَغْلَبُ عَلَى الْقَيْرَوانَ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي رَمَضَانَ، فَوَجَّهَ الْخَيْلَ فِي طَلَبِ الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ، فَهَرَبَ مِنْ تُونِسِ إِلَى كُتُمَّةَ، فَأَقَامَ شَهْرَيْنَ، وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مَنْ بَهَا مِنَ الْخَيْلِ، فُقِتِلَ الْحَسَنُ بْنُ حَرْبٍ.

وَفِي سَنَةِ اثْتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً: كَانَ مَا تَقْدَمَ ذَكْرُهُ عَلَى الْجَمْلَةِ يَا فِرِيقِيَّةً. وَفِيهَا عَزَلَ الْمُنْصُورُ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمَ عَنِ الْمُضْرِبِ، وَوَلَّهَا مُحَمَّدَ بْنَ سَعِيدَ. وَكَانَ سَائِرُ عَمَّا لَهَا الَّذِينَ كَانُوا فِي السَّنَةِ قَبْلَهَا.

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً: قَالَ الطَّبَرِيُّ^(٢): قُتِلَ عَمْرُو^(٣) بْنُ حَفْصٍ: قُتْلَهُ أَبُو حَاتِمِ الْإِبَاضِيُّ، وَأَبُو عَادِي^(٤)، وَمِنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنَ الْبَرِيرِ، وَكَانُوا - فِيمَا ذُكِرَ - ثَلَاثَ مائةَ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا، الْخَيْلُ مِنْهَا خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَمَعَهُمْ أَبُو قُرَّةِ الْيَقْرَنِيِّ^(٥) أَمِيرُ تِلْمِسَانَ فِي أَرْبِيعِينَ أَلْفًا، وَكَانَ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ بِالْخَلَافَةِ. هَكُذا ذُكِرَ ابنُ الْقَطَّانَ فِي «نَظَمِ الْجُمَانِ». وَقَدْ^(٦) تَقْدَمَ أَنَّ قُتْلَ عَمْرُو بْنَ حَفْصٍ كَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً. ذُكِرَ ذَلِكَ الرَّقِيقَ وَابْنَ حَمَادُهُ وَغَيْرِهِمَا.

وَقَالَ الرَّقِيقُ وَعَرِيبٌ: فِي سَنَةِ ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ، زَحْفَ أَبُو قُرَّةَ مِنْ تِلْمِسَانَ فِي جَمْعٍ كَبِيرٍ مِنَ الْبَرِيرِ إِلَى الْقَيْرَوانَ، فَصَالَحَهُ عَمْرُو بْنُ حَفْصٍ، وَانْصَرَفَ. وَفِيهَا ثَارَتِ الْبَرِيرُ بِأَطْرَابِلُسِ، وَقَدَّمُوا أَبَا حَاتِمِ الْإِبَاضِيِّ، وَاسْمُهُ: يَعْقُوبُ بْنُ لَبِيبٍ.

(١) قوله: «في خمس مائة فارس» ليس في ر ١.

(٢) قوله: «قال الطبرى» ليس في ر ١، والخبر في تاريخ الطبرى ٤٢ / ٨.

(٣) في تاريخ الطبرى: «عمر»، وهو الصواب.

(٤) في تاريخ الطبرى: «أبو عاد».

(٥) وهو الصفرى.

(٦) من هنا إلى نهاية الفقرة ليس في ر ١.

وفي سنة أربع وخمسين ومئة: قال عَرِيب^(١): استخلف عمُرو بن حَفْص على طُبْنَة المُهَنَّا بن المُخَارِق، وَخَرَجَ عمُرو إلى الْقَيْرَوَانَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ أَبُو حَاتِمِ الْإِبَاضِيُّ إِلَى أَنْ قُتِلَ عَمُورُ كَمَا تَقَدَّمَ ذَكْرُهُ. وَلَمَّا بَلَغَ الْمُنْصُورَ قُتْلُ عَمُورُ، بُعْثَتْ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمَ، عَلَى مَا سِيَّأَتِي ذَكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وفي سنة خمس وخمسين ومئة: قال الطَّبَرِيُّ^(٢): فيها افتتح يَزِيدَ بْنَ حَاتِمَ إِفْرِيقِيَّةَ، وَقُتِلَ أَبَا غَادِي وَأَبَا حَاتِمَ، وَاسْتَقَامَتْ بِلَادُ الْمَغْرِبِ، وَدَخَلَ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمَ الْقَيْرَوَانَ.

وفيها: انصرف أبو حاتم الإباضي من أطربُلُس إلى الْقَيْرَوَانَ، ثُمَّ قدم يَزِيدَ.

ولَايَةُ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ^(٣)

هو يَزِيدُ بْنُ حَاتِمَ بْنَ قَيْصَةَ بْنَ الْمُهَلَّبِ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا خَالِدٍ. وَلَا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ الْعَبَاسِيِّ^(٤) الْمَغْرِبَ^(٥). وَحَالَهُ فِي كَرْمِهِ، وَجُودِهِ، وَشَجَاعَتِهِ، وَبُعْدِ صَيْتِهِ، وَنَفَادِ رَأْيِهِ، وَتَقْدِيمِهِ، مَعْرُوفٌ غَيْرُ نَكِيرٍ^(٦). وَكَانَ كَثِيرُ الشَّبَهِ بِجَدِّهِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةِ فِي حَرْوَبِهِ وَكَرْمِهِ. وَكَانَ لَهُ أَوْلَادٌ مُذَكَّرُونَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقدَامِ. وَيَقَالُ: إِنَّهُ انتَهَى وَلَدُ الْمُهَلَّبِ ثَلَاثَ مَئَةً وَلَدًا مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، مِنْ مَاتَ مِنْهُمْ وَمَنْ عَاشَ. وَكَانَ أَبُو جَعْفَرُ الْمُنْصُورُ عَالِمًا بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةِ، وَكَانَ لَا يَبْعُثُ إِلَيْهَا إِلَّا خَاصَّتِهِ. وَكَانَ يَزِيدُ هَذَا حَسَنَ السِّيرَةِ. فَقَدِيمُ إِفْرِيقِيَّةِ، وَأَصْلَحَهَا، وَرَتَّبَ أَسْوَاقَ الْقَيْرَوَانَ، وَجَعَلَ كُلَّ صَنَاعَةٍ فِي مَكَانِهَا. وَلَمْ تَزُلِ الْبِلَادُ هادِنَةً إِلَى أَنْ ثَارَتْ عَلَيْهِ الْبَرِّيَّرُ. فَزَحَفَ لَهُمْ وَأَوْقَعُوهُمْ. وَلَهُ فِيهِمْ مَلَاحِمٌ مَشْهُورَةٌ. وَفِيهِ قَيلٌ: «شَتَّانَ

(١) قوله: «قال عَرِيب» ليس في ر١.

(٢) تاريخ الطبرى ٤٦/٨.

(٣) ينظر تاريخ الرقيق ٨٥، والكامل لابن الأثير ٥/٦٠١، ونهاية الأربع ٤٦-٤٧.

(٤) ليست في ر١.

(٥) ليست في أ.

(٦) في أ، م: «منكر».

ما بين اليزيدين»، يعني: يزيد بن سليم ويزيد بن حاتم. ومن شعر ربيعة^(١) فيه من قصيدة [من الطويل]:

حَلَفْتُ يَمِنًا غَيْرَ ذِي مَثْوَيٍ
يَمِنَ امْرَئَ الْأَلِّ وَلَيْسَ بِأَشِيمٍ
لَشَتَّانَ ما يَمِنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى
يَزِيدُ سُلَيْمٌ وَالْأَغْرِيْنِ بْنُ حَاتَمٍ

وقدم يزيد على إفريقية ومعه كل جند من الشام والعراق وخراسان، فنزل أوّلاً أطربلس، وسار إليه أبو حاتم، فرحب إليه يزيد، وقتل معه قتالاً شديداً، فانهزم أبو حاتم وقتل^(٢) هو وكثير من أصحابه. واتبع سائرهم، فقتل من أدرك منهم. واستعمل يزيد على أطربلس سعيد بن شداد، وحينئذ نهض إلى القيروان، فدخلها يوم الاثنين عشر بقين لجهاز الآخرة من هذه السنة.

وفي هذه السنة أنكرت الصفرية المجتمع بسجلها على أميرهم عيسى بن يزيد أشياء، فشدواه وثاقاً، ووضعوه على قنة جبل، فلم يزل كذلك حتى مات، وقدّموا سمعون وأسول بن مدلان المكناسي جد مدرار.

وفي سنة ست وخمسين ومئة: بعث يزيد بن حاتم العلاء^(٣) بن سعيد المهلبي مداداً لابن المخارق بمدينة طيبة بالزاب، ودخل قلعة^(٤) حبيب بجبل كتمة، وهرب عبد الرحمن بن حبيب عنها. وقتل العلاء^(٥) جماعةً ممن أدرك فيها، ثم انصرف إلى القيروان.

وثار على يزيد بن حاتم أبو يحيى بن قرياس الهواري بناحية أطربلس، واجتمع إليه كثير من البربر. وكان بها عبد الله بن السبط الكيندي قائداً ليزيد، فالتحقوا على شاطئ البحر، وقتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أبو يحيى وقتل عاملاً أصحابه. وتهدمت إفريقية ليزيد بن حاتم، وضيّطها.

(١) هو ربيعة بن ثابت الرقي، والقصيدة بطولها في تاريخ الرقيق .٨٧

(٢) سقطت من را.

(٣) قوله: «حاتم العلاء» سقط من را، وترجمة العلاء بن سعيد المهلبي في الحلقة السيراء ١/٨٧.

(٤) سقطت من را.

(٥) سقطت من را.

وفي سنة سبع وخمسين ومئة: جدّ يزيد بناء المسجد الجامع بالقَيْرَوان^(١)، وكان غايةً في الجود والحسن. وفيها تُوفّي أبو جعفر المنصور، في ذي الحجّة من السنة المؤرّخة.

وفي سنة ثمانٍ وخمسين ومئة: ولِيُّ الْخَلَافَةَ الْمَهْدِيُّ^(٢)، بُويع يوم مات أبو جعفر بمكّة، شَرَّفَهَا اللَّهُ، بعهد من أبيه، وذلك يوم السبت لستّ خلون لذى الحجّة. واستقلَّ بالملك والخلافة في هذه السنة. وكان أدبياً، جواداً، محباً لأهل الأدب والشعر.

وقد ذكرنا بعض أشعاره^(٣) وأخباره في تاريخ المشرق، إذ الغرض^(٤) هنا ذكر أخبار المغرب: الأقصى والأوسط.

وفي سنة اثنتين وستين ومئة: تُوفّي أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم^(٥)، القاضي بالقَيْرَوان، وصلّى عليه أمير إفريقية يزيدُ بن حاتِم، وتمثّلَ بهذا البيت لِمَا رأى ازدحام الناس عليه [من البسيط]:

يا كَعْبُ ما راحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا ابْتَكَرُوا
إِلَّا وَلِلْمَوْتِ فِي آثَارِهِمْ حَادِي
وَكَانَ مَرْضُهُ أَكْلُ حُوتًا وَشَرِبَ عَلَيْهِ لِبَنًا عَلَى مَائِدَةِ يَزِيدٍ، وَكَانَ قَدْ جَاؤَرَ
تَسْعِينَ سَنَةً، فَهَلَكَ مِنْ لَيْلَتِهِ.

وفي سنة ثلاث وستين ومئة: أمر المهدىُّ يحيى بن خالد بن برمك أن يكون كتاباً لابنه هارون، وقال له: إني اخترتُك ووليتُك الكتابة. وأمر له بمئة ألف درهم معونةً على سفره مع هارون ابنه^(٦).

(١) ينظر تاريخ الرقيق ٩٣.

(٢) تاريخ الطبرى ١١٠ / ٨.

(٣) ليست في ر١.

(٤) في أ: «والغرض».

(٥) تاريخ الإسلام ١١٥ / ٤.

(٦) تاريخ الطبرى ١٤٧ / ٨.

وفي سنة خمس وستين ومئة: أغزى المهدى ابنه هارون إلى بلاد الروم، في خمسة وتسعين ألفاً^(١)، بمئة ألف ألف من العين^(٢)، وبعشرين ألف ألف من الورق^(٣). بلغ خليج البحرين على القسطنطينية، وأذعن له الروم بالجزية^(٤) تسعين ألف دينار في كل سنة، وانصرف بخمسة آلاف من الأسرى وبالغنائم.

وفي سنة ست وستين ومئة: قدم هارون ابن^(٥) أمير المؤمنين من غزوه هذه، وقدمت الروم بالهدى والجزية^(٦). وفيها سخط المهدى على وزيره يعقوب بن داود، وكان قد فرض إليه أمر خلافته^(٧).

وفي سنة تسع وستين ومئة: توفي المهدى بن المنصور، رحمه الله، واختلف في سبب مותו، فقيل: مسموماً غالطاً، وقيل غير ذلك^(٨). واستخلف ابنه موسى الهادى^(٩). وفي سنة سبعين ومئة: توفي موسى الهادى في ربيع الأول وهو ابن ست وعشرين سنة ونصف، فكانت خلافته سنة وشهرين^(١٠). واستخلف هارون بن محمد الرشيد.

(١) تاريخ الطبرى ١٥٢/٨.

(٢) هكذا في النسختين، وهو خطأ بلا ريب، وبلغ ضخم غير معقول، وصوابه كما في تاريخ الطبرى: مئة ألف دينار وأربعة وتسعون ألفاً وأربع مئة وخمسون ديناراً.

(٣) الذى في تاريخ الطبرى: واحد وعشرون ألفاً وأربع مئة ألف وأربعة عشر ألفاً وثمان مئة درهم.

(٤) في را: «بالجزيرة»، وهو تحريف بين.

(٥) قوله: «هارون ابن» سقط من را.

(٦) تاريخ الطبرى ١٥٤/٨.

(٧) في را، م: «أمر خاصته»، وما هنا من أ، وينظر تاريخ الطبرى ١٥٦/٨، وفيه: «ففرض إلى أمر الخلافة».

(٨) تاريخ الطبرى ١٦٨/٨.

(٩) تاريخ الطبرى ١٨٧/٨.

(١٠) تاريخ الطبرى ٢٠٥/٨.

وفي سنة إحدى وسبعين ومئة: توفي أمير إفريقيية يزيد بن حاتم، وكان خاصاً بآبي جعفر المنصور، وتولى ولايات كثيرة قبل قيومه المغرب، منها: أرمينية، والشام، ومصر، وأذربيجان^(١)، وغير ذلك. وكانت ولادته مصر سنة أربع وأربعين ومئة إلى سنة اثنين وخمسين ومئة، وكان حسن السيرة بإفريقية، امتدحه كثير من فحول الشعراء، فأجزل لهم العطاء.

قال الزبير بن بكار عن حديثه من الشعراء، قال: كنتُ أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه، فلما ولأه المنصور مصر، أخذ على طريق المدينة، فلقيه، فأنسده مئذنة خرج من مسجد رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مسجد الشجرة^(٢). فأعطاه رزمه ثياب عشرة آلاف دينار؛ هكذا ذكر الرقيق^(٣). وممّا قيل فيه^(٤) [من الكامل]:

فَحْطَانُ قَاطِبَةٍ وَسَادَ نِزَارًا
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي دَانَتْ لَهُ
إِنِّي لَأَرْجُو إِذْ بَلَغْتُكَ سَالِي
أَلَا أَكَابِدَ بَعْدَكَ الْأَسْفَارًا
وَفِيهِ قَيْلٌ [من الطويل]:

لَشَّتَانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى
يَزِيدُ زَرِيعُ وَالْأَغْرِيْبُ ابْنُ حَاتِمٍ^(٥)

وقوله: «لشّتان ما بين اليزيديين» مثل يتمثل به في كل ناحية على لسان كل سائر^(٦). وكان على ربعة الشاعر ديه، فأعطاه عشر ديات، ووصله، وأحسن إليه، وكان سخياً. ومن قول يزيد بن حاتم، رحمة الله [من البسيط]:

(١) قوله: «ومصر وأذربيجان» ليس في ر١.

(٢) في تاريخ الرقيق: «الصخرة»، وهو تحريف.

(٣) تاريخه، ص ٩٠.

(٤) في ر١: «وفيه قال»، وقائل هذين البيتين هو ابن المولى، محمد بن عبد الله بن مسلم، كما ذكر الرقيق في تاريخه، ٨٩.

(٥) في أ: «إذا عُد في الناس المكارم والمجد»، وما هنا من ر١، وهو الصواب لأن الشطر الوارد في أقاله أبو الشمقمق في مدح يزيد من مزيد الشيباني كما في تاريخ الرقيق ٨٨ وغيره.

(٦) في ر١ بدلًا من هذه العبارة: «وهو مثل سائر يقول العرب: شتان ما بين اليزيديين».

ما يألف الدّرْهُم المضروب بِخُرْقَتَا
 إِلَّا لِمَا يَسِيرًا ثُمَّ يَنْطَلِقُ
 يَمْرُّ مَرًّا عَلَيْهَا وَهُنَّ تَلْفِظُهُ
 إِنِّي أَمْرُّ لَمْ يَحَالِفْ صُرَّقَ الْوَرْقُ

ومن أخباره بإفريقية، رحمه الله^(١): رُويَ أَنَّ بَعْضَ وَكَلَائِهِ زَرَعَ فُولًا كثِيرًا في بعض رياضاته، فقال له: يا ابن اللختاء، أَتُرِيدُ أَنْ أَعِيَّ بِالْبَصْرَةِ، فِي قَالَ: يَزِيدُ بْنُ حَاتِمَ بِاقْلَافِي^(٢)! ثُمَّ أَمْرَ بَأْنِ يُبَاحَ لِلنَّاسِ. وَخَرَجَ أَيْضًا يَوْمًا فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْقَيْرَوَانَ مُتَنَزِّهًا، فَنَظَرَ إِلَى غَنَمَ كَثِيرَةً كَانَتْ لَابْنِهِ، فَرَجَّهُ عَلَيْهَا، وَأَمْرَ بِذَبْحِهَا وَأَنْ تُبَاحَ لِلنَّاسِ، فَانْتَهَبُوهَا، وَأَكْلُوهَا، وَجَعَلُوهَا فِي كُدْيَةٍ، فَهِيَ تُعْرَفُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ بِكُدْيَةِ الْجُلُودِ^(٣). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ خَلَافَةُ هَارُونَ^(٤) الرَّشِيدِ.

ولاية داود بن يزيد بن حاتم إفريقية^(٥)

استَخْلَفَهُ أَبُوهُ فِي مَرْضِهِ، فَأَقَامَ وَالِيَا بِإِفْرِيقِيَّةِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَنَصَفًا، يَحَارِبُ أَمْرَاءَ قَبَائلِ الْبَرِّ بِحَارِبَةَ عَظِيمَةً. وَكَانَ^(٦) بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَوَاقِفٌ كَثِيرَةٌ فِي جَبَالِ باجَةِ وَغَيْرِهَا. وَقَامَ عَلَيْهِ نُصَيْرُ بْنُ صَالِحِ الْإِبَاضِيُّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ بْنُ يَزِيدَ، فَهَزَمُوهُ وَقَتَلُوهُ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً. فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ دَاوُدُ سُلَيْمَانَ بْنُ يَزِيدَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، فَهَرَبَ الْبَرِّ أَمَامَهُمْ، فَتَبَعَّهُمْ، وَقُتِلَّ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ. وَأَقَامَ دَاوُدُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ عَمُّهُ رَوْحُ بْنُ حَاتِمَ^(٧) عَلَى الْمَغْرِبِ.

(١) قوله: «وَمِنْ أَخْبَارِهِ بِإِفْرِيقِيَّةِ، رَحْمَهُ اللَّهُ» لِيُسْ فِي ر١.

(٢) تَارِيخُ الرَّقِيقِ ٩١.

(٣) كَذَلِكَ.

(٤) لِيُسْ فِي ر١.

(٥) تَارِيخُ الرَّقِيقِ ٩٧.

(٦) فِي ر١: «وَكَانَ».

(٧) لِيُسْ فِي ر١، وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي تَارِيخِ الرَّقِيقِ.

ذكر ابتداء الدولة الهاشمية بالبلاد الغربية، وهم الأدارسة رحهم الله

اتفق جماعة المؤرخين أن دخول إدريس بن عبد الله^(١) رضي الله عنه إلى المغرب كان في سنة سبعين ومئة، وهو إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان دخوله في إماراة يزيد بن حاتم إفريقيية، وإماراة هشام بن عبد الرحمن الداخل بقرطبة، وأول ظهوربني مدرار بسجلماسة. وكان نزوله بوادي الزّيتون، بموضع يُعرف بمدينة البَلَد. وكان وصوله مع مولاه راشد.

وقال البكري في «المجموع المفترق»^(٢): كان نزوله بوَلِيلَ، وهي اسم لطنجة باللسان البربرى. وذكر محمد بن يوسف أنها كانت على مسافة يوم من موضع فاس الآن. وكانت مدينة أَزْلِيَّة، وبها مات إدريس رضي الله عنه. وكان سبب وصول إدريس إلى المغرب، على ما ذكر الرقيق والنوفلي^(٣) في «المجموع المفترق»، وغيرهما من المؤرخين، وذلك أن الحسين^(٤) بن علي بن حسن^(٥) بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد قام بالمدينة أيام موسى الهادى، ثم خرج إلى مكة في ذي الحجَّة سنة تسع وستين^(٦)، وخرج معه جماعة من إخوانه وبني عممه، ومنهم

(١) ينظر تاريخ ابن خلدون ٤/١٢.

(٢) هذا الكتاب لا نعرف مؤلفه، وهو بلا شك ليس للبكري، والظاهر أن ابن عذاري ينقل قوله للبكري ورد في هذا الكتاب.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب النوفلي، أكثر أبو جعفر الطبرى النقل عنه في تاريخه (ينظر الفهرس)، والمسعودي في «مروج الذهب» وذكر أن له كتاب «الأخبار». كما أكثر النقل عنه أبو الفرج الأصفهانى في كتاب «مقاتل الطالبين»، ونقل ابن الأبار في الحلقة السيراء وفاة إدريس بن عبد الله عنه. وينظر تاريخ ابن خلدون ٣/٢٠٥.

(٤) في ر ١: «الحسن»، خطأ، وينظر تاريخ الإسلام للذهبي ٤/٢٨٣.

(٥) في ر ١: «حسين»، خطأ.

(٦) يعني: ومئة.

إدريس ويحيى ابنا عبد الله بن حسن. وبلغ ذلك الهاדי، فولَّ حَرْبَهُ مُحَمَّدَ بن سُلَيْمان ابن عليٍّ. وكانت الواقعة بفتح، فقتل الحسين^(١) بن عليٍّ وأكثر أصحابه. وأفلت إدريس هذا الداخُلُ إلى المغرب، فوقع^(٢) إلى مصر، وكان على بريدها واضحٌ مولى صالح بن المنصور، فحملَهُ على البريد إلى أرض المغرب. فوقع بمدينة وليل^(٣) من أرض طنجة، فاستجاب له من بها من قبائل البربر. ولما ولي الرشيدُ وبلغه أمره، بعث إلى واضح، فضرب عنقه، ودسَ إلى إدريس الشَّمَاخَ مولى الهاادي، فخرج حتى وصل وليلة، وذكر أنه مُنَظَّبٌ من شيعتهم العلوية، ودخل^(٤) إلى إدريس، فأنسَ به واطمأنَ إليه. ثم إنَّه شكا له علةً في أسنانه، فأعطاه سنتوناً مسماً قاتلاً، وأمره أن يستنَّ به عند طلوع الفجر، فأخذَهُ منه. وهرَب الشَّمَاخَ من تحت ليلته. فلما طلع الفجر، استنَّ إدريس، وأكثر منه في فمه، فسقطت أسنانه^(٥) ومات من وقته. وطلب الشَّمَاخَ، فلم يُظفِّرْ به، وقدَمَ على الرشيد، فولَّهُ بريداً مصر. هكذا ذكر الرَّقيق في كتابه^(٦).

وفي سنة اثنين وسبعين ومئة: اجتمع القبائل على إدريس بن عبد الله من كل جهة ومكان، فأطاعوه وعظّموه وقدّموه على أنفسهم، وأقاموا معه مُغتَبِطين بطاعته، ومتَّشِّرين بخدمته طُول حياته. وكان رجلاً صالحًا^(٧)، مالكًا لشهواته، فاضلاً في ذاته، مؤثِّراً للعدل، مُقِيلاً على أعمال البر.

وفي سنة ثلاثة وسبعين ومئة: كان خروجه بعساكر القبائل الغربية حتى انتهى إلى بلاد السوس الأقصى، ودخل ماسة، فغنم وسي، ورجع إلى الغرب سالماً غانماً.

(١) في ر ١: «الحسن»، خطأ.

(٢) في ر ١: «فهرب».

(٣) تبعد نحو ثلاثة كيلومترات من مكناس، وتسمى اليوم قصر فرعون.

(٤) في ر ١: «ورحل».

(٥) قوله: «فسقطت أسنانه» ليس في ر ١.

(٦) نقله عنه التوييري في نهاية الأربع ٢٥/٣٩.

(٧) قوله: «رجلاً صالحًا» ليس في أ.

وفي سنة أربع وسبعين ومئة: توجَّه بعسكتره إلى رباط تازا^(١) لما قفل من حركة السُّوس^(٢)، فوْجِدَ في جَبَلِها معدن الذهب. وأجابه جميع القبائل الغربية، وأطاعوه، وبايده في هذه السنة، وكملت له الإمارة فيهم.

ولاية رَوْحَ بْنِ حَاتِمَ بْنِ قَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ إِفْرِيقِيَّةَ^(٣)

ولَا هُوَ عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هارونُ بْنُ مُحَمَّدِ الرَّشِيدِ، فَقَدِمَهَا فِي سَنَةِ إِحدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةً. وَكَانَ لَهُ وَلَايَاتٌ كَثِيرَةٌ: فَحَجَّبَ الْمُنْصُورَ، ثُمَّ لَوَّهَ الْبَصْرَةَ، وَوَلَّيَ الْكُوفَةَ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ، وَوَلَّ السَّنْدَ وَطَبَرْسْتَانَ وَفِلَسْطِينَ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَنَظَرَ رَجُلٌ إِلَى رَوْحَ بْنِ حَاتِمَ وَاقِفًا فِي الشَّمْسِ عَنْدَ بَابِ الْمُنْصُورِ، فَقَالَ لَهُ: لَقِدْ طَالَ وَقْوْفُكَ فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ لَهُ: لِي طُولُ بِذَلِكَ وَقْوْفٌ فِي الظَّلَّ. وَتُوْفِيَ لَهُ ابْنُ فَدْخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَهُوَ ضَاحِلٌ، فَتَوَفَّقُوا عَنْ تَعْزِيزِهِ، فَعُرِفَ ذَلِكَ فِيهِمْ، فَأَنْشَأُوا [من الطويل]:

وَإِنَّا لَلَّهُمَّ مَا تَفِيضُ دُمُوعُنَا عَلَى هَالِكٍ مِنَّا وَإِنْ فُصِّمَ الظَّهَرُ

وَقَيلَ: إِنَّهُ بَعَثَ لِكَاتِبَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَوَقَعَ إِلَيْهِ^(٤): إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِكَذَا، لَا أَسْتَقِلُّهَا لَكَ تَكَبُّرًا، وَلَا أَسْتَكِنُهَا تَمَنُّنًا، وَلَا أَقْطَعُ عَنْكَ بِهَا رَجَاءً بَعْدُ، وَالسَّلَامُ.

وَكَانَ رَوْحُ أَكْبَرُ سَنًّا مِنْ أَخِيهِ يَزِيدَ وَأَكْثَرَ وَلَايَةً. وَعِنْدَمَا يَطُولُ جُلوْسُهُ بِالْقَيْرَوَانَ، رُبَّمَا خَطَرَ عَلَيْهِ النَّعَاسُ مِنَ الْضَّعْفِ وَالشَّاحَةِ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا خَالِدٍ. تُوْفِيَ لِيَلَّةَ الْأَحَدِ لِسَبِيلِ بَقِيَّةِ مِنْ رَمْضَانَ الْمُعَظَّمِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ ثَلَاثَ سَنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرَ^(٥).

(١) ينظر الروض المعطار . ١٢٨

(٢) قوله: «لما قفل من حركة السُّوس» ليس في رـ١.

(٣) تاريخ الرقيق ٩٨-١٠٤ و تاريخ دمشق ١٨/٢٣٤-٢٣٨، وتاريخ الإسلام ٤/٦٢٠.

(٤) في رـ١: «له».

(٥) الكامل لابن الأثير ٦/١١٣-١١٤، ونهاية الأرب للنويري ٤٨/٢٤

ولاية نَصْر بن حَبِيب الْمُهَلَّبِي إِفْرِيقِيَّة^(١)

وكان صاحبُ البريد وأبو العَنْبَر القائدُ قد كتبا^(٢) إلى الرشيد، في جملة من كتب إليه من القواد، يعلمهانه^(٣) بضعف روح بن حاتم وكبره، وأنهما لا يأمنان موته عن قريب، وإفريقية ثغرٌ كبيرٌ لا يصلحُ بغير سلطان. وكان نَصْر هذا على شرطة يزيد بن حاتم بمصر وإفريقية، وكان محمود السيرة. فكتب الرشيد عَهْدَه، وبعثه به سراً إليه. فلما مات روح، بويغ قيصة ابنه في المسجد الجامع، وأجمع الناس على بيعته^(٤). وكان الفَضْل بن روح عاملًا في الزاب، فركب أبو العَنْبَر وصاحبُ البريد بعهد أمير المؤمنين هارون إلى نَصْر بن حَبِيب، فأوصلاه إليه، وسلمًا عليه بالإمارة، وركبا معه إلى المسجد فيمن معها، حتى أتيا قيصة، وهو جالسٌ على الفراش. فأقاماه، وأقعدا نَصْر بن حَبِيب، وأعلموا الناس بأمره. وفُرِئَ الكتابُ الواثل من أمير المؤمنين هارون إلى نَصْر بن حَبِيب على الناس، فسمعوا وأطاعوا. وكان ذلك في العشر الأواخر لرمضان المعظم من عام أربعة وسبعين ومئة. فحسنت سيرته، وعدل في أحكامه. فولى سنَتين وثلاثة أشهر.

وفي سنة خمس وسبعين ومئة: عقدَ الرشيدُ لابنه محمدَ بمدينة السلام ولاية عَهْد المسلمين من بعده، وأخذَ عليه بيعة القواد والجند، وسَمَاه بالأمين، وله يومئذ خمسُ سنين^(٥).

وفي سنة ست وسبعين ومئة: ظهرَ يحيى بن عبد الله بن حَسْنَ بن عليّ بن أبي طالب بالديلم، واشتَدَّت شوكتُه، وقوَيَ أمرُه، فاغتَمَ الرشيدُ لذلك، فلم يكن في تلك الأيام يشربُ النبيذ، فصرفَ إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل، فانهزَمَ يحيى بن عبد الله^(٦).

(١) تاريخ الرقيق ١٠٤-١٠٥، ونهاية الأربع للنويري ٤٨/٢٤.

(٢) جاء في ر ١ بدلاً من هذه الجملة: «كان نَصْر هذا قد كتب»، وهو خطأ بين.

(٣) في ر ١: «يعلمهونه».

(٤) في ر ١: «باجتمع من الناس» بدلاً من «وأجمع الناس على بيعته».

(٥) تاريخ الطبرى ٨/٢٤٠.

(٦) تاريخ الطبرى ٨/٢٤٢-٢٥١ بتفصيل.

وفي سنة سبع وسبعين ومئة: ولـي إفريقيـة الفـضل بن رـوح بن حـاتـم^(١)، ولـاهـ أمـير المؤـمنـين الرـشـيد عـلـيـهـاـ، وـكـتـبـ بـعـزـلـهـ نـصـرـ بنـ حـبـيـبـ، وـأـنـ يـقـومـ بـأـمـرـ النـاسـ الـمـهـلـبـ بنـ يـزـيدـ إـلـىـ أـنـ يـقـدـمـ الـفـضـلـ. فـكـانـ قـدـوـمـهـ فـيـ مـحـرـمـ مـنـ هـذـهـ السـنـةـ. وـلـمـ قـدـمـ الـفـضـلـ^(٢)، وـلـيـ اـبـنـ أـخـيـهـ الـمـغـيـرـةـ تـونـسـ، وـكـانـ غـيرـ ذـيـ تـجـربـةـ بـالـأـمـورـ^(٣) وـلـاـ سـيـاسـةـ لـلـجـمـهـورـ، فـاستـخـفـ بـالـجـنـدـ، وـسـارـ بـهـمـ سـيـرـةـ قـبـيـحـةـ، فـاجـتمـعـواـ، وـكـتـبـواـ كـتـابـاـ لـعـمـهـ الـفـضـلـ، يـخـبـرـونـهـ بـهاـ صـنـعـ الـمـغـيـرـةـ فـيـهـمـ، وـبـقـبـحـ سـيـرـتـهـ، فـتـشـاقـلـ الـفـضـلـ عـنـ جـوـابـهـ. فـقـالـوـاـ: كـلـ جـمـاعـةـ لـاـ رـأـسـ لـهـ لـاـ يـنـجـحـ سـعـيـهـمـ وـلـاـ مـطـلـبـهـمـ، فـقـالـ بـعـضـهـمـ: أـشـيـرـ عـلـيـكـمـ بـعـدـ اللهـ بنـ عـبـدـ اللهـ بنـ رـبـهـ بنـ الـجـارـودـ، فـانـتـلـقـواـ إـلـيـهـ وـقـالـوـاـ لـهـ: قـدـ رـأـيـتـ مـاـ صـنـعـ بـنـاـ الـمـغـيـرـةـ، وـقـدـ خـاطـبـنـاـ عـمـهـ، فـلـمـ يـصـلـتـ جـوـابـهـ، وـأـنـتـ الـمـنـظـورـ إـلـيـهـ، وـالـمـعـوـلـ فـيـ الـأـمـورـ عـلـيـهـ، وـنـحـنـ تـصـيـرـ أـمـرـنـاـ إـلـيـكـ، وـنـعـتـمـدـ فـيـهـ عـلـيـكـ. فـقـالـ لـهـمـ: لـيـسـ لـيـ مـنـ الـحـوـابـ إـلـاـ النـصـيـحةـ لـيـ وـلـكـمـ، وـأـنـ أـخـافـ عـلـىـ نـفـسـيـ وـأـقـنـعـ بـالـعـافـيـةـ، وـإـنـ كـانـ أـمـرـ، كـنـتـ فـيـهـ كـأـحـدـكـمـ. فـقـالـوـاـ لـهـ: مـاـ لـكـ مـنـ هـذـاـ بـدـ، فـقـالـ لـهـمـ: أـعـطـوـنـيـ مـنـ بـيـعـتـكـمـ مـاـ أـنـقـ بـهـ، فـبـايـعـوهـ وـأـطـاعـوهـ.

وفي سنة ثمان وسبعين ومئة: ثـارـ الـجـنـدـ عـلـىـ أمـيرـ إـفـرـيقـيـةـ الـفـضـلـ بنـ رـوحـ بنـ حـاتـمـ، وـقـدـمـواـ اـبـنـ الـجـارـودـ بـتـونـسـ. ثـمـ سـارـوـاـ إـلـىـ الـمـغـيـرـةـ، وـهـوـ بـدـارـ الـإـمـارـةـ^(٤)ـ، فـقـالـوـاـ لـهـ: الـحـقـ بـصـاحـبـكـ أـنـتـ وـمـنـ مـعـكـ. وـكـتـبـ لـلـفـضـلـ بنـ رـوحـ: مـنـ عـبـدـ اللهـ بنـ الـجـارـودـ، أـمـاـ بـعـدـ، فـإـنـاـ لـمـ تـخـرـجـ الـمـغـيـرـةـ خـرـوـجـاـ عـنـ الطـاعـةـ، وـلـكـنـ لـأـحـدـاثـ أـحـدـثـهـاـ فـيـنـاـ، ظـهـرـ فـيـهـ فـسـادـ الـدـوـلـةـ، فـعـجـلـ لـنـاـ مـنـ تـرـضـاهـ^(٥)ـ يـقـومـ بـأـمـرـنـاـ، وـإـلـاـ نـظـرـنـاـ لـأـنـفـسـنـاـ. وـكـتـبـ الـفـضـلـ إـلـىـ عـبـدـ اللهـ بنـ الـجـارـودـ: أـمـاـ بـعـدـ، فـإـنـ اللهـ يـعـجـرـيـ قـضـاءـهـ عـلـىـ مـاـ أـحـبـ النـاسـ أـوـ كـرـهـوـاـ، وـلـيـسـ اـخـتـيـارـيـ أـنـ أـؤـلـيـ عـلـيـكـمـ فـاخـتـارـوـاـ لـأـنـفـسـكـمـ وـلـكـنـ

(١) تاريخ الرقيق ١٠٥-١٢٣، وتنظر الحلة السيرة ١/٧٦.

(٢) قوله: «ولـاـ قـدـمـ الـفـضـلـ» سـقطـ منـ رـاـ.

(٣) ليسـ فـيـ أـ، مـ.

(٤) بعدـ هـذـاـ فـيـ أـ، رـاـ: «بـهـ» وـلـاـ مـعـنـىـ لـهـ.

(٥) فـيـ رـاـ: «ترـضـيـهـ».

أوجّه إليكم عاملاً. فوجّه عبد الله بن محمد إلى تونس. فلما وصل إليها، قال لهم ابن الجارود: كيف تصنعون ذلك، وأنتم قد أخرجتم ابن أخيه وشَّتمُوه؟ والله ما بعثه إليكم^(١) إلّا ليطيبكم^(٢)، حتّى ترجعوا عن رأيكم، فإذا أطْمأنْتُمْ أخْذُكُم^(٣) واحداً بعد واحد. قالوا له: فما رأيك؟ قال: الذي ذكرتُ لكم. فخرجوا حتّى التقوا بالعسكر الواثق مع العامل من قبّل الفضل أمير إفريقية والقِيروان^(٤) بموضع الرّيّتون، فدفعوه عن أنفسهم، وجرى بين الجنود كلام كثير يطول ذكره، إلى أن وقعت الحرب بين ابن الجارود وعُنْدَكِ الفضل، فهزمهم ابن^(٥) الجارود واتّبعهم إلى القِيروان، فنزل عليهما. فاجتمع الفضل معبني عمّه وخاصّته، وتشاوراً معهم في أمره. فاضطرب الأمر عليه، ولم يَصِحَّ له أمر. فلما أصبح، أقبل عبد الله بن عبد ربّه^(٦) بن الجارود في عُنْدَكِ، والفضل في دار الإمارة مع أصحابه. وكان بعض القواد على الأبواب، فلما قرب ابن الجارود^(٧) منها، فتحوها له؛ فدخل أصحابه، لا يدافعون أحداً، ونزل ابن الجارود^(٨) خارج المدينة، ثم دخل دار الإمارة، فأمن الفضل وأصحابه، ثم أمرهم بالخروج إلى قابس وقال لهم: إني لا آمنُ أصحابي عليكم، ولكن أوجّه معمكم من يوصلكم إلى قابس. فوجّه لهم أبا الهيثم في جماعة، وأخذ عليه الأيمان ألا يُسلّم الفضل. فخرج الفضل معه، مع ثلاثة منبني عمّه وبعض أصحابه من باب آخر. فقال لهم البوّاب: اخرجوا، يا كلاب النار، لا رحمة الله! فقال^(٩) الفضل عند ذلك: لا إله

(١) في ر١: «بعثته لكم» ولا يصح.

(٢) في أ: «ليطلبكم».

(٣) في ر١: «أخذتم».

(٤) قوله: «أمير إفريقية والقِيروان» ليس في ر١.

(٥) سقطت من ر١.

(٦) قوله: «عبد الله بن عبد ربّه» ليس في ر١.

(٧) في أ: «ابن عبد ربّه» وكله صحيح.

(٨) كذلك.

(٩) في ر١: «فقال لهم».

إِلَّا اللَّهُ، لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا صَارَ عَلَيْنَا، حَتَّى مَنْ أَعْتَقَنَا. وَسَارَ لِيَلَتَهُ وَنَهَارَهُ حَتَّى دَنَ الْغُرُوبِ، فَسَمِعَ طَبْلًا، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: فَلَانُ جَاءَ بِمَئَةٍ فَارِسٍ، بَعْثَهُ ابْنُ الْجَارُودَ إِلَيْكُ لَأَنَّهُ خَافَ عَلَيْكُ الْجُنُدَ. ثُمَّ سَمِعَ طَبْلًا آخَرَ، فَإِذَا هُوَ مُنْصُورٌ بْنُ هَاشِمٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ؟ فَقَالَ: كَذَا وَكَذَا. ثُمَّ سَمِعَ طَبْلًا آخَرَ، فَإِذَا هُوَ صَاحِبُ شُرُطَةِ ابْنِ الْجَارُودِ^(۱)، فَقَيلَ لِلْفَضْلِ: إِنَّهُ^(۲) جَاءَ لِرِدْدَكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَشَارَ عَلَى ابْنِ الْجَارُودِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّ لَا يَتَرَكُوا^(۳) الْفَضْلَ يَدْخُلُ أَطْرَابُلُسَ لِئَلَّا يَقُومَ النَّاسُ مَعَهُ وَيَرْجِعَ إِلَى الْقَيْرَوَانَ. فَنَادَى مُنْدَادِيهِ^(۴): مَنْ كَانَ مِنْ طَاعَةِ ابْنِ الْجَارُودِ، فَلْيَنْعَزِلْ، فَانْعَزَلَ النَّاسُ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ الْفَضْلِ أَحَدٌ. فَرَدُوا إِلَى الْقَيْرَوَانَ، بَعْدَمَا خَلُوا عَنِ الْمُهَلَّبِ وَجَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْفَضْلِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ هَشَامٍ وَالْفَضْلُ بْنُ يَزِيدٍ، فَانْطَلَقُوا بِهَا حَتَّى جُعِلُوا فِي الدَّارِ مَعَهُ. ثُمَّ قُتِلَ الْفَضْلُ بْنُ رَوْحٍ فِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِ وَسَبْعِينَ وَمَئَةٍ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ سَنَةً وَاحِدَةً وَخَمْسَةً أَشْهُرًا^(۵)، فَكَانَتْ دُولَةُ الْمَهَالِيَّةِ بِإِفْرِيقِيَّةِ ثَلَاثَةَ وَعَشْرِينَ سَنَةً. وَثَارَ ابْنُ الْجَارُودِ فِي جَمَادِيِّ الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِ وَسَبْعِينَ وَمَئَةٍ^(۶)، فَكَانَتْ لَهُ^(۷) مَعَ الْبَرِّ وَقَائِعٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ أَمَّنَهُ الرَّشِيدُ^(۸)، فَأَجَابَ إِلَى الطَّاعَةِ.

وَفِي سَنَةِ تَسْعَ وَسَبْعِينَ وَمَئَةٍ: كَتَبَ ابْنُ الْجَارُودِ التَّغْلِبَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُوسَى، وَهُوَ بِأَطْرَابُلُسِ، أَنَّ: اقْدَمْ الْقَيْرَوَانَ فَإِنِّي مُسْلِمٌ إِلَيْكَ سُلْطَانَهَا، فَخَرَجَ يَحْيَى بْنُ مُوسَى بِمَنْ مَعَهُ فِي مُحَرَّمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ قَابِسَ، تَلَقَّاهُ بَهَا عَامَّةُ الْجُنُدِ مِنَ الْقَيْرَوَانَ، وَمَعَهُمْ

(۱) فِي أَ: «ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ الْجَارُودِ».

(۲) فِي أَ: «إِذَا».

(۳) فِي م: «لَنْ تَرْكُوا».

(۴) فِي ر١: «الْمَنَادِي».

(۵) الْكَاملُ لِابْنِ الْأَثِيرِ / ۶ - ۱۳۷ - ۱۳۵.

(۶) قَوْلُهُ: «وَثَارَ ابْنُ الْجَارُودِ فِي جَمَادِيِّ الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِ وَسَبْعِينَ وَمَئَةٍ» لَيْسَ فِي ر١.

(۷) فِي ر١: «لِابْنِ الْجَارُودِ».

(۸) فِي أَ: «وَأَعْطَاهُ الرَّشِيدَ الْأَمَانَ»، وَمَا هَنَا مِنْ ر١.

النَّضر بن حَفْصٍ، وعَمْرُو بن مُعاوِيَةَ. فخرَج ابن الجارود من الْقَيْرَوَانَ، واستخَلَفَ عَلَيْهَا المُفَرِّجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فكَانَتْ أَيَّامٌ^(١) ابن الجارود سَبْعَةَ أَشْهُرٍ^(٢).

وأَفْلَى يَحْيَى بْنُ مُوسَى وَالْعَلَاءُ بْنُ سَعِيدٍ مُتَسَابِقَيْنِ إِلَى الْقَيْرَوَانَ، فَسَبَقَهُ الْعَلَاءُ إِلَيْهَا، فُقْتَلَ بِهَا جَمِيعًا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْجَارِودِ، فَبُعْثَتْ إِلَيْهِ يَحْيَى بْنُ مُوسَى أَنْ يُفَرِّقَ جَمِيعَهُ إِنْ كَانَ فِي الطَّاعَةِ. فَأَمَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ أَنْ يُنَصَّرُ فَوَإِلَى مَوَاضِعِهِمْ. وَرَحَلَ الْعَلَاءُ إِلَى أَطْرَابُلْسِ، وَكَانَ ابْنُ الْجَارِودِ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهَا قَبْلَ وَصُولِ الْعَلَاءِ، فَلَقِيَهَا يَقْطِينُ بْنُ مُوسَى، فَخَرَجَ مَعَهُ سَائِرًا إِلَى الْمَشْرُقِ، فَلَقِيَهَا هَرْثَمَةُ بْنُ أَعْيَنٍ^(٣) قَدْ وَصَلَ بِوَلَايَةِ إِفْرِيقِيَّةِ. وَقَدْ كَانَ الْعَلَاءُ كَتَبَ إِلَى هَرْثَمَةَ يُعْلِمُهُ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ ابْنَ الْجَارِودِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ، فَأَجَازَهُ بِجَائِزَةِ سَيَّنةَ. وَكَانَ يَحْيَى بْنُ مُوسَى قَدَّمَهُ هَرْثَمَةً. وَلَمَّا لَقِيَ هَرْثَمَةً ابْنَ الْجَارِودِ، سَيَّرَهُ^(٤) إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ^(٥).

وَلَايَةُ هَرْثَمَةِ^(٦) بْنِ أَعْيَنٍ إِفْرِيقِيَّةِ^(٧)

وَلَاهُ عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدَ، فَقَدَّمَ^(٨) الْقَيْرَوَانَ غُرَّةَ رَبِيعِ الْآخِرِ، فَأَنْسَ النَّاسَ، وَسَكَّنَهُمْ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ.

قَالَ ابْنُ حَمَادُهُ: وَصَلَ هَرْثَمَةُ فِي جَيْشِ كَثِيفٍ، حَتَّى نَزَلَ تِيهَرْتُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الْجَارِودِ، وَاقْتُلَ مَعَهُ، فَانْهَزَمَ^(٩) ابْنُ الْجَارِودِ، وَطَاعَتِ الْبَرْبُرُ لِهَرْثَمَةَ، وَانْصَرَفَ

(١) في ر١: «دولَة».

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٤ / ٥١.

(٣) ينظر تاريخ الإسلام ٥ / ٢١٢.

(٤) في ر١: «صَيْرَه».

(٥) الكامل لابن الأثير ٦ / ١٣٩.

(٦) في ر١: «هَارُون»، وهو تحريف بَيْنَ.

(٧) بعد هذا في ر١: «من قبل الرَّشِيد»، بدلاً من «ولاه عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيد» الآتية بعد.

(٨) في ر١: «قَدَّم».

(٩) في أ١: «فَهَزَمَ».

راجعاً إلى القَيْرَان، وهو الذي بَنَى القصر الكبير المعروف بالْمُنْسِتِير؛ قالهُ الرَّقِيق^(١).

وفي سنة ثمانين ومئة: كانت الزلزلة العُظْمَى بأرض مصر، وسَقَطَ رأس منار الإسكندرية.

قال الرَّقِيق^(٢): لما رأى هَرْثَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ ما رأى من الخلاف بإفريقيا، وسوء طاعة أهلها، طلب الاستففاء، فكتب إليه الرَّشِيدُ بالقدوم عليه، فرجع إلى المشرق.
وهو الذي بَنَى سور أطرايُّس^(٣).

ولاية محمد بن مُقاتل العَكَّي إفريقيا^(٤)

وفي سنة إحدى وثمانين ومئة: ولَّ أمير المؤمنين^(٥) الرَّشِيدُ على إفريقيا محمد بن مُقاتل بن حَكِيم^(٦) العَكَّي، فقدمها في رمضان. وكان رضيع الرَّشِيد، وكان أبوه من كبار أهل دولته. وكان محمد هذا^(٧) غير محمود السيرة، فاضطرب أمره، واختلف عليه جندُه. ولو لم يكن من سوء سيرته، وقبح^(٨) ما يُؤثِّرُ عنه من أخباره^(٩)، إلا إقدامه على عابد زمانه وورع عصره^(١٠) البُهْلُولِ بْنِ راشد^(١١)، فضرَّ به بالسياط ظُلُّه وحَبَّسَهُ، فكان ذلك سبب موته. ومن أخباره أنه^(١٢) اقطع أرزاق الجناد، وأساء

(١) تاریخه ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هذه العبارة من فقط.

(٤) خبر ولايته مفصل في الكامل لابن الأثير ٦/١٣٧-١٣٩.

(٥) قوله: «أمير المؤمنين» ليس في را.

(٦) قوله: «بن حكيم» ليس في را.

(٧) في را: «وكان العكي».

(٨) في را: «ولو لم يكن من قبح».

(٩) سقطت من را.

(١٠) في را: «على ورع زمانه وعابد عصره».

(١١) أخباره في تاريخ الإسلام ٤/٨١٧، وقع في أ: «البهلوان»، وهو تحريف ظاهر.

(١٢) قوله: «ومن أخباره أنه» ليس في را.

السيرة فيهم وفي الرعية، فمشى القائد فلاح في أهل خراسان وأهل الشام؛ فلم يزل بهم حتى اجتمع رأيهم على مخلد بن مُرّة الأزدي. وخرج على العكّي ثَمَّاً بن تميم التمييّي^(١)، وكان^(٢) عامله بتونس^(٣).

ثورة ثَّمَامَ بْنِ ثَمِيمٍ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلِ الْعَكَّيِّ

وفي سنة ثلاثة وثمانين ومئة: زحف تهّام من تونس مع جماعة القواد والأجناد من أهل الشام^(٤) وحراسان، متوجّهاً إلى القيروان^(٥)، في النصف من رمضان، فخرج إليه العكّي، فتقاتلا، فانهزَم العكّي ورجع إلى القيروان، فتحصّن في داره التي بناها، وترك دار الإمارة. وأقبل تهّام، فنزل بعسکره خلف باب أبي الريّع. فلما أصبحت سَّيّام، فُتِّحت له الأبواب، فدخل القيروان يوم الأربعاء لخمس بيّن من رمضان سنة ثلاثة وثمانين ومئة، فأمّن تهّام العكّي على دمه وأهله وماله. فكانت ولايته، إلى أن أخرجه تهّام من القيروان، ستين وعشرة أشهر^(٦).

ثم ولي إفريقية أبو الجهم تمام بن تميم التميمي. وكان^(٧) ثائراً متغلباً من غير عهدي من الرشيد، وهو جد أبي العَرب بن تميم صاحب التواليف^(٨). فدخل القَيْرَوان، وخرج العكّي منها بأمانه، ومشى لأطْرَابُلُس، ولحق به قومٌ من أبناء^(٩) خراسان، منهم طرخون صاحبُ شرطته، فاجتمع رأيُهم على أن يُدخلوه، فدخلوها.

(١) الحلة السراء لابن الأبار / ٩١

لیست فردا

(٣) الكامل لابن الأثير / ٦١٥٤.

(٤) لیست فی را.

(٥) من هنا إلى قوله: «القرآن» انزلق نظر الناسخ فسقط ما بينها في رأي.

٦) الكامل، لابن الأثير ١٥٤ / ٦.

(٧) سقطت من را.

(٨) محمد بن أحمد بن تميم بن تمام (الوافى بالوفيات ٢/٣٩).

(٩) في رأي: «أهل».

وأقام تَسَّام مُلْكَ الْقَيْرَوَانَ، فنهض إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبَ^(١) مِنَ الزَّابِ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَيْهِ. فَلَمَّا بَلَغَ تَسَّاماً إِقْبَالُهُ إِلَيْهِ، سَارَ إِلَى تُونِسَ، فَدَخَلَ ابْنَ الْأَغْلَبَ الْقَيْرَوَانَ، وَابْتَدَرَ الْمَسْجَدَ الْجَامِعَ، وَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، وَكَانَ فَصِيحَا بَلِيقَا، فَأَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ مَا وَصَلَ إِلَّا لِنَصْرَةِ الْعَكَّيِّ مُحَمَّدَ بْنَ مُقاَتِلٍ^(٢)، وَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ^(٣) الْمَقْدَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَكَتَبَ إِلَى الْعَكَّيِّ يَخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ فِي حَقِّهِ، وَيُؤْكِدُ عَلَيْهِ فِي الْوَصْوَلِ. فَأَقْبَلَ رَاجِعًا، حَتَّى دَخَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ الْقَيْرَوَانَ^(٤). فَمَشَى يَوْمًا فِي أَزْقَاتِهَا، فَنَادَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ طَاقَهَا^(٥)، تَقُولُ لَهُ: أَشْكُرْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبَ فَهُوَ الَّذِي رَدَ عَلَيْكَ مُلْكَ إِفْرِيقِيَّةِ، فَكَبَرْ ذَلِكُ عَلَيْهِ، وَكَانَ تَسَّامُ بْنُ قَيْمٍ بِتُونِسَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبَ قَدْ رَدَ الْمُلْكَ عَلَى الْعَكَّيِّ، وَالَّذِينَ مَعَ الْعَكَّيِّ قَدْ مَلَئُوا رُعْبًَا مِنْ وَقْعَتِنَا بِهِمْ، وَإِذَا بَلَغُهُمْ خَرْوَجِيُّ مِنْ تُونِسَ، يُسْلِمُونَهُ وَيَصْلُوْنَ إِلَيْهِ، وَمَعَ هَذَا إِنَّ الْعَكَّيِّ حَسُودٌ، لَا بَدَّ أَنْ يَخَالِفَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبَ فِيهَا يَشِيرُ بِهِ عَلَيْهِ. وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: كُنَّا^(٦) اسْتَرَحْنَا مِنَ الْعَكَّيِّ، فَرَدَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْنَا فَالْمُوتُ خَيْرٌ لَنَا مِنَ الْحَيَاةِ فِي سُلْطَانِ الْعَكَّيِّ^(٧). فَفَزَعَ النَّاسُ إِلَى تَسَّامَ بْنَ قَيْمٍ^(٨) التَّمِيمِيِّ. فَلَمَّا رَأَى كُثْرَةَ مَعِهِ، طَابَتْ نَفْسُهُ لِقَتَالِ الْعَكَّيِّ. فَكَتَبَ تَسَّاماً إِلَى الْعَكَّيِّ: أَمَّا بَعْدُ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبَ لَمْ يَبْعُثْ إِلَيْكَ فِيْدَكَ مِنْ كِرَامَتِكَ عَلَيْهِ، وَلَا لِلطَّاعَةِ الَّتِي يَظْهُرُهَا لِلخَلِيفَةِ، وَلَكِنَّ كَرِهَ أَنْ يَبْلُغَ إِلَيْكَ أَخْدُهُ الْبَلَادَ فَتَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَإِنْ مَنْعَكَ، كَانَ مُخَالَفًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَيْكَ، كَانَ مَا فَعَلَهُ لِغَيْرِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْكَ لِتَرْجِعِهِ، ثُمَّ يُسْلِمُكَ إِلَى الْقَتْلِ. وَغَدَّا تَعْرِفُ مَا جَرَّبَتْ مِنْ وَقْعَتِنَا لَكَ بِالْأَمْسِ، وَفِي آخِرِ كِتَابِهِ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤ / ١٠٦٣.

(٢) قوله: «محمد بن مقاتل» ليس في ر١.

(٣) هذه اللفظة ليست في ر١.

(٤) الكامل في التاريخ ٦ / ١٥٥.

(٥) في ر١: «طاقتها».

(٦) ليست في أ.

(٧) في ر١: «ابن العكّي».

(٨) في ر١: «قَيْمَ بْنَ تَسَّامَ»، مقلوب.

يَرُدُّ عَلَيْكَ الْمُلْكَ لَكُنْ لِتُقْتَلَ
وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ فَضْلِ طَاعَةٍ
لَمَّا كُنْتَ مِنْهُ يَا ابْنَ عَكَّ لَتُقْبَلَ
فَلَوْ كَنْتَ ذَا عَقْلٍ وَعِلْمٍ بِكَيْدِهِ

فَلِمَا وَصَلَ كِتَابَهُ إِلَى مُحَمَّدَ بْنَ مُقَاتِلَ الْعَكَّيِّ، قَرَأَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى ابْنِ الْأَغْلَبِ، فَقَرَأَهُ
وَضَحَّكَ، وَقَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، ضَعُفَ رَأِيهُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْعَكَّيِّ: مِنْ مُحَمَّدَ بْنَ مُقَاتِلَ
إِلَى النَّاكِثِ ابْنِ تَمِيمٍ. أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكُ، وَدَلَّنِي عَلَى قَلْهَةِ رَأْيِكُ، وَفَهَمْتُ
قَوْلَكُ فِي إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّ كَانَتْ نَصِيحَةً، فَلَيْسَ مَنْ خَانَ اللَّهَ وَالْخَلِيفَةَ مَقْبُولٌ مِنْهُ مَا
نَصَحَّ بِهِ^(۱)، وَإِنْ كَانَتْ خَدِيعَةً، فَأَقْبَحُ الْخَدَائِعَ مَا فُطِنَ لَهُ، وَفِي آخِرِ كِتَابِهِ [مِنْ
الْطَّوِيلِ]:

وَإِنِّي لَأَرْجُو إِنْ لَقِيتَ ابْنَ أَغْلَبَ
غَدَّاً فِي الْمَنَايَا أَنْ تُفَلَّ وَتُقْتَلَ
تُلَاقِي فَتَّى يَسْتَصْبِحُ الْمَوْتُ فِي السُّوغِيِّ
وَيَحْمِي بِصَدْرِ الرُّمْحِ عَزَّاً مُؤْثِلاً
وَأَقْبَلَ تَهَامَ مِنْ تُونِسَ بِعَسْكَرٍ عَظِيمٍ، وَأَمْرَ ابْنِ الْعَكَّيِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ
الْطَّاعَةِ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ، فَتَقَاتَلُوا قَتَالًا شَدِيدًا، فَانْهَزَمَ تَهَامَ،
وَرَجَعَ^(۲) إِلَى تُونِسَ. وَانْصَرَفَ ابْنُ الْعَكَّيِّ^(۳) إِلَى الْقَيْرَوَانَ، وَأَمْرَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ
بِالْمَسِيرِ إِلَى تُونِسِ^(۴).

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ وَثَانِيَنِ وَمِئَةٍ: خَرَجَ الْعَسْكُرُ مِنَ الْقَيْرَوَانَ لِحَصَارِ تُونِسَ وَقَتَالَ
تَهَامَ، وَذَلِكَ فِي مُحَرَّمٍ مِنْهَا. فَلِمَا بَلَغَ تَهَامًا إِقْبَالُهُ، طَلَبَ الْأَمَانَ مِنْهُ^(۵)، فَأَمَّنَهُ إِبْرَاهِيمُ،
وَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى الْقَيْرَوَانَ، يَوْمَ جَمِيعٍ، لِثَمَانِ خَلُونَ مِنَ الْمُحَرَّمِ المَذَكُورِ^(۶).

(۱) قَوْلُهُ: «مَنْهُ مَا نَصَحَّ بِهِ» لَيْسَ فِي رِ. ۱.

(۲) فِي رِ. ۱: «وَانْصَرَفَ».

(۳) فِي رِ. ۱: «وَرَجَعَ الْعَكَّيِّ».

(۴) يَنْظَرُ تَارِيخُ الرَّقِيقِ، صِ. ۱۲۶.

(۵) لَيْسَ فِي رِ. ۱.

(۶) قَوْلُهُ: «لِثَمَانِ خَلُونَ مِنَ الْمُحَرَّمِ الْمَذَكُورِ» لَيْسَ فِي رِ. ۱. وَيَنْظَرُ الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ۶/۱۵۵.

ولاية إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميميّ إفريقية^(١)

وصلَهُ عَهْدُ الرشيد في العشِرِ الوسْطِ لجُمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين ومئة، وقال له فيه: قد تقدّم لكم بِإفريقيَّة أمرٌ. وكان الرشيد قد^(٢) ولأه بلاد الزاب، وهي بلاد الجَرِيد، وابن العَكَّي على إفريقيَّة. وكان إبراهيم بن الأغلب فقيهاً، أدبياً، شاعراً، خطيباً، ذاررأي ونحدة وبأس وحَزْم وعلم بالحروب ومكائدتها، جَرِيء الجنان، طوَيل اللسان، لم يَلِ إفريقيَّة أحسنُ سيرةً منه، ولا أحسنُ سياسةً، ولا أَرَأَفُ برعيةً، ولا أُوفِي بعهْدِهِ، ولا أُرْعَى لحرمة منه^(٣). فطاعت له قبائل البربر، وتمَهدت إفريقيَّة في أيامه. وعزل العَكَّي عنها، واستقامت الأحوال بها.

وكان إبراهيم قد سَمِعَ من الليث بن سعد، ووَهَبَ له جَلاجِلْ أُمَّ ولده لـ مكانه منه^(٤). ولقد قال الليث يوماً: ليكونَ لهذا الفتى شأنٌ. وكان لإبراهيم فضائل جمَّةً وما ثُرَ حسنةً. وكان له مع راشد أمير الغرب مولى إدريس الحَسَنِي مواقفٌ ومحاربةً، وكان راشد قد علا أمرُه.

ومن قول إبراهيم، وكان قد خَلَفَ أهله بِمُضِرٍّ [من البسيط]:

ما سِرْتُ بِيَلَا وَلَا جَاوَزْتُ مَرْحَلَةً إِلَّا وَذِكْرُكِ يُشَنِّي دَائِيَّا عُنْقُي
وَلَا ذَكْرُكِ إِلَّا بِتَّ مَرْتَبَّا أَرْعَى النَّجُومَ كَأَنَّ الْمَوْتَ مُعْتَنِقِي^(٥)
وَلِمَا مَلَكَ إِفْرِيقِيَّةً، قَمَعَ أَهْلَ الشَّرِّ بِهَا وَضَبَطَ أَمْرَهَا^(٦). وكان له مع بربـها حروـبٌ
يَطْوُلُ ذَكْرُهَا، وأَحْسَنَ إِلَى عَرَبِ جِيشِهَا^(٧).

(١) لفظة «إفريقيَّة» ليست في را.

(٢) ليست في أ.

(٣) تنظر الحلة السيراء ٩٣ / ١.

(٤) تاريخ الرقيق ١٢٧-١٢٨.

(٥) را، م: «مغتبني»، وما هنا من (أ) ويعضده ما في تاريخ الرقيق ١٢٨.

(٦) نهاية الأربع للنويري ٢٤ / ٥٥.

(٧) في أ: «قريشاً»، وهو تحريف.

وفي سنة خمس وثمانين ومئة: شرع إبراهيم في بناء مدينة القصر القديم^(١)، وصار بعد ذلك دار الأمراء بني الأغلب. وكان على ثلاثة أميال من القيروان، وكان قد اشتري موضعه من بني طالوت، فبناء ونقل إليه السلاح والعدّ سراً، وسكن حوله عيده وأهل الثقة به من خدمته. وكان حافظاً للقرآن، عالماً به. وثار عليه الكنديُّ بتونس، وكانت له معه وقائع وافقت محاربة المأمون للأمين، بعد موت الرشيد.

وفيها، قال الطَّبَرِيُّ^(٢): وقعَتْ بالمسجد الحرام صاعقةً فقتلَتْ رجلَيْن. وفي سنة ست وثمانين ومئة: حجَّ بالناس هارونُ الرشيد، وأخرج معه ابنَيه محمدًا الأمين، وعبد الله المأمون، وقواده، وزراءه، قضائه، وولى عهده عبد الله. قال الطَّبَرِيُّ^(٣): وكان الرشيد عقد لابنه محمد ولائحة العهد في شعبان سنة ثلاث وسبعين، وسمَّاه الأمين، وضمَّ إليه الشام والعراق في سنة خمس وسبعين؛ ثم بويع لعبد الله المأمون بالرقة في سنة ثلاث وثمانين ومئة، وولاه من حدَّ همدان إلى آخر المشرق. ولما قضى مناسكه في هذه السنة، كتب للمأمون كتابَيْن، أحدهما: على محمد^(٤) بما اشترطَ عليه من الوفاء بما فيه من تسلیم وما وُلِيَ عبد الله من الأعمال، وما صُرِّح له من الضياع والأموال، والآخر: نسخة البيعة التي أخذها لعبد الله على محمد وعلى الخاصة والعامة، وأشهدَ بذلك في البيت الحرام، وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمد، وأشهدَ عليهما جماعةً من حضر منبني هاشم وغيرهم. ثم أمر أن يُعلقَ الكتاب في الكعبة. فلما عُلِقَ، وقع، فقيل: إن هذا لأمر^(٥) سريع انتقامته قبل تمامه^(٦).

(١) الروض المعطار ٤٧٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٢٧٤/٨.

(٣) تاريخ الطبرى ٢٧٥/٨-٢٨٦.

(٤) قوله: «على محمد» ليس في أ.

(٥) في رواية: «الأمر».

(٦) قوله: «قبل تمامه» ليس في رواية.

وفي سنة سبع وثمانين ومئة: كان قُتْلُ الرَّشِيدِ بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى، وَإِيقَاعُهُ بِالْبَرَامِكَةِ^(١).
والوالي على إفريقيا إبراهيم بن الأغلب كما كان^(٢).

وفي سنة ثمان وثمانين ومئة: كان غزو إبراهيم بن جَبَرِيلِ أَرْضَ الرُّومِ: وَجَهَهُ الْخَلِيفَةُ هارون، وَدَخَلَ أَرْضَ الرُّومِ مِنْ دَرْبِ الصَّفَصَافِ، فَخَرَجَ لِلْقَائِمِ الْبِطْرِيقِ نَقْفُورِ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ أَمْرُ صَرَفَهُ عَنْ لِقَائِهِ، فَانْصَرَفَ وَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ^(٣)، وَانْهَزَمُوا، وَقُتِلُ مِنَ الرُّومِ أَرْبَعُونَأَلْفًا وَسَبْعَ مِائَةً، وَأَخْذَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافِ دَاهَة^(٤).

وفي سنة تسع وثمانين ومئة: كان شُخُوصُ الرَّشِيدِ إِلَى الرَّيِّ^(٥): وَبَعِثَ حُسَيْنًا الْخَادِمَ إِلَى طَبِيرِسَانَ بِالْأَمَانِ لِمَرْزُبَانَ صَاحِبِ الدِّيَلَمِ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ، فَأَمَّنَهُ وَأَمَّنَ غَيْرَهُ.

وقال أبو العتاهية في خُرْجَةِ هارون هذه [من السريع]:

إِنَّ أَمِينَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ حَنَّ بِهِ الْبُرُّ إِلَى مَوْلِدِهِ

لِيُصْلِحَ الرَّيِّ وَأَقْطَارَهَا وَيُمْطِرَ الْخَيْرَ بِهَا مِنْ يَدِهِ

وفيها كان الفداءُ بين المسلمين والروم، فلم يَقُ في أرض الروم مُسْلِمٌ إِلَّا فُدِيَ^(٦).

وفي سنة تسعين ومئة: فتح الرَّشِيدُ هِرَقْلَةَ مِنْ مَدَائِنِ الرُّومِ^(٧)، وَقَالَ شُبَيْلُ التَّرْجَمَانَ: لَا فَتَحَ الرَّشِيدُ هِرَقْلَةَ، رَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا لَوْحَ رِخَامَ مَكْتُوبًا فِيهِ بِلِسَانِهِمْ، فَجَعَلْتُ أَقْرَأُهُ، وَالرَّشِيدُ يَنْظُرُ إِلَيَّ، وَأَنَا لَا أَشْعُرُ، إِنَّا إِذَا فِيهِ: يَا ابْنَ آدَمَ، غَافِصِ الْفُرْصَةِ قَبْلِ إِمْكَانِهَا، وَكِيلُ الْأُمُورِ إِلَى وَلِيَّهَا، وَلَا يَحْمِلْنَكَ^(٨) إِفْرَاطُ الشُّرُورِ عَلَى الْمَآثِمِ، وَلَا تُحَمِّلْ نَفْسَكَ هَمَّ يَوْمٍ لَمْ يَأْتِ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِكَ وَبِقِيَّةِ عُمُرِكَ، يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ

(١) تاريخ الطبرى / ٨ / ٢٨٧.

(٢) ليس في أ.

(٣) في ر ١: «فَخَرَجَ» بَدَلًا مِنْ «فَخَرَجُوا عَلَيْهِ».

(٤) تاريخ الطبرى / ٨ / ٣١٣.

(٥) الخبر مفصل في تاريخ الطبرى / ٨ / ٣١٤ - ٣١٧.

(٦) تاريخ الطبرى / ٨ / ٣١٨.

(٧) تاريخ الطبرى / ٨ / ٣٢٠.

(٨) في أ: «يَجْعَلُنَكَ».

برزقك، فلا تكن من المغرورين بجَمْعِ المال، فَكُمْ قد رأينا جامِعاً لبَعْلِ خَليلته،
ومُقتَرِراً على نفسه تَوْفِيرَاً لخزانةِ عَيْرِه.

وفي سنة إحدى وتسعين ومئة: ولَّ الرَّشِيدُ هَرَثَمَةَ بْنَ أَعْيْنَ غَزْوَ الصَّائِفةَ، وَضَمَّ
إليها ثلَاثِينَ أَلْفاً من جَنْدِ خُرَاسَانَ^(١).

وفيها: أمر الرَّشِيدَ بِهَدْمِ الْكَنَائِسِ فِي الشُّغُورِ^(٢). ولم يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ هَذِهِ
السَّنَةِ صَائِفَةً بِالْمُشْرِقِ إِلَى سَنَةِ خَمْسَ عَشَرَةَ وَمَئَيْنَ^(٣).

وفي سنة ثلَاثِ وَتَسْعِينَ وَمَئَة: تُؤْكِيْ هَارُونَ بْنَ مُحَمَّدٍ الرَّشِيدَ، رَحْمَةُ اللَّهِ^(٤)، بِطُوسِ
مِنْ أَرْضِ خُرَاسَانَ، لِيَلَّةَ السَّبْتِ لِثَلَاثِ خَلُونَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ^(٥). وَاسْتُخْلِفَ مُحَمَّدُ
الْأَمِينُ ابْنُهُ.

ولما صَارَ الْأَمْرُ إِلَى الْأَمِينِ، أَقْرَأَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ، فَبَقَى بَهَا إِلَى
أَنْ تُؤْكِيْ، رَحْمَةُ اللَّهِ^(٦)، بِالْقَيْرَوَانِ فِي الْعَشَرِ الْآخِرِ مِنْ^(٧) شَوَّالِ سَنَةِ سَتِ وَتَسْعِينَ
وَمَئَةٍ، وَعُمُرُهُ سَتُّ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَوَلَّا يَتُّهُ إِفْرِيقِيَّةً ثَانِيَّ عَشَرَةَ سَنَةً وَأَشْهَرًا.

ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية^(٨)

وفي سَنَةِ سَتِ وَتَسْعِينَ وَمَئَةٍ: ولَّيَ عبدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٩) بْنَ الْأَغْلَبِ إِفْرِيقِيَّةً^(١٠).
وَذَلِكَ أَنَّهُ، لَمَّا مَاتَ أَبُوهُ^(١١) إِبْرَاهِيمَ، كَانَ ابْنَهُ عبدُ اللهُ هَذَا غَائِبًا بِمَدِينَةِ أَطْرَابُلُسِ،

(١) تاريخ الطبرى / ٨ / ٣٢٣.

(٢) تاريخ الطبرى / ٨ / ٣٢٤.

(٣) تاريخ الطبرى / ٨ / ٣٣٧، وَوَقْعُ فِي ر١: «خَمْسَ وَمَئَيْنَ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) التَّرْحَمُ عَلَيْهِ لَيْسَ فِي ر١.

(٥) خَبْرُ وَفَاتِهِ مَفْصَلٌ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ / ٨ / ٣٤٢-٣٤٦.

(٦) التَّرْحَمُ عَلَيْهِ لَيْسَ فِي أَ.

(٧) قَوْلُهُ: «الْعَشَرُ الْآخِرُ مِنْ» لَيْسَ فِي ر١.

(٨) الْعَنْوَانُ كُلُّهُ لَيْسَ فِي أَ، وَتَرْجِمَةُ عبدِ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ / ٥ / ٩٧.

(٩) قَوْلُهُ: «ابْنُ إِبْرَاهِيمَ» لَيْسَ فِي ر١.

(١٠) لَيْسَ فِي ر١.

(١١) لَيْسَ فِي أَ.

فقام له أخوه زيادة الله^(١) بالأمر، وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وجميع رجاله وخدمته، وبعث إليه بذلك^(٢).

وفي سنة سبع وتسعين ومئة: قدم^(٣) أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب من أطربالس، فتلقاه أخوه زيادة الله، وسلم الأمر إليه. وحمل عبد الله في إمارته على أخيه زيادة الله حملاً شديداً، وكان يتذمّر عليه، ويأمر ندامه بإطلاق ألسنتهم بسبه، وزيادة الله مع ذلك يُظہر له التعظيم والتجليل^(٤) والصنع الجميل، ولا يُظہر له تغييراً، ولا يُظہر عليه منه أثراً. وقد كان عبد الله بن إبراهيم أراد أن يُحدث جوراً عظيماً على رعيته، فأهلكه الله قبل ذلك. وكان من أجل الناس وجهاً، وأقربهم فعلاً، وأعظمهم ظلماً، أحدث بإنفالية وجوهاً من الظلم شنيعة، منها أنه قطع العشر صباحاً، وجعله ثمانية دنانير للقفيز^(٥) أصاب أو لم يُصِبْ، وغير ذلك من المغارِ والمظالم^(٦). فاشتدَّ على الناس ذلك.

وفي سنة ثمان وتسعين ومئة: قُتل الأمين بن الرشيد^(٧)؛ قتلته طاهر [بن الحسين]^(٨) عامل أخيه المأمون، وذلك لخمس بقين من المحرّم. واستخلف أخوه المأمون، فأقرَّ عبد الله ابن الأغلب على إفريقية. ولما قدم الرجل الصالح حفصُ بن حميد^(٩) على إفريقية، ومعه قوم صالحون من الجزيرة، قصدوا إليه، فوعظوه في أمر الدين ومصالح المسلمين^(١٠).

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٥٧٢ / ٥.

(٢) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق ١٤٠ وهو آخر ما في القطعة المطبوعة، والكامن لابن الأثير ٦ / ١٥٧.

(٣) في ر ١: «قام»، خطأ.

(٤) في أ: «التسهيل»، وهو تحريف.

(٥) ليست في أ.

(٦) في أ: «من الظلم والمغارم»، وما أثبتناه من ر ١، وهو الأوفق إن شاء الله.

(٧) خبر مقتله مفصل في تاريخ الطبرى ٤٧٨ / ٨ - ٤٩٨.

(٨) في النسختين: «ابن طاهر»، وهو خطأ بين، وما بين الحاصلتين منا.

(٩) في أ: «ولما قدم حفص بن حميد الصالح»، وما أثبتناه من ر ١.

(١٠) نهاية الأربع للنويري ٢٤ / ٥٧.

فتهاونَ بهم، فخر جوا مغموريَنَ، يريدونَ القَيْرُوانَ، وكان هو في القَصْرِ القديم. فلما وصلوا وادي القَصَارِينَ، قال لهم حَفْصُ بن حُمَيْدٍ: قد يَئُسْنَا من المخلوق، فلا نَيَأسَ من الخالق فاسألو المولى واضْرِبُوا إِلَيْهِ فِي زَوَالِ ظُلْمِهِ^(١) عن الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ فُتَحَ فِي الدُّعَاءِ، فَقَدْ أَذِنَ فِي الإِجَابَةِ، فَتَوَضَّأَ جَمِيعُهُمْ، وَسَارُوا إِلَى كُدُّيَّةِ مُصَلَّ^(٢). فَصَلَّى بَيْنَهُمْ حَفْصٌ رَكْعَتَيْنِ، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَكُفَّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ جُورَ أَبِي العَبَّاسِ، وَيُرِيحَهُمْ مِنْ أَيَّامِهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ قَرْحَةَ خَرَجَتْ لَهُ تَحْتَ أَذْنِهِ، فَقُتِلَتْ فِي السَّادِسِ^(٣) مِنْ دُعَاءِ الْقَوْمِ، وَقَالَ مَنْ حَضَرَ غَسْلَهُ: إِنَّهُ، لَمَّا كُشِفَ عَنْهُ ثِيَابُهُ، ظُنِّ^(٤) أَنَّهُ عَبْدٌ أَسْوَدٌ بَعْدَ شِدَّةِ^(٥) جَمَالِهِ، وَذَلِكَ بِسُوءِ فَعَالِهِ. وَكَانَتْ وَفَاتَهُ لَيْلَةَ الْجَمْعَةِ لَسْتَ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةٍ إِحْدَى وَمَئِيْنَ، فَكَانَتْ دُولَتُهُ خَمْسَةً أَعْوَامًا وَأَشْهَرًا^(٦).

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَمَئِيْنَ: كَانَ^(٧) تَقْدِيمَ أَهْلِ بَغْدَادِ مُنْصُورَ بْنَ الْمُهَدِّيِ^(٨) أَمِيرًا عَلَيْهِمْ، خَدِيمًا لِلْمُؤْمِنِينَ، إِلَى أَنْ يَقْدُمَ أَوْ يَقَدِّمَ. وَكَانَتْ وَقَائِعَ قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ^(٩).

وَفِيهَا: ماتَ عَبْدُ اللَّهِ^(١٠) بْنُ الْأَعْلَبِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَوَلَى أَخُوهُ زِيَادَ اللَّهُ سَاعَةً مَوْتِهِ^(١١).

(١) في ر١: «ضرّه».

(٢) في أ: «كُدُّيَّةُ رُوح».

(٣) في نهاية الأرب للنويري: «السابع» (٥٧/٢٤).

(٤) ليست في أ.

(٥) نهاية الأرب (٢٤/٥٧).

(٦) ليست في ر١.

(٧) تنظر ترجمته في تاريخ الإسلام ٥/٩٤٤.

(٨) تاريخ الطبرى ٨/٥٤٦.

(٩) ليس في أ.

(١٠) قوله: «سَاعَةُ مَوْتِهِ» ليس في ر١.

ذكر ولادة زيادة الله بن الأغلب إفريقية وبعض أخباره^(١)

كُنْيَتُهُ: أبو محمد، وهو أول من اسمه زيادة الله ممَّن ولَّى^(٢) من بني الأغلب. بُويعَ يوم الجمعة لسبعين بقينَ من ذي الحجَّة؛ فأساء السيرة في الجندي، وسفوكَ فيهم الدماء، واشتدَّ عليهم في كلِّ وجه^(٣). فثار عليه زيد بن الصَّقلية بفحص أبي صالح^(٤)؛ فأخرج إليه سالم بن سواده، فهزمه سالم^(٥). ثم ثارت العامة عليه أيضًا، وذلك لأنَّ زيادة الله كان أغلظَ على الجندي، وأمعنَ في سفك دمائهم، والاستخفاف بهم، وحمله على ذلك سوء ظنه بهم، لوثوبهم على الأمراء قبله وخلافهم على أبيه. وكان أكثر سفكه وسوء فعله إذا سكر، فكثر^(٦) الخوضُ عليه، وخالفت الجندي عليه وغيرُهم، فكانت بينه وبينهم حروبٌ ووقائع، حتَّى خافَ على نفسه، ف Hutchinson القصر القديم، وبقي فيه، على^(٧) ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي سنة اثنين ومئتين: توجَّه الأغلب^(٨) بن إبراهيم بن الأغلب إلى المشرق، خوفًا من أخيه زيادة الله، وذلك لأنَّ الأغلب كان شقيق أبي العباس عبد الله بن إبراهيم، وكان أبو العباس، طولَ ولادته، يتقصَّر زيادة الله ويأمر نُدماءه بإطلاق ألسنتهم فيه. فلما صارَ الأمر إلى زيادة الله، جاءه الأغلب، فأستأذنه في الخروج إلى الحجَّ، فأذنَ له زيادة الله، فخرجَ الأغلب، وخرجَ معه ابن أخيه: محمد المكْنُي بأبي فهير، وإبراهيم المكْنُي بأبي الأغلب، وهما إذ ذاك صغيران، فحجَّ، وأقام بالشرق. وكان وزير زيادة الله والقائم بأمره الأغلب بن عبد الله المعروف بـغلُبون.

(١) في ر ١: «خبره».

(٢) قوله: «من ولَّى» ليس في ر ١.

(٣) نهاية الأرب للنويري ٢٤ / ٥٨.

(٤) عن فحص أبي صالح، ينظر الروض المعطار ٤٣٦.

(٥) الكامل لأبن الأثير ٦ / ٣٢٩.

(٦) في م: «وكثير».

(٧) من هنا إلى نهاية الفقرة ليس في ر ١.

(٨) ينظر الحلقة السيراء لأبن الأبار ١ / ١٦٨، وتاريخ الإسلام ٥ / ٥٣٩.

وفي سنة ثلث ومئتين: كانت ولاية أبي عبد الله أسد^(١) بن الفرات بن سنان، مولىبني سليم، قضاء القىروان، وهو ممَّن سمعَ من مالك بن أنس. فلما ولَيَ أسدُ القضاء، ضاق أبو مُحرز^(٢) القاضي إذ تشرَك معه، ولم يُعلَم قبلهما قاضيان في وقت واحد.

وفي سنة أربع ومئتين: لم يكن فيها ولا في التي بعدها خبرٌ يُجتَبَ.

وفي سنة ست ومئتين: غزا المسلمون جزيرة سرداًنية، وعليهم محمد بن عبد الله التميميُّ، فأصابوا، وأصيَبَ منهم، ثم قفلوا^(٣).

وفي سنة سبع ومئتين: ثار زياد بن سهل على زيادة الله بن الأغلب، وزحفَ إلى حرب باجة، فحاصرها أيامًا. فأخرج إليه زيادة الله العساكر، فهزموها زيادًا، وقتلوا من وجدوا معه على الخلاف^(٤) وغنموا الأموال^(٥).

وفيها: كانت وفاة اليَسَع بن أبي القاسم صاحب سِجْلِمَاسة، وتقديمُ أهلها على أنفسهم أخاه إلياس المُنتَصِر بن أبي القاسم^(٦) الذي كانوا خلَعُوه.

وفي سنة ثمان ومئتين: ثار عمُرو بن معاوية القيسيُّ على زيادة الله بن إبراهيم^(٧) بالقصرين وتغلَّب على تلك الناحية، وكان عاملاً لزيادة الله. وكان له ولدان، يُقال لأحدهما: حُباب ولآخر سِجْمان^(٨). فقال له ابنه حُباب: إنك دخلتَ في أمر عظيم وعرَّضتَ نفسك للهلاك، ولستَ من رجال هذا الأمر، ولا ينفعك عَدَدٌ ولا عُدَدٌ، فراجعْ أمرك، واتَّقِ الله في نفسك. فضربه مئي سوط وتمَّADI على الخلاف. فأخرج

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام / ٥ / ٢٧٤.

(٢) في النسختين: «أبو محمد» وهو تحريف ظاهر.

(٣) الكامل لابن الأثير / ٦ / ٣٢٩.

(٤) قوله: «على الخلاف» ليس في را.

(٥) في را: «أموالهم»، وينظر الكامل لابن الأثير / ٦ / ٣٢٩.

(٦) قوله: «ابن أبي القاسم» ليس في را.

(٧) قوله: «ابن إبراهيم» ليس في را.

(٨) في أ: «سمجان»، محرف.

إِلَيْهِ زِيَادَةُ اللَّهِ جِيشًا كَثِيفًا حَاصِرَهُ أَيَّامًا، ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَوَلَدُهُ عَلَى أَمَانٍ، وَجَيَءَ بِهِمْ إِلَى زِيَادَةِ اللَّهِ، فَأَلْفَيَ عَلَى شَرَابٍ مَعَ قَوْمٍ مِنْ وِجُوهِ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَمْرَ بِحَسْبِهِمْ حَتَّى يَرَى فِيهِمْ رَأْيَهُ، وَدَخَلَ إِثْرَ ذَلِكَ مُضْبِحًا لَهُ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو عَمَّارٍ، فَقَالَ لَهُ زِيَادَةُ اللَّهِ: مَا يَقُولُ النَّاسُ، يَا أَبَا عَمَّارٍ؟ فَقَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّمَا مَنْعَكَ أَنْ تَقْتُلَ عَمْرَو بْنَ مُعاوِيَةَ مُخَافَةً أَنْ تَتَبَأَّ الْقَيْسِيَّةُ عَلَى عَمَّكَ بِمَصْرٍ. فَوَقَعَ كَلَامُهُ بِقَلْبِ زِيَادَةِ اللَّهِ. ثُمَّ شَرَبَ سَاعَةً وَالْتَّفَتَ إِلَى غَلْبُونَ وزَيْرِهِ، فَقَالَ: انْقُلْ عَمْرَو بْنَ مُعاوِيَةَ وَوَلَدَيْهِ مِنْ حَسْبِكَ إِلَى حَبْسِي^(١)، فَفَعَلَ. فَلَمَّا كَانَ فِي نَصْفِ الْلَّيلِ، أَقْبَلَ زِيَادَةُ اللَّهِ إِلَى السَّجْنِ، وَبِيَدِهِ السَّيْفُ، فُقْتَلَ عَمْرَو بْنَ مُعاوِيَةَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَصْرِهِ، فَدَعَا بِحُبُّابٍ وَسَجْمَانَ ابْنِي عَمْرَو، فَأَمْرَ بِحُبُّابٍ أَنْ يُقْتَلَ، فَقَالَ: أَهْيَا الْأَمِيرُ، إِنِّي مَظْلُومٌ، وَقَدْ بَلَغْتُكَ نَصِيحَتِي لِأَبِي فِيكَ حَتَّى ضَرَبَنِي بِالسَّيْاطِ. فَقَالَ: أَجَلُ، قَدْ كَانَ ذَلِكُ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْلُصُ لِي، وَأَمْرَ بِضَرْبِ عَنْقِهِ. وَاسْتَبَقَ الْأَصْغَرَ، وَهُوَ سَجْمَانٌ. فَلَمَّا أَصْبَحَ، دَعَا بِتُّرْسٍ، فَوُضِعَ فِي الرَّأْسَيْنِ، وَدَعَا بِسَجْمَانَ، فَقَالَ: أَتَعْرَفُ هَذَيْنِ الرَّأْسَيْنِ؟ فَقَالَ: أَعْرَفُهُمَا وَلَا خَيْرٌ فِي الْحَيَاةِ بَعْدِهِمَا، فَأَمْرَ زِيَادَةَ اللَّهِ بِضَرْبِ عَنْقِهِ، وَجَعَلَ رَؤُوسَهُمْ فِي تُرْسٍ، وَشَرَبَ عَلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَ أَهْلِهِ^(٢) مَنَادِمَتِهِ^(٣).

وَفِي سَنَةِ تَسْعَ وَمِئَتَيْنِ: ثَارَ مُنْصُورُ الطُّنْبُرِيُّ^(٤) بِتُونِسِ. فَأَخْرَجَ زِيَادَةُ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ حَمْزَةَ فِي ثَلَاثَ مِئَةٍ فَارِسًا مُسَلَّحِينَ، وَأَوْصَاهُ بِكَتْهَانِ حَرْكَتِهِ حَتَّى يَبْعَثَ^(٥) مُنْصُورًا بِتُونِسِ، فَيَقْبَضُ عَلَيْهِ وَيَأْتِيَ بِهِ مَصْفَدًا. فَسَارَ ابْنُ حَمْزَةَ إِلَى تُونِسِ، فَأَلْفَى مُنْصُورًا غَائِبًا فِي قَصْرِهِ بِطُنْبُرَةِ، فَنَزَلَ دَارُ الصَّنَاعَةِ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ شَجَرَةُ بْنُ عَيْسَى^(٦) الْقَاضِيِّ، فِي أَرْبَعينَ شَيْخًا مِنْ أَشْيَاخِ تُونِسِ، يَنَاسِدُهُ اللَّهُ وَيَرْغِبُهُ فِي الطَّاعَةِ، وَيُعَرَّفُهُ بِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَظَّ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاَهُ. فَتَوَجَّهَ شَجَرَةُ بْنُ عَيْسَى مَعَ الشَّايَخِ إِلَى مُنْصُورِ،

(١) فِي ر١: «انْقُلْ عَمْرَو بْنَ مُعاوِيَةَ مِنْ حَسْبِكَ إِلَى حَبْسِيْ» هُوَ وَوَلَدِيْهِ.

(٢) قَوْلُهُ: «مَعَ أَهْلِهِ» سَقْطٌ مِنْ أَ.

(٣) ذَكَرَ النَّوَيْرِيُّ خَبْرَهُمْ مُخَصَّرًا فِي نَهَايَةِ الْأَرْبَعِ ٥٨/٢٤.

(٤) فِي أَ: «الْطَّنْبُرِيُّ»، وَفِي ر١: «الْعَبْدِيُّ»، وَكَلَهُ تَحْرِيفٌ، وَيَنْظُرُ نَهَايَةَ الْأَرْبَعِ لِلنَّوَيْرِيِّ ٥٨/٢٤.

(٥) فِي أَ, ر١: «يَبْعَثُ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ ظَاهِرٌ.

(٦) تَرْجُمَتُهُ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ٣٤١/٦.

فدعوه إلى الطاعة^(١). فقال منصور: ما خلعت يدًا، ولا أحدثت حدثًا، وأنا سائر معكم إلى زيادة الله، ولكن أقيموا عليَّ يومي هذا، حتى أُعدَ لكم ما يُصلحكم. فأقاموا معه^(٢)، ووجه إلى ابن حمزة والذين معه بيقر وغنم وعلف وأعمال قهوة^(٣)، وكتب إليه: إني قادم عليك^(٤) بالغداة مع القاضي شجرة. فركن ابن حمزة إلى قوله، وذبح البقر والغنم، وأكل هو والناس الذين معه، وشربوا. فلما أمسى منصور، أخذ القاضي والذين معه، فحبسهم في قصره، وأخذ دوابهم فحمل^(٥) عليها أصحابه، وجمع خيله وأشياعه، وزحف إلى تونس، وأمر أصحابه ألا يسمع لهم حسٌ ولا حركة حتى يصيروا إلى دار الصناعة. وسار حتى إذا كان بالقرب من دار الصناعة، أمر بالطبلول، فضررت. وأمر أصحابه، فكبروا، فوثب ابن حمزة ومن كان معه، والتزم القتال عامَّة الليل. وكثُر الناس عليهم، فقتل من كان مع ابن حمزة، ولم يسلم منهم إلا من سبع في البحر^(٦)، وذلك يوم الاثنين لخمس بقين من صفر.

وأصبح منصور، فاجتمع إليه الجنُّ، وقالوا له: نحن لا نثق بك، ولا نأمنُ أن يُستنزلك السلطان بدنياه وماليه، فتميل له، ولكن إن أحببت أن نقوم بنصرك، فاخضب يدك في دماء أصحاب السلطان وأهل بيته. فوجه حينئذ عن عامل زيادة الله على تونس، وهو إسماعيل بن سالم بن سفيان، وعن ولده محمد، فأمر بقتلها فقتلها^(٧) معاً.

فلما أتَى قبل الخبر بزيادة الله، وما كان من قتل رجاله وعامله، عقد لغليبون وزيره على عَسْكُر جليل، وقال: والله لئن انهزم واحدٌ منكم، لأجعلَّ عقوبته ما فرَّ منه، وهو

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٤/٥٨.

(٢) ليس في ر١.

(٣) في نهاية الأرب: «نبذ»، والقهوة: النبذ.

(٤) في ر١: «إليك».

(٥) في أ: « يجعل».

(٦) نهاية الأرب ٢٤/٥٩.

(٧) سقطت من أ، م.

السيفُ، فسارَ غَلْبُونَ في العاشر لِربيع الأول حتى وصلَ إلى سُبْخة تُونُس، فخرجَ إِلَيْهِم مُنْصُورُ الطُّنبُدِيُّ في تبعيَّةٍ عَيْاًها لنفسه، فاقتتلوا مليئًا. ثُمَّ حملَ مُنْصُورَ حملَةً كانتَ فيها هزيمةٌ غَلْبُونَ وأصحابه، لعشرَ بقينَ من ربيع الأول، وسأَرَ منهزمًا إلى زيادة الله، فاعتذرَ غَلْبُونَ عن الهزيمة، وحلفَ أَهْمَنْ نصحوا واجتهدوا، ولكنَّ قضاءَ الله لا يُرُدُّ. وتواتَبَ القوَادُ على أَعْمَالِ إفريقيَّة، كُلُّ قائدٍ على بلدَةٍ يَضْبِطُها، ويُمْتَنَعُ فيها من عقوبة زيادة الله التي تَوَعَّدُهم بها. واضطربَت إفريقيَّة نارًا، ورَمَيَ الْجُنُدُ كُلُّهُمْ إِلَى مُنْصُورَ الطُّنبُدِيِّ أَرِمَّةً أَمْوَالَهُمْ وولَوْهُ على أنفسِهِمْ. وَقَدِمَ غَلْبُونَ على زيادة الله، فأعلَمَهُ بما كانَ من أمرِهِ وَنَغَلَ^(١) الْجُنُدَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ زيادَةُ الله^(٢) صِكُوكَ أَمَانَ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، فلمَ يَتَقَوَّبَا مِنْهُ، وَخَلَعُوا الصَّاعِدَةَ.

وَلَمَّا ظَفَرَ مُنْصُورٌ، وَاجتَمَعَ إِلَيْهِ بِتُونُسِ جَمِيعُ الْجُنُدِ وَالْحُشُودِ وَالْوَفَودُ مِنْ كُلِّ جَهَةٍ وَمَكَانٍ، فَزَحَفَ بَهُمْ مِنْ تُونُسَ، فَوَصَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانَ لِخَمْسَةِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى. فَرَكِبَ إِلَيْهِ الْقَاضِيَانَ أَبُو مُحَرِّزَ وَأَسَدَّ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ كَلَامٌ لَمْ يُفَعَّلْ. وَخَنَدَ مُنْصُورُ الطُّنبُدِيُّ عَلَى نَفْسِهِ، فَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زِيَادَةَ اللهِ وَقَائِعَ كَثِيرَةً. ثُمَّ رَحَلَ مُنْصُورٌ مِنْ خَنْدَقِهِ، وَنَزَلَ مِنْزَلًا آخَرَ، وَأَخْذَ مُنْصُورٌ فِي إِصْلَاحِ سورِ الْقَيْرَوَانَ، فَوَالَّهُ أَهْلُ الْقَيْرَوَانَ وَحَارِبُوا مَعَهُ. فَدَامَتِ الْحَرَبُ بَيْنَ مُنْصُورٍ وَبَيْنَ عَسْكَرِ زِيَادَةَ اللهِ عَلَى الْقَيْرَوَانَ أَرْبَعينَ يَوْمًا. ثُمَّ زَحَفَ زِيَادَةُ اللهِ عَلَى تَبَعِيَّةِ عَيْاًها لنَفْسِهِ قَلْبًا وَمَيْمَنَةً. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مُنْصُورٌ، هَالَهُ وَرَاعَهُ. وَالتَّقَتِ الْفِتَنَانُ، فَاقْتَلُوا اقْتِيلًا شَدِيدًا^(٣)، فَانْهَزَمَ مُنْصُورٌ وَوَلَى هَارِبًا، وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ قُتْلًا ذَرِيعًا، فِي مِنْتَصِفِ جَمَادِيِّ الْآخِرَةِ^(٤). وَانْتَهَى زِيَادَةَ اللهِ إِلَى الْقَيْرَوَانَ، فَأَمْرَ بِرْفَعِ الْقَتَالِ. وَتَمَادَى مُنْصُورٌ فِي هَزِيمَتِهِ إِلَى أَنْ دَخَلَ قَصْرَهُ بِتُونُسَ، وَالنَّاسُ لَا يَشْعُرُونَ، وَعَفَا زِيَادَةَ اللهِ عَنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانَ، وَصَفَحَ عَنْ جَمِيعِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُ جَعَلَ عَقُوبَتِهِمْ هَدَمَ سورِ الْقَيْرَوَانَ، حَتَّى الْصَّقَهَ بِالْأَرْضِ.

(١) النَّغَلُ: الفَسَادُ.

(٢) لَيْسُ فِي رِأْيٍ.

(٣) لَيْسُ فِي رِأْيٍ.

(٤) فِي أَمَّ: «الْآخِرَةُ».

وفي سنة عشر ومئتين: كانت وقعة سبيبة^(١)، وهي مدينة، وذلك أن الجنـد الذين تقدـم ذكر ثيـارـهم^(٢) وتمـنـعـهم لأجل الهـزـيمـة التي طـرـأـتـ عليهمـ، كانـ قـائـدـهـمـ عـامـرـ بنـ نـافـعـ. واستـقوـدـ^(٣) زـيـادـةـ اللهـ علىـ الجـيـشـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ بنـ الأـغـلـبـ، فـالـتـقـواـ هـنـالـكـ لـعـشـرـ بـقـيـنـ منـ المـحـرـمـ، فـانـهـزـمـ اـبـنـ الأـغـلـبـ وـقـتـلـ، وـتـمـاـدـتـ الـهـزـيمـةـ إـلـىـ الـقـيـرـوانـ منـ صـحـيـ النـهـارـ إـلـىـ بـعـدـ صـلـاـةـ الـعـشـاءـ، فـاغـتـمـ لـذـلـكـ زـيـادـةـ اللهـ، وـأـخـذـ فيـ جـمـعـ^(٤) الرـجـالـ وـبـذـلـ الـأـمـوـالـ. وـكـانـ عـيـالـ الجـنـدـ بـالـقـيـرـوانـ، فـلـمـ يـعـرـضـ لـهـمـ زـيـادـةـ اللهـ. ثـمـ إـنـ الجـنـدـ سـأـلـواـ مـنـصـورـاـ أـنـ يـحـتـالـ فـيـ نـقـلـ عـيـالـهـمـ منـ الـقـيـرـوانـ، فـزـحفـ بـهـمـ مـنـصـورـ إـلـيـهاـ، وـنـزـلـ عـلـىـ القـصـرـ نـحـوـ سـتـةـ عـشـرـ يـوـمـاـ، فـلـمـ يـكـنـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ زـيـادـةـ اللهـ فـيـهاـ قـتـالـ، وـأـخـرـجـ الجـنـدـ حـرـمـهـمـ مـنـ^(٥) الـقـيـرـوانـ. ثـمـ اـنـصـرـ فـيـ مـنـصـورـ إـلـىـ تـونـسـ، وـلـمـ يـبـقـ بـيـدـ زـيـادـةـ اللهـ مـنـ إـفـرـيقـيـةـ كـلـهـاـ إـلـاـ قـابـسـ وـالـسـاحـلـ وـنـفـزاـوـةـ وـأـطـرـابـلـسـ، فـإـنـهـمـ تـمـسـكـواـ بـطـاعـتـهـ، وـلـمـ يـنـقـصـوـهـ شـيـئـاـ مـنـ جـبـاـيـتـهـ. وـمـلـكـ مـنـصـورـ جـمـعـ عـمـلـ زـيـادـةـ اللهـ، وـضـربـ السـكـةـ بـاسـمـ نـفـسـهـ.

وـكـتبـ الجـنـدـ إـلـىـ زـيـادـةـ اللهـ: اـرـحـلـ^(٦) عـنـ إـفـرـيقـيـةـ وـلـكـ الـأـمـانـ فـيـ نـفـسـكـ وـمـالـكـ، فـشـاـوـرـ زـيـادـةـ اللهـ أـهـلـ بـيـتـهـ وـخـدـمـتـهـ، وـقـدـ ضـاقـ بـهـ الـأـمـرـ، فـقـالـ لـهـ سـعـيـانـ بنـ سـوـادـةـ: مـكـنـيـ مـمـنـ أـثـقـ بـهـمـ، أـنـقـدـمـ بـهـمـ إـلـىـ نـفـزاـوـةـ. فـانـتـقـىـ لـهـ مـئـةـ فـارـسـ، فـأـعـطـاهـمـ، وـسـارـ بـهـمـ إـلـىـ نـفـزاـوـةـ. فـدـعـاـ بـرـبـرـهـاـ إـلـىـ نـصـرـتـهـ. فـأـجـابـوـهـ^(٧). فـأـقـبـلـ عـامـرـ بنـ نـافـعـ فـيـ الجـنـدـ^(٨) نـحـوـ نـفـزاـوـةـ، فـلـمـ وـصـلـ إـلـىـ قـسـطـيـلـيـةـ^(٩)، جـمـعـ أـلـفـ أـسـوـدـ، وـمـعـهـمـ الـفـؤـوسـ

(١) يـنـظـرـ عـنـهـاـ الرـوـضـ المـعـطـارـ ٣٠٤ـ.

(٢) فـيـ أـ: «ـثـيـارـهـمـ»ـ.

(٣) فـيـ أـ: «ـوـاسـتـقـرـ»ـ.

(٤) فـيـ أـ: «ـصـنـمـ»ـ.

(٥) فـيـ أـ: «ـعـنـ»ـ.

(٦) فـيـ أـ: «ـأـنـ خـلـ»ـ.

(٧) الـكـاملـ لـابـنـ الـأـثـيـرـ ٦/٣٣٣ـ.

(٨) قـوـلـهـ: «ـفـيـ الجـنـدـ»ـ لـيـسـ فـيـ أـ.

(٩) انـظـرـ عـنـهـاـ الرـوـضـ المـعـطـارـ ٤٨٠ـ.

والمساحي، وخرج بهم إلى نَفْزاوة، فنزل بِتَقْيُوس^(١). وبلغ ابن سَوَادَةَ قدوْمُهُ، فخرج إِلَيْهِ^(٢)، واقتُلَ مَعَهُ، فانهزمَ الْجَنْدُ^(٣)، وُقُلِّ مِنْهُمْ عدُّ كَثِيرٌ. ورَجَعَ عَامِرٌ إِلَى قَسْطِيلِيَّةَ، فَأَفَاقَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، يَجْبِيُ أَمْوَالَهَا لِيَلًا وَنَهَارًا، حَتَّى كَمِلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَرَادَ، وَسَارَ نَحْوَ الْقَيْرَانَ.

وَفِي سَنَةِ إِحدَى عَشْرَةِ وَمِئَتَيْنِ: قَامَ عَامِرٌ بْنُ نَافِعٍ عَلَى مَنْصُورِ الطُّنْبُدِيِّ. وَكَانَ حَاسِدًا لَهُ لَأَنَّ مَنْصُورًا كَانَ يَتوَعَّدُهُ عَلَى الشَّرَابِ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ عَامِرٌ مَعَ الْجُنْدِ، فَلَمْ يَشْعُرْ مَنْصُورٌ، وَهُوَ بِقُصْرِهِ بِطُنْبُدَةِ، حَتَّى زَحَفَ إِلَيْهِ عَامِرٌ مِنْ تُونُسَ، فَحَاصَرَهُ فَرَاسَلَهُ مَنْصُورٌ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْأَمَانَ، عَلَى أَنْ يَتَوَجَّهَ فِي سَفِينَةٍ إِلَى الْمَشْرُقِ. فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَخَرَجَ مَنْصُورٌ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ مُسْتَخْفِيًّا، يَرِيدُ الْأُرْبُسَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ عَامِرٌ، قَفَا أَثْرَهُ وَأَثْرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ، حَتَّى أَدْرَكَهُمْ، فَاقْتُلَ مَعَهُمْ، فَانهزمَ مَنْصُورٌ، وَدَخَلَ الْأُرْبُسَ، فَتَحَصَّنَ بِهَا، فَحَاصَرَهُ عَامِرٌ فِيهَا. فَلَمَّا ضَاقَ الْحَصَارُ بِأَهْلِهَا، قَالُوا لِمَنْصُورِ: إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ عَنَا، وَإِلَّا دَفْنَنَا إِلَى عَامِرٍ. فَرَغَبَ مَنْصُورٌ أَنْ يُمْهِلُوهُ حَتَّى يَعْمَلَ فِي الْخَلَاصِ لِنَفْسِهِ. فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ الْفَرَجِ وَكَانَ مِنْ وَجْهِ الْجَنْدِ يَسَأَلُ الْاجْتِمَاعَ بِهِ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ مَنْصُورٌ مِنْ أَعْلَى السُّورِ: بِهَذَا كَانَ جَزَائِيُّكُمْ يَا مَعْشِرَ الْجُنْدِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ قِيَامِي عَلَى الْقَوْمِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِكُمْ، فَإِذَا قَدْ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ، فَأَحِبُّ أَنْ تَسْعَى فِي أَمَانِي وَخَلَاصِي، وَأَخْرُجَ عَنْكُمْ إِلَى الْمَشْرُقِ. فَأَجَابَهُ عَبْدُ السَّلَامِ إِلَى مَا سَأَلَ^(٤)، وَاسْتَعْطَفَ لَهُ عَامِرٌ بْنُ نَافِعٍ، فَأَسْعَفَهُ فِي ذَلِكَ. ثُمَّ وَجَّهَ عَامِرٌ مَنْصُورًا مَعَ خَيْلٍ، وَأَمْرَ مُقَدَّمَهُمْ سِرَّاً أَنْ يَعْرُجُوا بِهِ إِلَى مَدِينَةِ جَرْبَةِ، وَيَحْبَسُهُ بِهَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَحُبِّسَ مَنْصُورٌ هَنالِكَ. فَلَمَّا عَلِمْ عَبْدُ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْغَدْرَةِ مِنْ عَامِرٍ، حَقَدَ عَلَيْهِ، وَكَانَ بِبَاجَةَ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ هَاشِمُ أَخُو عَامِرٍ وَالِيَّا عَلَيْهَا، فَأَخْذَوْهُ، وَحَبَّسُوهُ، وَكَتَبُوا إِلَى أَخِيهِ عَامِرٍ: إِمَّا أَنْ تُخْلِيَّ عَنْ مَنْصُورٍ، وَإِلَّا قُتْلَنَا أَخَاكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ

(١) الرَّوْضَ الْمَعْتَارُ ١٣٩.

(٢) لِيَسْتَ فِي ر١.

(٣) فِي ر١: «الجَيْشُ الْأَغْلَبِيِّ».

(٤) فِي ر١: «إِلَى ذَلِكَ».

عامر: إني لستُ أُخلي عن منصور، فاصنعوا بهاشم ما شئتم، فستعلمون عاقبة أمركم.
فلما جاءهم كتابه، أطلقوا هاشماً، وأمر عامر بضرب عنق منصور وأخيه حمدون،
واستقامت الأمور لعامر بن نافع.

وفي سنة اثنتي عشرة ومئتين: أغزى زياده الله صقلية، واجتمع له سبعون مرکباً،
حمل فيها سبع مئة فرس. وعرض القاضي أسد بن الفرات نفسه على زيادة الله في
الخروج للغزو، فولاه على الجيش، وأقره على القضاء مع القيادة^(١)، فخرج معه
أشراف إفريقية، من العرب، والجند، والبربر، والأندلسيين، وأهل العلم والبصائر،
وذلك في حفل عظيم وعدة جليلة في ربيع الأول. فساروا إلى حصون الروم ومدنهم،
فأصابوا سبياً كثيراً، وسائمةً كثيرةً، وكراهاً، وكثرت الغنائم عند المسلمين، واحتل
القاضي أسد بمن معه على مدينة سرقسطة^(٢)، وحاصرها بريًّا وبحراً، وأحرق مراكبها،
وقتل جماعةً من أهلها. وجاءته الأ Maddad من إفريقية والأندلس وغيرهما.

وفي سنة ثلاثة عشرة ومئتين: توفي عامر بن نافع على فراشه. فلما بلغ موته
زيادة الله، قال: اليوم وضعت الحرب أوزارها، فاستأمن بنوه إلى^(٣) زيادة الله، فأمنهم.
وفيها: توفي إدريس بن إدريس الحسني، فقام بأمر فاس والبربر ابنه محمد،
فولى أخيه البصرة وطنجة وما يليهما، وولى سائر إخوته بلاد الغرب^(٤).

ذِكْرُ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ بِالْغَرْبِ

كانت قبل مدينة كبيرةً أزليةً، تُعرف ببصرة الكتان، لأنهم كانوا يتبايعون، في
بدء أمرها، في أكثر تجارتهم بالكتان. وتُعرف أيضاً بالحمراء، لأنها حمراء التراب.
وكان سورها مبنياً بالحجارة والطوب، ولها عشرة أبواب، ولجماعتها سبع بلاطات،
وبيها حماماً كبيراً، ومقتبرتها الكبرى في شرقها، والأخرى في غربها، وهي التي

(١) الكامل لابن الأثير ٦ / ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) انظر عنها الروض المعطار . ٣١٧

(٣) في را : «عل».

(٤) في أ : «جهات البربر».

تُعرف بمقدمة قُضاعة. ومؤاها زُعاقٌ، وشربُهم من بئر عَذْبٍ كَبِيرٍ على باب المدينة،
يُعرف ببئر أبي ذَلْفاء.

ونساء البَصْرَة مخصوصات بالجمال الفائق، والحسن الرائق، ليس بأرض
المغرب أَجَلُّ مِنْهُنَّ، وفيهنَّ يقول أَحْمَدُ بْنُ فَتْحِ التَّيْهَرِقِيُّ، في قصيدة مدح بها أبا
العيش^(١) الحَسَنِيَّ مِنْهَا^(٢) [من الكامل]:

ما حاز كُلَّ الْحُسْنِ إِلَّا قَيْنَةً بَصَرِيَّةٌ فِي حُسْنَةٍ وَبَيْاضٍ
السَّخْمُرُ فِي لَحَظَاتِهَا وَالوَرْدُ فِي وَجَنَاحَاهَا هَيْفَاءٌ غَيْرُ مُفَاضٍ
وَأَسَسَتِ الْبَصْرَةَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَسَسَتِ فِيهِ أَصَيْلًا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ^(٣). وَمِنْهَا إِلَى
قَصْرِ كُتَّامَةَ، وَهُوَ قَصْرُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، مَرْحَلَةٌ، وَمِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ جَنِيَّارَةَ مَرْحَلَةٌ. وَقِيلَ:
إِنَّهَا كَانَتْ قَرْيَةً عَلَى وَادِيِ سُبُّو، بَيْنَهَا وَبَيْنَ فَاسَ مَرْحَلَةٌ. وَمِنْ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ طَرِيقٌ
آخَرُ إِلَى فَاسَ، فَمِنْهَا إِلَى وَرْغَةَ مَرْحَلَةٌ، ثُمَّ إِلَى وَادِيِ مَاسِنَة^(٤) مَرْحَلَةٌ، وَهِيَ مَدِينَةُ
عِيسَى بْنِ حَسَنِ الْحَسَنِيِّ الْمُعْرُوفِ بِالْحَجَّامِ؛ ثُمَّ إِلَى مَدِينَةِ سَدَاكَ، وَهِيَ^(٥) قَاعِدَةُ
خَلُوفِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَغْبِلِيِّ، ثُمَّ إِلَى فَاسَ. فَذَلِكَ سَبْعُ مَرَاجِلٍ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: تُوفِيَ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ فِي رَجَبِهِ مِنْهَا، وَهُوَ مَحَاصِرٌ لَسَرْقوسَةَ.
فَلَمَّا تُوفِيَ، هَرَبَتْ رَهْنُ الرُّومِ الَّتِي كَانَتْ عَنْهُ، وَوَقَعَ الْمَوْتُ فِي عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ،
فَاغْتَمُوا بِالذَّلِكَ، وَوَلَّوْا عَلَى أَنفُسِهِمْ إِبْنَ أَبِي الْجَوَارِيِّ^(٦).

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشَرَةِ وَمِئَتَيْنِ: تُوفِيَ الْقَاضِيُّ أَبُو مُحْرِزِ الْكَلَابِيُّ. وَفِيهَا وَصَلَ
مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى صِقْلَيَّةَ نَحْوِ ثَلَاثِ مَئَةٍ مَرْكَبٍ، فِيهَا أَصْبَغُ بْنُ وَكِيلِ الْمَعْرُوفِ

(١) فِي أَ: «أَبَا عِيسَى».

(٢) لَيْسَ فِي أَ.

(٣) يَنْظَرُ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامَ فِي الْرُوْضَ الْمَعْطَارِ ١٠٨-١٠٩.

(٤) مِنْ هَنَا إِلَى قَوْلِهِ: «الْحَجَّام» سَقطَ كُلَّهُ مِنْ رَأْيِهِ.

(٥) لَيْسَ فِي رَأْيِهِ.

(٦) فِي رَأْيِهِ: «الْجَوَارِيِّ»، وَمَا هَنَا يَعْصِدُهُ مَا فِي كَاملِ ابْنِ الْأَثَيْرِ وَفِيهِ: «مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْجَوَارِيِّ» ٦/٣٣٦.

بفَرْغَلُوش. وبلغ المسلمين المحسورين بها خَبْرُ وصوْلِهِم، فاستغاثوا بهم، فوعدهم بذلك^(١).

وفي سنة خمس عشرة ومئتين: كان غَزُونْ فَرْغَلُوش الواصل في المراكب إلى صِقلِية هو والقواد الذين معه، فأخذوا القِلَاع، وسبوا، وغنموا في بلاد الروم. ثم سُئلُوا إغاثة من كان من المسلمين بها، فأجابوه إلى ذلك على أن يكون أمر الناس إلى فَرْغَلُوش. فساروا إلى ذلك، وأخذوا في طريقهم القِلَاع، وأغاروا حتى انتهوا إلى ميناء، فتَرَحَّبَ حَرْجٌ مُخْنِقٌ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وحرقوا المدينة وهدموها، وانتقلوا عنها. وسارَ المسلمون إلى غلوالية؛ فحصروها وتغلبوا عليها. واعتَلَ جماعةٌ من المسلمين بها، وأخذهم الوباء، ومات فَرْغَلُوش وغيره من القواد. فرحلَ الْمُسْلِمُونَ وركب العدو إثْرَهُمْ، فقتلَ منهم خلقٌ كثيرٌ في خبر طويل. ثم أخذوا في إصلاح مراكبهم، قافلين إلى الأندلس.

وفيها: ولِي سعيد^(٢) بن إدريس مدينة نُكُور.

وفي سنة ست عشرة ومئتين: كانت وقيعة بين مطِيع السُّلْمَاني^(٣) وإسماعيل بن الصَّمْصَاماً بِإفْرِيقِيَّة، فاقتتلا بمن معهما. فهُزِمَ مطِيع وُقُتِلَ، وانهزَمَ أصحابُه. ولِي أبو فَهْرِ صِقلِية.

وفي سنة سبع عشرة ومئتين: توجَّهَ أبو فَهْرِ حَمْدَ بن عبد الله التَّمِيمِيُّ من إفْرِيقِيَّة إلى صِقلِية، وهرَبَ عَمَّانَ بن قُرْهُبَ عنَّها.

وفي سنة ثانية عشرة ومئتين: قام بمدينة شُوُشْ فَضْلَ بن أبي العَنْبَرَ بعد هزيمته لخَلِيل زِيادة الله، فضبطها لنفسه. وسارَ إلَيْهِ أبو فَهْرِ بن عبد الله بن الأَغْلَبَ في جيشِ كثيفٍ، حتَّى افتحَها وقتلَ فيها عَبَّاسَ بن الوليدِ الفقيه الصالح^(٤).

(١) في ر١: «بالغوث».

(٢) في ر١: «شَبَّاب».

(٣) في أ: «السَّهْمِيُّ».

(٤) ليس في ر١.

وفي سنة تسع عشرة ومئتين: أمن زياده الله كل من طلب الأمان ممن تفلتَ من تُونس وخرج عنها وقت دخول أبي فهر لها. فأمنهم، وسكنت أحوالهم. وكان [فيهم] عبد الرحمن وعليه ابن أبي سلامة وأبو العزاف، وكانوا شعراء فصحاء، فأنسده عبد الرحمن مدحًا له فيه، فلما انقضى إنشاده، قام يعقوب بن يحيى الشاعر يُحرّض زياده الله علىبني أبي سلامة وأبي العزاف بهذه الأبيات [من الوافر]:

تَسْمَعُ أَيْهَا السَّمَلِكِ الْمُعَانُ	قَوْافِيٌّ فِي مَعَانِيهَا الْبَيَانُ
يَتِيمُ أَمَانُ مَنْ خَضَبَ الْعَوَالِي	وَلَيْسَ لِشَاعِرٍ أَبْدَا أَمَانُ
لَا نَ قَوْافِيٌّ لِأَشْعَارٍ تَبَقَّى	عَلَى الْأَيَّامِ مَا يَقِيَ الزَّمَانُ
وَقَدْ يُرَجِّحُ لِسْجُرْحِ السَّيْفِ بُرْءُ	وَلَا بُرْزُءُ لِمَا جَرَحَ اللَّسَانُ

فلم يلتفت زياده الله إلى قوله، وأمضى لهم أمانهم، وقال لأبي العزاف: ما منعك أن تستأمن إلينا قبل هذا الوقت؟ قال: أيها الأمير، كنت مع قوم حمقي، يولون كل يوم واليًا، ويعزلون آخر، فرجوتك أن تكون لي معهم دولة. فضحك زياده الله، وقال: قد عفوت عنك.

وفي سنة عشرين ومئتين: ولـيـ أـحمدـ بـنـ أـبـيـ مـحـرـزـ قـضـاءـ إـفـرـيقـيـةـ. وـفـيـهاـ أـغـزـىـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـلـهـ بـنـ الـأـغـلـبـ صـقـلـيـةـ. فـالـتـقـىـ بـالـمـشـرـكـينـ^(۱)، فـانـهـزـ مـواـأـمـاـهـ. وـانـصـرـفـ بـالـغـنـائـمـ إـلـىـ بـلـرـمـ^(۲). وـكـانـتـ بـصـقـلـيـةـ فـيـ هـذـهـ السـنـةـ غـزـوـاتـ كـثـيرـةـ لـلـمـسـلـمـينـ بـرـاـ وـبـحـرـاـ، وـكـذـلـكـ بـالـأـنـدـلـسـ.

وـفـيـهاـ وـصـلـ اـبـنـ الـأـغـلـبـ إـلـىـ بـلـرـمـ، قـاعـدـةـ صـقـلـيـةـ، وـالـيـاـ عـلـيـهـاـ، فـيـ رـمـضـانـ، بـعـدـ أـنـ رـأـيـ شـدـدـةـ فـيـ الـبـحـرـ، وـعـطـبـتـ لـهـ مـرـاكـبـ، وـحـطـمـتـ لـهـ أـخـرـىـ^(۳)، وـأـصـابـ لـهـ النـصـارـىـ حـرـاقـةـ مـنـ مـرـاكـبـهـ. وـجـاهـدـهـمـ مـحـمـدـ بـنـ السـنـدـيـ فـيـ حـرـاقـاتـ، فـاتـبعـهـمـ حـتـىـ حـالـ اللـيلـ بـيـنـهـمـ.

(۱) في ر ۱: «بهم».

(۲) ينظر عنها: الروض المعطار ۱۰۱.

(۳) قوله: «وحطمته له أخرى» ليس في ر ۱.

وفي سنة إحدى وعشرين ومئتين: توفي قاضي صقلية ابن أبي مُحرِّز. وكان قد أوصى أخاه عمراً أن يكتُم موته حتى يكفنه ويُصلّي عليه، خوفاً أن يكشفه زيادة الله ويُصلّي عليه، ففعل عمراً ذلك. فلما حُمل نعشة وخرج به من داره، أقبل حَلْفُ الفَتَّى بمسكٍ كثير وأكفان من قَبْل زيادة الله، فقال له عمراً: قد كفناه. فذرَّ خَلْفُ المسك الذي كان معه عليه، وحُمِّل إلى المصلّى، فحضر زيادة الله دفنه وعَزَّى أخاه عنه، وقال: يا أهل القَيْرَوان، لو أراد الله بكم خيراً، لما خرج ابن أبي مُحرِّز من بين أظهركم. وكان زيادة الله يقول: ما أبالي ما قَدَّمْتُ عليه يوم القيمة وفي صحيفتي أربع حَسَنَات: بُنياني المسجد الجامع بالقَيْرَوان، وبُنياني قنطرة أبي الربيع، وبُنياني حصنَ مدينة سُوسة، وتَوْلِيتِي أحمد بن مُحرِّز قضاء^(١) إفريقية. ثم ولي القضاء بعده ابن أبي الجواد.

وفي هذه السنة: ابتدأت الفتنة بِسِحْلَهَا سِيَّاحَةً بين مَيْمُونَ وأخِيهِ، ابْنِي الْمُتَّصِّرِ بْنِ الْيَسَعِ.

وفي سنة اثنين وعشرين ومئتين: كانت غَزْوة صِقلِّية، غزاها الْمُسْلِمُونَ إلى ناحية جَبَلِ النَّارِ، فأصابوا وَغَنِّموا وَقُفِّلُوا سالِمِينَ غَانِمِينَ.

وفيها: فتح الْمُسْلِمُونَ حصنَ مَدْنَارٍ وَمَعَاقِلَ كثيرة في غزوَةِ لِلْفَضْلِ بْنِ يَعْقُوبِ أغْزَاهُ إِيَّاهَا بْنَ الْأَغْلَبِ، وَغَزْوَةُ أُخْرَى^(٢) لِعَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ، أَغْزَاهُ أَيْضًا إِيَّاهَا بْنَ الْأَغْلَبِ^(٣)، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْعَدُوُّ، فَانهَزَّ الْمُسْلِمُونَ وَأُصْبِيَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً. وَأُسْرَ عبدِ السَّلَامِ حَتَّى فُدِيَ بَعْدَ ذَلِكَ.

وفي سنة ثلاثة وعشرين ومئتين: توفي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية، يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، وهو ابن إحدى وخمسين سنة. فكانت ولايته إحدى وعشرين سنة، وسبعة^(٤) أشهر، وثمانية أيام.

(١) في م: «قاضي».

(٢) في ر1: «وجهه إليها زيادة الله ثم كانت غزوَةُ أُخْرَى»، بدلاً من: «أَغْزَاهُ إِيَّاهَا أَبُو الْأَغْلَبِ، وَغَزْوَةُ أُخْرَى».

(٣) في ر1: «زيادة الله».

(٤) في الكامل لابن الأثير ٦/٤٩٣: «تسعة».

ولاية أبي عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية

وهو الملقب بخَزَرْ. فلما وَلِيَ، أَمَّنَ النَّاسَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى الْجُنْدِ، وَغَيْرَ أَحَدًا كثيرةً كَانَتْ قَبْلَهُ، وَأَجْرَى عَلَى الْعُمَّالِ أَرْزَاقًا وَاسْعَةً وَصِلَاتٍ جَزْلَةً، وَقَبْضَ أَيْدِيهِمْ عَنِ الرَّعْيَةِ، وَقَطَعَ النَّبِيذَ مِنَ الْقَيْرَوَانَ، وَعَاقَبَ عَلَى بَيعِهِ وَشُرْبِهِ^(١). وَتَوَقَّيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ لِرَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ سَتِ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ سَنَةً. فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ سَتِينَ وَتَسْعَةَ^(٢) أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا^(٣).

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنَ: كَانَتْ وَقْعَةُ إِفْرِيقِيَّةَ بَيْنَ عِيسَى بْنِ رِيعَانَ الْأَرْدَيِّ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ، وَبَيْنَ لَوَاتَةَ وَرُزْوَاغَةَ وَمِكْنَاسَةَ. فَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ بَيْنَ قَفْصَةَ وَقَسْطَلِيَّةَ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْقَطَّانَ^(٤).

وَفِيهَا: قَدَمَ أَهْلُ سِجْلَمَاسَةَ مَيْمُونَ بْنَ مِدْرَارَ، وَأَخْرَجُوا أَخَاهُ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِمَيْمُونَ، أَخْرَجَ أَبَاهُ مِدْرَارًا وَأَمَّهُ إِلَى بَعْضِ قُرَى سِجْلَمَاسَةَ.

وَفِي سَنَةِ خَمْسِ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنَ: كَانَتْ وَفَاتَةُ أَبِي جَعْفَرٍ مُوسَى بْنِ مُعَاوِيَةَ الصُّمَادِحِيِّ^(٥)، مَوْلَى آلِ جَعْفَرٍ^(٦)، وَكَانَ مَمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ سُخْنُونَ.

وَفِي سَنَةِ سَتِ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنَ: تَوَقَّيَ أَبُو عَقَالِ الْأَغْلَبِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ بَقِينِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ^(٧)، وَوَلَايَةُ ابْنِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ مَوْتِ أَبِيهِ.

ولاية أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية

كَانَتْ وَلَايَتُهُ فِي أَوَّلِهَا سَاكِنَةً، وَالْأَمْرُ مُعْتَدَلَةً، وَقَلَّدَ أَحْدَادَ الْأَغْلَبِ كَثِيرًا مِنْ أَمْوَارِهِ. وَكَانَ مُحَمَّدُ هَذَا قَلِيلُ الْعِلْمِ، ذُكِرَ أَنَّ رَجَاءَ الْكَاتِبَ كَانَ يَوْمًا بَيْنَ يَدِيهِ،

(١) الكامل لابن الأثير /٦/ ٤٩٣.

(٢) في الكامل: «سبعة».

(٣) الكامل لابن الأثير /٦/ ٥١٩.

(٤) وهو في كامل ابن الأثير أيضًا /٦/ ٥٠٨.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام /٥/ ٧٠٩.

(٦) في أ: «أبي جعفر».

(٧) قوله: «في ليلة الخميس لسبعين بقين من ربيع الآخر» ليس في ر١.

فكتب محمد «لحم ضبي» بضاد مسقوطة. فلما خلا المجلس، قال له كاتبه: أَيَّدَ اللَّهُ^(١) الأَمِيرَ، الظَّبِيءِ يُكْتَبُ بِظَاءٍ مَرْفُوعَةٍ. فقال له محمد: قد علمنا فيه اختلافاً: فأَبْوَ حَنِيفَةَ يَجْعَلُهُ بِالظَّاءِ، وَمَالِكٌ يَجْعَلُهُ بِالضَّادِ! فَعَجَبَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْلِهِ. وَكَانَ عَقِيمًا لَا يَوْلَدُ لَهُ، وَكَانَ مَظْفَرًا فِي حَرَوبِهِ.

وفي سنة سبع وعشرين ومئتين: توفي أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليَحْصُبِي^(٢) فقيه إفريقية، لقي^(٣) مالِكًا، وسمع منه. وسألَه زِيادةُ اللَّهِ عَنْ^(٤) النَّبِيِّ، فقال له: كَمْ دِيْرُ الْعَقْلِ؟ قال: أَلْفُ دِينَارٍ. قال: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، يَعْمَدُ الرَّجُلُ إِلَى مَا قَيَّمَهُ أَلْفُ دِينَارٍ، فَيَبْيَعُهُ بِنَصْفِ دِرْهَمٍ؟ فَقَيْلَ لَهُ: إِنَّهُ يَعُودُ وَيَرْجِعُ. فقال: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، يَعُودُ^(٥) بَعْدَ كَشْفِهِ سَوْءَتَهُ، وَإِبْدَائِهِ عَوْرَتَهُ، وَضَرْبٌ هَذَا وَشَتْمٌ هَذَا.

وفي سنة ثمان وعشرين ومئتين: كانت إفريقية هادِنَةً سَاكِنَةً، قال عَرِيبٌ وغَيْرُهُ: لم يكن في إفريقية هذه السنة خبرٌ يُذَكِّرُ، ولا في السنين بعدها.

وفي سنة ثلاثين ومئتين: توفي بِهِلْوُلُ بْنُ عَمْرُو بْنِ صَالِحٍ^(٦) الفقيه، سمع من مالِكٍ وطَبَقَهُ.

وفي سنة إحدى وثلاثين ومئتين: كانت ثُورَةُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَعْلَبِ عَلَى أَخِيهِ مُحَمَّدَ وَاسْتِيلَاؤُهُ عَلَيْهِ^(٧)؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَحْمَدَ تَوَاعَدَ مَعَ جَمْلَةٍ مِنَ الْمَوَالِيِّ إِلَى مَوْضِعٍ، فَتَوَافَّوْا هُنَالِكَ وَقَتَ الظَّهِيرَةَ، فَقَصَدُوا إِلَى مَدِينَةِ الْقَصْرِ الْقَدِيمِ، وَقَدْ خَلَا الْبَابُ مِنَ الرِّجَالِ.

(١) في ر ١: «أَهْيَا».

(٢) تاريخ الإسلام / ٥٩٤ / ٥.

(٣) في م: «ولقي».

(٤) في أ، م: «في».

(٥) من ر ١.

(٦) هكذا في النسختين، وهو غلط صوابه: «بِهِلْوُلُ بْنُ صَالِحٍ بْنُ عَمْرُو»، وهو تجيبي، أبو الحسن، ذكره القاضي عياض في الرواية عن مالك (ترتيب المدارك ١٨٥ / ٢)، وترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام وذكر روايته عن مالك وأنه توفي سنة ٢٣٣ (تاريخ الإسلام ٨٠٠ / ٥).

(٧) الكامل لابن الأثير ٧ / ٢٥.

فدخلوا، وأغلقوا الباب، ثم ساروا حتى أغلقوا الأبواب الأخرى. ثم هجموا على أبي عبد الله بن علي بن حميد الوزير، فأمر أحد، فضررت عينه. ووقع القتال بين رجال محمد بن الأغلب وبين رجال أحمد بن الأغلب، وجعل أصحاب أحمد يقولون لأصحاب محمد: ما لكم تقاتلوننا؟ نحن في طاعة محمد بن الأغلب، إنما قمنا على أولاد علي بن حميد الذين أفتروكم واستولوا على أموال مولاكم دونكم، وأماماً نحن في الطاعة. فلما سمعوا ذلك، أوقفوا عن القتال. ولما نظر محمد إلى ما دهمه من غير استعداد، قعد في مجلسه الذي يقعد فيه للعامة، وأذن لأخيه أحمد والرجال الذين معه في الدخول عليه. فدخلوا بسلامهم، فكانت بينهما معايبة. ثم حلوا ألا يغدر أحدهما بصاحبه، واصطلحوا. واعتزلت الأمور لأحمد بن الأغلب إلا اسم الإمارة فقط. وبقبض أحمد بن علي^(١) على من شاء، واستصنف من أراد، وعذب من أحب، وأعطى الرجال، وجبي الأموال، واستوزر نصر بن حمزة.

وفي سنة اثنين وثلاثين ومئتين: ظفر محمد بن الأغلب بأخيه أحمد، وحبسه، ورجع له سلطانه^(٢). وقام معه في ذلك جماعة منبني عمّه ومواليه، وسقى البوابين، واحتلال عليهم حتى دخل المدينة، وحارب أخاه طول الليل، وأطلق من كان في حبس أخيه، فاستمدّ بهم، ووصل أهل القيروان حتى أندَّ جميع ما في خزائنه من الأموال والكيسى. ثم نفى محمد بن الأغلب أخيه إلى المشرق، فمات بالعراق.

وفيها: عزيل عبد الله بن أبي الجواد عن القضاء، فقال سخنون لمحمد بن الأغلب: أيها الأمير، أحسن الله جزاءك، فقد عزلت فرعون هذه الأمة وجبارها وظالمها، وابن أبي الجواد حاضر، ولحيته تضطرّب على صدره، وكان تام اللحية.

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين: ولـ سخنون^(٣) بن سعيد بن حبيب التنوخيُّ الفقيهُ - واسمُه عبد السلام، إنما سمي بـ سخنون لـ حلة ذهنه - القضاء بإفريقية، بعد

(١) قوله: «ابن علي» ليس في م.

(٢) في ر١: «ملكه».

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٨٢٥ / ٥.

أن راجع^(١) محمد بن الأغلب في ذلك عاماً كاملاً، وهو يأبى عليه، حتى حلف له الأئمَّان المؤكَّدة، وأعطاه العهود المغَلَّطة أنَّه يُطلق يديه على أهل بيته وقرباته وخدمته وحاشيته، ويُنفَّذ عليهم الحقَّ، أحَبُّوا أو كَرِهُوا.

وفيها: كانت ثورة سالم بن غلبون وقتلُه، وذلك أنَّه كان والياً على الزَّاب. فعزله محمد بن الأغلب، فأقبل سالم يريد القِيَوان، ثمَّ عدل في بعض طريقه إلى الأُرْبُس^(٢) مُظهراً للخلاف، فمنعه أهله من دخولها، فسار إلى باجة ودخلها وضبطها. فأخرج إليه ابن الأغلب خفاجة بن سفيان في جيشِه كثيفاً، فنزل عليه، وحاربه أيامًا، فهرب سالم بن غلبون في الليل، فأتبَعَه خفاجة، فلحقه لما أصبح، وقتلَه، وحمل رأسه إلى محمد بن الأغلب. وكان ابنه أزهر محبوساً عنده، فأمر بضرب عنقه.

وفي سنة أربع وثلاثين ومئتين: ثار عمر بن سليم التُّجِيُّي بتُونُس، فأخرج إليه ابن الأغلب خفاجة بن سفيان، فأقام عليه بقيَّة هذه السنة، ثمَّ انصرف عنه من غير ظفر.

وفيها: مات عبد الله بن أبي الجواد في سجن سُحُنون. وكان ورَثَةُ ابن القُفَاط يطلبونه بخمس مئة دينار ودِيْعَةً، واستظهروا بخطه، فأنكر الوديعة والخط. فكان سُحُنون يُخْرِجه كلَّ جمعة، فإذا استمرَّ على الإنكار، ضربه عشرة أسواط، وأرادت زوجته فداءه بها^(٣)، فامتنع سُحُنون إلا أن يعترف ابن أبي الجواد بأنَّ هذا مال الأيتام أو عَوْصَاصاً عنه، فأبى ابن أبي الجواد. فما زالت تلك حاله إلى أن مرض، فمات، فشَّعَ الناسُ على سُحُنون أنَّه قُتل، وكان يقول بخلق القرآن.

وفي سنة خمس وثلاثين ومئتين: كانت وقعةٌ بمقرية من تُونُس، بين المُمْتَزِي في العام الفارط عمرو بن سليم المعروف بالقوَيْع^(٤)، وبين محمد بن موسى المعروف بعُريان الذي استقْوَدَه ابن الأغلب بجيشه لحاربه، ففرَّعَ كثيرٌ من موالي ابن الأغلب إلى القويَّع. فوقعَت على محمد بن موسى هزيمةً، وأسرَ أحدُ قوَادِه، بعد أن انكسرت

(١) بعده في ر ١: «السلطان».

(٢) ينظر الروض المطار ٢٤.

(٣) في ر ١: «بأمواها».

(٤) في م: «القوَيْع» مصحف، وما أثبناه مجود في النسختين وفي الكامل لابن الأثير ٧/٤٤.

رِجْلُهُ، ثُمَّ طعنه ولد القويغ طعنَةً كَانَ فِيهَا حَتْفَهُ، وُقْتُلَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَانْصَرَفَ باقيُ الْجَيْشِ إِلَى ابْنِ الْأَغْلَبِ مَفْلُولِينَ، وَاشْتَدَّتْ شَوْكَةُ الْقُويغِ.

وَفِي سَنَةِ سَتِ وَثَلَاثِينَ وَمَئِينَ: كَانَتْ وَقْعَةُ بَنْ عَمْرُو بْنِ سُلَيْمَانَ الْقُويغِ الْمُمْتَزِي بِتُونُسِ وَبَيْنِ خَفَاجَةَ بْنِ سُفِيَانَ، قَائِدِ جَيْشِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ، فَاقْتُلُوا قَاتِلًا شَدِيدًا فَانْهَزَمَ الْقُويغُ، وَقُتُلَ أَصْحَابُهُ مَقْتَلًا عَظِيمًا، وَأَدْرَكَ الْقُويغُ، فَضُرِبَتْ عُنْقُهُ وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ، فَوَصَّلَ قَاتِلَهُ، وَكَسَاهُ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ. وَدَخَلَ خَفَاجَةَ مَدِينَةِ تُونُسِ بِالسِيفِ، يَوْمَ السَّبْتِ لِعَشْرِ خَلْوَنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ؛ وَسَبَّ فِيهَا، وَانْصَرَفَ بِالْجَيْشِ إِلَى الْقَيْرَوَانَ، فَكَسَاهُ ابْنُ الْأَغْلَبِ.

ولاية العباس بن الفضل، رحمه الله، جزيرة صقلية

لَا تُؤْتِي صاحبُ صِقلِيَّةَ أَبُو الْأَغْلَبِ^(١) إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَغْلَبِ، قَدَمَ أَهْلُهَا عَلَى أَنفُسِهِمْ الْعَبَّاسَ بْنَ الْفَضْلِ هَذَا، وَكَتَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ^(٢) بْنِ الْأَغْلَبِ بِالْخَبَرِ. فَأَفَقَّ الْعَبَّاسُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ بِوَلَايَةِ صِقلِيَّةِ فَجَاهَهُ كَثِيرًا، وَغَزَّ طَوِيلًا. وَكَانَ لَهُ فِي الرُّومِ مَوَاقِفُ أَذْلَّهُمْ بِهَا^(٣).

وَفِي سَنَةِ سِبْعِ وَثَلَاثِينَ وَمَئِينَ: وَلَيَ حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ بْنِ سَهْلٍ^(٤) التَّمَيِّمِيُّ الْمَظَالِمِيُّ بِالْقَيْرَوَانَ بِتَقْدِيمِ الْقَاضِيِّ سُخْنُونَ إِيَّاهُ عَلَيْهَا.

وَفِيهَا: أَغْزَى الْعَبَّاسَ بِصِقلِيَّةِ أَرْضِ الرُّومِ، فَغَنَمَ غَنَائِمَ عَظِيمَةً، وَسَبَّ سَبِيَاً كَثِيرًا، وَأَدَّاَخَ^(٥) بِلَادَهُمْ.

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ وَمَئِينَ: أَغْزَى الْعَبَّاسَ بْنَ الْفَضْلِ صاحبَ صِقلِيَّةِ الرُّومِ، فَقُتِلَ اللَّهُ الْمُشْرِكُينَ، وَبَعَثَ الْعَبَّاسَ بِرَؤُوسِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ بَلَرَمَ، وَأَقامَ يَتَسَفَّ زِرْوَعَهُمْ، وَيَطَأُ أَرْضَهُمْ، وَيُسَبِّي من ظَفَرَ بِهِمْ. ثُمَّ قَفلَ إِلَى صِقلِيَّةِ.

(١) سقطت من ر.١.

(٢) في ر.١: «إلى السلطان محمد».

(٣) الكامل لابن الأثير ٦٠ / ٧، ونهاية الأرب للنويري ١٩٧ / ٢٤.

(٤) من ر.١.

(٥) في ر.١: «وأدَلَع».

وفي سنة تسع وثلاثين ومئتين: كان الجَهاد بِصِقلِيَّة في غزوَة العَبَّاس بن الفَضْل في الصائفة، فأفسد زُرُوع النصارى، وبِث السرايا في كُل موضع، وغنم قُصْر يانة^(١) وقَطَانِيَّة^(٢) وسَرْقُوْسَة^(٣) وغيرها، وحاصرَ مدِينة بنيرَة^(٤) ستَّة أَشْهُر حتَّى صَالَحُوهُ على سَتَّة آلَاف رَأس قَبَصَهَا مِنْهُمْ. وَقَفلَ إِلَى حَضْرَة^(٥) بَلَرم، وَفَتحَ مدِينة سَبْرِيَّة^(٦).

وفي سنة أربعين ومئتين: تُوفَّى الفقيه سُخْنُون، رَحْمَهُ اللَّهُ.

وفيها: كان الجَهاد أيضًا بِصِقلِيَّة؛ غزا العَبَّاس بن الفَضْل صاحبُها بِلَادِ الرُّوم، فَسَبَى، وَنَكَى، وَخَرَّبَ، وَانْتَسَفَ، وبِث السرايا، فَغَنَمُوا غَنائمَ عَظِيمَةً^(٧).

وفي سنة إحدى وأربعين ومئتين: غزا العَبَّاس بن الفَضْل أيضًا الرُّوم بِصِقلِيَّة^(٨)، فأفسد زُرُوعَهُمْ، وبِث السرايا في أراضِيهِمْ، فَغَنَمُتْ غَنائمَ كَثِيرَة، وَأَقامَ في جَبَلِ مَانع ثَلَاثَةَ أَشْهُر، يَضْرِبُ كُلَّ يَوْمَ حَوْلَ يَانَة، فَيُقْتَلُ وَيُصْبَبُ، وَتَوَجَّهُ سَرَايَاهُ، فَتَغْنَمُ فِي كُلِّ جَهَة. وَأَغْزَى أَخَاهُ عَلَيَّ بْنَ الفَضْلِ فِي الْبَحْرِ، فَأَصَابَ وَغَنَمَ، وَانْصَرَفَ بِرَؤُوسِ كَثِيرَة.

وفي سنة اثنتين وأربعين ومئتين: تُوفَّى أبو العَبَّاس مُحَمَّدُ بْنُ الْأَعْلَبِ، صَاحِبُ إفْرِيقِيَّة، لِلْيَلَتَيْنِ خَلَتَا مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَكَانَتْ وَلَيْتُهُ خَمْسَ عَشَرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا^(٩)، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ سَتَّ وَثَلَاثَيْنِ سَنَةً، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ^(١٠).

(١) الروض المعطار .٤٧٥

(٢) الروض المعطار .٤٦٥

(٣) تقدمت، وينظر الروض المعطار .٣١٧

(٤) في ر١ : «بنبرة».

(٥) في ر١ : «مدِينة».

(٦) هي المَعْروفة بِسَانَتَا سَفَرِيَّة.

(٧) العبارة في ر١ مُختلفة حيث جاء فيها: «... بِصِقلِيَّة على يد صَاحِبَهَا العَبَّاس بن الفَضْل والغَنائم العَظِيمَة».

(٨) النص في ر١ في هذه الفقرة مضطرب، فأثبتنا ما في أَفْقَط.

(٩) في الكامل لابن الأثير ٦/٥١٩ : «وعشرة أيام».

(١٠) قوله: «وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ» ليس في ر١، وينظر الكامل لابن الأثير ٦/٥١٩.

ولاية أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب إفريقية^(١)

وليها وهو ابن عشرين سنةً. وكان حَسَنَ السيرة، كريم الأخلاق والأفعال، من أجواد الناس وأسمحهم وأرقفهم بالرعاية، مع دين واجتناب للظلم، على حداثة سنه وقلة عمره. وكان يركب في ليالي شعبان ورمضان وبين يديه الشمع، فيخرج من القصر القديم، ويمشي حتى يدخل من باب أبي الريبع، ومعه دوابٌ بالدرام. فكان يعطي الضعفاء والمساكين حتى ينتهي إلى المسجد الجامع بالقيروان، فيخرج الناس إليه، يدعون له.

وفيها: ولـيـ القضاـءـ بـإـفـرـيقـيـةـ أبوـ الـرـبـيعـ سـلـيـمانـ بنـ عـمـرـانـ بنـ أبيـ هـاشـمـ الملـقبـ بـخـرـوفـةـ^(٢).

وفيها: كان الجهاد بـصـقـلـيـةـ: غـزاـ صـاحـبـهاـ العـبـاسـ بنـ الفـضـلـ الرـوـمـ بالـصـائـفةـ، فـغـنمـ وـسـبـىـ، وـانتـقلـ منـ حـصـنـ^(٣) إـلـىـ حـصـنـ، فـفـتـحـ أـكـثـرـهـاـ، وـصـالـحـ بـعـضـ أـهـلـهـاـ.

وفي سنة ثلاثة وأربعين ومئتين: كان الجهاد بـصـقـلـيـةـ: غـزاـ العـبـاسـ بنـ الفـضـلـ صـاحـبـهاـ بـالـصـائـفةـ، فـسـبـىـ وـغـنـمـ، وـصـالـحـ أـهـلـ قـصـرـ الـحـدـيدـ، بـعـدـ أـنـ حـاـصـرـهـمـ شـهـرـيـنـ، بـخـمـسـةـ عـشـرـ أـلـفـ دـيـنـارـ، وـصـالـحـ أـهـلـ حـصـنـ شـلـفـوـدـةـ^(٤)، عـلـىـ أـنـ يـخـرـجـواـ مـنـهـ وـيـهـدـمـهـ، فـفـعـلـ ذـلـكـ.

وفي سنة أربع وأربعين ومئتين: غـزاـ العـبـاسـ صـاحـبـ صـقـلـيـةـ أـرـضـ الرـوـمـ، فـغـنمـ غـنـائـمـ كـثـيرـةـ. وـخـرـجـ أـخـوـهـ فـيـ مـرـاـكـبـ فـيـ الـبـحـرـ إـلـىـ جـزـيـرـةـ أـفـرـيـطـشـ^(٥)، فـقـتـلـ وـسـبـىـ وـغـنـمـ. ثـمـ دـارـتـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ جـوـلـةـ، فـقـتـلـ مـنـهـمـ، وـأـخـذـتـ لـهـ عـشـرـونـ مـرـكـبـاـ.

(١) هذه اللفظة ليست في ر١، والخبر باختصار في الكامل لابن الأثير ٥١٩/٦.

(٢) ينظر الدبياج المذهب لابن فرحون ٣٧٦/١.

(٣) قوله: «من حصن» سقط من أ.

(٤) في ر١: «سلعودة».

(٥) بفتح الهمزة، وتكسر (معجم البلدان ٢٣٦/١)، وهي جزيرة كريت.

وفي سنة خمس وأربعين ومئتين: أخرج^(١) أبو إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية مالاً كثيراً لحفر المَوَاجِل^(٢)، وبنيان المساجد والقناطر، لكلمةٍ كانت منه على سُكْرٍ.

وفي سنة ست وأربعين ومئتين: كان حَفْرُ المأجل الكبير على باب تُونس المعروف ببئر ابن طبيان^(٣).

وفيها: تُوفِّي أبو خَلَفُ الزاهد، واسمُه مطروح بن قيس، وكان عابداً زاهداً.

وفي سنة سبع وأربعين ومئتين: كان بالقيروان سَيْلٌ عظيمٌ كسر القنطرة فأمر صاحب إفريقية بإصلاحها.

وفيها: تُوفِّي عبد الرحمن بن عبد ربّه، وكان مُستجابَ الدعوة.

وفيها: تُوفِّي العباس بن الفَضْل صاحبِ صِقْلَيَّةٍ، في جمادى الأولى لثلاث خلون منها، وولَيَّ عمُّه أحمد صِقْلَيَّة؛ ولَا هُلُّها، وكتبوا بذلك إلى صاحب إفريقية أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب، فجاء كتابه بإثباته.

وفي سنة ثمان وأربعين ومئتين: كَمُلَ بناءً مأجل باب تُونس الكبير، وتمَّت الزيادة في جامع القيروان، وكَمُلَ إصلاح قنطرة باب أبي الربيع.

وفيها: كانت غزوة رَبَاح، فأصابَ وَغَنِمَ، ثم دارت عليه وقعةٌ، أُخِذَتْ فيها طُبُولُه وأعلامُه، ثم أُسْرَ قَوْمٌ من أصحابه، ثم تراجَعَ وافتتحَ مدينةَ جبل أبي مالك، وسَبَى جمِيعَ ما كان فيها، وأحرقَها وبَثَ سراياً كثيرةً، فأصابَتْ وَغَنِمَتْ.

وفي سنة تسع وأربعين ومئتين: تُوفِّي أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب صاحب إفريقية، يوم الثلاثاء عشرة ليلةً حلَّتْ من ذي القعدة، فكانت ولايته سبع سنين وعشرين شهر ونصفاً، ومات وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنةً^(٤).

(١) بعدها في ر١: «السلطان».

(٢) جمع مأجل، وهو حوض تجمع فيه المياه وتخزن.

(٣) قوله: «المعروف ببئر ابن طبيان» ليس في أ، م.

(٤) الكامل لابن الأثير ٥٢٠-٥١٩/٦.

ولادة زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب إفريقية^(١)

وليَّ يوم وفاة أبي إبراهيم، في ذي القعْدَة، فكتبَ إلى خَفاجة يامضاء ولايته وخلعَ عليه. وكان أبو محمد زيادة الله هذا عاِفلاً^(٢)، حليماً، حَسَنَ السيرة، جيلَ الأفعال، ذا رأي ونَجدة وجود وشجاعة. وهو الثاني ممَّن اسمه زيادة الله فيبني الأغلب. ولم تطلُّ في المُلْك مَدَّته، ف تكونَ له أخبارٌ تؤثر، وتُوفَّى ليلة السبت لعشر بقين من ذي القعْدَة من سنة خمسين ومئتين، فكانت دولته سنةً واحدةً وبسبعة أيام^(٣).

ولادة أبي الغرانيق محمد بن أحمد بن الأغلب^(٤)

وليَّ سنة خمسين ومئتين، وهو ابن أخي زيادة الله المتوفَّ قَبْلُ، ولَيَّ يوم السبت لعشر بقين من ذي القعْدَة، ولُقبَ بأبي الغرانيق لأنَّه كان يَهْوَى صَيْدَهَا، حتَّى بنى قصراً يخرج إليه لصَيْدَهَا، أنفقَ فيه ثلاثين ألفاً مثقالاً من الذهب. وكان مُسْرِفاً في العطاء، مع حُسْن سيرة في الرعية. ثمَّ غلت عليه اللذاتُ والاشتغالُ بها، فلم يزل كذلك طُولَ مَدَّته. ولم تكن له همة في جمع مال. فلما مات، لم يَجِدْ أخوه في بيت المال شيئاً يُذْكَر. وكانت ولايَّته حروباً أكثرها على ما يائى ذكره.

وفي سنة إحدى وخمسين ومئتين: كانت غزوَة السَّرِيَّة المعروفة^(٥) بـسَرِيَّة ألف فارس، وذلك لأنَّ خَفاجة صاحبِ صِيقَيَّة غزا قصريانة، فأفسدَ زروعَهُ، وسارَ إلى سَرْقوسة، فقاتلَ أهلها. ثمَّ رحل عنهم، وأخرج ابنه محمدًا إليهم في سَرِيَّة، فكَمَّنَ لهم، فخرجوها، فخرج عليهم^(٦) وقتلَ منهم ألف فارس، فسمِّيَتْ تلك السَّرِيَّة سَرِيَّة ألف فارس^(٧).

(١) لفظة «إفريقيَّة» ليست في ر. ١.

(٢) في أ: «عاملاً».

(٣) الكامل لابن الأثير ٦ / ٥٢٠.

(٤) الكامل لابن الأثير ٦ / ٥٢١-٥٢٠.

(٥) في ر. ١: «التي تعرف».

(٦) قوله: «فخرجوها فخرج عليهم» سقط من أ. م.

(٧) في ر. ١ بدلاً من هذه العبارة: «فسميت بذلك تلك السَّرِيَّة».

وفي سنة اثنتين وخمسين ومئتين: بنى محمد بن حَمْدون الْأَنْدُلُسِيُّ الْمَعَافِرِيُّ
الجامع الشريفي بالقيروان المنسوب إليه: بناه بالأجر والجص والرخام، وبَنَى فيه
جباباً للماء.

وغزا خفاجة صاحب صِقلِية أرض الروم، وافتتح حصوناً كثيرة، ثم مرض
مرضاً شديداً، فانصرف في مَحْمَل إلى بلرم.

وفي سنة ثلاثة وخمسين ومئتين: قال ابن القَطَّان: عريت هذه السنة من أخبار
إفريقيا، فلم يكن فيها خبر مشهور يُجتَلب^(١).

وفي سنة أربع وخمسين ومئتين: غزا خفاجة صاحب صِقلِية بِطْرِيقاً وصل من
القُسْطَنْطِينِيَّة، في جمع كبير، في البر والبحر، فانهزم الْبِطْرِيق بعد قتال شديد، وقتل من
 أصحابه آلااف كثيرة، وأخذ لهم سلاحاً وخيل. ودخل خفاجة إلى سَرْقُوسة وغيرها،
فنعم غنائم كثيرة، ورجع إلى بلرم قاعده أول يوم من رجب^(٢).

وفي سنة خمس وخمسين ومئتين: خرج خفاجة صاحب صِقلِية للغزو، فلقيه
العدُو في جمع كبير، فاقتلوه قتالاً شديداً، فُقِتِلَ شُجاعان المسلمين، فانكسروا
لقتله. فسار خفاجة إلى سَرْقُوسة، فامتنعت منه^(٣)، فأقام عليها، وأفسد زرعها.

وفيها: تُوقِي خفاجة، وذلك أنه، لما أكمل غزاته المذكورة، قفل من سَرْقُوسة،
يريد بلرم، فأدليح ليلاً، فاغتاله رجلٌ من عَسْكُرِه، وطعنه طعنةً مات منها، وذلك
أول يوم من رَجَب، وهرب الذي طعنه إلى سَرْقُوسة. وُحْمِل خفاجة إلى حضرة^(٤)
بلرم، فدُفِن بها. فول أهل صِقلِية ولده محمدًا، وكتبوا بذلك إلى الأمير محمد بن أحمد
ابن الأغلب أبي الغرانيق^(٥)، فكتب إليه بالولاية، وخلع عليه^(٦).

(١) في ر١: «عريت هذه السنة بإفريقيا عن خبر يُجتَلب».

(٢) قوله: «أول يوم من رجب» ليس في ر١.

(٣) قوله: «فامتنعت منه» ليس في ر١.

(٤) ليست في أ، م.

(٥) في ر١: «إلى السلطان أبي الغرانيق».

(٦) الكامل لابن الأثير ١٠٨/٧.

وفي سنة ست وخمسين ومئتين: تُوفِيَ محمد بن سُخْنُون التَّنُوخي^(١)، وكان فقيهًا ورِعًا، رضي الله عنه.

وفي سنة سبع وخمسين ومئتين: ولَيَ القضاء بِإفريقيَّة عبد الله بن أحمد بن طالب^(٢)، صارفًا لِسُلَيْمان بن عِمْران.

وفيها: تُوفِيَ صَاحِبُ صِقلِّيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ خَفَاجَةَ، قَتَلَهُ خَدَمُهُ نَهَارًا لِثَلَاثِ خَلْوَنْ من رَجَب، وَكَتَمُوا أَمْرَهُ، فَلَمْ يُعْرَفْ قَتْلُهُ إِلَّا بَعْدَ يَوْمِ هُرُوبِ السَّخَدَمِ، فَأُخْذِنُوا وَقُتْلُ بَعْضُهُمْ. فَوَلَيَ صِقلِّيَّةِ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَضَاءِ^(٣) بِتَقْدِيمِ ابْنِ الْأَغْلَبِ إِيَّاهُ. وَوَلَيَ عَلَى الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ عَبْدُ اللهِ بْنِ يَعْقُوبَ، فَكَانَتْ لَهُمَا فِي هَذَا الْعَامِ غَزْوَةً أَوْقَعَا فِيهَا بِالْمُشْرِكِينَ. وَلَمْ يَكُنْ بِإِفْرِيقِيَّةِ فِي سَبْعِ سِنِّيهِ خَبْرٌ يُذَكَّرُ.

وفي سنة ثمان وخمسين ومئتين: تُوفِيَ أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ صَاحِبُ صِقلِّيَّةِ، وَوَلِيَ ابْنُ الْحُسْنِ مَكَانَهُ، وَأَفْرَأَهُ صَاحِبُ إفريقيَّةِ عَلَيْهَا.

وفي سنة تسع وخمسين ومئتين: وَلِيَ سُلَيْمانُ بْنُ عِمْرانَ قَضَاءَ إفريقيَّةَ، وَعُزِّلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ طَالِبَ التَّمِيمِيُّ عَنْهُ.

وفيها: غَزا صَاحِبُ صِقلِّيَّةِ سَرْقُوسَةَ، فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا عَلَى أَنْ يُخْرِجُوهَا إِلَيْهِ مِنْ أَسْرِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُمْ ثَلَاثَ مِائَةَ وَسِتِّينَ أَسِيرًا.

وفي سنة ستين ومئتين: كَانَتِ المجَاعَةُ الْعَامَّةُ بِالْمَسْرُقِ وَالْمَغْرِبِ، وَالْوَبَاءُ، وَالطَّاعُونُ^(٤).

وفيها: تُوفِيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ عَبْدُوْسَ^(٥) الْفَقِيْهُ الْعَالَمُ، الَّذِي دَوَّنَ «الْمَجْمُوعَةَ»، وَكَانَ جُبَابَ الدُّعَوَةِ.

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٤٠٣/٦.

(٢) تنظر جمهرة ابن حزم ٢٢١.

(٣) قوله: «ابن المضاء» من ر. ١.

(٤) الكامل لابن الأثير ٧/٢٧٣.

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٥٩٦/٦.

وفي سنة إحدى وستين ومئتين: تُوفّي أبو الغرانيق محمد بن أحمد بن الأغلب ليلة الأربعاء لستّ خلؤن من جمادى الأولى من هذه السنة، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر ونصفاً^(١)، في دولة المستعين بالله، والمعتز، والمُهتدي، والمُعتمد في بعض أيامه.

ولاية إبراهيم بن محمد بن الأغلب إفريقية^(٢)

وصفة ولايته أنّ أبا الغرانيق كان عهداً لأبنه أبي عقال، واستحلّفَ أخاه إبراهيم بن أحمد لا يُنازعه في ملكه بخمسين يَمِيناً. فلما مات أبو الغرانيق، أتى أهلُ القَيْرَوَانَ إلى إبراهيم بن أحمد، وهو^(٣) إذ ذاك والي على القَيْرَوَانَ. فقالوا له: قُمْ، فادخل القصر، فأنتُ الْأَمِيرُ. وكان إبراهيم^(٤) قد أحسن السيرة فيهم، فقال لهم: قد علمتمُ أنّ أخي قد عقد البيعة لابنه، واستحلّفني خمسين يَمِيناً لا يُنازع ولدَه ولا أدخل قصراً. فقالوا له: تكون أميراً في دارك بالقصر القديم، ولا تُنَازَعْ ولدَه، فتحنّ كارهون لولايته ومباعون لك وليس في أعقابنا له بيعة. فركب من القَيْرَوَانَ ومعه أكثر أهلها، فحاربوا أهل القصر حتى دخل إبراهيم داره، فبِإِيمَانِه مشايخُ أهل إفريقية ووجوهُها، وبِإِيمَانِه جماعةُ بني الأغلب^(٥).

وفي سنة اثنين وستين ومئتين: تُوفّي أبو زيد شجرة بن عيسى^(٦) القاضي بتونس، وكان من خيار القضاة، له مناقب كثيرة، وهو ابن تسع وتسعين سنة. وفيها: أَسَّسْتُ قلعةً مدينةَ تَنَسَّ، أَسَّسْهَا البحريون من أهل الأندلس.

وفي سنة ثلاثة وستين ومئتين: ابتدأ إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ببناء مدينة رقادة^(٧).

(١) الكامل لابن الأثير / ٧ . ٢٨٣

(٢) لفظة «إفريقية» ليست في أ، م.

(٣) في ر ١: «وكان».

(٤) ليس في ر ١.

(٥) الكامل لابن الأثير / ٧ . ٢٨٤

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام / ٦ . ٣٤١

(٧) ينظر عنها الروض المطار . ٢٧١

وفي سنة أربع وستين ومئتين: كَمُل بِناء القصر المعروف بالفتح، وانتقل إليه إبراهيم بن أحمد، وَقَتْلَه لِلموالي بالقصر القديم لِأَنَّهُمْ ثاروا عليه.

وفيها: فُتِحَتْ سَرْفُوسَة، فتحها صاحبُ صِقْلَيَّة^(١) يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت لرمضان^(٢)، وُقُتِلَ فيها أكثر من أربعة آلاف عَلْج، وأُصْبِغَ فيها من الغنائم ما لم يُصْبِبْ بمدينة من مدائن الشَّرْك، ولم يَنْجُ من رجالهم أحدٌ. وكان مُقاومُ المسلمين بِصِقْلَيَّة^(٣) عليها إلى أن فُتِحتْ تسعَةَ أشهر، وأقاموا بعد فتحها شهرين، ثم تهَدَّمت.

وفيها: قُتِلَ صاحبُ صِقْلَيَّة جعفر بن محمد، قتله غلَمانه مع الأغلب بن محمد بن الأغلب، المُلَقِّب بخُرج الرُّعُونَة، وأبي عِقال الأغلب بن أحمد، وكانا محبوَسِين عندَه، فتوَلَّ خُرج الرُّعُونَة بَلَرَم وضَبَطَهَا، فوثَبَ أهْلُها عَلَيْهِ وَعَلَى أبي عِقال وَمَنْ اتَّصلَ بِهِمَا، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ صِقْلَيَّةٍ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ، وَوَلَّيَ الْحَسَنُ بْنُ رَبَاحَ الصَّائِفَة^(٤).

وفي سنة خمس وستين ومئتين: غزا صاحب صِقْلَيَّة الحسن بن رياح الصائفة^(٤) إلى طَرَمِين، ودارت بينه وبين مُشَرِّكِي صِقْلَيَّة حربٌ قُتِلَ فيها من المسلمين، ثم كانت لهم الكَرَّة على المشركيين، فهزموهم، وَقَتَلُوْهُمْ، وَقَتَلُوا بِطَرِيقِهِم.

وفي سنة ست وستين ومئتين: كان القَحْط العظيم والغلاء المُفْرِط بِإِفْرِيقِيَّة.

وفيها: أغزى صاحبُ صِقْلَيَّة الروم، فالتحقَ في الْبَحْر بِمَرَاكِبِهِمْ، وَهُمْ في نَحْوِ مئة وأربعين^(٥) مَرَكِبًا، فدارت بينهم حربٌ شديدةٌ حتَّى أسلمَ الْمُسْلِمُونَ مَرَاكِبِهِمْ وأَخْذَهَا الْرُومُ. وانصرفَ مَنْ كَانَ فِي تِلْكَ الْمَرَاكِبَ إِلَى بَلَرَم، فأقاموا بها شهورًا يَبْثُونُ السَّرَّاِيَا، وَيَغْنِمُونَ أَرْضَ الْرُومِ الْمُجاوِرِينَ لَهُمْ.

(١) قوله: «فتحها صاحب صقلية» من را.

(٢) قوله: «يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت لرمضان» ليس في را.

(٣) ليست في را.

(٤) في را: «الروم بالصائفة».

(٥) في را: «أربع مئة».

وفي سنة سبع وستين ومئتين: ولِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ طَالِبِ التَّمِيمِيُّ الْقَضَاءِ،
صَارَفًا لِسُلَيْمَانَ بْنَ عِمْرَانَ عَنْهُ.

وفيها: ولِيَ الْحُسْنِ^(١) بْنُ الْعَبَّاسِ جَزِيرَةَ صِقلِيلَةَ.

وفيها: كانت فتنة وَلَدَ ابْنِ طُولُونَ، حين أراد التغلب على إفريقيا. وها أنا
أذكُرُ قصَّته إلى أن هُزم؛ وذلك أنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ، وَلَدَ صَاحِبِ مِصْرَ،
قَدِمَ في هذه السنة في ثمان مئة فارس وعشرة ألف راجل من سُودان أبيه على خمسة
آلاف جَمَلٍ إلى مدينه بَرْقَةَ، في ربيع الآخر، يُريدُ إفريقيا، والتغلب عليها^(٢)، وإخراج
بني الأَغْلَبِ عنها. وحمل مع نفسه من بيت مال مِصْرَ ثمانين مئة حمل دنانير ذَهَبًا،
فأعطى أصحابه الأَرْزاقَ بِهَا^(٣). وقيل^(٤): إنَّ مبلغ ما حمل من المال ألف ألف دينار
ومائتا ألف دينار، ومعه أبو عبد الله أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدَ الْكَاتِبُ مُكَبَّلاً، لَأَنَّهُ أَظْهَرَ الامْتِنَاعَ
من الخروج معه، وكان أشَارَ عليه بِأَنَّ يَؤْخُرَ التقدُّمَ إلى أطْرَابُلُسَ حتَّى يُصَانِعَ البرِّيرَ،
فقال: أَخْشَى أَنْ تَقدُّمَ العساكرُ من الشام قبل إِحْكَامِ هَذَا الْأَمْرِ - يعني عساكر أبيه،
لَأَنَّهُ كَانَ ثَائِرًا عَلَى أَبِيهِ - ويكون أيضًا في ذلك فُسْحَةٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ، فِيَمْهَلَ فِي
الاستعداد، ولكنني أَمْضَيَ على فَوْرِي هَذَا، فَاتَّيَ لَبْدَةً وأطْرَابُلُسَ فجاءَهُ، ثُمَّ أَخْذَ فِي
اسْتِهَالَةِ البرِّيرِ بعد ذَلِكَ بِالعَطَاءِ وَالإِفْضَالِ، وَأَبْعَدَ عَنْ مِصْرَ، فَلَا يَقُومُ لِأَحْمَدَ بْنَ
طُولُونَ - يعني أباه - أَمْلُ فِي مُطَالَبِي لِبُعْدِي عَنْهُ^(٥).

وخرج ي يريد لَبْدَة^(٦)، فَاتَّصلَ خَبْرُهُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ أَحْمَدَ بْنَ
قُرْهُبَ في ألف وست مئة فارس، خِيَالًا مُجَرَّدًا لا رَجُلٌ فِيهَا، وَأَمْرَهُ^(٧) بِيَاغْذَادِ

(١) في أ، م: «الحسن»، وهو تحريف، وسيأتي بعد قليل على الوجه.

(٢) في ر: «يريد التغلب على إفريقيا».

(٣) في ر: «برقة».

(٤) هذا القيل وفيه كمية المال ليس في ر.

(٥) ينظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٦/٢٣٨.

(٦) الروض المعطار ٥٠٨.

(٧) سقطت من أ.

السَّيْرُ وَالسُّرَى بِاللَّيلِ، حَتَّى دَخَلَ أَطْرَابُلُسَ قَبْلَ وَصُولِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ إِلَى لَبْدَةَ. ثُمَّ أَحْشَدَ ابْنَ قُرْهُبَ مَنْ أَمْكَنَهُ مِنْ جَنْدِ أَطْرَابُلُسَ وَبَرْبِرِهَا، ثُمَّ بَادَرَ إِلَى لَبْدَةَ، وَدَخَلَهَا. وَأَقْبَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ طُولُونَ وَقَدْ صُنِعَ لَهُ بَرْقَةٌ خَسْنَةٌ آلَافَ بَنْدٍ، فَجَعَلَ لَهُ عَلَى كُلِّ جَمْلٍ رَاجِلًا بَيْنَهُ. وَزَحْفَ بِشَانَ مَئَةً فَارِسٍ وَخَمْسَةَ آلَافٍ رَاجِلًا. فَالْتَقَى بِهِ أَحْمَدُ بْنُ قُرْهُبَ عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ مِيلًا مِنْ لَبْدَةَ، وَقَدْ تَأْخَرَتِ الْجَمَالُ بِالرَّجَالَةِ أَصْحَابُ الْبَنْوَدِ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ إِلَّا مَنَاوَشَةٌ يَسِيرَةٌ حَتَّى انْهَمَ أَحْمَدُ بْنُ قُرْهُبَ، وَهُوَ يَظْنُ أَنَّ مَنْ نَاوَشَهُ الْقَتَالَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ طُولُونَ كَانُوا مُقَدَّمَةً لِلْجَيْشِ. وَوَصَلَ أَحْمَدُ بْنُ قُرْهُبَ إِلَى أَطْرَابُلُسَ مِنْهُمْ. وَرَكِبَ الْعَبَّاسُ بْنُ طُولُونَ إِثْرَهُ حَتَّى نَزَلَ أَطْرَابُلُسَ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ، وَنَاصَبَهُمُ الْحَرَبَ. وَأَقْامَ مَحَاصِرًا لَهُمْ ثَلَاثَةَ وَأَرْبَعينَ يَوْمًا، فَتَعَدَّى بَعْضُ سُودَانِهِ عَلَى بَعْضِ حُرَمِ الْبَوَادِيِّ، وَهَتَكُوا الْحُجَّبَ^(١) فَاسْتَغَاثَ أَهْلَ أَطْرَابُلُسَ بِأَبِي مُنْصُورِ صَاحِبِ الْقُوَّسَةِ، فَقَامَ مُحْتَسِبًا وَنَاصِرًا لِجِيَانِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَزَحْفَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ رِجَالِ الْقُوَّسَةِ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ، فَنَاشَبُوهُ الْحَرَبَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكَاتِبِ: مَا الرَّأْيُ؟ فَقَالَ لَهُ: بَرْقَةٌ خَلَفَتْهُ! وَأَلَّحَ أَهْلَ الْقُوَّسَةِ فِي مَحَارِبِ ابْنِ طُولُونَ، فَانْهَمُوا، وَخَرَجَ إِلَى بَرْقَةِ بَعْدِ اتِّهَابِ أَهْلِ أَطْرَابُلُسِ لِجَمِيعِ عَسْكَرِهِ. وَلَمْ يَتَلَبَّسْ الْقُوَّسِيُّونَ مِنْهُ بِشَيْءٍ، بلْ تَوَرَّعُوا عَنْهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ قَدْ حَشَدَ الْأَجْنَادَ، وَضَرَبَ حُلَّ نِسَائِهِ دَنَانِيرَ وَدِرَاهِمَ، إِذَا لَمْ يُبْقِيْ أَبُو الْغَرَانِيقَ مَالًا. ثُمَّ خَرَجَ بِنَفْسِهِ يَرِيدُ أَطْرَابُلُسَ، فَلَقِيَهُ^(٢) خَبْرُ هَزِيمَةِ ابْنِ طُولُونَ، فَبَحَثَ ابْنُ الْأَغْلَبِ عَنِ الْأَمْوَالِ، وَأَخْذَهَا مَمْنَ وُجِدَتْ عَنْهُ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ يَبْعِيْعُ مَثَقِيلَ ابْنِ طُولُونَ سِرَّاً بِمَا أَمْكَنَهُ، خَوْفًا أَنْ تُؤْخَدَ مِنْهُ.

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ وَسَتِينَ وَمَتَّيْنِ: كَانَ قَتْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ بِأَهْلِ الزَّابِ، فَقُتِلُوهُمْ وَقُتِلَ أَطْفَالُهُمْ، وَحُمِلُوا عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُمْرَ، فَأَلْقَوْا فِيهَا.

وَفِيهَا: عُزْلُ صَاحِبِ صِيقِلِيَّةِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَوَلِيَّهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ^(٣).

(١) في ر١: «السترة».

(٢) في ر١: «فبلغه».

(٣) الكامل لابن الأثير / ٧ . ٣٧٠

وفي سنة تسع وستين ومئتين: تُوفّي سليمان بن حفص الفراء، وكان جهّمياً^(١). وكان يقول بخلق القرآن، ودعا الناس إليه، فهمّوا بقتله^(٢).

وفي سنة سبعين ومئتين: تُوفّي سليمان بن عمران القاضي مفلوجاً، وتُوفّي حسين بن زيد بن علي^(٣)، وتُوفّي أبو حاتم هشام بن حاتم الفقيه، وكان مجّاب الدعوة.

وفي سنة إحدى وسبعين ومئتين: تُوفّي الحسين بن أحمد صاحب صقلية، وولّيها سوادة بن خفاجة التميمي.

وفي سنة الثنتين وسبعين ومئتين: أغزى سوادة صاحب صقلية سراياه إلى بلاد الروم، فغَنِمت وانصرفت^(٤).

وفيها: كانت وقائع بين المسلمين وبين بطريق جاء من القُسْطَنْطَنْطِينِيَّة، يُقال له: نجفور^(٥)، في عَسْكَرِ كَبِيرٍ، فدخل مدينة سَبَرِينَة، وخرج منها المسلمون بأمان إلى صِقْلَيَّة.

وفي سنة ثلاث وسبعين ومئتين: وثبت أهل بلرم على سوادة بن محمد^(٦) صاحب صِقْلَيَّة وعلى أخيه وبعض رجاله، فوجّهوهُمْ مقيّدين إلى إفريقيا، واجتمع أهل البلد على أبي العباس بن عليّ، فولّوه على أنفسهم.

وفي سنة أربع وسبعين ومئتين: كان وصولاً لأحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بـجَبَشِيَّ.

وفيها^(٧): تُوفّي أَحْمَدُ بْنُ حَدَّيْرَ بِإِفْرِيقِيَّةِ، وَلَهُ سُمَاعٌ مِنْ سُحْنُونَ.

(١) قوله: «وكان جهّمياً» ليس في را.

(٢) الكامل لابن الأثير ٧/٣٩٨.

(٣) قوله: «وتوفي حسين بن زيد بن علي» ليس في را، وهو بلا شك غير حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فذاك أقدم وفاة.

(٤) الكامل لابن الأثير ٧/٤٢١.

(٥) يكتب هكذا، ويكتب «نجفور» أيضاً، وأصله كافأً أعمجية.

(٦) «ابن محمد» ليس في را.

(٧) هذه الفقرة ليست في را.

وفي سنة خمس وسبعين ومئتين: كانت لأهل صقلية على المشركين^(١) صولة، فُقتل فيها من المشركين أكثر من سبعة آلاف، وغرق نحوً من خمسة آلاف، حتى أخل الروم كثيراً من المدن والمحصون التي تجاور المسلمين. ووصلت سرايا المسلمين إلى الأرض الكبيرة، فسبَّبت وانصرفت. وكانت^(٢) بإفريقية هيجنة تُعرف بثورة الدراديم.

ثورة الدراديم على إبراهيم بن أحمد

وذلك أنَّ إبراهيم بن أحمد ضرب الدراديم الصَّاحِحَ، وقطع ما كان يُتعامل به من القِطْعَ، فأنكرت ذلك العامة، وغلقوا الحوانيت، وتاللقو، وصاروا إلى رقاده، وصاحوا على إبراهيم، فحبسهم في الجامع. واتصل ذلك بأهل القيروان، فخرجوا إلى الباب، وأظهروا المُدافعة. فوجَّه إليهم إبراهيم بن أحمد وزيره أبو عبد الله بن أبي إسحاق، فرميَ بالحجارة وسبوه، فانصرف إلى السلطان إبراهيم بن أحمد، فأعلمه بذلك. فركب إبراهيم إلى القيروان، ومعه حاجُّه نَصْر بن الصَّمْصَاماً في جماعةٍ من الجنُد، فناصبه أهل القيروان القتال. فقدَم إبراهيم بن أحمد إلى المصلَّى، فنزلَ، وجلس^(٣)، وكفَّ أصحابه عن قتالهم. فلما اطمأنَّ به مجلسُه، وهذا الناسُ، خرج إليه الفقيه الزاهد أبو جعفر أحمد بن مُغيث، فكان بينهما كلامٌ كثيرٌ. ودخل أبو عبد الله بن أبي إسحاق الوزير مدينة القيروان مع أحمد بن مُغيث، فشقَّ سِماطَها وسكنَ أهلَها. فرجع إبراهيم بن أحمد إلى رقاده، وأطلق المحبوسين بالجامع. وانقطعت النقود والقطع من إفريقية إلى اليوم، وضرب إبراهيم بن أحمد دنانير ودراديم سِمَان العاشرية، في كل دينار منها عشرة دراديم.

وفيها: عزِّل عبد الله بن أحمد بن طالب بن سُفيان عن قضاء إفريقية وحبسه، ثم أُرسَل إليه بطعام مَسْمُوم، أكلَه في السُّجْنِ، فمات من فوره في رَجَب. واستقضى

(١) في ر١: «مشركيها».

(٢) هذه العبارة ليست في ر١.

(٣) في ر١: «مجلس» بدلاً من: «فنزل وجلس».

إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدُوْنَ بْنَ أَبِي ثَورٍ، وَكَانَ جَدُّه طَحَّانًا، وَكَانَ يَكْتُبُ اسْمَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرُّعَيْنِيِّ.

وَفِي سَنَةِ سَتِ وَسَبْعِينَ وَمَئِينَ: كَانَ الْجَهَادُ بِصِقْلَيَّةَ فِي غَزْوَةِ سَوَادَةِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى طَرْمَيْنَ، فَحَاصِرَهَا.

وَفِيهَا: حَبَّسَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ كَاتِبَهُ مُحَمَّدَ بْنَ حَيْيُونَ الْمُعْرُوفَ بِابْنِ الْبَرِيدِيِّ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ مِنَ السَّجْنِ [مِنَ الْبَسِطِ]:

هَبْنِي أَسَأْتُ فَأَيْنَ الْعَفْوُ وَالْكَرْمُ
إِذْ قَادَنِي نَحْوَكَ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ
يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَيْهِ أَمَا
تَرْثِي لِصَبَّ نَهَاهُ عَنْدَكَ الْقَلَمُ
بِالْغَتَّ فِي السُّخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مَقْتَدِرٍ
إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْجَمُوا رَحِمُوا

قال: فَلِمَا قَرَأَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ أَبْيَاتَهُ، قَالَ: يَكْتُبُ إِلَيَّ: هَبْنِي أَسَأْتُ! وَهُوَ قَدْ
أَسَاءَ، أَمَّا إِنَّهُ لَوْ قَالَ [مِنَ الْوَافِرِ]:

وَنَحْنُ الْكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَأْنَا
فَهَبْنَتَا لِلْكَرَامِ الْكَاتِبِينَا
لَعْفَوْتُ عَنْهُ! ثُمَّ أَمْرَ، قَبَّحَهُ اللَّهُ، بِهِ، فَجُعِلَ فِي تَابُوتٍ مَطْبَقًا عَلَيْهِ^(۱) حَتَّى ماتَ،
رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَفِي سَنَةِ سَبْعِ وَسَبْعِينَ وَمَئِينَ: قَتَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنَ أَحْمَدَ حَاجِبَهُ نَصْرَ بْنَ الصَّمْصَامَةَ
بِأَنَّ نَصْرَ بْنَهُ خَمْسَ مِائَةَ سَوْطٍ، فَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلْمَةٍ، وَلَا تَحْرَكْ مِنْ مَوْضِعِهِ، ثُمَّ أَمْرَ بِضَرْبِ
عَنْقِهِ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: لَا تَظْنُنُوا أَنِّي أَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ، وَوَعْدُهُمْ أَنَّهُ يَفْتَحُ يَدَهُ وَيَغْلِقُهَا
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بَعْدَ ضَرْبِ عَنْقِهِ، فَفَعَلَ. فَأَخْبَرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَلِكَ، فَتَعَجَّبَ، وَأَمْرَ بِشَقِّ
بَطْنِهِ شَقًا لَطِيفًا، وَيُؤْتَى إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، فَأُتَى بِهِ^(۲)، فَنَظَرَ مِنْهُ إِلَى مَنْظَرٍ عَجِيبٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
كَانَ فَائِتًا فِي كَبْدِهِ، وَوُجِدَتْ فِيهِ شَعَرَاتٌ نَابِتَةٌ فِي أَكْثَرِ أَجْزَائِهِ.

(۱) قَوْلُهُ: «مَطْبَقٌ عَلَيْهِ» مِنْ رَأْيِهِ.

(۲) قَوْلُهُ: «فَأُتَى بِهِ» مِنْ رَأْيِهِ.

وفي سنة ثمان وسبعين ومئتين: كانت ولادة أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب للمظالم، ولولاته محمد بن الفضل صقليّة، وعَرْض ديوان الخراج على سوادة النصراوي على أن يسلِّم، فقال: ما كنتُ لأدعَّ ديني على رياسة أنا لـها، فقطع بـنصفين وصليب.

وفي سنة تسع وسبعين ومئتين: كانت ولادة محمد بن الفضل صقليّة، ودخل حضرة بـلرم لليلتين خـلتـا من صـفـرـ.

وفيها: قـتـلـ إـبرـاهـيمـ بـنـ أـحـمدـ مـنـ أـهـلـ إـفـرـيقـيـةـ مـنـ قـتـلـ بـطـرـاـ^(۱) وـشـهـوـةـ.ـ فـمـمـنـ قـتـلـ فـيـ هـذـهـ السـنـةـ: إـسـحـاقـ بـنـ عـمـرـانـ الـمـتـطـبـ المعـرـوـفـ بـسـمـ ساعـةـ، قـتـلـهـ وـصـلـبـهـ^(۲).ـ وـمـنـهـ: حاجـبـهـ فـتـحـ، ضـرـبـهـ بـالـسـيـاطـ حتـىـ مـاتـ.ـ وـقـتـلـ فـيـهـ جـمـيعـ فـتـيـانـهـ، وـسـبـبـ ذـلـكـ آـنـهـ كـانـ كـثـيرـ الـإـسـغاـءـ إـلـىـ قـوـلـ الـمـنـجـمـيـنـ وـالـكـهـنـةـ، وـكـانـواـ قـالـوـاـ لـهـ: إـنـهـ يـقـتـلـهـ رـجـلـ نـاقـصـ الـعـقـلـ^(۳)، وـإـنـهـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ فـتـيـ، فـكـانـ إـبـرـاهـيمـ، إـذـ رـأـيـ أـحـدـاـ مـنـ فـتـيـانـهـ، فـيـهـ حـرـكـةـ وـنـشـاطـ وـحـدـةـ، يـتـقـلـدـ سـيفـاـ، قـالـ: هـذـاـ هـوـ صـاحـبـيـ فـيـقـتـلـهـ.ـ فـلـمـ قـتـلـ مـنـهـ جـمـاعـةـ، وـقـعـ بـقـلـبـهـ آـنـهـ قـدـ اـسـتـفـسـدـ إـلـيـهـمـ، فـضـمـهـ السـحـدـرـ مـنـهـمـ إـلـىـ قـتـلـ جـمـيعـهـمـ، فـقـتـلـهـمـ فـيـ هـذـاـ الـعـامـ، وـاسـتـخـدـمـ عـوـضـاـ عـنـهـمـ السـوـدـانـ.ـ ثـمـ عـرـضـ لـهـمـ مـاـ عـرـضـ لـلـفـتـيـانـ الصـقـالـيـةـ: قـتـلـ السـوـدـانـ أـجـمـعـينـ.

وفي سنة ثمانين ومئتين: كان الإيقاع برجال بـلـزـمـةـ^(۴)، وـقـصـتـهـمـ آـنـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ أـحـمدـ بـنـ الأـغـلـبـ^(۵) كان قد حـارـبـهـمـ وـاستـقـدـمـهـمـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ رـقـادـ تـحـوـاـ مـنـ سـبـعـ مـئـةـ رـجـلـ مـنـ أـبـطـالـهـمـ، فـأـنـزـلـهـمـ، وـوـسـعـ عـلـيـهـمـ، وـبـنـيـهـمـ دـارـاـ كـيـرـاـ تـشـتـمـلـ عـلـىـ دـورـ تـرـجـعـ إـلـىـ بـابـ وـاحـدـ، وـأـسـكـنـهـمـ فـيـهـاـ.ـ فـلـمـ سـكـنـواـ وـاطـمـأـنـواـ، جـمـعـ ثـقـاتـ رـجـالـهـ لـأـخـذـ

(۱) ليس في أ.

(۲) انظر عنه الوافي بالوفيات للصفدي ۴۱۹/۸.

(۳) في ر: «الخلق».

(۴) ينظر عنها الروض المعطار ۱۰۳.

(۵) «ابن الأغلب» ليس في ر.

أرزاهم، ثم أمرهم بمصاحبة^(١) ابنه عبد الله لــما أمره به. فلما اجتمعوا إليه، ركب إلى دار البَلْزَمِيَّن في الجندي، فقتلهم عن آخرهم، بعد أن دافعوا عن أنفسهم إلى وقت العصر. وكان ذلك من أسباب انقطاع دولة بنى الأغلب، إذ كان أهل بلَزْمة في نحو ألف رجل من أبناء العرب والجُنُدُ الداخلين إلى إفريقيا عند افتتاحها وبعده، وكان أكثرهم من قيس، وكانوا يُذْلُّون كُتامة. فلما قتلهم إبراهيم، استطالت كُتامة، ووجدت السُّيْل للقيام مع الشيعي على بنى الأغلب.

وفيها: كان تَمُّنُّ الْبَلَادِ وَخَالِفَتُهَا عَلَى السُّلْطَانِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ، وَانتَزَاعُ مِنْ انتزَاعِهِ^(٢)؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ تُونِسَ وَالْجَزِيرَةِ وَالْأَرْبُسِ^(٣) وَبِاجَةَ وَقَمُودَةَ^(٤) خَالَفُوا عَلَيْهِ وَقَدَّمُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ رِجَالًا مِنَ الْجُنُدِ وَغَيْرِهِمْ، لِأَنَّ السُّلْطَانَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ^(٥) أَخْذَ عَيْدَهُمْ وَخَيْلَهُمْ، وَجَازَ عَلَيْهِمْ، فَصَارَتِ إِفْرِيقِيَّةُ عَلَيْهِ نَارًا مُوْقَدَةً، وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِهِ مِنْ أَعْمَالِهِ إِلَّا السَّاحِلُ وَالشَّرْقُ إِلَى أَطْرَابُلْسِ، فَحَفَرَ حَفِيرًا حَوْلَى رَقَادَةَ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا أَبْوَابَ حَدِيدَ، وَجَمَعَ إِلَى نَفْسِهِ ثَقَاتَهُ، وَقَرَبَ السُّودَانَ مِنْ قَصْرِهِ، وَقَدْ كَانَ جَمْعُ مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافَ أَسْوَدَ^(٦).

وفيها: كانت وقائع انجلت عن فتح تُونِسَ عَنْوَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ قَمُودَةَ تَحْرِكُوا لِقَتَالِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ؛ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مَيْمُونَةَ الْحَبَشَيَّ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى انْهَزَمُوا، وَقُتِّلَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ أَهْلُ تُونِسَ، فَهَزَمُوهُمْ مَيْمُونَ أَيْضًا، وَهُزِمَ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ وَصَطْفُورَةَ، وَقُتِّلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا، حَتَّى سَيَقَ القَتَلَ فِي العَجَلِ إِلَى الْقَيْرَوَانَ. ثُمَّ دُخِلَتْ تُونِسَ بِالسَّيْفِ، لَعَشْرِ بَقَائِينَ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ، فَانْتَهَتِ الْأَمْوَالُ، وَسُيِّئَتِ الدُّرَّيَّةُ، وَاسْتُحْلَّتِ الْفُرُوجُ^(٧).

(١) في م: «بِمَصَابِحَة»، وفي را: «بِمَصَالِحة».

(٢) بعد هذا في را: «فيها».

(٣) ينظر الروض المطار ٢٤، وقد تقدم ذكرها.

(٤) الروض المطار ٤٧٢.

(٥) في را: «ابن أحد»، وكله صواب.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٤/٧٢.

(٧) نهاية الأرب للنويري ٢٤/٧٢.

وممّا كان بإفريقية في هذا العام، دخول أبي عبد الله^(١)، داعية الشيعة، إفريقية، ونزوله بكتامة منها^(٢). فلنذكّر الآن مبتدأ أمره مختصرًا، إلى أن استقلَ بالملُك. ثُمَّ نرجع إلى ما كُنَّا بصَدَده.

ابتداء الدولة العُبْدِيَّة الشيعيَّة

قال الوراق وغيره^(٤): لم تزل الشيعة مُنْذَ مات عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه تدعوا إلى إمامٍ معصومٍ، يقومُ بالحقّ، على زَعْمِهم؛ فترسلُ دُعاةً إلى سائر النواحي، فلا ينجح لهم سعيٌ. ثُمَّ تفاوضوا وتراسلوا على أن يُرسلوا داعيًّا إلى المغرب، يدعو الناس إلى التديُّن بحبِّ أهل البيت، وتكتَّبوا بذلك من سائر الآفاق. فاختاروا منهم رجالًا ذا فَهْمٍ، وفصاحةً، وجداً، ومعرفةً، يُسمَّى أبا عبد الله الصَّنْعانيًّا، وجمعوا له مالًا يتقوَّى به على سَفَرِه. فسار أبو عبد الله هذا إلى موسم الحجَّ ليجتمع مع من يحجُ تلك السنة من أهل المغرب، ويذوق أخلاقهم، ويطلع على مذاهبهم، ويتحيل على تَلْكُ الملك بضعف^(٥) الحِيل. فسبحان مُقدَّر المقدور، ومحكم الأمور، كيف يشاء! لا إله إلا هو^(٦). فلما وصل للموسم، لا للحجَّ، لأنَّ الحجَّ ليس من مذهبهم الفاسد، بل تكَلَّف حضوره ليتسبَّب في مُراده، فرأى في الموسم قومًا من أهل المغرب، فلصقَ بهم وخالطَهُم. وكانوا نحو عشرة رجال^(٧) من قَبِيلٍ كُتامة، مُلتفين على شيخ منهم. فسألهم عن بلادهم، فأخبروه بصفتها^(٨)، وسألهم عن مذهبهم،

(١) في ر ١ بدلًا مما تقدم: «وفيها: دخل أبو عبد الله الشيعي». قلنا: وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن ذكرييا (الوافي ١٢ / ٣٢٨).

(٢) قوله: «إفريقية ونزوله بكتامة منها» ليس في أ.

(٣) من هنا إلى آخر الفقرة ليس في أ.

(٤) ليست في أ. م.

(٥) في ر ١: «بصعب».

(٦) هذا الدعاء كله ليس في ر ١.

(٧) «رجال» ليست في ر ١.

(٨) في ر ١: «عن صفتها».

فصدقه عنده. فتكلّم أبو عبد الله الداعي في المذاهب، فوجدَ الشيخ يميل في مذهبه إلى مذهب الإباضية النكارة، فدخلَ عليه من هذه اللّثمة. ولم يزل يستدرجهم ويخلّبهم بما أُوتى من فضل اللسان والعلم بالجَدَلِ، إلى أن سلَّبَهم عقولَهم بسحر بيانيه. فلما حانَ رجوعُهم إلى بلادهم، سألهُم عن أمره و شأنه، فقال لهم: أنا رجلٌ من أهل العراق، وكنتُ أخدمُ السُّلطان، ثم رأيتُ أن خدمته ليست من أفعال البرِّ، فتركْتُها وصرتُ أطلبُ المعيشة من المال الحلال، فلم أرَ لذلك وجهاً إلا تعليم القرآن للصبيان، فسألتُ أين يتأتّى ذلك تائياً حسناً، فذَكَر لي بلاد مصر. فقالوا له: ونحن سائرون إلى مصر، وهي طريقنا فكُنْ في صحبتنا إليها، ورغبوا منه في ذلك. فصحبهم في الطريق. فكان يُحدّثهم، ويميل بهم إلى مذهبَه، ويلقي إليهم الشيءَ بعد الشيءِ، إلى أن أشربت قلوبَهم محبته، فرغبوا منه أن يسير^(١) إلى بلادهم ليعلّم صبيانهم، فاعتذرَ لهم ببعد الشقة، وقال: إن وجدتُ بمصر^(٢) حاجتي، أقمْتُ بها، وإلا فربما أصبحْتُكم إلى القَيْرَوان. فلما وصلوا مصر، غابَ عنهم فيها^(٣) كأنَّه يطلب بغيةَه. ثم اجتمعوا به وسائلوه، فقال لهم: لم أجدْ بهذه البلاد ما أريد. فرَعَبُوه أن يصحبُهم، فأنعم لهم بذلك. فكانوا في صحبته إلى أن وصلوا القَيْرَوان، فراودُوه على أن يصلُّ معهم إلى بلادهم، وضَمِّنوا له ما أرادَ من تعليم الصّبيان. فقال لهم: لا بدَّ لي من المقام بالقَيْرَوان، حتى أطلُّ فيها حاجتي، فإن اتفق لي فيها غَرْضٌ^(٤)، وإنَّا نهضْتُ إليكم. وكان شيخُهم أحْرَصَهم عليه وأكْرَمَهم له، فوصفَ له منزله وموضعه من قبيلة كُتامة، فأقامَ بالقَيْرَوان يتعرّفُ أخبارَ القبائل حتى صحَّ عنده أن ليس في قبائل إفريقية أكثرُ عدداً، ولا أشدُّ شوكةً، ولا أصعبُ مَرَاماً على السُّلطان، من كُتامة.

(١) في ر١: «يصير معهم».

(٢) «بمصر» ليست في ر١.

(٣) ليست في ر١، م.

(٤) في ر١: «فإن وجدتها» بدلاً من: «فإن اتفق لي فيها غرضٌ».

فَلِمَّا تَقْرَرَ ذَلِكُ عَنْهُ، نَهَضَ نَحْوَ صَاحِبِهِ الشِّيْخِ الْكُتَّامِيِّ، فَاشْتَرَى بَغْلَةً شَهْبَاءً، وَدَخَلَ الطَّرِيقَ مَعَ الرَّفِيقَةِ حَتَّى قَرَبَ مِنْ مَوْضِعِ الشِّيْخِ صَاحِبِهِ، فَعَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ، وَمَرَّ فِي الطَّرِيقِ بِأَنْدَرٍ^(۱)، وَالْبَقَرَ فِيهِ تَدْرِسُ الزَّرْعَ، وَرَجُلٌ كَهْلٌ مِنْ أَهْلِ كُتَّامَةٍ^(۲) جَالُّ^(۳) فِيهِ مَعَ ابْنِهِ، فَقَرَبَ مِنْهُمَا، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا. فَقَامَ إِلَيْهِ، وَرَحَبَّ بَاهِ، وَرَغَبَ مِنْهُ فِي النَّزُولِ عَنْهُمَا، فَأَجَابَهُمَا إِلَى ذَلِكَ، فَأَنْزَلَهُ وَأَكْرَمَهُ. فَقَالَ الدَّاعِي لِلرَّجُلِ: مَا اسْمُكَ هَذَا؟ قَالَ: تَسَمَّاً. قَالَ: وَمَا اسْمُكَ أَنْتَ؟^(۴) قَالَ: مَعَارِكَ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: تَمَّ أَمْرُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(۵)، لَكِنْ بَعْدَ مَعَارِكَ. ثُمَّ أَرَادَ الدَّاعِي الْاِنْصَارَافَ، فَصَرَفَهُ مَعَ امْرَأَةَ تَدْلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، لِأَنَّ الْحَرْبَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بْنِي عَمِّهِمْ. فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ فِي مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ كُتَّامَةٍ. فَأَتَى الْمَسْجِدَ، وَفِيهِ مُعَلِّمٌ يُعَلِّمُ الصَّبِيَّانَ. فَقَامَ إِلَيْهِ الْمُعَلِّمُ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى بَعْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ، فَجَعَلَ الْمُعَلِّمُ يُطِيلُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، فَاسْتَرَابَ لِذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَنَزَلَ عَنِ الدَّابَّةِ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ. ثُمَّ دَعَا الْمُعَلِّمَ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ رَأَيْتَكَ تَنْتَظِرُ إِلَيْ كَثِيرًا إِلَى الْبَعْلَةِ. فَقَالَ لَهُ: ذَلِكَ لِسَبَبِ أَنَا أَقُولُهُ لَكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِيهَا تَقْدُّمٌ رَجُلٌ مِنْ كُتَّامَةَ كَاهِنٌ، يُقَالُ لَهُ: فَيَلَقُ، وَكَانَ، إِذْ رَأَى تَفَانِتَهُمْ، يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّمَا تَرَوْنَ الْحَرْبَ إِذَا جَاءَكُمُ الرَّجُلُ الْشَّرْقِيُّ صَاحِبُ الْبَعْلَةِ الشَّهْبَاءِ. فَلِمَّا رَأَيْتُكَ، تَذَكَّرْتُ قَوْلَهُ. فَلِمَّا وَقَرَ ذَلِكَ فِي سَمْعِهِ، اسْتَبَشَرَ. وَكَانَ ذَلِكَ وَالذِّي قَبْلَهُ مِنَ الْفَأْلِ^(۶) تَقوِيَّةً لَهُ عَلَى أَمْرِهِ^(۷)، وَزِيادةً إِقْدَامًا، لَوْلَا هُوَ، لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَتَجَاسِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ، فَسَبَّحَانَ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ!

فَسَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّاعِي حَتَّى وَافَ^(۸) مَنْزِلَ الشِّيْخِ صَاحِبِهِ الْكُتَّامِيِّ، فَقَصَدَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَنَزَلَ بِهِ، وَفِيهِ مُعَلِّمٌ يُعَلِّمُ الصَّبِيَّانَ، وَعَنْهُ أَبْنَاءُ الشِّيْخِ صَاحِبِهِ. فَلِمَّا

(۱) الأَنْدَرُ: الْبَيْدَرُ.

(۲) فِي ر١: «وَكَهْلٌ مِنْ كُتَّامَةٍ»، وَمَا هُنَا مِنْ ر١.

(۳) فِي ر١: «وَأَنْتَ»، بَدَلًا مِنْ «وَمَا اسْمُكَ أَنْتَ».

(۴) «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» لَيْسَ فِي ر١، وَلَعْلَهُ الْأَصْوَبُ مِنْ غَيْرِهَا، فَالْقَائِلُ دَجَالُ أَشَرٍ.

(۵) فِي ر١: «وَكَانَ ذَلِكَ وَالْقَائِلُ الذِّي قَبْلَهُ تَقوِيَّةً».

(۶) بَعْدَ هَذَا فِي ر١ إِلَى آخرِ الْفَقْرَةِ: «لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا».

(۷) فِي ر١: «ثُمَّ سَارَ حَتَّى وَافَ».

حانَ وقت الظُّهُر، أذنَ المُعَلِّم، فسمعَ الشِّيخُ الأذان، فخرجَ إلى المسجد، فرأى أبا عبد الله، فسلَّمَ عليه، وعانقه. فلما أرادَ المُعَلِّم الدخولَ للhydrab، أخرَه عنه الشِّيخ، وقدَمَ أبا عبد الله^(١) الداعي. فلما انقضت الصلاة، قامَ معه إلى منزله، وبالغَ في إكرامه، وتحدَّثَ معه إلى أن حانت صلاة العَصْر، فخرجَ معه للصلوة. فاسترَابَ مُعَلِّم الصبيان بذلك، فتركَ ذلك المسجد والتعليم فيه، وانصرفَ. وصارَ أبو عبد الله في ذلك المسجد يُصلِّي ويُعِلِّم الصبيان. واجتهدَ في تعليم الأَوْلَاد، فجمعوا له أربعين ديناراً، وزادَ عليها الشِّيخ، وأتى بها إلى أبي عبد الله، فدفعها له، واعتذرَ له من ذلك. فتركها أبو عبد الله أماماً، وردَّ يده إلى كيسٍ كان معه، وصَبَّ منه خمس مئة دينار أماماً الشِّيخ، وقالَ له: لستُ بِمُعَلِّم الصبيان، إنَّما الأمر ما أُخْبِرْتُ به، فاسمع، إنَّما نحن أنصارُ أهلِ الْبَيْت، وقد جاءَت الرواية فيكم يا أهلِ كُتُمَةٍ إِنَّكُمْ أَنْصَارُنَا، والمقيمون لدولتنا، وإنَّ الله يُظْهِرُ بكم دينَه، ويعزُّ بكم أهلَ الْبَيْت، وإنَّ الله سيكون إماماً منهم أنتم أنصارُه، والبَادِلُون مُهْجَّثُمْ دُونَه، وإنَّ الله يستفتح بكم الدنيا كلَّها، ويكون لكم أجرُكم مضاعفاً، فيجتمع لكم خيرُ الدنيا والآخرة. فقالَ له الشِّيخ: أنا أرَغُبُ فيها رغبتَني فيه، وأبُدُّ فيها مُهْجَّثَي وَمَالِي، أنا وَمَنْ اتَّبعَني، وأنا أطْوَعُ إِلَيْكَ من يدك: فمُرْ بِمَا شِئْتَ، أَمْسِلْه. فقالَ له: ادعُ الخاصةَ من بني عمَّك، الأقربُ فالأقربُ. فقالَ: نعم. فنظرَ الشِّيخَ فيما قالَه، وبَثَ دعوته في أقاربِه ومن يختصُّ به.

وجاءَ شهر رمضان، فقالَ أبو عبد الله للشِّيخ: إنَّ رمضان قد جاءَ، ومَذَهَبُنا أنه لا تُصَلِّي التَّرَاوِيْح، لأنَّها ليستُ من سُنَّة النَّبِيِّ ﷺ، وإنَّها سَنَّةُ عُمَر^(٢)، ونحن نُطَوِّلُ القراءةَ في صلاة العشاءِ الآخرة، ونقرأُ بالسُّور الطَّوَال، فيكون ذلك عِوَضاً عن التَّرَاوِيْح. فقالَ له الشِّيخ: أنا طائعٌ لك. فأفْعَلْ ما تُرِيدُه، فقطعَ التَّرَاوِيْح^(٣). وبلغَ خبرُ هذه الصلاة ولُمِعَ من أخبارِ هذا الداعي إلى بعضِ من اتَّصلَ بمنزلِ الشِّيخ وبأخيه. فسارَ أخوه الشِّيخ إلىه، وقالَ له: ما لكَ وهذا المُشرِقَيُّ الذي أفسَدَ دينَكَ،

(١) «أبا عبد الله» ليست في را.

(٢) بعد هذا في م: «رضي الله عنه»، ومثل هذا الشيعي الحاقد لا يترضى عن سيدنا عمر.

(٣) «قطع التَّرَاوِيْح» سقطَتْ من أ. م.

وَغَيْرَ مُذْهِبٍ؟ فَلِمَا فَرَعَ مِنْ كَلَامِهِ، قَالَ لِهِ الشَّيْخُ: أَنَا أَدْعُوكَ لِلأَمْرِ الَّذِي دَخَلْتُ فِيهِ، إِنَّمَا أَنْ تَقْلِدَ مَا تَقْلِدُتُهُ، وَإِنَّمَا أَنْ لَا تَلْقَانِي بِذَمٍّ مَنْ قَدْ بَلَوْتُ خَيْرِهِ وَفَضْلَهُ وَدِينَهُ^(۱). فَانْصَرَفَ عَنْهُ أَخْوَهُ مُغْضَبًا. وَانْفَرَدَ الشَّيْخُ مَعَ سَائِرِ الْجَمَاعَةِ^(۲)، فَوَصَّفَ لَهُمْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِكُلِّ فَضْلِيَّةٍ، حَتَّى تَمَكَّنَتْ مُحِبَّتُهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ تَقَرَّرَ تَعْظِيمُهُ فِي نَفْوِهِمْ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ لَهُ: كَلَمْهُمْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. فَكَلَمُهُمْ بِلِسَانِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَنْصَارُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَشَيْعَتُهُ، حَتَّى خَلَبَ عُقُولَهُمْ بِحَلاوةِ لِفْظِهِ^(۳)، فَلِمَ يَرْحُوا حَتَّى دَخُلُوا فِي دُعَوَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ أَخَا الشَّيْخِ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ، يَفْخُرُ عَلَيْهِ بِمُعْلِمِ أَوْلَادِهِ، وَيَدَعِي أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَيَطْلُبُ مُنَاظِرَتَهَا، فَتَوَاعِدُوهُ الْذَّلِكَ. وَلَمَّا حَانَ الْوَعْدُ، جَاءَ أَخُو الشَّيْخِ بِمُعْلِمِهِ وَأَبْنَائِهِ، وَبَلَغَ أَخَاهُ مَجِيئَهُ، فَأَتَى بِجَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي عَمِّهِ مَمَّنْ دَخَلَ فِي مُذْهِبِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا نَحْنُ اجْتَمَعْنَا، اسْتَرِبُو أَنْتُمْ عَلَى قَيْطُونَ أَخِي كَانَكُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَأَمْرَ جَمَاعَةً أُخْرَى، فَكَمِنْتُ لَهُ فِي طَرِيقِهِ، فَبَيْنَمَا أَخُو الشَّيْخِ مَعَ مُعْلِمِهِ وَأَوْلَادِهِ، إِذْ صَرَخَتْ صَارِخَةً مِنْ نَحْوِ قَيْطُونِهِ، فَأَسْرَعَ يَرْكَضُ إِلَى نَاحِيَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ الْكَمِينُ، فَخَبَطُوهُ بِأَسِيافِهِمْ، وَتَرَكُوهُ عَقِيرًا. وَبَلَغَ الشَّيْخُ خَبْرُ قَتْلِ أَخِيهِ. فَبَادَرَ كَانَهُ لَا يَعْلَمُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَجَاءَهُ بَنُو عَمِّهِ يُعَزِّزُونَهُ فِي أَخِيهِ، فَذُبِحَتِ الْبَرَّ، وَصُنِعَ طَعَامًا لَبَنِي عَمِّهِ وَنَعَى لَهُمْ أَخَاهُ، وَاحْتَالَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي عَمِّهِ، وَأَخْذَ عَلَيْهِمُ الْعَهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ بِطَاعَةِ الدَّاعِيِّ، فَاجْتَمَعَ لَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وَأَقامَ هَذَا الشَّيْخُ فِي حَرْبٍ مَعَ قَوْمِهِ وَبَنِي عَمِّهِ مَدَّةً مِنْ سَبْعَةِ أَعْوَامٍ، إِلَى أَنْ وَافَاهُ أَجَلُهُ. فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاءَ، جَمَعَ بَنِي عَمِّهِ وَقَرَابَتِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: أُوصِيكُمْ بِهَذَا الرَّجُلِ أَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، وَأَوْصِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَوْلَادِهِ، وَقَضَى نَحْبَهُ. فَالْتَّرَمَتْ كُتُمَاتُ الطَّاعَةِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ^(۴)، وَدَخَلَتْ قَبَائِلُ كَثِيرَةٍ فِي دُعَوَتِهِ. فَصَبَرُوهُمْ دِيْوَانًا، وَأَلْزَمُوهُمُ الْعَسْكَرِيَّةَ،

(۱) «وَدِينَهُ» لَيْسَ فِي ر. ۱.

(۲) فِي ر. ۱: «أَصْحَابُ أَخِيهِ».

(۳) قَوْلُهُ: «حَتَّى خَلَبَ عُقُولَهُمْ بِحَلاوةِ لِفْظِهِ» لَيْسَ فِي ر. ۱.

(۴) قَوْلُهُ: «وَقَضَى نَحْبَهُ، فَالْتَّرَمَتْ كُتُمَاتُ الطَّاعَةِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ» لَيْسَ فِي ر. ۱.

وقال لهم: أنا لا أدعوكم لنفسي، وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت، الذي صفتُه كذا وكذا. ووصفَ لهم من كراماته ما تُنكره العقول، فكانت تصحُّ عندهم، ويقول لهم: هو صاحبُ هذا الأمر، وأنا مُتَصَرِّفٌ بين يديه إذا ظهر. يعني عبْدُ الله، ولم يكن رأه قط، وإنما يسمع أخباره من شيوخ^(١) الشيعة، وكان يعتقد ذلك اعتقاداً صحيحاً، لا مِرْيَةً فيه، إلى أن صفا له أمرُ البربر، فنازلوا الحواضر وهزم ملِك إفريقية، وانتزعوها من يديه.

وفي سنة إحدى وثمانين ومئتين: أمر إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية مِيموناً الحَبَشِيَّ أن يسير إلى تونس، فيقتل بها جماعةً من بني تميم وغيرهم، فقتلوا وصلبوا على بابها. فوفد أكابرُ أهل تونس مع مِيمون الحَبَشِيَّ، فكسر السُّلطان مِيموناً الحَزَّ واللوشي والديباج، وطوقه بالذهب، وحمله على فرس، وصرفه إلى تونس من غده. وفيها: خرج السلطان إبراهيم بن الأغلب إلى تونس، لثمان خَلَوْن من رَجَب، فاستوطنها.

وفي سنة اثنين وثمانين ومئتين: انعقد الصلحُ بين أهل صقلية والروم لأربعين شهرًا، على إخراج ألف أسير من المسلمين، وعلى أن تكون عندهم رهائن الإسلام في كل ثلاثة أشهر ثلاثة من العرب وثلاثة من البربر. وفيها: قَدَّم إبراهيم بن الأغلب بنيه على بلاد إفريقية.

وفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين: رجع إبراهيم بن أحمد من تونس إلى رَقَادة، وخرج أبو منصور أحمد بن إبراهيم إلى أطربُلُس، وخرج أبو بُخر بن أدهم إلى مصر. وفيها: كانت وقعة نُقوسة، وذلك أن إبراهيم بن أحمد اعترضته نُقوسة بين قايس وأطربُلُس، ومنعته الجواز، وكانوا في زهاء عشرين ألفاً من الرجال، لا فارس معهم، فناصبهم الحرب، وقاتلواهم قتالاً شديداً حتى هزمواهم وقتلوا أكثرهم. ثم تَمَادى إلى مدينة أطربُلُس، فقتلوا بها أبا العباس محمد بن زيادة الله بن الأغلب^(٢)، وكان

(١) في ر ١: «ملوك».

(٢) تنظر الحلة السيراء لابن الأبار ١٧٩.

أديباً ظريفاً، له تواليف، وسبب قتله أن المُعْتَضِد بالله العَبَاسِيَّ كتب إلى إبراهيم بن أحمد يُعَنِّفه على جُوره وسوء فعله بأهل تونس، ويقول له: إن انتهيت عن أخلاقك هذه، وإلا، فسلِّمِ العمَل الذي بيده ابن عمك محمد بن زيادة الله^(١). ثم نهض من أطرايلُس إلى تاورُغا: فقتل بها خمسة عشر رجلاً، وأمر بطبع رؤوسهم، مُظهراً أنه يريد أكلها، هو ومن معه^(٢) من رجاله، فارتاع أهل العسكر منه، وقالوا: قد خولطَ فانقضَ الناسُ عنه، فلما رأى ذلك، خشيَ أن يبقى وحده. فرجع إلى تونس، فجعل عقوبة من انقضَ عنه غُرمَ ثلاثين ديناراً، فسمى غُرمَ الهاجرين.

وفي سنة أربع وثمانين ومئتين: كانت وقعة بُنُفُوسَة لأبي العباس بن إبراهيم، فقتل منهم مقتلةً عظيمةً، وأسر منهم نحو ثلاثة مائة. فلما وصل بهم إلى والده إبراهيم بن أحمد، دعا بهم. فقرَّبَ إليه شيخُ منهم، فقال له إبراهيم: أتعرف علىَّ بن أبي طالب؟ فقال له: لعنك الله يا إبراهيم على ظلمك وقتلك، فذبحه إبراهيم، وشقَّ عن قلبه، وأخرجَه بيده، وأمرَ أن يُفعَل ببقية الأُسْرَى كذلك، حتى أتي على آخرهم. ونُظِّمتْ قلوبُهم في جبال، ونصِّبتْ على باب تونس.

قصَّة ابن الأَغْلَبِ مَعَ الشَّيْخِ الصَّالِحِ أَبِي الْأَحْوَصِ^(٣)

وذلك أنَّ أبا الأَحْوَصِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَكْفُوفَ الْمُتَبَدِّدَ، مِنْ أَهْلِ سُوْسَةِ، كَانَ زاهِداً وَرِعَا^(٤). فلما أَكْثَرَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ الْجَوْرَ وَالْقَتْلَ، دعا بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ سُوْسَةِ، وَأَمَّلَ عَلَيْهِ رِسَالَةً إِلَى إِبْرَاهِيمَ، كَانَ فِي فَصْلِ مِنْهَا: «يَا فَاسِقٌ، يَا جَائِرٌ، يَا خَائِنٌ، قَدْ حَدَّتَ عَنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَعَنْ قَرِيبِ تُعَاينِ مَقْعَدِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، وَسَتَرِدْ فَتَعْلَمُ». وَبَعْثَ بِهِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَرَأَهُ، غَضِبَ وَبَعْثَ إِلَى أَبِي الْأَحْوَصِ مِنْ قَالَ لَهُ: عَذَرْنَاكَ لِفَضْلِكَ

(١) الحلة السيراء ١ / ١٨٠ نقلاً من تاريخ الرقيق.

(٢) في م: «ومعه».

(٣) جاء العنوان في ر ١ كما يأتي: «قصة إبراهيم بن أحمد مع الشيخ الصالح أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي الْأَحْوَصِ»، وترجمة أبي الأَحْوَصِ هذا في ترتيب المدارك ٤ / ٣٩٠.

(٤) العبارة في ر ١: «وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْأَحْوَصِ كَانَ مَتَبَدِّداً زاهِداً مِنْ أَهْلِ سُوْسَةِ».

ودينك، ولكن ابعث إلى الذي كتب الكتاب، وبالله لئن لم تفعل، لا قتلنَّ فيه من أهل سُوسة كذا وكذا، ويكون إثمُ ذلك في عُنقك. فقال أبو الأحوص للرسول: قُل له: لئن قتلت ألفاً، لا يكون إثْمُهُم إِلَّا عَلَيْكَ، ولو عَمِلْتَ مَا عَمِلْتَ، ما أَعْلَمْتُك بِالرِّجْلِ، فَتَبَّعَ إِلَى خَالِقِكَ، وارجع عن جورك. فأمسكه الله عنه ومات أبو الأحوص في هذه السنة.

وفي سنة خمس وثمانين ومئتين: كانت فتنَةٌ بِصِقلِيَّةٍ، بين عَرَبِها وَبَرِّها، وفي خلال ذلك، وردت كُتب ابن الأَغْلَبَ يدعوهُم إلى الرجوع للطاعة، و يؤمِّنُهُمْ أجمعين، حاشَى أبا الحسن بن يزيد ولدِيهِ والخَضْرَمِيَّ، فتقبَّضَ عَلَيْهِمْ، وبعثَ بهم إلى إبراهيم بن أحمد. فاما أبو الحسن، فإنه تناول سُمًا، فمات من ساعته، وصلبت جُثَّته: وُقُتلَ وَلَدَاهُ، وجعل إبراهيم من يُضايقَ الْخَضْرَمِيَّ وَيُهَازِلُهُ، فقال له: ليس هذا وقتَ هَرْلَ، وأمر به، فُقتل بالمقارع بين يديه.

وفي سنة ست وثمانين ومئتين: سخطَ إبراهيم بن الأَغْلَبَ على جماعة من فتیانه وقتلهم.

وفيها: كانت وقعةٌ بين أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد بن الأَغْلَبَ وبين بني بَلْطِيطَ بَسْكِرَة^(١)، ففرق جموعُهُمْ، وقتلَ عدداً كثيراً منهم، وأصلحَ ما كان الثالث هناك.

وفي سنة سبع وثمانين ومئتين: كانت بِصِقلِيَّةٍ مَلْحَمَةً كبيرةً؛ وذلك أنَّ أبا العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحد^(٢) أخرجَهُ أبوه بالأسطول مُضْلِحاً لها، فأسرَّعَ إلى بَلْرَمَ يُؤمِّنُ مِنْ أهْلَهَا. فأتَاهُ قاضيها في جماعةٍ مِنْ أهْلَهَا، فحبسَهُمْ عند نفسه وصرفَ القاضي. ثُمَّ وجَّهَ إِلَيْهِمْ ثَانِيَةً مشايخَ مِنْ أهْلِ إفْرِيقِيَّةٍ، فحبسوهُمْ مِكَافَأَةً لِفَعْلِهِ في مُشَانِخِهِمْ. ثُمَّ زحفُوا إِلَيْهِ وَحَاربُوهُ، فانهزَّموا، وُقُتلَ مِنْهُمْ عدداً كثِيرًا، ودُقِّتْ لَهُمْ سُفُنٌ، وتمادَتْ هزيمتهم إلى بَلْرَمَ. ثُمَّ زحفَ إِلَيْهِمْ، فحاربُهُمْ عَلَى بَابِ بَلْرَمَ، وُقُتلَ مِنْهُمْ عدداً كثِيرًا، وطلبوه بِالْأَمَانِ، فآمَنَّهُمْ. ودخلَهَا لعشرَ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ^(٣).

(١) ينظر عنها معجم البلدان ٤٢٢ / ١.

(٢) تنظر الحلة السيراء ١٧٤ / ١.

(٣) ذكر ذلك ابن الأثير في الكامل ٧ / ٥٠٥ - ٥٠٧ بتفصيل أكثر.

وفي سنة ثمان وثمانين ومئتين: أخرج إبراهيم بن أحمد ولده أبا عبد الله في جيش كثير إلى الزاب.

وفيها: أغزى أبو العباس صاحب صقلية، فدخل مدينة زلة^(١) عنوةً، وغنم فيها غنائم^(٢) كثيرةً، واستأمنت له حصونٌ، وأعطوه الجزية.

وفي سنة تسع وثمانين ومئتين: أظهرَ صاحب إفريقية إبراهيم بن أحمد التوبية لِمَا استقام أمُّ أبي عبد الله الداعي بكتامة، فأرادَ إبراهيم بن أحمد أن يُرضي العامة، ويستميل قلوبَ الخاصة بفعله، فرَدَ المظالم، وأسقطَ القَبَالات، وأخذَ العُشرَ طعامًا، وتركَ لأهل الضياع خَرَاجَ سَنَةٍ، وسَعَاهَا سَنَةُ الْعَدْل، وأعتقَ مَالِيكَهُ، وأعطى فُقهاءَ الْقَنْوَانَ ووجوهَ أهْلِهَا أموالًا عظيمةً لِيُفَرِّقوها في الصُّعَفَاءِ والمساكين، فاستُوِكَلَتْ وأُعْطِيَتْ من لا يستحقُها، وأنفَقَتْ في اللَّذَاتِ، وصُرِفَتْ في الشَّهَواتِ. وقدِمَ ولُدُهُ أبو العباس من صقلية مُسْتَدْعِي، فأسلمَ إِلَيْهِ أبُوهُ الْمُلْكَ، فولَّ أبو العباس على الكُورَ من أحبَّ.

ومن أخبار إبراهيم بن أحمد على الجملة ووفاته

كان مولده يوم الأضحى سنة سبع وثلاثين ومئتين^(٣)، وتوفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة المؤرخة بأرض الروم، ويسيق ميئًا إلى جزيرة صقلية، فدُفِنَ بها بعد ثلاثة وأربعين يوماً من موته، وكان عمره اثنين وخمسين^(٤) سنة، ومدة ولادته ثانية وعشرين سنة وستة أشهر وأثنتي عشرة يومًا. وأقام في أول ولادته سبعة أعوام على ما كان أسلافه من حُسن السيرة وحَمْيدُ الأفعال. ثم تغيَّرت أحواله، وأخذَ في جمع الأموال. ثم صارَ في كل سنة يزداد تغييرًا وسوءًا حال. ثم اشتَدَ نكره^(٥)؛

(١) هكذا في النسختين، وغيرها ناشر (م) إلى «ريه».

(٢) ليست في را.

(٣) في أ: «ثلاثين ومئتين» ولا يستقيم ذلك مع عمره الذي سيذكره بعد قليل.

(٤) في أ: «أربعين»، وهو خطأ بين.

(٥) في م: «نکاده»، وهو تحرير.

فأخذ في قتل أصحابه وحُجَّابه، حتى أَنَّه قتل ابنه المَكْنِيَّ بْنَيَ الْأَغْلَبِ، وقتل بناته، وأتى بأمور لم يأتِ بها أحدٌ غيره. وكان كثيراً المَلَلِ، شديدَ السَّحَدِ. وكانت له في بدء أمره سيرة حسنة، وأفعالٌ محمودةٌ، ثمَّ غلب عليه خلطُ سُوداويٍّ، فتغيرَ، وساعات أخلاقُه كما ذكرنا. فقيل: إِنَّه افتقد منديلاً صغيراً، كان يمسح به فمه، وكان سقط من يد بعض جواريه، فأصابه خادمٌ له، فقتل بسببه ثلاثة خادمٍ. وكان سبب قتله لولده ظُنْ منه به، فضربت^(١) رقبته بين يديه صَبْرًا. وقتل إخواته ثمانيةً: ضربت أعناقهم بين يديه. وكانت أمُّه، إِذَا وُلِدتْ لَه ابنةً، أخْفَتْها ورَبَّتها، لِعَلَا يقتلها، حتَّى اجتمع عندها منها سَتَّ عَشْرَةً جاريةً، كائِنَّ البدور، فقالت له يوْمًا، وقد رأت منه رِقَّةً: يا سَيِّدي، قد رَبَيْتُ لك وصائف ملاحًا، وأحِبُّ أن تراهنَ. قال: نعم. فلما راهنَ، قالت له: هذِي بنتُك من فُلانة، وهذه بنتُك من فُلانة، حتَّى عَدَّهُنَّ. فلما خرج من عند أمِّه، قال لخادم له أَسْوَدَ: امْضِ إِلَيْهِنَّ وَجْنَيِ بِرْؤُوسِهِنَّ! فوقف الغلام استعظاماً لذلك، فقال له: امْضِ وَإِلَّا قَدْمُك قَبَّلَهُنَّ، فلما دخل على أمِّه، كَبَرَ ذلك عليها، وعَظُمَ في قلبها، وقالت له: راجِعْهُ، فقال لها: لا سبييل إلى ذلك، فقتلَهُنَّ وأخذ رُؤُوسِهِنَّ، وجاء بها إليه معلقةً بشعورهنَّ، فطرَّحها بين يديه، قَبَّحَهُ اللَّهُ. وأدخل كثيراً من فتيانه الحَمَام وأغلق عليهم بَابَ الْبَيْتِ السُّخْنِ، فماتوا فيه جيئاً. وأخباره كثيرةٌ في هذا المعنى، ذكرها الرَّقِيقُ وغَيْرُه.

وفي سنة تسع وثمانين ومتين المذكورة: استرجع أبو العباس بن إبراهيم بن أحمد المال الذي أخرجَهُ أبوه إلى الفقهاء ووجوه الناس ليقرّقوه في المساكين، فرجع مُعْظمه، وقال لشيخ إفريقية: اغتنتمُ الفُرْصَةَ في المال لِمَرْضِ الْأَمِيرِ^(٢) أبي، ومَغِيبِي عنه. وفيها: شَخَّصَ أبو عبد الله الأحوَلُ بن أبي العباس إلى مدينة طُبْنَةَ إلى مُحاربة الشيعي^(٣).

(١) في ر ١: «ثم ضربت».

(٢) في ر ١: «السلطان».

(٣) الكامل لابن الأثير ٧/٥٢٠.

وفيها: تساقطت النجوم لثمان بقين من ذي القعْدَة، فسُمِّيَتِ السَّنَةُ سَنَةُ النَّجُومِ، فلهذه السنة ثلاثة أسماء: سنة العَدْلِ، وسنة الجَوْرِ، سَمَّاها العَامَةُ بذلك، وسنة النُّجُومِ.

وفي سنة تسعين ومئتين: كتب أبو العباس بن إبراهيم إلى العَمَالِ ليأخذوا له البيعة، لأنَّ أباه فَوَضَّ إليه، وتخلَّى له عن المُلْكِ، واشتغل بالعبادة، وذلك قبل أن يبلغه وفاة أبيه.

ولالية أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد وسيرته

وذلك آنَّه أظهر التَّقْشِفَ، والجلوسَ على الأرضِ، وإنصافَ المظلومِ، وجالسَ أهلَ العلمِ وشاورَهُمْ. وكان لا يركب إلا إلى الجامِعِ، فقالَ قومٌ: إنَّ أهلَ النَّجُومِ أمرُوهُ بذلك، وقالَ قومٌ: به وَسُوْسَةٌ، وكتبَ إلى ابنه زيادَةَ اللهِ^(١)، يستحثُّهُ في القدومِ عليهِ من صِقلِيلَةِ، لأنَّهُ وُشِّيَّ بهِ إلى آنَّهُ يُريدُ الانتزاءَ عليهِ. فقدِمَ زيادَةُ اللهِ على أبيهِ لعشرِ بقينَ من جُمادِي الآخرَةِ، فقبضَ أبو العباس ما كان معهُ من الأموالِ والعُدْدَةِ، وحبسَ زيادَةَ اللهِ في بيتِ داخِلَ دارِهِ، وحبسَ ناسًا من أصحابِهِ.

مقتل أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد

قتل يوم الأربعاء، ليوم بقي من شعبان، فكانت ولاليته بعد أبيه تسعَةَ أشهرَ وأحد عشرَ يومًا، ومن يوم أفضى إليه أبوه الأمرَ سنةً واثنانَ وخمسونَ يومًا. وكان قتله على ما أصْفَهُ: وذلك آنَّه خرجَ من الحَمَامِ إلى دارِ خاليةِ، واستلقى على سريرِ خَيْرُزانِ، ووضعَ تحتَ رأسِهِ سَيْفًا، ونامَ بعدَ أنَّ أخرجَ كُلَّ مَنْ كانَ في الدارِ غيرِ فتَيَّينِ كانَ يُثْقُبُ بِهِما، فلما نَامَ، تَأَمَّرا على قتلهِ وقايا: هذه فرصةٌ في تقديمِ اليدِ عندَ زيادَةِ اللهِ، فنُظْلِقهُ من أسرِهِ، ونستريحُ من أبيهِ. وبَلِي مكانَهِ، ونفوزُ بالحُظُوظِ عندهِ. فتقَدَّمَ أحدُهُما، فاستلَ السيفَ الذي كانَ تحتَ^(٢) رأسِهِ، وضرَبَهُ بِهِ ضربَةً قَطَعَ عنقهِ ولحيتهِ، حتَّى نفذَ إلى السريرِ. ومضى الفتَّى الآخرُ إلى ناحيَةِ من الدارِ، فارتَقَى الحائطِ،

(١) تنظر الحلة السيراء ١٧٥ / ١.

(٢) في ر١: «عند».

ونفذَ إلى زيادة الله، وأعلمَه أنَّ أباه قُتِلَ، فظنَّ أنها مكيدةٌ عليه، فقال له: إنْ كنتَ صادقاً، فأرني الرأس، فانصرفَ مُسْرِعاً، ورمى إليه بالرأس، فعند ذلك صدقة^(١).

ولاية زيادة الله بن أبي العباس عبد الله ابن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب

وذلك أنَّ زيادة الله، لما صَحَّ عنده قتلُ أبيه، ورأى الرأس^(٢) بين يديه، كسرَ قيودَه، وبادرَ خوفاً أن يشعرَ بالأمر أحدٌ من أعمامه، فيبيده^(٣). فلما صار زيادة الله في الدار، أرسلَ في عبد الله ابن الصائغ وفي أبي مُسلِّم منصور بن إسماعيل، وهما ممَّن كان سُجِنَ معه تهمةً، وفي عبد الله بن أبي طالب، فلما دخلوا عليه، قال لهم: انظروا لي ولأنفسكم. فقالوا له^(٤): أَرْسِلْ في أعمامك على لسان أبيك، وفي وجوه الرجال والقواد. فأرسلَ فيهم، ودفعَ إليهم الصَّلات، وأخذَ عليهم البيعة^(٥)، وأمرَ فأمرَ بإدخالهم واحداً واحداً: يدخل الرجل، فيأبِع، ويُعطَى خسین مثقالاً. ففعلَ ذلك بالوجوه. وكتبَ ذلك اليوم كتابَ بيته، فقرئَ بتونس على منبر جامعها، وأخذَت له البيعة على العامة بها. وكتبَ إلى العمالَ بأن يأخذوا له البيعة على من قبَّلهم. فلما قرب العشاء، تُؤديَ في الجندي: أصبحوا لأخذ عطاياكم. وأمرَ عمومه بالانصراف عنه إلى الليل، ثم أكلُهم أجمعين، وأدخلُهم في شيطي^(٦) ووَكَلَ بهم ثقاته، وأمرَهم أن يمضوا بهم إلى جزيرة الكُرَاث، وهي على اثنى عشر ميلاً من مدينة تونس، فضررت هناك رقابُهم

(١) «فعند ذلك صدقة» ليست في ر١، والخبر في الحلة السيراء باختلاف لفظي يسير ١ / ١٧٥.

(٢) في ر١ بدلًا من العبارة المتقدمة: «لما رأى زيادة الله الرأس».

(٣) في ر١: «فيسبقه» وهي بمعنى.

(٤) ليس في ر١.

(٥) في ر١: «وأخذ بيته».

(٦) هكذا في النسختين، وغيرها ناشر (م) إلى «شيني» من كيسه، وشيطي وشيطية وجمعها شياطى: سفينة صغيرة ذات شراعين، وهي تصحيف لكلمة اللاتينية Sagitta وفي الإيطالية Saettia (ويُنظر معجم دوزي ٦ / ٣٠٦ من الترجمة العربية).

ليلة السبت لثلاث خلَّون لرمضان، وأصبحَ الجنُدُ والموالي من غَد ذلك اليوم لأخذ الصَّلات. فلما مضى صَدْرٌ من النَّهار، قيل لهم: انصرفوا فإنَّه يوم شُغْلٍ. ثمَّ أتوا من الغد، فدُفِعوا. فلم يزدواجوا إلى أن بردت قلوبهم وملوا الاختلاف^(١).

ولما كملَ الْأَمْرُ لزيادة الله، دعا بالفَتَيَّينَ اللذَّيْنَ قتلا أباه، فأمرَ بهما، فقُطِعْتُ أيديهما وأرجلهما، وصُلِبَا على باب الْقَيْرَوانِ وباب الجزيرة من أبواب تونس. وقتل أيضًا زيادة الله عمَّه أبا الأَغْلَبِ الزاهد الساكن بسُوسة، وقتل أخاه أبا عبد الله الأَحْوَلَ، بعد أن استقدمه من طُنْبة^(٢).

وولَى^(٣) زيادة الله الوزارة عبد الله ابن الصائغ، وولَى قضاء الْقَيْرَوانِ حِمَاسَ بن مروان بن سَمَاكَ الْهَمْدَانِيَّ^(٤)، وكان عالِيًّا بمذهب مالِكٍ، فعدلَ في أحکامه، ولم يكن^(٥) يهيب أحدًا في ولايته.

وفي هذه السنة: أَسْسَتْ مدینة وَهْرَان^(٦)، على يَدِيْ محمد بن أبي عَوْنَ بن عبدون وجماعةٍ من الأَنْدُلُسِيَّينَ.

وفي سنة إحدى وسبعين ومئتين: ولَيَّ محمد بن زيادة الله العهد، وأَخْذَتِ البيعة له بذلك. وولَيَّ عليُّ بن أبي الفوارس عمالة الْقَيْرَوانِ، ثُمَّ عُزلَ عنها^(٧)، وولَيَّها أَحمدَ بن مَسْرُورٍ. وولَيَّ إبراهيمَ بن حَبَشَيَّ التَّمِيميَّ قاتلَ أَبي عبد الله الشيعي. وولَيَّ الحسنُ بن أبي العيشِ بن إدريسِ بن محمدِ بن سُليمانَ بن عبد الله بن حسنَ بن الحسنَ بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه عمل جراوة لوفاة أبيه أبي العيش. وجمعَ زيادة الله

(١) في ر ١: «يَئْسَوَا» بدلاً من «بَرَدَتْ قلوبَهُمْ وَمَلُوا الاختلاف».

(٢) نهاية الأربع للنويري ٢٤/٧٩.

(٣) من هنا خلط دوزي، ثم تبعه بروفنسال، كتاب عريب بن سعيد بالبيان المُغرب، ولم يكوننا موقفين في ذلك، مما اقتضى تخلص النص مما أضيف إليه.

(٤) ينظر الديباج المذهب لابن فرحون ١/٣٤٢.

(٥) ليست في ر ١.

(٦) معجم البلدان ٥/٣٨٥.

(٧) نهاية الأربع ٢٤/١٩٩.

فقهاء إفريقية إلى مدينة تونس، مستظهراً بهم على أبي عبد الله الشيعي، فتفاوضوا في أمره، وقال لهم الوزير ابن الصائغ: إنَّ الْأَمِيرَ يَقُولُ لَكُمْ: هَذَا الصَّنْعَانُ الْخَارِجُ عَلَيْنَا مَعَ كُتُمَاهِ يَلْعَنُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَلِعْنَةُ مَنْ يَلْعَنُهُمَا، وَيُزَعِّمُ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ارْتَدُوا بَعْدِهِ - لَعْنَ اللَّهِ مَنْ اسْتَنْفَقَهُمْ - وَيُسَمِّي أَصْحَابَهِ: الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يَخْالِفُهُ فِي مِذْهَبِهِ: الْكَافِرُونَ، وَأَرْسَلَ زِيَادَةَ اللَّهِ^(١) هَدِيَّةً لِلْعَبَاسِيِّ، فِيهَا عَشْرَةُ آلَافٍ مَثْقَالٍ، فِي كُلِّ مَثْقَالٍ مِنْهَا عَشْرَةُ مَثَاقِيلٍ، وَكَتَبَ فِي كُلِّ مَثْقَالٍ^(٢) هَذَيْنَ الْبَيْتَيْنَ^(٣) [من الكامل]:

يَا سَائِرًا نَحْوَ الْخَلِيفَةِ قُلْ لَهُ
أَنْ قَدْ كَفَاكَ اللَّهُ أَمْرَكَ كَلَّهُ
بِزِيَادَةِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ
فِي الْخَلِيفَةِ سَلَّهُ

وفي سنة اثنتين وتسعين ومئتين: كانت وقعة على عَسْكُرِ السُّلْطَانِ، وذلك أنَّ أبا عبد الله الداعي، لما عَلِمَ بِخُروجِ الْعَسْكُرِ إِلَيْهِ حَشَدَ كُتُمَاهَ، وكان حَشَدُهُ بِغَيرِ دِيَوَانٍ، إِنَّمَا يَكْتُبُ إِلَى رُؤْسَاءِ الْقَبَائِلِ، فَيَحْشُدُونَ مَنْ إِلَيْهِمْ، طَاعَةً لَهُ وَرَغْبَةً فِيهِ. وكان لا يَرِيدُهُمْ فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِمْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ الْوَعْدَ يَوْمَ كَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا، وَيَصْرُخُ صَارِخٌ بَيْنَ يَدِيهِ: حَرَامٌ عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ. فَلَا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ مِنْ كُتُمَاهَ، فَاجْتَمَعَ لَهُمْ مِنْهُمْ مَا لَا يُحْصَى، فَالتَّقَى مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَبَشَيَّ أَمِيرِ الْعَسْكُرِ بِكَيْنُونَةٍ وَاقْتُلَ الْفَرِيقَانُ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مَلْحَمَةٌ عَظِيمَةٌ، تَطَاعَنُوا بِالرَّمَاحِ حَتَّى تَحَطَّمَتْ، وَتَجَادَلُوا بِالسِّيُوفِ حَتَّى تَقْطَعَتْ، ثُمَّ انْهَزَمَ إِبْرَاهِيمُ، وَوَقَعَ القَتْلُ فِي أَصْحَابِهِ، فَانْهَزَمَ وُقْتَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَنَجَّا بِأَقْيَهِمْ، وَاشْتَغَلَتْ كُتُمَاهُ بِالْغَنِيمَةِ وَالْأَمْوَالِ وَالسِّلاحِ وَالسُّرُوجِ وَاللُّجُومِ وَضَرُوبِ الْأَمْتَعَةِ. وَهِيَ أَوَّلُ غَنِيمَةِ أَصْبَابِهَا الشَّيْعَيُّ وَأَصْحَابِهِ، فَلَبِسُوا أَثْوَابَ الْحَرِيرِ، وَتَقْلِدُوا السِّيُوفَ الْمَحْلَةَ، وَرَكِبُوا بِسُرُوجِ الْفَضَّةِ وَاللُّجُومِ الْمَذَهَّبَةِ، فَشُرُّفُتْ أَنْفُسُهُمْ، وَتَحَقَّقَتْ آمَالُهُمْ، وَصَحَّ عَنْهُمْ مَا كَانَ الشَّيْعَيُّ يَعِدُهُمْ بِهِ مِنَ النَّصْرِ^(٤)، وَوَقَعَ الْوَهْيُ عَلَى

(١) «زيادة الله» ليس في ر١.

(٢) في ر١: «المثقال».

(٣) «هذين البيتين» ليس في ر١.

(٤) «من النصر» ليس في ر١.

أهل إفريقيا، وداخلهم الجزع. وكتب أبو عبد الله الداعي إلى عَبْدِ الله الشيعي^(١) وهو مَسْجُونٌ بِسِجْلِهَا سَيِّدِهِ بِالْفَتْحِ، ووَجَهَ إِلَيْهِ بِهِالٍ كَثِيرٍ، فَأَسْرَ عَبْدَ الله ذَلِكَ وَلَمْ يُبَدِّهِ إِلَّا لِمَنْ وَثَقَ بِكِتَابِهِ عَلَيْهِ.

وفي سنة ثلاَث وتسعين ومئتين: خرج زِيادَةُ الله إلى الأَرْبُسِ؛ وأعْطَى بها الأموال جُزَافًا بالصَّحَافِ، كِيلَّا بلا وَزْنٍ، لِكُلِّ رَجُلٍ صَحْفَةً تَوْضِعُ لَهُ فِي كِسَائِهِ دَنَانِيرَ، ثُمَّ يَخْرُجُ الرَّجُلُ، فَلَا يُرَى بَعْدَهَا، فَأَنْفَقَ فِيهَا أَمْوَالًا جَسِيمَةً، وَبِذَلِكَ مَجْهُودُهُ فِي الإِحْسَانِ إِلَى الرِّجَالِ. وَالشَّيْعِيُّ مَعَ ذَلِكَ يَزِيدُ ظُهُورًا^(٢).

وفي هذه السنة: تَغْلَبَ أبو عبد الله الداعي على مدينة بَلْزَمَة^(٣) وعلى طُبْنَةِ، وَدَخَلَهَا بِالْأَمَانِ فِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَبَهَا أَبُو الْمَقَارِعِ وَالِي زِيادَةَ الله وَعَامِلُهُ عَلَيْهَا، فَأَتَوْهُ بِهَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْجَبَابِيَّةِ، فَقَالَ لِأَهْدِهِمْ: مَنْ أَيْنَ جَعَتْ هَذَا الْمَالَ؟ فَقَالَ لَهُ: مِنَ الْعُشْرِ. فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَدَّهُ عَلَى أَرْبَابِهِ، وَأَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُمْ أَمْنَاءُ عَلَى مَا يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَفَعَلَ هَذَا مَعَ غَيْرِهِ، فَسُرَّ بِذَلِكَ أَهْلُ طُبْنَةِ، وَانْتَشَرَ صَيْطُهُ فِي الْبَلَادِ، فَأَحَبَّهُ النَّاسُ وَدَخَلُوهُ، وَبَلَغَ ذَلِكَ زِيادَةَ الله فَاغْتَمَ عَمَّا شَدِيدًا وَأَمْرَ بِلِعْنَةِ الشَّيْعِيِّ عَلَى الْمَنَابِرِ.

وفي سنة أربع وتسعين ومئتين: اشتغلَ زِيادَةُ الله بِالاستهتارِ وَاللَّذَاتِ وَالْمُمْتَعِ، وَهُمَّ بِالْفِرَارِ إِلَى مَصْرَ خَوْفًا مِنَ الدَّاعِيِّ، ثُمَّ انتَنَى عَنْ ذَلِكَ وَخَيَّلَ الدَّاعِي تَغِيرًا مِنَ الْأَرْبُسِ عَلَى باعِيَّةِ.

وفي سنة خَمْس وتسعين ومئتين: خرج زِيادَةُ الله إلى تُونسِ في شَهْرِ مُحْرُمٍ لِيَحَاوِلَ أَمْوَرَهُ فِيهَا.

وَتُؤْكِيَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُخْلَدٍ، وَكَانَ زَاهِدًا وَرَعِيًّا مُتَبَعِّدًا فَاضِلًا مِنْ أَصْحَابِ سُخْنَوْنَ.

(١) ليس في أ.

(٢) قوله: «والشَّيْعِيُّ مَعَ ذَلِكَ يَزِيدُ ظُهُورًا» ليس في أ.

(٣) ينظر الروض المغطار . ١٠٣

وفي سنة ست وتسعين ومئتين: وصلت خَيْلُ الدَّاعِي إِلَى قَسْطِيلِية، وانهزمَ أَبُو مُسْلِمَ مُنْصُورَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ إِلَى تُورَرَ، وانبسطَتِ الْخَيْلُ وأفْسَدَتِ مَا مَرَّتْ بِهِ فَقَامَتْ قِيَامَةُ زِيَادَةِ اللهِ لِذَلِكَ، وَأَمْرَ بِقَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ وَصَلَبِهِ.

وَنَازَلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الدَّاعِي الْأَرْبُسُ حَتَّى أَخْذَهَا عَنْوَةً وَدَخَلَهَا لِسْتَ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَهَرَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْأَغْلَبِ وَالْيَهُوا فِي جَمَاعَةٍ. وَلَجَأَ أَهْلُ الْأَرْبُسِ وَمَنْ كَانَ اجْتَمَعَ فِيهَا مِنْ فُلَلٍ إِلَى جَامِعِهَا، فَقُتِلُوهُمُ الشَّيْعِيُّونَ أَجْمَعِينَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ قُتِلَ ثَلَاثَيْنَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى آخِرِ اللَّيلِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَقْدَ فَرَغَ مِنَ الْقَتْلِ وَالنَّهْبِ وَالسَّبِيِّ انْصَرَفَ إِلَى بَاغِيَةِ .

هروب زِيَادَةِ اللهِ مِنْ رَقَادَةٍ

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا اتَّصِلُ بِهِ مَا كَانَ بِالْأَرْبُسِ، عَلِمَ أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ مُلْكِهِ، وَجَعَلَ أَبْنَ الصَّائِعِ يُكَذِّبُهُ لَهُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكُ، وَعَلِمَ النَّاسُ صِحَّةَ الْخَبَرِ وَمَا جَوَاهُ فِيهَا بَيْنَهُمْ، وَجَعَلَتِ الْخَاصَّةُ وَأَهْلُ الْخَدْمَةِ^(١) يَفْرُونَ مِنْ رَقَادَةَ، فَأَخْذَ زِيَادَةَ اللهِ^(٢) فِي شَدِّ الْأَحْمَالِ بِمَا خَفَّ مِنَ الْجَوْهِرِ وَالْمَالِ. فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَنَمَةِ لِيَلَةِ الْاثْنَيْنِ لِأَرْبِعَ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ رَكَبَ فَرَسَهُ وَتَقْلِدَ سِيفَهُ، وَقَدَّمَ الْأَحْمَالَ تَمُرُّ^(٣) بَيْنَ يَدِيهِ هَارِبًا وَمَعَهُ وُجُوهَ رِجَالِهِ وَفَتِيَانِهِ وَعَيْدَةَ^(٤) حَتَّى لَحَقَّ بِمَدِينَةِ أَطْرَابُلُسِ. وَكَانَ عَبْدُ اللهِ أَبْنَ الصَّائِعِ يَتَقْلِدُ جَمِيعَ أَمْوَارِهِ. فَوَاطَأَ خُزَانَ الْأَمْوَالِ^(٥) عَلَى اقْتِطَاعِ ثَلَاثَيْنِ حُمَلاً مِنَ الْمَالِ فِي كُلِّ حِمْلٍ سَتَةِ عَشَرَ أَلْفَ مِثْقَالٍ، فَوَاعِدُهُمْ^(٦) مَوْضِعًا يَجْتَمِعُ فِيهِ مَعْهُمْ، فَأَخْطَلُوهُ فِي اللَّيلِ، وَخَرَجُوا إِلَى مَدِينَةِ سُوْسَةَ، فَقَبَضَ عَلَيْهَا الْهَمْدَانِيُّونَ عَامِلُهَا وَخَرَزُنَاهَا بِسُوْسَةَ حَتَّى صَارَتْ إِلَى الشِّيَعَةِ.

(١) فِي ر١: «الْخَدْمَ» بَدَلًا مِنْ «أَهْلُ الْخَدْمَةِ».

(٢) «زِيَادَةُ اللهِ» لَيْسَ فِي أَ.

(٣) لَيْسَ فِي ر١.

(٤) فِي ر١: «مَعَ وَلَدِهِ وَخَدْمِهِ وَرِجَالِهِ وَفَتِيَانِهِ».

(٥) فِي ر١: «الْمَالِ».

(٦) فِي ر١: «وَوَاعِدُهُمْ».

وأصبح الناس من ليلة خروج^(١) زيادة الله إلى مدينة^(٢) رَقَادَة، فانتهبوها وأخذوا من أموال بنى الأغلب وآنية الْدَّهْب والفضة ما لا يحيطُ به وَصْفٌ. وانتهى زيادة الله إلى مصر^(٣) فكانت ولايته بِإفريقيَّة^(٤) خمس سنين وأحد عشر شهراً وأربعة أيام، وكانت إمارة^(٥) بنى الأغلب بِإفريقيَّة مئة سنة وإحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر^(٦).

ذكر دخول أبي عبد الله الشيعي مدحبي رَقَادَة والقيروان وحاله بها

لما بلغه هروب السلطان أقبل إلى مدينة رَقَادَة في سبعة عساكر فيها ثلاثة مئة ألف بين فارس ورجل، فوصل إليها يوم السُّبْت غرة رجب، فخرج إليه أهل القيروان وسلموا^(٧) عليه، وأظهروا الرغبة في دولته، وسألوه الأمان فأمنَّهم، ووعدهم بالإحسان والعدل. ثم تقدَّم بإنزال عساكره حوالي مدينة رَقَادَة، فدخلَها وقارئٌ يقرأً بين يديه: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيْرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ» [الحشر: ٢] إلى آخر الآية، ويقرأ: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاحَتِ وَعِيُونَ» [الدخان: ٢٥] إلى آخر الآية. ونزل بالقصر المعروف بـقصر الصَّحْن^(٨)، وبعث عَرْوَةَ بْنَ يُوسُفَ إلى مدينة سُوْسَة، فأمنَّ أهلها، وأناه بالثلاثين حِمْلًا من المال التي ثقَفَ بها، وأمنَّ من ألفي بالقيروان من بنى الأغلب^(٩) وقوادهم الذين تحالفوا عن زيادة الله؛ وأمر بقتل السودان من موالي بنى الأغلب.

(١) في ر١: «هروب».

(٢) في ر١: «قصر».

(٣) قوله: «وانتهى زيادة الله إلى مصر» ليس في أ.

(٤) «بِإفريقيَّة» ليست في أ.

(٥) في ر١: «دولة».

(٦) «ثلاثة أشهر» من ر١.

(٧) في ر١: «ولقوه مسلمين».

(٨) في ر١: «ثم نزل بـقصر رقادَة».

(٩) بعد هذا وإلى نهاية الفقرة ليس في ر١.

وبعث أبو عبد الله الشيعي إلى أطرابه، فأتي منها أخيه أبي العباس المخطوم، وكان بها محبوساً، وبأبي جعفر الخزري وبأم عبيد الله الشيعي، وكانت هنالك مع الخزري، فقدموا عليه. وكان أبو العباس عجولاً، كثير الكلام، ضعيف العقل، فأراد أن ينفي الملكية من القيروان فلم يُجبه أخوه^(١) إلى ذلك. وولى الشيعي^(٢) على القيروان الحسن بن أحمد بن أبي خنزير، وأمره بقتل من خرج ليلاً أو شرب مسكيراً، وولى على مدينة القصر القديم خلف بن أحمد بن علي، أخا^(٣) ابن أبي خنزير، وأمره بمثل ذلك.

وأمر بأن يُزداد في الأذان «حَيَّ على خَيْرِ الْعَمَلِ»، وأسقط من أذان الفجر «الصلاهُ خَيْرٌ من النوم». وأمر بجمع ما انتهب من مدينة رقاده، وضم عبيد زيادة الله، ووقف جواريه، وولى النظر في ذلك أحمد بن فروخ الطبني. وولى على السكة أبا بكر ابن القميودي، ونقش فيها: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الفاتحة: ٢]. وكان نقش خاتم أبي عبد الله: «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْعِقَادِ الْمُبِينِ» [النمل: ٧٩] وفي الخاتم الذي تطبع به السجلات: «وَتَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ» وهو السعيم العليم^(٤) [الأنعام: ١١٥]، ووسم^(٤) في أخذ الخيل: «الْمُلْكُ لِلَّهِ»، وكتب في بنوده: «سَيِّئَمُ الْجَمْعُ وَيُؤْلَوْنَ الدُّبُرَ» [القرآن: ٤٥]. «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ» [الإسراء: ٨١]. وأمر بالصلاه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخطيب بإثر الصلاه على النبي ﷺ، وولى على قضاة مدينة القيروان محمد بن يحيى المروزي، وأمر القاضي بإسقاط التراويح في رمضان.

فلما كان أول يوم من شهر رمضان وجد القاضي في موضع جلوسه من الجامع بحائط القبلة مكتوباً «وَمَنْ أَظْلَمَ مِنْ مَنْ تَمَعَّنَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمَهُ» الآية [البقرة: ١١٤]، فأمر بمحوه، وانتقل عن الجلوس في ذلك الموضع. ووقف يوماً

(١) ليس في أ.

(٢) كذلك.

(٣) كذلك.

(٤) في ر١: «وَكَتَبَ».

على القاضي المذكور رجلٌ مُحَمَّقٌ، فقال والناسُ حوله: لقد تَلَطَّفَ لنا، أصلحَكَ اللهُ، في قطع قِيام شهر رمضان، فلو احتلْتَ لنا في تَرْك صيامه لكونَنا مُؤْونَةً كُلَّها، فقال له المَرْوَزِيُّ: اذهب عنِي يا مَلُوْنَ، وأمر بدفعه.

وَحَمِل^(١) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيَّ النَّاسَ عَلَى التَّشِيعِ، فَلَذِكَ سُمِّيَّ دُعُوتَهُمُ التَّشِيرِيقُ، لَا تَبَاعُهُمْ رَجَالًا مِنْ أَهْل^(٢) الْمَشْرِقِ.

ذكر توجُّه الداعي إلى سِجْلِمَاسَة واجتماعه بِعُبَيْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ بِهَا

كان أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّاعِي^(٣) يَدْعُو إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ الْإِمَامُ مِنْ آلِ عَلَيٍّ، فَلِمَا كَمُلَّ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْ اسْتِيلَائِهِ عَلَى الْمُلْكِ اسْتَخْلَفَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ أَخَاهُ أَبِي العَبَّاسِ، وَأَبِي زَاكِي تَسَّامَ بْنَ مَعَارِكَ الْأَجَانِيَّ^(٤)، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ رَقَادَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ لِنَصْفِ رَمَضَانَ فِي جَمْعَةٍ كَثِيرَةٍ وَمَعَهُ وَجْهُ رَجَالِهِ وَأَهْلِ دُعُوتِهِ، فَسَارَ حَتَّى حَلَّ بِمَدِينَةِ تَيَهُرْتَ، فَدَخَلَهَا بِالْأَمَانِ، وَقُتِلَّ بِهَا مِنَ الرُّسْتَمِيَّةِ جَمَاعَةً وَبُعْثَرَ بِرَؤُوسِهِمْ إِلَى أَخِيهِ أَبِي العَبَّاسِ، وَطُوْفَتْ بِالْقَيْرَوَانِ، وَانْقَضَتْ^(٥) دُولَةُ بَنِي رُسْتَمٍ تَيَهُرْتَ، وَكَانَ لَهَا مِئَةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

ثُمَّ وَلَى^(٦) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى تَيَهُرْتَ دَوَّاسَ بْنَ صُولَاتِ الْلَّهِيَصِيِّ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدَ الْهَوَّارِيِّ، ثُمَّ نَهَضَ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى سِجْلِمَاسَةِ يَوْمِ السَّبْتِ لِسَتِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَأَحْاطَ بِهَا فِي جَمْعَهُ، وَحَارَبَهَا ثُمَّ فَتَحَهَا^(٧) يَوْمَ الْأَحَدِ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْهُ،

(١) في أ: «وَأَمْرٌ».

(٢) ليس في أ.

(٣) من ر ١.

(٤) في أ: «الْأَجَابِيُّ»، وَيَنْظَرُ الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَئْمَرِ ٨/٤٧.

(٥) في ر ١: «حَتَّى وَصَلَ مَدِينَةً».

(٦) مِنْ هَنَا إِلَى نَهَايَةِ الْفَقْرَةِ مِنْ ر ١.

(٧) في ر ١: «وَوْلَى».

(٨) «ثُمَّ فَتَحَهَا» مِنْ ر ١.

وأخرج منها عبّيد الله الشيعي وابنه أبا القاسم، وكانا محبوسين^(١) في غرفة عند مريم بنت مدرار. فلما بصر به^(٢) أبو عبد الله^(٣) ترجل له، وخضع بين يديه، وبكي من إفراط سروره. ثم مشى أمامه حتى أنزله، وسلم إليه الأمر^(٤)، وقال لمن معه: هذا هو مولاي ومولاكم قد أنجز الله له وعده^(٥)، وأعطاه حقه، وأظهر أمره. وانتهب الشيعي ورجاله سجلاسة، وأحرقت. وهرب منها اليَسُع صاحبها في جماعةٍ منبني عمّه ليلاً، فطلبه الشيعي، فلم يقدر عليه.

وفي سنة سبع وتسعين ومئتين: ظفر الشيعي باليَسُع بن مدرار صاحب سجلاسة؛ غدره قومٌ من البربر يُعرفون ببني خالد، فاستأمنوا به إلى أبي عبد الله الشيعي، فأمنهم، وتحرك عبّيد الله من سجلاسة إلى إفريقية واستخلف سجلاسة إبراهيم بن غالب المزاتي وترك معه خمس مئة فارس من كُتامة.

وقتل أبو العباس المخطوم بعض فقهاء القَيْروان وصلحائتها لكونهم لا يفضلون علياً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وصلب أولئك الصالحين والفقهاء على باب القَيْروان، فعنفهُ أخوه على ذلك حين ورده ذلك.

وخالفَ محمد بن خزر الزَّناتي على الشِّيعة وأقبلَ إلى تِيهَرْت، ووافقه على ذلك قوم من أهلها يعرفون ببني دُبوس، فحارب تِيهَرْت وتغلبَ على بعض أربابها، واتصل ذلك بعبيّد الله وهو في طريقه فرجع قاصداً ابن خَزَر، فقرّ أمامةً حتى دخل في الرّمال، وكان عبّيد الله استصحبَ في سفره ذلك بني مدرار وأهليهم مُكَبَّلين، فلما كان من ابن خزر ما كان أمر بقتل اليَسُع فُقِيلَ، وقتل أهل سجلاسة عامل عبّيد الله إبراهيم بن غالب ومن معه من الشِّيعة ومن كُتامة وولوا على أنفسهم واسول ابن الأمير مدرار.

(١) في ر ١: «مسجونين».

(٢) في ر ١: «أبصره».

(٣) بعد هذا في ر ١: «الشيعي».

(٤) في ر ١: «في الملك».

(٥) «قد أنجز الله له وعده» ليست في ر ١.

ذكر وصول عُبيد الله الشيعي إلى رَقَادَة

ونَبِّذُ من أخباره وما قيل في نَسْبِه

لما وصل إليها مع ابنه أبي القاسم تلقاه الفقهاء ووجوه أهل القيروان داعين له مُهنتين مُظَهِّرين السُّرور بأيامه، وسألوه تجديد الأمان لهم، فقال: أنتم آمنون على أنفسكم، ولم يذكر الأموال، فخاف أهل العقل من ذلك الوقت، فدخل رَقَادَة واحتلَّ قصرها ونزل ولده في قصر آخر بها، وتسمى عُبيد الله بالمهدي.

واختلف في نسبه، فادعى هو أنه عُبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن [محمد بن] ^(١) علي بن الحُسين ^(٢) بن علي بن أبي طالب، وقال سائر الناس: إنه دَعَى وإن انتسابه للطاليين دعوة باطلة، وذكروا عن أبي القاسم بن طباطبا العَلَوي أنه قال: والله الذي لا إله إلا هو ما عُبيد الله الشيعي منا، ولا بيتنا وبنيه نسب. وقال مُقاتل: هو عُبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن ^(٣) البصري. وقد فَضَحَ القاضي أبو بكر الباقياني نَسَبَهم في كتاب «كشف الأسرار وَهَتْكُ الأَسْتَار» وذكر أنَّهم قَرَامِطة، وأنَّ أبا عبد الله الشيعي أحدث لهم هذا المَذَهَبَ ونَسَبَهم، وذكر بعض المؤرِّخين أنَّ جعفر بن علي كانت له جارية، فغَشَّيَها رجلٌ من القرَامِطة، وقيل: من اليهود، دفعَت له مالاً، فكان يَهْوَاهَا وَتَهْوَاهُ، وقتلت جعفراً مولاها، فولدت جد عُبيد الله هذا. فمن خَفِيتَ عليه هذه القَصَّةَ قال: إنه عَلَويٌّ، ومن عَلِمَها عَلِمَ دعوته وكذبه، لعنه الله.

نقش خاتمه: ﴿أَنَّمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَدُ أَنْ يُشَعِّ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَإِنَّمَا كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥] وجعل لنفسه حِجَاباً وكتاباً، وعلى ديوان الخراج ابن القديم، وعلى السَّكَّةِ الْقَمُودِيِّ، وعلى عَمَّالَةِ القيروانِ الحَسَنِ بنِ أَبِي خنزير، وعلى قضائِها السَّمَرْوَزِيُّ، وأَظْهَرَ التَّشِيعَ وَالْبِدْعَةَ، وأَمْرَأَا قَبِيحَةَ أَضْرَبَنا عن ذكرها.

(١) ما بين الحاصلتين زيادة متعينة.

(٢) في م: «الحسن»، خطأ.

(٣) في ر ١: «عبد الرحيم».

وفيها: تحرك الداعي إلى أرض المغرب فدوّنها وافتتح المدن وقتلَ وسبيَ.

وفيها: كان تغير أبي عبد الله^(١) الداعي على صاحبه عبيد الله، وذلك أنه لما وصل إلى تنس، وذلك يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة^(٢)، جع إلى نفسه^(٣) وجوه كُتامة وتكلم معهم في أمر عبيد الله وعمل معهم على خلْعه، وقال لهم: «إن أفعاله قبيحة ليست تشبيه أفعال المَهْدي الذي كنتُ أدعو إليه، وأخشى أن أكون قد غلطت فيه، وعرض لي ما عرض لإبراهيم الخليل عليه السلام إذ رأى كوكباً فقال: هذا ربّي، فيجب عليّ وعليكم امتحانه وكشفه عن علامات المَهْدي»، فعقدَ مع جماعة كُتامة^(٤) على امتحانه إذ انصرفوا إلى رَقَادَة، ودخل معهم في العقد عُروبة بن يوسف وتعاهدوا على ذلك^(٥).

وفي سنة ثمان وتسعين ومئتين: تحول أبو عبد الله الداعي في بلاد البربر وحاربَ صَدِّينة وزَنَاتَة، وقتلَ الرجال، وأخذَ الأموال وسَيَّ الذرية، وأحرق بعض المدن بالنار.

وفيها: أعلم عُروبة بن يوسف عبيد الله الشيعي بما كان من قول الداعي، وما تعاقدَ عليه مع أصحابه من خلْعه، فالتزم عبيد الله الاحتراس منه، وقرب عبيد الله أبا جعفر البغدادي ليستعينَ به على الداعي وأخيه وجماعة كُتامة، فكان له في ذلك غناه.

وفيها: حاصر أطربالس هَوَارَة وزَنَاتَة ولواثة وغيرُهم من القبائل، فأخرج إليهم أبا زَالِكَ تَسَّامَ بن مُعارك في جيش عظيم، فحاربَهم حتّى قتلَهم، وكان مذهبُه مذهب أبي عبد الله في الغدر بِعَبِيدِ الله والخلْع له، فأراد أن يُبعده.

(١) ليس في را.

(٢) في را: «في أواخر ذي الحجة».

(٣) «إلى نفسه» ليست في را.

(٤) في را: «فتعاقدُهم»، بدلاً من «فعقدَ مع جماعة كُتامة».

(٥) «وتعاهدوا على ذلك» ليست في را.

ذكر قتل عبيد الله الشيعي^(١) لأبي عبد الله الداعي وأبي زالٍ

وذلك أنه كتب إلى عامله بأطرabilس، يأمره بقتل أبي زالٍ، فبعث إليه العامل وكان عمّه، وعرض عليه كتاب عبيد الله يأمره بقتله. فلما قرأه أبو زالٍ، قال له: يا عمّ، نَفْدُ ما أُمِرْتَ به. فقدَمَه^(٢)، فضرَبَ عُقَّهُ، وكتب إلى عبيد الله بخبر قتله مع حَمَامٍ وصلَ إلى رَقَادَةَ من ساعته، غَرَّةَ ذِي الحِجَّةِ. فلما وصلَ الْخَبْرُ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ، أَمَرَ عَرْوَةَ بْنَ يُوسُفَ وَآخَرَ مَعَهُ أَنْ يَكْمِنَا خَلْفَ الْقَصْرِ فَإِذَا قَرَبَ مِنْهُمَا الدَّاعِيُّ وَآخَرُوهُ الْمَخْطُومَ، طَعَنُوهُمَا بِالرِّمَاحِ حَتَّى يَمُوتُوا. فَكَمَنَا لَهُمَا هُنَاكَ مَعَ جَمَاعَةَ مِنْ كُتَّامَةَ.

وبعث عبيد الله في أبي عبد الله وأبي العباس ليحضرَا طعامَه على عادتهما، فلما مَرَا بالموقع الذي فيه الكمين، خرجَ عليهما، فصَاحَ الدَّاعِيُّ بِعَرْوَةَ: لَا تَفْعَلْ يَا وَلَدِي. فقال عَرْوَةَ: أَمْرَنِي بِقَتْلِكَ مَنْ أَمْرَتَ النَّاسَ بِطَاعَتِهِ، وَانْخَلَعْتَ لَهُ مِنَ الْمُلْكِ بَعْدَ تَوْطِيْتِهِ^(٣). ثُمَّ طَعَنَهُ طَعْنَةً وَاحِدَةً خَرَّ مِنْهَا صَرِيعًا، وَوَقَعَتْ فِي أَبِي العَبَّاسِ حَسْنَ عَشْرَةَ^(٤) طَعْنَةً، وَمَكَثَا صَرِيعَيْنِ إِلَى بَعْدِ الظَّهَرِ؛ عَبْرَةً وَعَظَّةً، ثُمَّ أَمَرَ عَبِيدَ اللَّهِ بِدُفْنِهِمَا؛ وَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ وَجَازَاكَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا رَحِمَكَ أَبَا الْعَبَّاسِ، فَإِنَّكَ صَدَدَتَهُ عَنِ السَّبِيلِ، وَأَوْرَدْتَهُ مَوَارِدَ الْهَلاَكِ، ثُمَّ قَرَأَ: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيْضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ»^(٥) [٣٦-٣٧] [الزخرف: ٣٦-٣٧]

وَكَتَبَ إِلَى الشِّيَعَةِ بِالْمَسْرُقِ فِي أَمْرِهِمَا: أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْنَا مَحْلَ أَبِي عبدِ اللهِ وَأَبِي العَبَّاسِ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَاسْتَرَّلَهُمَا الشَّيْطَانُ؛ فَطَهَّرَهُمَا^(٦) بِالسِّيفِ، وَالسَّلَامِ.

وَاحْتَجَبَ عَبِيدُ اللَّهِ عَنْ كُتَّامَةَ أَيَّامًا، ثُمَّ أَمْنَهُمْ وَأَدْخَلَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ مُفْرَقِينَ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَمِلَ عَلَى قَتْلِ جَمَاعَةِ مِنْهُمْ، فَقَتَلَهُمْ بِأَصْنَافٍ مِنَ الْقَتْلِ. ثُمَّ عَمِلَ سَفْرَةَ إِلَى لَوَاتَةَ فَقْتَلَهُمْ وَغَنِمَّ أَمْوَالَهُمْ، وَسَبَى دَرَارِيهِمْ.

(١) «الشيعي» ليس في أ.

(٢) من را.

(٣) قوله: «وانخلعت له من الملك بعد توطئته» ليس في أ.

(٤) في م: «تسع عشرة».

(٥) في النسختين: «فضربتهما»، ولا معنى لها.

وفي سنة تسع وتسعين ومئتين: كانت وقعة بين عساكر عُبيد الله وبين زَنَاتة قتل فيها من زَنَاتة خلقاً كثيراً. وكانت أيضاً ملحمة تيهرت، وذلك أن أهلها قد ثاروا على دَوَّاس عاملها، وأرادوا الوثوب به؛ فهرب إلى تيهرت القديمة، وتحصّن بها، وقتل أكثر أصحابه، وكانوا في نحو ألف فارس، واستدعوا محمد بن خَزَر، فأدخلوه البلد، وبرزوا إليه بأم دَوَّاس وعياله وسلامه، ثم خذلوه وخذلهم، فزال عنهم، وانصرف إلى موضعه. ثم أخرج عُبيد الله العساكر إلى تيهرت في عدد عظيم، فنزل عليها يوم الجمعة لانسلاخ المُحرّم، وحرب أهلها ثلاثة أيام. ثم أخذوا بالكيد، ودخلت العساكر تيهرت يوم الثلاثاء لأربع خلوات من صَفَر، فقتلوا الرجال، وسبوا النساء والذرية، وانتهوا بالأموال، وحرقوا المدينة بالنار. وبلغ عدد القتلى بها^(١) ثمانية آلاف رجل. ثم ولّ عُبيد الله تيهرت مصالحة بن حبُّوس بن مُنازل بن بُهْلُول المِكْناسي، وانصرف دَوَّاس بن صُولات إلى مدينة رَقَادَة، وقتله عُبيد الله بعد ذلك.

وفيها: كانت ملحمة أيضاً بالقيروان؛ وذلك أن كُتامة كانوا يسألون عُبيد الله أن يطلق أيديهم على تهْب القيروان، وكان يُسوّفهم في ذلك، ويُعلّق أطماعهم به، وهم يتحاملون على أهل القيروان بالتطاول والأذى، حتى شرق الناس بهم، فقاموا عليهم في بعض الأيام، بسبب استطاله رجل من كُتامة على رجل من تُجَار أهل القيروان، فلما دافعوه عنه، شهروا عليهم السلاح، وأرادوا تهْب الحوانيت. فقتلوا^(٢) من كُتامة أكثر من ألف رجل. وركب أَحْمَد بن أبي خنزير، صاحب مدينة القيروان، فسكن الناس، وأمر بتغييب القتلى؛ فطرحوا في المراحيس. ولحق من كان حوالياً رقادة من كُتامة بيلادهم. فلما حصلوا بها، أظهروا الخلاف، وقدموا على أنفسهم حدّاً يُعرف بالمارطي، واسمُه كادو بن معارك، وجعلوه قبلة يُصلّون إليه، وزعموا أنه المَهْدِي المُتَّظَّل، وكتبوا كتاباً فيه شريعة زعموا أنها نزلت عليه، فتغلب على جميع الزاب، وقوى أمره، واشتدت شوكته، فآخرَجَ إليه عُبيد الله قواداً حاربوهم. ثم أخرج ابنه أبا القاسم فافتتح قسطنطيلية من أرض كُتامة، وكانت له على المارطي وقائع.

(١) ليست في را.

(٢) في م: «قتل».

وفيها: توفي زيادة الله الها رب إلى مصر، وكان، لما فرَّ عن القَبْرِ وانبعياله وماله وألف صُفْلَبِي، ترك جاريةً من جواريه فغَنَتْ له، مُحَرِّكةً على حَمْلِ نَفْسِهَا وهي تقول [من المسرح]:

لَمْ أَئْسَ يَوْمَ الْوِدَاعِ مَوْقِفَهَا
وَجَفْنُهَا فِي دَمْعِهَا غَرِيقٌ
وَقَوْلُهَا، وَالرَّكَابُ وَاقِفَةٌ
تَرْكُنِي سَيِّدِي وَتَنْطِلِقُ

قال المُظَفَّرِ^(١): فحطَ حملَ مالٍ، وحملها في مكانه، وقال عَرِيبٌ: فدمعت عيناه؛ واشتعل عنها بما هو فيه، فتركها، ووصل إلى مصر، فبقي عند عيسى النُّوَشَري^(٢) صاحِها ثمانية أيام، ورحل إلى الرَّقة، فمُنِعَ الدُّخُولَ إلى بَغْدَادَ، وأُمِرَ بالانصراف إلى مصر، فسَمِّه بعُضُّ عَبِيدِه؛ فمات.

وفي سنة ثلاثة: خالَفَ أَهْلَ مَدِينَة^(٣) أَطْرَابُلُسَ عَلَى عَبِيدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ المُتَلَقِّبِ بِالْمَهْدِيِّ كَذِبًا وَزُورًا^(٤)، وقتلوا كُلَّ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ كُتَامَةٍ، وَعَدُوا ذَلِكَ أَكْبَرَ جَهَادٍ، وخرجَ وَالِي عَبِيدِ اللَّهِ مِنْهَا فَلَحَقَ بِهِ وَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا، وَحَازَّهُمْ شهورًا.

وفيها: قفلَ أبو القاسم بن عَبِيدِ اللَّهِ إِلَى رَقَادَةٍ مِنْ كُتَامَةٍ وَمَعْهُ الْمَارِطِيُّ الثَّاَرِ وَأَصْحَابُهُ وَأَدْخَلُوا مُشَهَّرِينَ عَلَى الْجِمَالِ، فَقُتِلُوا بِرَقَادَةٍ.

وفيها: تركَ أبو القاسم لِمُحَارَبَةِ أَهْلِ أَطْرَابُلُسَ، وَحَاصِرَهَا حَتَّى أَكْلُوا الْمِيَةَ، فَرَغَبُوا فِي الْآمَانِ، فَأَمَنُوهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَنْفُسٍ قُتِلُوا بِرَقَادَةٍ.

وفيها: تحركَ عَبِيدُ اللَّهِ مِنْ رَقَادَةٍ إِلَى تُونِسَ وَنَوَاحِي الْبَحْرِ يَرْتَادُ مَوْضِعًا لِيَتَخَذِه دَارُ مُلْكَتِهِ، فَوَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَى مَدِينَةِ الْمَهْدِيَّة^(٥).

(١) في أ: «الطبرى».

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦/٩٩٥، وتاريخ دمشق ٤٧/٣٤٦-٣٤٧.

(٣) ليس في ر١.

(٤) «المُتَلَقِّبُ بِالْمَهْدِيِّ كَذِبًا وَزُورًا» ليس في أ.

(٥) يعني: على الموضع الذي بنيت فيه المهديّة.

وفي سنة إحدى وثلاث مئة: بعث عُبيد الله الشيعي حُبَّاسةً بن يوسف بالجيوش إلى المشرق، فدخل مدينة سُرْت^(١) ومدينة أَجْدَابِيَّة^(٢) بالأمان، وهرَبَ من كان فيهما من جُنُود الخليفة العُبَاسِيِّ، ودخلَ مدينة بَرْقَة، فكَلَّا دخَلَ مدينته قتلَ أهْلَها وأخذَ أموالَهُمْ وعاثَ فيهم بكل نوعٍ من الفتنة والقتل، لعنة الله.

ثم وردت عليه عساكر عظيمة من مصر لمحاربته، فدارت بينهم حربٌ عظيمة، ثم انهزمت جيوش مصر، وأتبعهم حُبَّاسة فقتل كثيرًا منهم. ثم توجه بالعساكر [نحو مصر]^(٣) فأخذ حصوناً، فقتل أهْلَها وأخذَ أموالَهُمْ وسَبَى ذراريَّهم.

وفيها: خرج أبو القاسم بن عُبيد الله من رَقَادَة لمحاربة مصر.

وفيها: أحرقَ محمد بن أحمد بن زياد الله بن قُرْهُبْ أسطولَ عُبيد الله الشيعي بمرسى لَمْطَة، وقتل قائد الشيعي ذَبْحَا بيده، وقطعَ يديه ورجليه، وأسرَ من أصحابه ست مئة رجل، وبلغَ عُبيد الله ذلك فبعثَ جيشاً، فهُزِّموا وغُنمُوا.

وفي سنة اثنين وثلاث مئة: دخل أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعي مدينة الإسكندرية ومعه حُبَّاسة القائد، فألفاها خالية، قد هربَ أهْلَها في البحر بما خفَّ من أموالهم، وأسلموا سائر أثقالهم، فاستولى أبو القاسم وحُبَّاسة على جميع ذلك. ووصلَ أبو القاسم إلى الفَيُوْمَ، فعسَّكَرَ بها حتى قَدِمَ قائدُ الخليفة مؤنس الفتَّى من العراق لمحاربته، فأمَّ اللَّعْنَين أبو القاسم إفريقيَّة هاربًا أمامَ جيوش الخليفة، وضرَبَت جيوش مصر في ساقته، فأخذت مضاربَهُ وسلامًا وأثناً.

وخالفَ على الشِّيَعَةَ أهلَ أطْرَابِلسَ لِمَا عَلِمُوا الْحَالَ الَّتِي انْصَرَفَ فِيهَا أبو القاسم من مصر، فعمدوا إلى رجالِ كُتَّامة فقتلوهم أجمعين، ووصلَ أبو القاسم إلى رَقَادَة مُنصرًا من الفَيُوْمَ لعَشْرَ خَلْوَنَ من ذي القَعْدَة. وكان حُبَّاسة قد هربَ من مصر إلى أرض الغَرْب؛ لأنَّ أبا القاسم عزلَهُ عن قيادة الجَيْشِ، فكتبَ أبو القاسم إلى عُمال الطريق

(١) ينظر عنها وعن ضبطها معجم البلدان ٣/٢٠٦.

(٢) الروض المعطار ١١.

(٣) زيادة متعينة للتوضيح.

بارتصاده، فُعِثَرَ عليه وعلى بعض أصحابه فحملوا إلى عُبيد الله فحبسَهُ وجميعَ أهلهِ. وحاولَ عَروبةُ الهرب لِمَا اتصلَ به أمرُ حُبَاسة، فهربَ بِهِالهُ فظُفِرَ بهُ فُقْتِلَ وبُعْثِرَ برأسه إلى عُبيد الله. فلما وصلَ إِلَيْهِ أمرُ بِقتْلِ حُبَاسة وَجَمِيعِ قرَابَتِهِ فُقطِعَتْ رُؤُوسُهُمْ وَكُتِبَتْ أسماؤُهُمْ في بطائقٍ وَعُلِّقَتْ مِنْ آذانِهِمْ، وأُدْخِلَتْ عَلَى عُبيد الله، فنظرَ إِلَيْها وإِلَى رأسِ عَروبةِ وَحُبَاسةٍ فقالَ: ما أَعْجَبُ أَمْوَارَ هَذِهِ الدِّينِيَا، هَذِهِ الرُّؤُوسُ ضَاقَّ بِهَا الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ وَحَلَّتْهَا هَذِهِ الْقُفَّةُ.

وفي سنة ثلث وثلاث مئة: كان بإفريقية وباءً كثیر، تعدیدٌ مَنْ ماتَ فِيهِ مِنْ ذُوِّ النَّبَاهَةِ يَطُولُ.

وفيها: مات قاضي الشيعة محمد بن يحيى المَرْوَزِيُّ في العَذَابِ، وطُولَبَ أَهْلُ الْقِيرَوانَ بِهِالهُ، فَامْتُحِنَّ بِذَلِكَ جَمَاعَةً مِنْ فَضْلَائِهِمْ ظُلْمًا.

وفيها: كانت فتنة بِصِقلِيلَةِ، وَخَلَعُوا وَالْيَهُمْ ابْنَ قُرْهَبَ فَصَارَتِ الْفَتَنَةُ بِسَبِيبِهِ، لأن طائفَةً كانت معهُ وأخْرِيَ علىَهُ، وانتهَى حالُ ابْنِ قُرْهَبِ إِلَى أَنْ انتَهَيَتْ أَمْوَالُهُ وَأَسْرَهُ مع بَنِيهِ وَقَاضِيهِ وَيُعِثُّ بَهُمْ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ. وَكَتَبَ أَهْلُ صَقْلِيلَةِ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَوْجِهَ إِلَيْهِمْ قاضِيَاً وَعَالِمًا، وَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ شَرْوَطًا أَغْضَبَتْهُمْ وَأَغْرَتَهُمْ وَحَرَّكَتْهُمْ مِنْهُ مَضَايِقَهُمْ وَمَحَاصرَهُمْ.

وفي سنة أربع وثلاث مئة: وصل ابْنُ قُرْهَبَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ، فُضْرِبُوا بِالسِّيَاطِ، وَفُقطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَصُلِبُوا عَلَى قَبْرِ السَّخَنَ بن أبي خنزير.

وفيها: بَعَثَ عُبَيْدُ اللهِ الجَيْوشَ وَالْأَسَاطِيلَ إِلَى صِقلِيلَةِ، فَحاَصَرُوهُمْ شَهْوَرًا وَقُتِلَّ مِنْهُمْ كَثِيرًا، وَعَبَّثَتْ كُتَامَةُ فِيمَنْ أَلْفَوَا بِأَرْبَاضِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالْذُرَى وَافْتَرَعُوا الْأَبْكَارَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ صَقْلِيلَةِ رَغَبُوا فِي الْأَمَانِ فَأَمْنَهُمْ وَهَدَمَ سُورَ مَدِيَّتِهِمْ وَوَلَّ صَقْلِيلَةَ سَالِمَ بنَ أَبِي رَاشِدٍ وَمَعَهُ جَمَاعَةً مِنْ كُتَامَةَ.

وفي سنة خمس وثلاث مئة: افتتح مصالَةُ بن حَبُّوسَ قَائِدُ عُبَيْدِ اللهِ الشَّيْعِيِّ مَدِيَّةَ نُكُورَ^(۱)، وَقُتِلَ فِيهَا صَاحِبَهَا سَعِيدُ بنَ صَالِحٍ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ لِثَلَاثَ خَلْوَنَّ مِنْ

(۱) الروض المعطار . ۵۷۶

المُهُرم، ثم انتهِبها وسَبَّي النِّسَاءَ وَالذُّرْيَةَ وَانصَرَفَ إِلَى تِيهَرَتْ، وَبَعْثَ بِالْفَتْحِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ، وَبَعْثَ إِلَيْهِ بِرَأْسِ سَعِيدِ بْنِ صَالِحٍ وَرَؤُوسِ جَمِيلَةٍ مِّن أَصْحَابِهِ، وَطَوَّفَ بِالْقَيْرَوَانَ، ثُمَّ إِنَّ بْنِي صَالِحٍ فَرَوْا بِأَنفُسِهِمْ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، فَنَزَلُوا مَرْسَى مَالْقَةَ، فَأَمْرَ النَّاصِرَ بِإِنْزَالِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ، وَاسْتَخْلَفَ مَصَالَةً عَلَى نَكُورَ رَجَلًا يَقَالُ لَهُ: ذُلُولُ، وَانصَرَفَ إِلَى تِيهَرَتْ، فَافْتَرَقَ عَنْ ذُلُولٍ أَكْثَرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ، فَقَصَدَ صَالِحَ بْنَ سَعِيدَ بْنَ صَالِحٍ مِّنْ مَرْسَى مَالْقَةَ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ وَمَلِكَ بَلْدَهُ نَكُورَ، وَهَادِي النَّاصِرِ الْخَيْلَ وَالْجَمَالَ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

تلخيص أخبار أمراء مدينة نَكُور من حين بنائِها على الْجُمَلَةِ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ الْمُؤَرَّخَةِ

وَذَلِكَ أَنَّ صَالِحَ بْنَ مُنْصُورَ، الْمُعْرُوفُ بِالْعَبْدِ الصَّالِحِ، كَانَ دَخَلَ أَرْضَ الْمَغْرِبِ فِي الْاِفتَتاحِ الْأَوَّلِ زَمَنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَنَزَلَ فِي بَنِي تَمْسَامَانَ^(١)، وَعَلَى يَدِهِ أَسْلَمَ بَرْبِرُهَا؛ وَهُمْ صُنْهَاجَةٌ وَغُمَارَةٌ. ثُمَّ ارْتَدَ أَكْثَرُهُمْ لَمَّا قُتِلُتْ عَلَيْهِمْ شَرَاعُ الْإِسْلَامِ، وَقَدَّمُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ رَجَلًا يُسَمَّى دَاؤِدَ وَيُسَمَّى بِالزَّيْدُوِيِّ^(٢)، وَكَانَ مِنْ نَفْزَةٍ، وَأَخْرَجُوا صَالِحًا مِنْ بَيْنِهِمْ. ثُمَّ أَفَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ، وَتَابُوا مِنْ شُرُّكِهِمْ، وَقَتَلُوا دَاؤِدَ الزَّيْدُوِيَّ، وَرَدُّوا صَالِحًا. فَبَقَى كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ بِتَمْسَامَانَ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ ثَلَاثَةٌ: الْمُعْتَصِمُ، وَإِدْرِيسُ: أُمُّهَا صُنْهَاجَيَّةٌ، وَعَبْدُ الصَّمْدِ، فَوَلَّوْا الْمُعْتَصِمَ، وَمَكَثَ فِيهِمْ يَسِيرًا، وَمَاتَ. فَوَلَّوْا عَلَى أَنفُسِهِمْ إِدْرِيسَ، ثُمَّ مَاتَ. وَوَلَّ سَعِيدَ بْنَ إِدْرِيسَ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ نَكُورَ. وَمِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ زُوْاغَةَ، الَّتِي كَانَتْ لِلْحَسْنِ بْنِ أَبِي الْعَيْشِ، مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ. وَكَانَ هَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ: مِنْهَا بَابُ سُلَيْمانَ، وَبَابُ بَنِي وَرِيَاغَلَ، وَبَابُ الْمَصْلَى، وَبَابُ الْيَهُودِ. وَبَهَا جَامِعٌ كَبِيرٌ، وَأَكْثَرُ خَشْبِهِمُ الْأَرْزُ، وَبَهَا حَمَامَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَأَسْوَاقٌ عَامِرَةٌ مُمْتَدَةٌ^(٣). وَهِيَ بَيْنَ تَهْرِينَ، أَحَدُهُمَا اسْمُهُ نَكُورُ، وَبَهِ سُمِّيَتِ الْمَدِينَةِ.

(١) فِي تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونَ ٦/٢١٢: «تَكْسَامَان».

(٢) فِي تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونَ: «الرَّنْدِي».

(٣) لِيَسْتَ فِي ر١.

ودخلها المَجُوس سنة أربع وأربعين ومئتين وتغلبوا عليها، وانتهوا من كان فيها إلا من خلصه الله بالفرار، وأقام المَجُوس بها ثانية أيام، وخرجوا منها. وبينها وبين البحر خمسة أميال. وقامت البرانس على سعيد بن إدريس، فأظفره الله عليهم، وهزمهم، وقتل رئيسهم. ثم رجع من بقي منهم إلى الطاعة. ومات سعيد بن إدريس بعد أن ملكهم سبعاً وثلاثين سنة^(١).

وولي هذه^(٢) ابنه صالح بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور. وكان سعيد من الولد: منصور، وحماد، وصالح، وزيادة الله، والرشيد، وعبد الرحمن الشهيد، وعاوية، وعثمان، وعبد الله، وإدريس. وكان عبد الرحمن فقيها بمذهب مالك، وحج أربعاء، وعبر البحر إلى الأندلس برسم الجهاد؛ فقتل الثائر^(٣) ابن حفصون كل من كان معه، وتخلص هو بنفسه إلى مرسية، وحضر غزوة أبي العباس القائد، واستشهد فيها.

وقام على صالح أخوه إدريس فيبني وزاغل وجزنية، فالتقوا بجبل جزناية^(٤)، فانهزم صالح، وانتهت إدريس عسكره، واستمر إلى مدينة تكورة ليدخلها، فامتنع أهلها إلى أن أتاهم صالح صاحبها في خاصته، فدخلها في جوف الليل ولم يعلم أخوه إدريس بذلك، وكان قد نزل عليها، وطمع فيها^(٥). فلما كان في غد، أقبل إدريس على فرسه، وهو لا يعلم بأمر أخيه، فأدخلوه المدينة، وأرجله فتى صالح عن دابته، وأتوا به إلى أخيه، فأمر بحبسه. ثم أشار عليه قاسم الوستاني^(٦) بقتله، فأمر فتى من فتيانه يُقال له: عسلون، فقتله.

(١) تاريخ ابن خلدون ٦/٢١٢.

(٢) ليست في أ.

(٣) في ر1: «اللعين».

(٤) قوله: «فالتقوا بجبل جزناية» ليس في ر1.

(٥) «وكان قد نزل عليها وطمع فيها» ليست في ر1.

(٦) في م: «الوشتاني»، وما أثبتناه من النسخ.

وامتنعت مِكْنَاسَةٌ عَلَى صَالِحٍ، وَجَبَسُوا مَغَارَمَهُمْ. فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ يَتَوَعَّدُهُمْ، وَخَتَمَ الْكِتَابَ، وَأَدْخَلَهُ فِي مَخْلَةٍ، وَشَدَّهَا عَلَى حَمَارٍ، وَبَعْثَهُ مَعَ ثِقَّهُ، وَقَالَ لَهُ: إِذَا تَوَسَّطَتْ مِكْنَاسَةً، فَأَنْزَلُكَ الْحَمَارُ بِمَا عَلَيْهِ وَانْصَرَفْ، فَفَعَلَ. فَوُجِدَ [أَهْلُ]^(١) مِكْنَاسَةً حَمَارَ صَالِحٍ، وَقَرَرُوا كِتَابَهُ، فَتَمَادُوا عَلَى امْتِنَاعِهِمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ انْصَرَفَ رَأْيُهُمْ إِلَى جَمْعِ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ، فَجَمَعُوهُ، وَجَلَّلُوا الْحَمَارَ بِمَلْحَفَةٍ، وَأَتَوْا صَالِحًا بِالْحَمَارِ وَبِمَغَارِهِمْ، وَاسْتَعْفَوْهُ، فَعَافَاهُمْ. وَبَقِيَ صَالِحُ بْنُ سَعِيدٍ^(٢) أَمِيرًا إِلَى أَنْ تُوفَّيْ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ أَزِيدَ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً.

وَوَلَيَّ بَعْدَهُ أَبْنُهُ سَعِيدُ بْنُ صَالِحٍ. فَلَمَّا تَوَطَّدَ الْأَمْرُ لَهُ، دَخَلَ عَلَيْهِ عَبِيدُهُمْ الصَّقَالِيَّةَ، فَسَأَلُوهُ الْعِتْقَ، فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ جُنْدُنَا وَعَبِيدُنَا، لَا تَدْخُلُونَ فِي وَرْثَنَا، فَمَا طَلَبُكُمْ لِلْعِتْقَ؟ فَأَلْحَوُا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَنَالَهُ جَفَاءُهُمْ، وَخَلَعُوهُ، وَقَدَّمُوا أَخَاهُ عَبِيدَ اللَّهِ وَعَمَّهُ الرَّاضِيِّ الْمَكْنَيِّ بَأْيَ عَلَيَّ، وَزَحْفُوا بِهَا إِلَى الْقَصْرِ، فَحَارَبُوهُمْ سَعِيدَ^(٣) مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ بِمَنْ كَانَ مَعَهُ وَبِالنِّسَاءِ. وَقَاتَلُوهُمُ الْعَامَّةَ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْبَلَدِ، وَهُزِمُوهُمْ. فَتَحَصَّنُوا بِغَرْفَةٍ^(٤) سَبْعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ ظَفَرُوهُمْ سَعِيدٌ. وَكَانَ عَمَّهُ الرَّاضِيُّ صِهْرَهُ، فَحُبِسَ مَعَ أَخِيهِ عَبِيدَ اللَّهِ، وَقُتِلَ مِنْ خَرْجِهِمْ مِنْ بَنِي عَمِّهِ، مِنْهُمُ الْأَغْلَبُ، وَأَبُو الْأَغْلَبِ. فَقَامَ سَعِيدُ اللَّهِ بْنُ هَارُونَ، وَهُوَ أَبْنَاءُ الْأَغْلَبِ، فَقَالَ: قُتِلَ أَبْنَاءُ عَمِّي وَأَبْقِيَ عَمَّهُ وَأَخَاهُ، فَأَلَّبَ عَلَيْهِ بَنِي يَصْلَاتَنَ، وَعَقَدَ أَمْرُهُمْ مَعَهُمْ، وَسَعِيدُ اللَّهِ مَعَ سَعِيدِ بِمَدِينَةِ نَكُورٍ. ثُمَّ خَذَلَهُ سَعِيدُ اللَّهِ، وَانْحَازَ إِلَى بَنِي يَصْلَاتَنَ بِمَنْ مَعَهُ، فَانْهَزَمَ سَعِيدٌ، وَأَخْدَثَتْ بُنُودُهُ وَطُبُولُهُ، وَقُتِلَ مِنْ مَوَالِيهِ نَحْوَ أَلْفِ رَجُلٍ، وَأَتَوْا مَعَ سَعِيدِ اللَّهِ حَتَّى حَاصِرُوا سَعِيدَ بْنَ صَالِحٍ بِنَكُورٍ. ثُمَّ كَانَتِ الْكَرَّةُ لِسَعِيدِ عَلَيْهِمْ، فَهُزِمُوهُمْ، وَأُسْرِيَ مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ أَخَا سَعِيدِ اللَّهِ، وَسَارَ إِلَى تَمْسَامَانَ، فَأَحْرَقَ دِيَارَهُ وَخَرَّبَهَا، وَانْصَرَفَ إِلَى نَكُورٍ. وَخَرَجَ سَعِيدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَطْوَيَّةِ وَبَنِي وَرْتَدِيِّ،

(١) زِيادةٌ مِنَ اللِّتَوْضِيحِ.

(٢) لَيْسَ فِي ر١.

(٣) لَيْسَ فِي ر١.

(٤) هَكُذا فِي النُّسْخَتَيْنِ، وَفِي مٍ: «بَقْرِيَّة».

وزحفَ بهم إلى زناتة، فحاربهم وهزمهم، وانقادت له جمِيعُ تلك البلاد. ثم انصرفَ إلى مدينة نَكُور، فأقام بها مُصايفًا لسعيد المذكور^(١).

ولما تغلَّب عُبيد الله الشيعيُّ، كتب إلى أهل المغرب، يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتدين بإمامته. وكتب بمثل ذلك إلى سعيد بن صالح^(٢)، وفي أسفله أبياتاً كثيرة، منها [من الطويل]:

فَإِنْ تَسْتَقِيمُوا أَسْتَقِيمُ لِصَالِحِكُمْ
وَأَعْلُو بِسَيْفِي قَاهِرًا لِسَيْوِفِكُمْ

فأجابه شاعرُهم، عن أميرهم^(٤)، فقال:

كَذَبْتَ وَيَسِّرْتَ اللَّهَ لَا تَعْرِفُ الْعَدْلَا
وَمَا أَنْتَ إِلَّا كَافِرٌ وَمُنَافِقٌ
وَهَمَّتْنَا الْعَلِيُّ الْدِينِ مُحَمَّدٌ

فكتب عُبيد الله الشيعيُّ إلى مصالحة قائدِه على تيهُرت، يأمرُه بالنهوض إلى مدينة نَكُور، ويأمره بمحاربة سعيد بن صالح المذكور. فخرج مصالحة من تيهُرت في غُرة ذي الحجَّة من السنة الفارطة عن هذه المؤرَّخة. فنزل من مدينة نَكُور على مسيرة يوم، فخرج إليه سعيد، فحاربه ثلاثة أيام مُكافئًا له. وكان مع سعيد رجلٌ من أعلام البربر، يُقال له: أحمد بن العباس من بني يطوفَت، دَعَتْهُ نفسه إلى أن يقصد محلَّة مصالحة في سبعة فوارس، واقتصرَ على مصالحة، فتصايع الناسُ، وأخذ أحمد أسيراً ومن معه، فأمر مصالحة بضرب أعناقهم، فقال له أحمد: ليس مثلي يُقتلُ. فقال مصالحة: لِمَ؟ قال: لأنك لا تَطْمُع في سعيد إلَّا بسببي. فاستيقاه، وقربه حتى أنسَ به، ثم أُعطيه

(١) تاريخ ابن خلدون ٦/٢١٣-٢١٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٦/٢١٣.

(٣) هكذا في النسخ، وفي م: «قتلا».

(٤) «عن أميرهم» ليست في أ.

جيشاً، فقصد به جائياً كان يعلم الغرّة منه، حتى دخل عسكراً سعيد من حيث لا يُظنُّ به. ففرق جمّعه، وغشّيَ سعيداً ما لم يتأنّب له، وترادفت عليه العساكر، ونظر أمراً لا يُستطيع المُقامُ معه، فبعث إلى مدينة نكور، فأخرج كلَّ من كان في قصره وما معهم، وساروا إلى جزيرة في مرسى نكور^(١)، ومعهم صالح بن سعيد، وإدريس، والمعتصم. وقاتل سعيد حتى قُتل، واستُبيح عسكروه. ودخل مصالحة مدينة نكور، فقتل رجالها، وسبَّ النساء والذراري^(٢).

وفي^(٣) ذلك يقول بعض الشعراء [رجزاً].

لَمَّا طَغَى الْأَرْذُلُ وَابْنُ الْأَرْذُلِ أَتَاهُ مَحْتُومُ الْقَضَاءِ الْفَيْصِلِ حَطَّمَ أَهْلَ كُفَّارِهَا بِالْكُلْكِلِ عَلَى قَنَا مِنَ الرَّماحِ الْذُبَّلِ ذُولِمَةً شَعْنَاءً لَمْ تُفْتَلِ	فِي عَصْبَةِ مِنَ الطُّغَّاةِ الْجُهَّلِ قَالَ: نَكُورُ دُونَ رَبِّي مَعْقُلي! مِنَ الْإِلَهِ الْمُتَعَالِي الْأَعْدَلِ وَجَاءَ رَأْسُ رَأْسِهَا الْمُبَدِّلِ وَلْبَةً غَبَرَاءَ لَمْ تَرْجَلِ
--	--

وركب من نجا من ذرية سعيد البحر إلى مالقة، فاستقرّوا بها لقربها من بلدتهم، ورجائهم العودة إليه^(٤). وبقي مصالحة في نكور نحو ستة أشهر، ثم استخلف عليها ذلولاً. فكان من أمره ما تقدّم ذكره؛ وذلك أنه، لما افترق عن ذلول أصحابه، سمع بذلك بنو سعيد بمالقة، فعبروا البحر في مراكب مختلفة، في ليلة واحدة، واتفقوا على أنّ مَنْ وصل إليها قبلَ، فالولاية له، ثقةً منهم برعيّتهم. وكانوا إدريس والمعتصم وصالحبني سعيد. فوصل صالح من ليلته، فتسامع البرير بقدومه، فتسارعوا إليه، وعقدوا له الإمارة، ولقبوه بالسيّم^(٥)، وزحفوا إلى ذلول وأصحابه، فقتلواهم أجمعين. وكتب صالح

(١) قوله: «وساروا إلى جزيرة في مرسى نكور» ليس في ر1.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٦/٢١٣.

(٣) من هنا إلى آخر الشعر ليس في ر1.

(٤) في ر1: «إليهم».

(٥) في المطبوع من تاريخ ابن خلدون ٦/٢١٣: «القييم».

بالفتح والنصر إلى أمير المؤمنين الناصر، فأمر بإمداد صالح^(١) بالأخبية والآلات والأسلحة والبنود والطبو^(٢)، فتوطّد الملك بالغرب لصالح بن سعيد. وبقي إخوته في البحر شهراً^(٣) يتربّدون فيه، إلى أن وصلوا بعد ذلك إلى نَكُور، وهي في وقتنا هذا مدينة المزّمة أو قريباً منها.

وفي سنة ست وثلاث مئة: خرج أبو القاسم بن عُبيد الله الشّيعي إلى مصر في سُفْرَتِه الثانية لها، وذلك مُستهله ذي القَعْدَة، بعد أن حَشَدَ من كُتُامة حُشُوداً كثيرةً ومن عرب إفريقيَّةٍ وبَرْبَرَا.

وفي سنة سبع وثلاث مئة: كان دخول أبي القاسم بن عُبيد الله الشّيعي، لعنة الله، مدينة الإسكندرية، وذلك لأنَّ أهْلَها لما أَحْسَنُوا بِمقدمةِ أَخْلُوهَا وَتَرَكُوها لهم خاليةً فانتهبوها، وأخذوا أموالَ أهْلَها، ثم دخلوا الفَيُومَ بالسيف، فقتلوا أهْلَها وانتهبو الأموالَ وسبوا الذُّرْيَة، وتکاثرت العساكر على الشّيعي من إفريقيَّةٍ وانجلٌ الناس عن مصر وغلَّت الأسعارُ بها.

وفيها: كان بإفريقيَّة الطاعون الشَّديد والغلاء العظيم والجحور الشامل، وأخذوا أموالَ الناس بكلِّ وجهٍ. وولَيَ إسحاق بن أبي المنهال قضاء القَيْروان. وقُتلَ عبدوس المؤذن بعد ضربه بالسياط وقطع لسانه لأنَّه ذُكِرَ عنه أنه أذن ولم يَقُلْ: «حي على خير العمل».

وفي سنة ثمان وثلاث مئة: دخل الشيعةُ مدينة النَّكُور ثانيةً؛ وذلك أنه توجه مصالحةً قائداً عُبيد الله نحو الغرب بجيوشٍ كثيرةٍ فلما بلغَ قريباً من نَكُور خرج صالح بن سعيد عنها وتحصّن بجبل هنالك ودخل مصالحة المدينة وضَبطَها.

وفيها: كان دخول الشيعة مدينة فاس؛ وذلك أنَّ مصالحةً خرج من نَكُور وسار إلى جهة فاس وكان بها يومئذ يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس في أهله ورجاله،

(١) في ر ١: «فَأَمَدَ صَالِحًا».

(٢) «البنود والطبو» ليست في ر ١.

(٣) في ر ١: «شهرين».

فِلَمَا قَرُبَ مِنْهُمْ أَرَادُوا مَدَافِعَتَهُ فَحَارَبُوهُمْ أَيَّامًا حَتَّى هُزِمُوهُمْ، وَدَخَلَ مَصَالَةُ مَدِينَةِ فَاسِ وَضَبَطَهَا، وَقَالَ شَاعِرُهُمْ وَقَدْ عَرَضَ بِهَا [مِنَ الْبَسيطِ]:

دَخَلْتُ فَاسًا وَلِي شَوْقٌ إِلَى فَاسِ
وَالْحَيْنِ^(۱) يَأْخُذُ بِالْعَيْنِ وَالرَّاسِ
أُعْطِيْتُ أَدْخَلَ فَاسًا مَا حَيَيْتُ وَلَوْ
فَلَسْتُ أَدْخَلَ فَاسًا مَا حَيَيْتُ وَلَوْ

وَفِيهَا: كَانَ اِنْتِقَالُ عُبَيْدِ اللَّهِ الشَّعِيْعِيِّ مِنَ الْقَيْرَوَانَ بِعِيَالِهِ وَجَمِيعِ مُلْكَتِهِ الْضَّخْمَةِ إِلَى مَدِينَتِهِ الَّتِي بَنَاهَا وَسَاهَا بِالْمَهْدِيَّةِ لِثَمَانِ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ قَصْرَهُ بِهَا وَقَصْرَ وَلَدِهِ وَسُورَ الْمَدِينَةِ وَبَعْضَ دُورِ رَجَالِهِ، وَلَمْ يَكُمِلِ الْكُلُّ، وَهُنَّاكَ الشُّعُّرَاءُ بِذَلِكَ وَاسْتَغْرَقُوا فِي مَدْحَهِ حَتَّى كَانُوا يَكْفُرُونَ بِهَا لَا يَنْبَغِي ذَكْرُهُ مِنْ تَسْوِيَّةِ الْمَهْدِيَّةِ بِمَكَّةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَفِي سَنَةِ تَسْعَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ: وَجَهَ عُبَيْدُ اللَّهِ دُعَائَهُ إِلَى الْأَطْرَافِ لِيُظْهِرُوهُ بِهَا تَحْلِيلَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ؛ قَالَ ابْنُ الْقَطَّانِ: كَانَ مِنْهُمْ شَبِيبُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِجَبَلِ وَنَشَرِيسِ، أَمْرَهُمْ أَنْ يَدْخُلَ الرَّجُلُ إِلَى حَلِيلَةِ جَارِهِ، فَيُطَهِّرَهَا وَزَوْجَهَا حَاضِرٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَبْصُقُ فِي وَجْهِهِ، وَيَضْفَعُ قَفَاهُ وَيَقُولُ لَهُ: تَصَبَّرْ، فَإِذَا صَبَرْ سُمِّيَ مِنَ الصَّابِرَةِ. فَقَامَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ فَكَفَّوْا.

وَوَصَلَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ مُسْتَهْلِكًا بِرَجَبِ مَنْصُوفِهِ مِنَ الْفَيْوَمِ بَعْدَ مَا مَكَثَ فِي سَفَرِهِ سَتِينَ وَثَمَانِيَّةَ أَشْهُرًا.

وَفِيهَا: كَانَ فَتْحُ الشِّيَعَةِ سِجْلُمَاسَةً، فَتَحَلَّتْ مَصَالَةُ بْنِ حَبُّوْسَ فَانْتَهَى أَمْوَالُهَا وَقُتِلَ بِهَا أَحْمَدُ بْنُ مِدْرَارَ صَاحِبَهَا وَانْصَرَفَ^(۲).

وَأَمْرُ عُبَيْدِ اللَّهِ بِحَبْسِ مَئِيَّ رَجُلٍ أَظْهَرُوهُ تَحْلِيلَ الْمُحَرَّمَاتِ بِالْقَيْرَوَانِ وَبِاجْهَةِ تُونِسِ وَجَاهُوهُ بِهَا، وَأَكْلُوا الْخِتْنَرِ وَشَرَبُوهُ الْخَمْرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ جَهَارًا، وَكَانَ ذَلِكَ بِدِسِيْسِتَهُ، فَلِمَا ارْتَجَ النَّاسُ سِجْنَهُمْ مُدَارَةً وَكَفًا لِلنَّاسِ، وَعَلِمَ بِذَلِكَ

(۱) فِي م: «الْجَبَن»، وَهُوَ تَحْرِيفُ، وَالْحَيْنُ: الْمَلَكُ.

(۲) تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُونَ ۶/۱۳۱.

الخاصُّ والعامَ حتى عُيِّرَ به ابنُه أبو القاسم أيام كونه بالفيوم، وكثير القول من الناس في ذلك، فلما عَلِمَ بذلك اللعين عُبَيْدُ الله كتب إلى عَمَالِه بهذه الموضع برفعهم إليه مقيدين، فحُسِّنوا وماتَ أكثُرُهم في السُّجن، وكلُّهم مشهورٌ بإفريقية، منهم: أَحْمَدُ ابْنُ الْبَلْوَى النَّخَاسُ بِالرَّقِيق، كَانَ يُصَلَّى إِلَى رَقَادَةِ أَيَامٍ كَوْنَ عُبَيْدُ الله بِهَا وَهِيَ مِنْهُ فِي الْمَغْرِبِ، فَلَمَّا اتَّقَلَ عُبَيْدُ الله إِلَى الْمَهْدِيَّةِ صَلَّى إِلَيْهَا، وَهِيَ مِنْهُ فِي الْمَشْرُقِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَسْتُ مِنْ يَعْبُدُ مَنْ لَا يُرَى. وَكَانَ يَقُولُ فِي عُبَيْدِ الله لِأَهْلِ الْقِيرَوانِ: إِنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنِجَاكُمْ. لَعْنَهُ اللَّهُ وَلَعْنَ عُبَيْدِ الله.

وأمْرُ عُبَيْدِ الله أَنْ يَكُونَ طَرِيقُ الْحَاجِ عَلَى الْمَهْدِيَّةِ لِأَدَاءِ مَا وَظَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْمَغَارِمِ، وَأَلَا يَتَعَدَّ هَذَا الطَّرِيقُ أَحَدًا، وَجَعَلَ عَلَى الْحَجَاجِ مَغَارَمَ عَظِيمَةً يَعْجَزُ أَكْثُرُ النَّاسِ عَنْهَا لِأَنَّ الْحَجَاجَ لَيْسَ مِنْ مَذَهِبِهِمْ.

وأمْرُهُ، لَعْنَهُ اللَّهُ، بِقَتْلِ الْفَقِيهِ أَبِي عَلَى الْحَسَنِ بْنِ مُفَرَّجٍ وَغَيْرِهِ إِذْ رُفِعَ لَهُ عَنْهُ أَنَّهُ يَقُولُ بِتَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ عَلَى عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ.

وَفِي سَنَةِ عَشْرِ وَثَلَاثِ مَهَّةٍ: قَدِمَ مَصَالَةُ بْنُ حَبُّوسِ الْمَهْدِيَّةِ فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا وَانْصَرَفَ إِلَى تَبْهِرَةٍ، وَقَامَ حَسَنُ بْنُ عَلَى الْحَسَنِيَّةِ مَعَ الْبَرِيرِ فَأَتَى إِلَى فَاسِ وَبِهَا رَيْمَانُ^(۱) الْكُتَّامِيُّ قَائِدًا عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ عُبَيْدِ الله الشَّيْعِيِّ، فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا وَاسْتَبَدَّ بِهَا، ثُمَّ غَدَرَهُ حَامِدُ بْنُ حَمْدَانَ وَأَدْخَلَ أَبِي الْعَافِيَّةَ، وَكَانَ يَتَوَلَّ لِبْنَيْ أَمِيَّةَ، فَبَقَى بِهَا إِلَى أَنْ أُرْسَلَ الشَّيْعِيُّ قَائِدِيهِ مَسْرُورًا وَجَوْهَرًا، فَفَرَّ أَمَامَهُمَا وَبَقَى فِيهَا قَائِدُ الشَّيْعِيِّ إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُ بْنُو إِدْرِيسَ وَرَجَعَ لَهُمْ مُلْكُهَا حَتَّى حَارَبَهَا عَسْكَرُ النَّاصِرِ الْأَمْوَيِّ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ وَمَلِكُهَا.

وَفِيهَا: تَوْفِيَ أَبُو جَعْفَرِ الطَّبَرِيِّ.

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرِهِ وَثَلَاثِ مَهَّةٍ: وَلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ النَّقْطِيَّ قَضَاءَ الْقِيرَوانِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى قَضَاءِ أَطْرَابُلُسِ، فَجَمَعَ بِهَا أَمَوَالًا كَثِيرًا مِنِ الرِّشَا وَالْأَحْبَاسِ وَرَفَعَهَا إِلَى عُبَيْدِ الله، فَكَانَتْ وَسِيلَةً لِهِ عَنْهُ فُولَاهُ الْقِيرَوانِ.

(۱) فِي رَأْيِ: «زَنجَان».

ودخل عليّ بن سليمان^(١) قائد الشيعي حصن نقوسة فقتل أهله وسباهم وذلك في شعبان.

وفي سنة اثنتي عشرة وثلاث مئة: خرج مصالحة بن حبوس من تيهرت إلى زناتة فأدأه بلادهم وقتل وسباهم، وأخرج خيلاً إلى نواحي ابن خزر، فبلغ ذلك ابن خزر فقصد نحو مصالحة ودارت بين الفريقين حرب عظيمة قُتل فيها مصالحة وأنهزَم أصحابه.

وفيها: مات النقطي قاضي القىروان ووليهابن أبي المنھال مرة ثانية.

وفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة: كانت غزوة أبي أحمد جعفر بن عبيد^(٢) الحاجب إلى بلد الروم من صقلية، ففتح أماكن كثيرة وقتل بها ستة آلاف مقاتل، وأخرج منها عشرة آلاف سبيّة.

وفيها: ولـي مظالم القىروان ابن أخي^(٣) كرام.

وفيها: ابتدأ عبيد الله الشيعي ببناء مدينة المسيلة^(٤)، وسمّاها المحمدية، على يديّ عليّ بن حمدون الجذامي المعروف بابن الأندلسي، في وسط أرضبني بـزال وبني كھلان، على قرب من هوارة. وكانت على وادٍ؛ ولها سوران، تليهما ساقية من هذا الوادي.

[وفي سنة أربع عشرة وثلاث مئة]^(٥): زحف أمير زناتة محمد بن خزر إلى تيهرت فحاربها، ثم انهزم عنها، وأخرج عبيد الله الشيعي في أثره موسى بن محمد الكتماني في جماعة من القواد، فدخل محمد بن خزر الصحراء، وأبقى أخاه مع وجوه رجاله بـوادي مطهطة، فدارت بينهم وبين جند الشيعي حرب عظيمة كان الظفر فيها والغلبة لـابن

(١) في م: «ابن أبي سليمان».

(٢) في ر١: «عبد الله».

(٣) في ر١: «أبي».

(٤) الروض المعطار ٥٥٨.

(٥) في ر١: «وفيها»، وكانت ضمن سنة (٣١٣) وهو غلط ظاهر.

خزر، وخالفت على الشيعي مطاطة وما جاورها من قبائل زناتة، واستمدوا ابن خَزَرْ فولى عليهم أخاه عُبيد الله ودارت بينه وبين جنود الشيعي وقائمة كثيرة.

وفي سنة خمس عشرة وثلاث مئة: خرج أبو القاسم بن عُبيد الله المهدى من المهديّة يريد المغرب يوم الخميس لسع ليال خلون من صفر^(١)، وكانت طريقة على القيروان. ثم صار إلى باغية، ثم إلى كُتامة، وتقدم إلى جَبَلٍ فيه بنو بِرْزاَل^(٢)، فامتنعوا عليه، فحاربُهم حتى فتح له عليهم^(٣)، وتوجه إلى مَدْغَرة، ثم إلى سُوق إبراهيم، وأقام في تلك الجهة أكثر من شَهْرٍ لكتب الشتاء وكثرة الـوَحْل، ومَشَى^(٤) عقاباً كثيرة راجلاً لشَدَّة وعراها، وكان يقتاتُ كل يوم بِيضة أو نحوها لكتلة الذِّباب في العَسْكَر؛ أخبر بذلك أبوه لجالسيه عن كتابٍ وردَ عليه منه بذلك إشفاقاً عليه.

وفيها: ظفر أبو القاسم عبد الرحمن بن عُبيد الله بمعلى الداعية بال المغرب فبعثه إلى أبيه مُصَفِّداً فأمر بضرب عنقه برمّلة المهدىّة.

وظفر أيضاً بحَامِمِ الذي كان قد تباً بالجَبَلِ المنسوب إليه بساحل طنجة، وكان قد آمن به بشرٌ كثير من البربر الجهال فشرع لهم صوم يوم الخميس ومن أفطره غرم خمسة أثار، وصوم الاثنين^(٥) فمن أفطره غرم ثورين، ونحو هذا من الباطل والحرمات، وفيه قيل [من الطويل]:

إِلَيْهِمْ بِدِينِ وَاضِحِ الْحَقِّ بَاهِرٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا عَاهِرٌ وَابْنُ عَاهِرٍ
بِمُرْسَلِ حَامِمٍ لَأَوْلُ كَافِرٍ
وَقَالُوا افْتِرَاءً إِنَّ حَامِمَ مُرْسَلٌ
فَقُلْتُ: كَذَبْتُمْ بَدَدَ اللَّهَ شَمْلَكُمْ
فَإِنْ كَانَ حَامِمُ رَسُولًا فَإِنَّنِي

(١) في ر١: «في أوائل صفر».

(٢) في ر١: «مروان» خطأ.

(٣) في ر١: «فيهم».

(٤) في ر١: «وسار».

(٥) قوله: «ومن أفطره غرم خمسة أثار، وصوم الاثنين» سقط من ر١.

رَوْا عن عجوز ذات إِفْكٍ بهيمةٍ
 تُجاوِرَ في أَسْحَارِهَا كُلُّ سَاحِرٍ
 أحاديث إِفْكٍ حاكَ إِبْلِيسُ نُسْجَها
 بِشَرَّتِهِمْ وَاللهُ مُبْدِي السَّرَائِرِ
 وفي سنة ست عشرة وثلاث مئة: فتح أبو القاسم بن عُبيد الله حصن أغزر،
 وذلك أنه نازله يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم^(١)، ونقب السُّورَ
 عليهم حتى سقط؛ وهلك ممَّن كان تحته وفوقه عَدَدُ كثيرٍ. فلما نظروا إلى الغلبة،
 أحرقوا الْأَمْتِعَةَ، وعَرَقُوا الدَّوَابَّ وَالْمَوَاشِيَ، وقاتلوا الشيعة حتى قُتلوا، وأُسْرَ منهم
 من استأسر وانتهَب ما في الحصن. وأجبت هَوَارَةً ولمايةً إلى طاعة الشيعة، فأمَّنهُمْ
 أبو القاسم، ثم سار إلى جهة تِيهَرْت، فأقام بها نَحْوَ شَهْرٍ^(٢). ثم نكب أبو القاسم
 بالجيوش إلى طُبْنَةَ، وانصرف إلى المهدية دون أن يلقى ابن خَزَرَ أمير زناتة. وقيل: إنَّ
 سبب انصرافه أَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ أَخَاهُ أَحْمَدَ صَلَّى بِالنَّاسِ عِيدَ الْفَطْرِ، وَأَنَّ النَّاسَ تَحْدَثُوا
 بِمَبَايِعَتِهِ فَأَقْلَقَهُ ذَلِكَ.

وفيها: كان ابتداءً أمر أبي يزيد مَحْلِدَ بن كَيْدَاد الرَّنَاقِيَّ^(٣)، وهو رجلٌ أخذ
 نفسه بمذاهب النَّكَارِ، يُحَلِّل دماء المسلمين وفروجهم، ويسبُّ عليًّا بن أبي طالب
 رضي الله عنه. وكان أَوَّلَ أمره بِتَقْيُوس^(٤)، يُعَلِّم الصبيان، ويعتقد الخروج على
 السُّلْطَانِ، ويحتسب على الناس في كثير من أفعالهم، وعلى جُبَّةِ الأموال. فغَيَّرَ في هذا
 العام على عامل تَقْيُوس، وأمر بقتله، فقتله أهُلُّ تَقْيُوس، ففرَّ أبو يزيد عند ذلك،
 وخرج إلى الحجَّ. فلما وصل إلى أَطْرَابِ إِبْلِيسِ، وصلَ كتابُ عُبيد الله في طلب قوم من
 البربر، فهربَ هو وصَاحِبُه أبو عَمَّارِ الأَعْمَى، وكان على مذهبِه وضلالة. فكَرَّا إلى
 تَقْيُوس؛ فورَّدَ كتابُ عُبيد الله في طلبه فيها، فما زال يَقُرُّ ويَسْتَرُ، إلى أن ظهرَ أمره بعد.
 وفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة: كان بالقَيْرَوانَ وأعْمَالَهَا غلاء عظيم ووباء.

(١) في ر١: «منتصف المحرم».

(٢) في ر١: «فأقام بها شهرًا».

(٣) ترجمته وأخباره في اتعاظ الحنفا ١ / ٧٥.

(٤) ينظر عنها الروض المعطار ١٣٩.

وفيها: تغلب محمد بن خزر الزناتي على الرَّابِ كُلُّهُ، وملكه جُحملةً.

وفيها: بنى بنو محمد الأدارسة المدينة المعروفة بحاجر النَّسْر.

وفيها: سار^(١) موسى بن أبي العافية إلى مدينة نَكُور، وصاحبها يومئذ المؤيدُ بن عبد البَدِيع بن إدريس بن صالح بن منصور، فحاصره فيها حتى تغلب عليها، واستباحها، وغنمَ ما فيها، وقتل المؤيدَ، وهدمَ أسوارَها^(٢). ثم سار يزيد بنى محمد الأدارسة، وعميدُهم يومئذ الحسن بن عيسى المعروف بابن أبي العَيْش، صاحب جَرَاوَة^(٣)، وهي أشرف مدائن تلك الجهة يومئذ. فنزل عليها، وحاصر ابن أبي العَيْش فيها حتى أوفى على أحذتها. فلما أحسَ ابن أبي العَيْش بالغلبة، خرج في الليل، هاربًا بأهله وولده ومن تبعه، ونجا إلى مَرسى جَرَاوَة المعروف بأكاس، وأنظمه موضع تيكيساس اليوم، فدخل منه البحر، وصار^(٤) بجزائر مَلُوِية. ثم سار إلى جزيرة أَرْشَقُول^(٥)، وهي منيعة لا ثِرام، فتحصن فيها بأهله وولده ومواليه. وجال موسى بن أبي العافية بتلك الجهات، وأخذ مدينة مرينة ومدينة أَرْشَقُول. وهربَ كُلُّ من كان بذلك الجانب منبني محمد بن سليمان، وصارت تلك الأقطار لموسى بن أبي العافية، وأخلى منها قَوَاد بنى خَزَر وعَمَّالَهُمْ، وصار في ملك موسى بن أبي العافية: من أحوازٍ تيهَرت إلى السُّوس الأقصى.

وفي سنة ثمانين عشرة وثلاث مئة: خرج حُمَيْدَ بن يَصَّالَ من المَهْدِيَة إلى تَهَرَت بغير إذن عُبَيْدَ الله وبنى قَلْعَة هنالك، فكتب عُبَيْدَ الله إلى يَصَّالَ بن حَبُّوس أن يوجه حُمَيْدَ إلى المَهْدِيَة^(٦)، ولا يؤخره ساعة واحدة، فرجع حُمَيْدَ إليها، ولم يلْقَ من عُبَيْدَ الله سوءًا.

(١) في ر ١: «صار»، وينظر تاريخ ابن خلدون ٤/١٦.

(٢) في ر ١: «أسوار المدينة».

(٣) ينظر عنها الروض المعطار ١٦٢.

(٤) في أ: «وصل».

(٥) الروض المعطار ٢٦.

(٦) «إلى المَهْدِيَة» ليست في ر ١.

ذكر^(١) مدينة جَرَاوَة^(٢)

كانت مدينة جَرَاوَة عليها سُورٌ مبنيٌ بالطُّوب، وبخارجها عيونٌ مالحة، وداخلها آبارٌ كثيرة طَيِّبة عَذْبَة، وحولها أرباضٌ من جميع جهاتها، وفيها قَصْبَةٌ مانعة، وبها خمسُ حَمَامَات، وجامعٌ له خمسُ بَلَاطَات، أسسَهُ أبو العَيْشِ عيسى بن إدريس سنة سبعٍ وخمسين ومئتين. ولilyها بعده ابنُ الْحَسْنِ بْنُ أَبِي الْعَيْشِ في سنة إحدى وتسعين، وخرج منها إلى حصن المنصورة^(٣) في سنة تسع عشرة وثلاث مئة، ثم عاد إليها في سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، ثم انتقل إلى تِلْمِسَانَ في سنة خمسٍ وعشرين وثلاث مئة. وكان لها أربعة أبواب، وحولها فحوصٌ للزرع والضرع^(٤)، وحولها قُرَى مَدْغَرَة على البحر. وفي الجبل بنيَ زَنَاتَنَ، ومن جهة الشرق بنيَ يَعْرَنَ من زَنَاتَة، ومن جهة الغرب قبائل زَوَاغَة وغَيْرُهُم.

ذكر مدينة تاھرَت^(٥)

وأَمَّا مدينة تاھرَت، فأَسَسَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رُسْتُمَ بْنُ بَهْرَامَ، وَكَانَ مَوْلَى لِعُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ رضي الله عنه، وَكَانَ خَلِيفَةً لِأَبِي الْخَطَّابِ أَيَامَ تَغلِبَهُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ. وَلَا دَخَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ الْقَيْرَوَانَ، فَرَأَى عَبْدَ الرَّحْمَنَ إِلَى الْغَرْبِ بِمَا خَفَّ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْإِبَاضِيَّةُ، وَعَزَّمُوا عَلَى بَنْيَانِ مَدِينَةِ تَجْمِعِهِمْ، فَنَزَلُوا بِمَوْضِعِ تَاهِرَتْ، وَهِيَ غَيْضَةٌ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَنْهَارٍ، فَبَنُوا مَسْجِدًا مِنْ أَرْبَعِ بَلَاطَاتٍ، وَاحْتَطَّ النَّاسُ مَسَاكِهِمْ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحدى وَسَيِّنَ وَمِائَةٍ. وَكَانَتْ فِي الزَّمَانِ الْخَالِيِّ مَدِينَةً قَدِيمَةً، فَأَحَدِثَهَا الْآنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رُسْتُمَ، وَبَقَى بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ ثَمَانِ وَسَيِّنَ وَمِائَةٍ، وَقَدْ تَقدَّمَ ذَكْرُ ذَلِكَ^(٦).

(١) في أ: «صفة».

(٢) كتب أحدهم في حاشية را: «تقع أطلال هذه المدينة اليوم بقبيلة بني يزناس، وهي غير بعيدة عن الحدود المغربية الجزائرية».

(٣) في أ: «المقصورة».

(٤) في أ: «الزرع».

(٥) يقال: تاھرَتْ وَتِيھرَتْ.

(٦) قوله: «وَقَدْ تَقدَّمَ ذَكْرُ ذَلِكَ» لِيُسَ فِي را.

**ذِكْرُ مَنْ مَلَكَ مَدِينَةٍ تَيَهَرْتَ مِنْ حِينَ ابْتِداَئِهَا
مِنْ بَنِي رُسْتُمْ وَغَيْرِهِمْ^(١)**

أَوَّلُهُمْ^(٢): عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رُسْتُمْ: كَانَتْ مَدَّتُهُ بَهَا سَبْعَةَ أَعْوَامَ.
ثُمَّ وَلِيهَا ابْنُهُ عَبْدُ الْوَارِثِ، فَكَانَتْ مَدَّتُهُ بَهَا أَرْبَعينَ^(٣) سَنةً، وَتَوْقِي سَنَةٌ ثَمَانَ
وَمَئَيْنَ^(٤).

ثُمَّ وَلِيهَا ابْنُهُ أَبُو سَعِيدِ أَفْلَحَ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمَئَيْنَ^(٥).
ثُمَّ وَلِيهَا أَيْضًا ابْنُهُ أَبُو بَكْرِ بْنِ أَفْلَحِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رُسْتُمِ،
فَانْخَتَلَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَأَخْرَجَهُ أَهْلُهُ مِنْ تَيَهَرْتَ، ثُمَّ أَعْدَوْهُ إِلَى أَنْ مَاتَ فِيهَا.
وَوَلِيهَا بَعْدَهُ أَخْوَهُ أَبُو الْيَقْظَانِ مُحَمَّدَ بْنَ أَفْلَحَ، فَكَانَتْ مَدَّتُهُ سَبْعًا وَعَشْرِينَ
سَنَةً، وَوَفَّاهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمَئَيْنَ.

وَوَلِيهَا بَعْدَهُ أَبُو حَاتِمَ يُوسُفَ بْنَ أَبِي الْيَقْظَانِ، فَأَقَامَ فِيهَا عَامَّاً، وَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ
النَّاسُ، وَاضْطَرَبَ أَمْرُهُ، فَخَرَجَ إِلَى حِصْنِ لَوَاتَةَ، وَقَامَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ تَيَهَرْتَ حَرَوبٌ
عَظِيمَةٌ.

وَوَلِيهَا بِتَقْدِيمِ أَهْلِهَا يَعْقُوبُ بْنَ أَفْلَحِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
رُسْتُمِ، فَأَقَامَ وَالِيًّا أَرْبَعَةَ أَعْوَامَ، ثُمَّ خَلَعَهُ وَقَدَّمُوا أَبَا حَاتِمَ بْنَ أَبِي الْيَقْظَانِ، فَأَقَامَ
سَتَّةَ أَعْوَامَ إِلَى أَنْ قُتِلَهُ بْنُ أَخِيهِ سَنَةَ أَرْبَعِ وَتِسْعِينَ وَمَئَيْنَ.

ثُمَّ وَلِيهَا يَقْظَانَ بْنَ أَبِي الْيَقْظَانِ، فُقِتِلَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ، فِي خَبْرِ طَوِيلٍ، مَعَ
جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سَتِ وَتِسْعِينَ وَمَئَيْنَ. وَانْقَطَعَ مُلْكُ بَنِي
رُسْتُمِ مِنْ تَيَهَرْتَ فِي هَذَا التَّارِيخِ.

(١) العنوان ليس في ر١.

(٢) في ر١: «فَأَوْلُ مَنْ وَلِيهَا».

(٣) في أ: «عَشْرِينَ».

(٤) في أ: «ثَمَانَ وَثَمَانِينَ وَمَائَةً»، وَهَذِهِ التَّوَارِيخُ كُلُّهَا فِيهَا نَظَرٌ وَاخْتِلَافٌ بَيْنَهُ.

(٥) هَكُذا فِي النَّسْخَتَيْنِ، وَفِيهِ نَظَرٌ أَيْضًا.

وليها في أيام الشيعة أبو حميد دوّاس اللهميسيُّ، ولاه أبو عبد الله الداعي^(١) حين خروجه منها إلى سجلماسة، فأقام فيها ستة أشهر، حتى أتته العساكر من إفريقية، فافتتحها في سنة تسع وتسعين ومئتين. ولها مصالحة بن حبُّوس المكناسيُّ، إلى أن قتله محمد بن خَزَر الزَّناتِيُّ في شعبان سنة اثنتي عشرة وثلاث مئة، فكانت ولادته بها ثلاثة عشرة سنة. ولها بعده أخوه يَصَلَّ بن حبُّوس إلى أن تُوفي سنة تسع عشرة وثلاث مئة. ثم ولها أبو مالك بن يَغْمُرَاسِنَ بن أبي شحمة اللهميسيُّ، فقام عليه أهلُ البلد، وأخرجوه سنة ثلاثة وعشرين وثلاث مئة، ولها أبو القاسم الأحدب بن مصالحة بن حبُّوس، قدّموه على أنفسهم، فأقام عليهم سنة واحدة، فلما انصرف منصور^(٢) من أرض المغرب إلى إفريقية، حاربهم حتّى ظفر بالبلد، وقتل أبا القاسم بن مصالحة المذكور، وولى على تيهُرت داود بن إبراهيم العجّيسيَّ، فأقام واليَا عليها إلى أن أخرجه حُمَيْدَ بن يَصَلَّ في جُهادِي الآخرة من سنة ثلاثة وثلاثين وثلاث مئة، في أيام أبي يزيد مَخْلُدَ بن كِيدَادَ الْيَقْرَنِيَّ، وخرج حُمَيْدَ بن يَصَلَّ من تيهُرت، في سنة ثلاثة وثلاثين وثلاث مئة، في خبر يطول ذكره، وجازَ إلى الأندلس. واحتلَّ إسماعيل الشيعيُّ مدينة تيهُرت، وولى عليها مَيسُورًا الفتَّى، فاضطرب عليه أهلُ البلد لآنَ سار فيهم بسيرة غير مرضيَّة، فاستدعوا محمدَ بن خَزَر الزَّناتِيَّ، وابنه الخَيْر، ومن معهم من زَنَاتَة، فقدموا إلى تيهُرت في جمع عظيم، وأظهروا أنَّهم ناصرون لمَيسور، فخرج إليهم فعدروه وأسروه. ودخل بنو خَزَر وزَنَاتَة مدينة تيهُرت، وزلوا دار الإمارة. ثم اضطرب أمرُ أهلِ تيهُرت، وتغلَّب عليها يَعْلَى بن محمد الْيَقْرَنِيُّ الرَّناتِيُّ، إلى أن قدم جَوَهَر، قائدُ الشيعة، سنة تسع وأربعين وثلاث مئة.

وكانت حَوْلَ تيهُرت بساتينٌ من أنواع الشَّمار، كثيرةُ الأشجار، وهي شديدةُ البرد، كثيرةُ الأمطار. قيل لبعض الظرفاء من أهلها: كم الشَّناءُ عندكم من شهر في السنة؟ قال: ثلاثة عشر شهراً، وقال بعض شعراء تيهُرت من قصيدةٍ أولُها^(٣) [من الطويل]:

(١) ليس في أ.

(٢) في أ: «ميسور».

(٣) في ر: «وفي ذلك يقول بعضهم».

وَيَوْمُ الْهَوَى حَوْلٌ وَيَعْضُ الْهَوَى كُلُّ
وَقُرْبُ الْهَوَى بُعْدٌ وَوَعْدٌ^(١) الْهَوَى مَطْلُ
بِسَاحِتِهَا^(٢) غَيْثًا يَطِيبُ بِهِ الْمَحْلُ
وَلَمْ يَجْتِمِعْ وَصْلٌ لَنَا وَلَا شَمْلٌ^(٣)
تَدَاعَتْ أَهَاضِيبُ النَّوَى وَهِيَ تَنْهَلُ
سَلَامًا وَلِكِنْ فَارَقْتُ وِيهَا ثُكْلُ
وَلِكِنَّهَا الْأَرْوَاحُ تَجْرِي وَتَنْسَلُ

: وَمِمَّا قِيلَ حِينَ قَضَى اللَّهُ بُخْرَاهَا، وَانْتِقالِ أَهْلِهَا عَنْهَا وَأَرْبَابِهَا [مِنَ الطَّوِيلِ]

عَلَى طَلَلٍ أَقْوَى وَأَصْبَحَ أَغْبَرَا
عَفَّتُهُ الْغَوَادِي الرَّائِحَاتُ فَأَفْقَرَا
فَدَمَرَهَا الْمُقْدَارُ فِيمَنْ تَدَمَرَا

. وَتِيهَرْتُ الْقَدِيمَةُ هَذِهُ هِيَ الَّتِي خَرَبَهَا الْخَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ خَزَرَ الزَّنَاقُ.

وَفِي سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةِ وَثَلَاثِ مِئَةٍ: كَاتِبُ مُوسَى بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ، وَرَاغَبٌ فِي مَوَالَتِهِ، وَالدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ، وَأَنْ يَسْتَمِيلَ لَطَاعَتِهِ^(٤) أَهْوَاءً
أَهْلَ الْعُدُوَّةِ الْمُجَاوِرِينَ لَهُ، فَتَقَبَّلَهُ أَحْسَنَ قَبْوُلٍ، وَأَمْدَهُ بِالسَّخْلَعِ وَالْأَمْوَالِ، وَقَوَى يَدَهُ^(٥)

فَرَاغُ الْهَوَى شُغْلٌ وَمَحْيَا الْهَوَى قَتْلُ
وَجُودُ الْهَوَى بُخْلٌ وَرِسْلُ الْهَوَى عَدَى
سَقَى اللَّهُ تِيهَرْتَ السُّمَّا وَسُوْيَقَةَ
كَانْ لَمْ يَكُنْ وَالدَّارُ جَامِعَةُ لَنَا
فَلَمَّا تَقَانَى الطَّيْبُ^(٦) وَانْشَقَتِ الْعَصَاصَا
سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَمْ تُطِقْ يَوْمَ بَيْنَنَا
وَمَا هِيَ آمَاقٌ تَفِيْضُ دُمُوعُهَا

خَلِيلَيَّ عُوجَاجَا بِالرُّسُومِ وَسَلَّمَا
أَلِّيَا عَلَى رَسْمِ بِتِيهَرْتَ دَائِرِ
كَانْ لَمْ تَكُنْ تِيهَرْتَ دَارًا لِمَعْشِرِ

(١) فِي أَ، مِنْ: «وَسِيقَ».

(٢) فِي أَ: «بِسَاكِنَهَا».

(٣) فِي أَ: «وَصْلٌ».

(٤) فِي أَ: «تَمَادِي الْعِيشِ».

(٥) فِي أَ: «لَهُ».

(٦) فِي أَ: «أَوْدَهُ».

على ما كان يُحاوله من حَرْب ابن أبي العَيْش وغيره^(١). فظهر أَمْرُ موسى من ذلك الوقت وتغلَّب على مدينة جَرَاوَة، وأخرج عنها^(٢) الحَسَن بن أبي العَيْش بن إِدْرِيس العَلَوَيَّ، ودارت بينهما مُحَارَّبات وموَاقِعات. وبَنَى الحَسَنُ بن أبي العَيْش حِصْنًا مَيْنَعًا بِجَبَلٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَرَاوَة^(٣) أَرْبَعَةُ أمِيالٍ، وَحَوْلَهُ قُرْيَّا لِمَدْغَرَة، وَبَنَى يَقْرُنَ، وَغَيْرُهُم مِنَ الْقَبَائِلِ. وَكَانَ لِأَبِي العَيْشِ أَيْضًا وَبَنِيهِ مَدِينَةً تِلْمِسَانَ وَمَا وَالْأَهَا، يَسْكُنُهَا مُثْلُ زُواغَةَ وَنَفْزَةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَكْرُ بْنُ حَمَادَ [من الكامل]:

سَائِلُ زُواغَةَ عَنْ طَعَانِ سُيوْفِهِ
وَرَمَاهُ فِي الْعَارِضِ المَتَهَلِّ
وَدِيَارَ نَفْزَةَ كَيْفَ دَاسَ حَرِيمَهَا
وَالخَيلُ تَرَغُّ فِي الْوَشِيجِ الدَّبَّلِ
غَشَّى مَغِيلَةَ بِالسِّيَوْفِ مُذَلَّةً
وَسَقَى جَرَاوَةَ مِنْ نَقْيَعِ الْحَنْطَلِ
وَمِنْ جَرَاوَةَ إِلَى تِيَهَرْتِ ثَلَاثُ مَرَاحِلِ، وَإِلَى حِصْنِ تَامَّعَلْتِ مِنْ حَلْتَانِ، يَسْكُنُهُ
بَنُو دَمَرَ مِنْ زَنَاتَةِ.

ذكر مدينة تِلْمِسَان

ذُكِرَ أَنَّ تِلْمِسَانَ قَاعِدَةُ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ، قَالَهُ الْبَكْرِيُّ، وَصَحَّ قَوْلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَخْبَارِيِّينَ، وَمِنْ كِتَابِ رُجَار^(٤)، قَالَ: وَبَيْنَ مَدِينَةِ تِلْمِسَانَ وَتِيَهَرْتَ، يَسْكُنُ بَنُو مَرِينَ وَجَمِيعِ قَبَائِلِ زَنَاتَةِ، مِنْهُمْ: تُجِينُ، وَمَغْرَاوَةُ، وَبَنُو رَاشِدٍ، وَوَرْتِيدٍ، وَغَيْرُهُمْ. قَالَ: وَأَكْثُرُهُمْ فُرْسَانٌ يَرْكِبُونَ الْخَيْلَ، وَلَهُمْ مَعْرِفَةٌ بَارِعَةٌ، وَحَذْقٌ، وَكِيَاسَةٌ، لَاسِيَّا بِعِلْمِ الْكَتِيفِ. وَهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَى جَانَانِ. قَالَ: وَزَنَاتَةُ فِي أَصْلِ^(٥) مَذَهِبِهِمْ عَرَبٌ صُرْحٌ، وَإِنَّهَا تَبَرِّرُوا بِالْمُجاوِرَةِ وَالْمُحَاوَلَةِ لِلْبَرَّبِرِ. وَذُكِرَ أَنَّهُمْ يَتَسْبِيُونَ إِلَى بَرَّ بْنِ قَيْسَ بْنِ إِلِيَّاسَ بْنِ مُضَرِّ.

(١) ليست في ر١.

(٢) في ر١: «منها».

(٣) من هنا إلى قوله بعد الشعر: «وَمِنْ جَرَاوَةَ» سقط كلُّهُ من ر١ كأنَّه قفز نظر.

(٤) يعني: نزهة المشتاق للإدريسي.

(٥) ليست في ر١.

ذكر سبعة

وفي سنة تسع عشرة وثلاث مئة: هذه المؤرخة، افتتح الناصرُ لِدِينَ الله^(١) الأمويُّ مدينةً سبعة على بحر الزُّقاق من بَرِّ العُدوة، التي هي نظامُ باب المغارِبِينَ، ومفتاحُ باب المَشْرِقِينَ^(٢)، وهي، على ما قيل، مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ، قاعدةُ البر والبحر، وللؤلؤةُ الحالةُ من الدُّنيا بين السَّخْرِ والنَّحْرِ. وفي فتحها يقول عُبَيْدُ اللهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ إِدْرِيسَ، يُحَااطِبُ النَّاصِرَ [من الطويل]:

بِسَيِّفِكَ دَائِتْ عَنْوَةً وَأَقَرَّتِ
وَلَا حُلِّيَّتْ بِالرَّزِّي لَمَّا تَحَلَّتِ
عَزَائِمُ لَوْ تَرْمِي بِهَا الْغُصْنُ زَلَّتِ
تُدَالُ بِحَمْدِ اللهِ مِنْ شَرِّ دَوْلَةِ
بَشَاءُرُهُ^(٣) تَرْوِيَ الْأَنَامَ بِسَبْتَةِ
فَهَذَا أَوَانُ النَّصْرِ مِنْهَا وَهَذِهِ

فَشَكَّهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرُ بِالرِّجَالِ، وَأَنْقَنَهَا بِالْبَنِيَانِ، وَبَنَى سُورَهَا بِالْكَذَانِ^(٤)، وَأَلْرَمَ فِيهَا مِنْ رَضِيَّهُ مِنْ قُوَّادِهِ وَأَجْنَادِهِ، وَصَارَتْ مَفْتَاحًا إِلَى الْعُدوَّةِ، قَالَ عَرِيبٌ: وَبَابًا إِلَيْهَا، وَثَقَافًا عَلَى الْمَرَاسِيِّ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ، وَقَامَتِ الْخَطْبَةُ فِيهَا بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِثَلَاثَ خَلْوَنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ عَامِ الْمُؤَرَّخِ^(٥). وَوَرَدَ الْخَبْرُ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بِالْمَهْدِيَّةِ بِدُخُولِ مُوسَى بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ وَأَهْلِ سَبْتَةِ فِي طَاعَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ، وَأَنَّ مَرْكَبًا نَزَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ بِمَرْسِيِّ جَرَاؤَةِ لَمَوْسَى بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْعِيشِ، وَأَخْذَ مَا كَانَ فِيهِ. فَكَاتَبَهُ مُوسَى وَكَاتَبَ قَاضِيَهُ،

(١) «لِدِينِ اللهِ» لِيُسَيِّرُ فِي ر١.

(٢) فِي ر١: «وَمَفْتَاحُ الْبَرِّيْنِ».

(٣) فِي ر١: «تَبَاشِيرِهِ».

(٤) قَوْلُهُ: «وَبَنَى سُورَهَا بِالْكَذَانِ» لِيُسَيِّرُ فِي ر١، وَالْكَذَانُ: نَوْعٌ مِنَ الْحِجَارَةِ.

(٥) فِي ر١: «السَّنَةِ».

فلم يصرف إليه، وأحرق ابن أبي العافية^(١) بسيط جَراوة وتجول في البلاد أيامًا، ودارت^(٢) بين ابن أبي العيش [وبين ابن أبي العافية]^(٣) مراسلات، ورغم ابن أبي العيش في مصالحته، وصرف ما كان أخذه له، واصطلحا. ثم عادت الحرب بينهما، وذلك شيء يطول ذكره هنا. وعظم على الشيعي ما ورده من هذا الأمر وأقلقه، وكتب إلى القبائل في الغرب يحضهم على طاعته.

ومدينة سبتة مدينة أَزْلِيَّة، على ضفة البحر الْرُّومي، وهو بحر الرُّفاق الداخل في البحر المحيط، وهي في طرف من الأرض، والبحر محيط بها من كل ناحية إلا موضعًا ضيقًا جدًا، لو شاء أهلها أن يصلوا بالبحر الآخر^(٤)، لفعلوا، فتصير من جُزر البحر. ويجلب الماء إلى حَمَاماتها من البحر. وأهلها عَرَبٌ وبَرِبرٌ. ولم تزل دار علمٍ. وبشرقيها جَبَلٌ مُنِيفٌ داخلٌ في البحر، والبحر محيط به، ويُلْقَط في بعض نواحي هذا الجبل ياقوت صغير الحِرم، عَرِيقٌ في الجودة. وبحرها يُسْتَخْرُج منه المُرْجان، وهو البُسْدَن.

وأختلف في تسميتها بسببة، فقال قوم: سُمِّيت بذلك لانقطاعها في البحر، تقول العرب: «سبَّت النَّعْل» إذا قطعته، وقال آخرون: إن رجلاً من ولد سام بن نوح عليه السلام اسمه سبَّت خَرَج من المشرق لأسباب عَرَضَت له، فتوغل في المغرب حتى أتى موضعها، فاختلط فيه موضعًا يَعْمُره. ويدرك أشياخنا الحديث المستند عن وَهْب بن مَسْرَة الْحَجَرِي^(٥)، وذلك أن أبا عبد الله محمد بن علي حدَّتهم عام أربع مئة عن وَهْب بن مَسْرَة، عن ابن وَصَاح، عن سُحْنُون، عن ابن القاسم، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إن بأقصى المغرب

(١) في را: «العيش».

(٢) من هنا إلى قوله: «وَعَظِيم» ليس في را.

(٣) ما بين الحاصلتين زيادة متعينة.

(٤) في را: «الأخضر».

(٥) هو وَهْب بن مَسْرَة بن مفرج بن حكم التميمي، من أهل وادي الحجارة المتوفى به في سنة ١٣٤٦هـ.

مدينةٌ تُسمَّى سَبْتَة، أَسَسَهَا رَجُلٌ صَالِحٌ اسْمُهُ سَبْتٌ مَنْ وَلَدَ سَامَ بْنَ ثُوْحَ، وَاشْتَقَّ
لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ، وَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ وَالنَّصْرِ، فَمَا رَامَهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ بِأَسْهِ
عَلَيْهِ». قَالَ ابْنُ حَمَادَهُ: قَالَ شِيخُنَا الْعَالَمُ أَبُو الْفَضْلِ عَيَّاضُ بْنُ مُوسَى: وَهَذَا
الْحَدِيثُ تَشَهَّدُ بِصَحَّتِهِ التَّجْبِيرَةُ، فَإِنَّهَا مَا زَالَتْ مَحْمِيَّةً عِنْدَ مَنْ وَلَيَّهَا مِنَ الْمُلُوكِ،
وَقَلَّ مَا أَحْدَثَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِيهَا حَدَثَ سُوءٌ إِلَّا هَلَكَ^(١).

قَالَ الْعُذْرَىُّ: كَانَ مَلَكُ مِنْ مُلُوكِ الْقُوْطِ بِالْأَنْدَلُسِ يُسَمَّى نَرْدُوشُ^(٢)، فَجَازَ
الْبَحْرَ إِلَى سَبْتَةِ لِمُحَارَبَةِ الْبَرْبِرِ، فَحَاصَرُوهُمْ فِيهَا، ثُمَّ تَأَلَّفُوا عَلَيْهِ، فَأَمْكَنَتْهُمْ مِنْهُمْ
غَرَّةً، فَقُتِلُوهُمْ^(٣)، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ. وَرَجَعَ نَرْدُوشُ^(٤) إِلَى الْأَنْدَلُسِ. وَبِقِيَ
الْبَرْبِرُ فِيهَا إِلَى أَنْ دَخَلَ الرُّومُ ثَانِيَّةً، وَكَانَ فِيهَا يَلْيَانُ. وَكَانَ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ لَمَّا غَزَا الْمَغْرِبَ وَدَوَّخَهُ كَلَّهُ، وَصَلَّى إِلَى سَبْتَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ يَلْيَانُ بِهَدَايَا وَتُحَفَّ،
وَاسْتَلْطَفَهُ، وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَتَجْرِيَّةً، فَأَمَّنَهُ عُقْبَةُ، وَأَقْرَأَهُ عَلَى مَوْضِعِهِ، ثُمَّ دَخَلَهَا
الْعَرَبُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالصَّلْحِ، ثُمَّ قَامَ الْبَرْبِرُ بِطَنْجَةٍ، وَزَحَفُوا إِلَيْهَا، فَأَخْرَجُوا مِنْ كَانَ
فِيهَا، وَخَرَبُوهَا، وَبَقِيَتْ مَسْكَنًا لِلْوَحْوَشِ مَدَّةً. ثُمَّ دَخَلَهَا رَجُلٌ مِنْ غُمَارَةٍ، يُسَمَّى
مَاجْكُسُ، فَعَمَرَهَا، وَأَسْلَمَ، وَرَأَسَ فِيهَا، وَانْصَافَتْ لِهِ الْبَرْبِرُ، إِلَى أَنْ هَلَكَ، ثُمَّ
وَلَيْهَا بَعْدَهُ ابْنُهُ عَصَامُ بْنُ مَاجْكُسٍ، ثُمَّ ابْنُهُ مَجْبُرُ بْنُ عَصَامٍ. ثُمَّ وَلَيْهَا الرَّاضِيُّ بْنُ
عَصَامٍ، وَكَانَ يَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِ فَقَهَاءِ الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ دَخَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَلْشَانَةَ، فَاشْتَرَوَا
فِيهَا أَرْضًا مِنَ الْبَرْبِرِ، وَبَنَوْا فِيهَا دُورًا وَمَا تَلَّمَ مِنْ سُورِهَا الَّذِي هُوَ الْيَوْمُ السَّتَّارَةُ،
وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ يَؤْدُونَ الطَّاعَةَ لِبَنِي إِدْرِيسٍ، حَتَّى افْتَحَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ،
وَدَخَلَهَا قَائِدُهُ فَرَّاجُ بْنُ عُفَيْرٍ يَوْمَ الْجَمْعَةِ لِلْلَّيْلَةِ خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعَةِ عَشَرَةَ
وَثُلَاثَ مِئَةً.

(١) هَذَا حَدِيثٌ مُوْضُوعٌ، لَا يَصْحُ بِحَالٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَلَامُ ابْنِ حَمَادَةِ لَا قِيمَةُ لَهُ.

(٢) فِي أَوْ: «بَرْدُوش»، وَسِيَّاتِي بَعْدَ قَلِيلٍ فِي ر١ بِاسْمِ «مَرْدُوش»!

(٣) فِي أَوْ: «فَقْتَلُوهُ».

(٤) فِي أَوْ: «بَرْدُوش»، وَفِي ر١: «مَرْدُوش»، وَفِي م: «تَوْدُوش».

ذِكْرُ مَنْ وَلَيَ سَبْتَةَ لَبْنِي أُمَّيَّةَ

فوليها من قبَيل الناصر فرجُ بن عُقَيْر سنة تسع عشرة وثلاث مئة المذكورة. ثم ولها أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْغَرْنَاطِيُّ، ثُمَّ ولها مُحَمَّدُ بْنُ حِزْبِ اللَّهِ سنَةُ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً، ثُمَّ عُزْلٌ. ولها مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي سنَةِ سَتِّ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً، ثُمَّ عُزْلٌ. ولها ابْنُ مَسْلَمَةَ أَيْضًا إِلَى سنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً. ثُمَّ ولها ابْنُ مُقاَاتِلٍ إِلَى أَنْ أُسِرَ فِي شَوَّالِ سنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً، أَسْرَهُ عَنْهُمْ بَنُو مُحَمَّدِ الْأَدَارِسَةِ، إِلَى أَنْ لَحِقَّهُمْ قَاضِيهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عِيسَى^(١) فِي رَمَضَانَ سنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً، فجنه بَنُو مُحَمَّدٍ إِلَى السَّلْمٍ عَلَى يَدِي الْقَاضِيِّ، فَأَطْلَقُوا ابْنَ مُقاَاتِلٍ، وَبَعْثَوْا رَهَانَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ بِقَرْطُبَةَ، وَلَمْ يَزُلْ وُلَاءُ النَّاصِرِ يَتَدَوَّلُونَهَا إِلَى سنَةِ سَتِّ وَأَرْبَاعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً.

وَفِي سنَةِ عَشَرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ: سَارَ أَمِيرُ الْغَرْبِ إِلَى مُحَمَّدٍ بْنِ خَزَرَ أَمِيرِ زَنَاتَةِ فَأَلْفَاهُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ وَهَزَمَهُ وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى جَرَاؤَةَ، وَلَمْ يُظْهِرْ مُوسَى بْنُ أَبِي الْعَافِيَّةِ الدُّعُوَّةَ لِلنَّاصِرِ الْأَمُوَّيِّ إِلَّا بَعْدَمَا تَغلَّبَ عَلَى نُكُورِ وَدُخُلَّهَا بِالسَّيْفِ وَبَعْدَ أَنْ حَاصَرَ مَدِينَةَ حَجَرَ النَّسْرِ حَتَّى صَالَحَهُ.

وَفِي سنَةِ إِحْدَى وَعَشَرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ: وَلَيَ سِجْلِمَاسَةَ أَبُو الْمُنصُورِ سَمْعُونَ^(٢) بْنَ الْمُعْتَزِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ عَشَرَةَ سنَةً، فِيمَكَثَ فِي لَاهِيَّةِ شَهْرَيْنَ. وَقَامَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ الْمُسْمَى بِالْأَمِينِ، فَحَارَبَهُ، وَتَغلَّبَ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ سِجْلِمَاسَةَ، وَتَمَكَّنَ كُلَّهَا. وَكَانَ سُنْنِيَا يُظْهِرُ الْعَدْلَ، إِلَّا أَنَّهُ تَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَلَقَّبَ بِالشَّاكِرِ اللَّهِ، وَضَرَبَ بِذَلِكَ الدِّنَانِيرَ وَالدِّرَاهِمَ، وَذَلِكَ سنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَاعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً، فَمَكَثَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ قَرُبَتْ مِنْهُ عَسَكِرُ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدَ الْعُبَيْدِيِّ.

ذِكْرُ مَنْ وَلَيَ سِجْلِمَاسَةَ مِنْ حِينِ فَتَحَهَا الشَّيْعَيُّ

وَلَيَ عَلَيْهَا الشَّيْعَيُّ الْمَزَاتِيُّ الْمَتَقدِّمُ ذَكْرُهُ فِي سنَةِ ثَيَانٍ وَتَسْعِينَ وَمَئِينَ، فَقُتِلَهُ أَهْلَ سِجْلِمَاسَةَ بَعْدَ إِقَامَتِهِ خَمْسِينَ يَوْمًا. وَلَهُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْأَمِينِ سَنَتَيْنَ وَأَشْهُرًا،

(١) تنظر ترجمته في جذوة المقتبس (١٠٧) والتعليق عليه.

(٢) في أ: «سمغول».

ثم وللها أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِينِ سَنَةً ثَلَاثَ مِائَةً، وَبَقَيَّ بِهَا إِلَى أَنْ حَاصِرَهُ مَصَالَةُ بْنُ حَبْوَسٍ، وَفَتَحَهَا عَنْهُ، وَقُتِلَّهُ، فِي مُحَرَّمٍ سَنَةً تِسْعَ وَثَلَاثَ مِائَةً. وَوَلَّ مَصَالَةُ عَلَى سِجْلَمَاسَةِ الْمُعْتَزِّ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ بَنِي مِدْرَارٍ، وَبَقَيَّ بِهَا إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً الْمُؤْرَخَةُ، وَتُوفِيَّ، فَوَلَّهَا^(۱) أَبُو الْمُنْصُورِ الْمَذْكُورِ.

وَفِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ: تُوفِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ لِلَّيْلَةِ الْثَلَاثَاءِ لِلنَّصْفِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، فَكَانَتْ مُدَّتُهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَعَشْرَةً أَشْهُرٍ وَنِصْفًا^(۲). وَكَانَ وَصْوْلُهُ إِلَى مِصْرَ فِي زِيَّ التَّجَارِ سَنَةً تِسْعَ وَثَمَانِينَ وَمِئَتَيْنِ. وَظَهَرَ بِسِجْلَمَاسَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَتَّ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ. وَسُلِّمَ عَلَيْهِ بِالإِمَامَةِ. وَانْفَصَلَ إِلَى رَقَادَةِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ سَبْعَ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ. وَبَنَى الْمَهْدِيَّةَ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا سَنَةً ثَمَانَ وَثَلَاثَ مِائَةً. وَلَا انتَقَلَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، دَخَلَ رَقَادَةَ الْوَهْنُ، وَانْتَقَلَ عَنْهَا سَاكِنُوهَا، فَلَمْ تَرَأْ سَخْرَبَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، إِلَى أَنْ وَلَيَ مَعْدُونَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، فَخَرَّبَ مَا بَقَيَّ مِنْهَا.

ذَكْرُ رَقَادَةِ

وَكَانَتْ رَقَادَةُ دَارِ مُلْكِ بَنِي الْأَغْلَبِ، وَيُذَكَّرُونَ أَنَّ مِنْ دَخْلِهَا لَمْ يَزِلْ ضَاحِكًا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَأَنَّ أَحَدَ مُلُوكِ بَنِي الْأَغْلَبِ شَرَدَ عَنِ النَّوْمِ، فَلِمَا وَصَلَ إِلَيْهَا، نَامَ، فَسُمِّيَّتْ رَقَادَةُ فَاسِطَوْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ، وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ الْقَصْرِ الْقَدِيمِ، فَبَنَى بَهَا قُصُورًا عَجَيْبَةً، وَجَامِعًا وَحَمَامَاتٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَكَانَ تَأْسِيسُهَا سَنَةً ثَلَاثَ وَسِتَّينَ وَمِئَتَيْنِ، وَتَأْسِيسُ الْقَصْرِ الْقَدِيمِ سَنَةً أَرْبَعَ وَثَمَانِينَ وَمِئَةً. وَكَانَ ابْنُ الْأَغْلَبِ مَنْعَ بَيْعَ الشَّرَابِ بِالْقَيْرَوَانِ، وَأَبَاحَهُ بِرَقَادَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ [مِنَ الْمَسْرَحِ]:

وَمِنْ إِلَيْهِ الرَّقَابُ مُنْقَادَةُ	يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَابْنَ سَيِّدِهِمْ
وَهُوَ حَلَالٌ بِأَرْضِ رَقَادَةِ	مَا حَرَمَ السَّخْمَرُ فِي مَدِينَتِنَا

(۱) فِي رِأْيٍ: «فَوْلِي».

(۲) الْكَاملُ لَابْنِ الْأَثِيرِ / ۸۴۲.

ذِكْرُ الْمَهْدِيَّةِ وَالقَيْرَوَانِ

وَأَمَّا الْمَهْدِيَّةُ، فَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْمَهْدِيِّ عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ، فَإِنَّهُ^(١)، لَا تَغْلِبُ عَلَى الْمُلْكِ، تَلَقَّبُ بِالْمَهْدِيِّ، وَسَمِّيَ مَدِيَّتَهُ الَّتِي بَنَاهَا بِلَقْبِهِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَيْرَوَانِ سَتُونَ مِيلًا. وَقَوِيَتْ فِي أَيَّامِهِ وَأَيَّامِ ابْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ، وَحَفِيدِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَصَدْرًا مِنْ دُولَةِ مَعْدَنِ إِسْمَاعِيلِ، حَتَّى انتَقَلَ مِنْهَا مَعْدُونَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، لَمَّا مَلَكَ مِصْرَ وَبَنَى الْقَاهِرَةَ الْمُعْرِيَّةَ، نَسْبَةً إِلَى لَقْبِهِ الْمُعِزِّ بِاللَّهِ. فَضَعُفَتْ إِذَا ذَاكَ الْمَهْدِيَّةَ إِلَى أَنْ اسْتُوْطِنَهَا الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسِ^(٢) آخِرَ أَيَّامِهِ لَهَا خَرِبَتِ الْقَيْرَوَانَ بِهِزِيمَةِ الْمُعِزِّ الْمَذْكُورِ، إِلَى أَنْ تُؤْتَقِيَ بِهَا، وَوَلِيهَا بَعْدَهُ ابْنُهُ تَسِيمِ^(٣) بْنُ الْمُعِزِّ، وَصَارَتْ دَارُ مَلْكِهِ، وَوَلْدُهُ يَحْيَى^(٤) بْنُ تَسِيمِ بَعْدَهُ، وَوَلْدُهُ عَلِيُّ^(٥) بْنُ يَحْيَى بَعْدَهُ، وَوَلْدُهُ^(٦) الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَهُ، إِلَى أَنْ تَغْلِبَ عَلَيْهَا الرُّومُ سَنَةَ ثَلَاثَ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مَائَةَ، وَمَكْثُوا بِهَا نَحْوَ ثَمَانِيِّ سَنِينَ إِلَى أَنْ أَخْرِجُوهُمْ مِنْهَا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ^(٧) بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ الْمُحَاصَرَةِ، وَبَقِيتْ لِلْإِسْلَامِ إِلَى الْآنِ. وَبِهَا دَارَ صَنْعَةِ الإِنْشَاءِ الْعَجِيَّةِ: يَخْرُجُ الْجَفْنُ مَغْمُورًا مِنْ خَلْفِ السُّورِ، فَلَا يُعْلَمُ بِهِ حَتَّى يَفْجُأَ الْعَدُوَّ الْقَاصِدَ، فَيُحْيِطَ بِهِ، فَلَا يَقِرُّهُ الْعَدُوُّ لِأَجْلِ ذَلِكِ.

وَأَمَّا الْقَيْرَوَانُ، فَكَانَتْ أَعْظَمُ مُدُنِ الْمَغْرِبِ طُرُّاً، وَأَكْثَرُهَا بَشَرًا، وَأَيْسَرَهَا أَمْوَالًا، وَأَوْسَعَهَا أَحْوَالًا. وَكَانَ الْعَالِبُ عَلَى أَهْلِهَا التَّمْسِكَ بِالْخَيْرِ وَالتَّخَلِّي عَنِ الشُّبُّهَاتِ، وَاجْتَنَابَ الْمَحَارِمِ، إِلَى أَنْ تَوَالِي الدَّمَارِ^(٨) عَلَيْهَا بِدُخُولِ الْعَرَبِ لَهَا، عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ^(٩).

(١) مِنْ هَنَا إِلَى قَوْلِهِ: «بِلَقْبِهِ» لَيْسَ فِي أَ.

(٢) يَنْظُرُ عَنْهُ تَارِيخُ الْإِسْلَامِ ٤٣ / ١٠.

(٣) تَرْجُمَتْهُ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ٢٤ / ١١.

(٤) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ ١٣٢ / ١١.

(٥) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ ٢٤٣ / ١١.

(٦) مِنْ هَنَا إِلَى قَوْلِهِ: «ثَمَانِيِّ سَنِينَ» سَقْطٌ مِنْ أَ، مِ.

(٧) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ ١٣٩ / ١٢.

(٨) فِي أَ: «تَوَالِتُ الْجَوَافِعُ».

(٩) لَيْسَ فِي رِ.

في موضعه، فلم يبق بها إلا أطلال دارسة، وآثار طامسة. ويذكر أنها ستعود إلى ما كانت عليه. وهي الآن في وقتنا هذا، وهو^(١) آخر المئة السابعة، قد ابتدأت بالعماره^(٢).
 وملك عبيد الله الشيعي إفريقيه، وجميع المغرب، وأطرابليس، وبرقة، وجزيره
 صقلية، وكانت عماله على ذلك كله^(٣). وصيّر ولده ولـ عهده إلى مصر، ففتحها،
 وكانت الكتب تنفذ في أيامه باسم ولده. وكان له ستة أولاد: أكبرهم ولـ عهده أبو
 القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله وكان عمـ عبيد الله الشيعي، المتلقب بالمهدي، يوم
 مات، ثلاثة وستين سنة^(٤).

ذكر^(٥) ولاية أبي القاسم بن عبيد الله إفريقيه

بُويع له يوم مات أبوه متصفـ ربيع الأول من سنة اثنين وعشرين وثلاث مئة
 المؤرخة، وتلقب بالقائم بأمر الله. وتوّفي يوم الأحد الثالث عشر لشوال سنة أربع
 وثلاثين وثلاث مئة. فكانت دولته اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر^(٦)، وعمـة خمس
 وخمسون سنة^(٧). أولاده الذكور سبعة. حاجـه: جعفر بن عليـ. ومن قضاـه: ابن أبي
 المنهـلـ. ولم يركـب أبو القاسم طـول إمارته بـمـظـلة^(٨)، فقام^(٩) بـسـيـرةـ أبيـهـ، وأـظـهـرـ
 من الحـزـنـ عـلـيـهـ ما لمـ^(١٠) يـعـهـدـ لـمـلـيـهـ، وـواـصـلـ^(١١) الـحـزـنـ لـفـقـدـهـ، وأـدـأـمـهـ من بـعـدهـ؛

(١) في رـاـ: «ـوـهـيـ».

(٢) هذا نص مهم في إثبات الزمن الذي ألف فيه الكتاب.

(٣) قوله: «وكانت عماله على ذلك كله» ليس في رـاـ.

(٤) في أـ: «ـأـبـوـ القـاسـمـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـبـيدـ اللهـ الشـيـعـيـ المتـلـقـبـ بـالـمـهـدـيـ، وـعـمـهـ، أـعـنـيـ عـبـيدـ اللهـ، ثـلـاثـ وـسـتـونـ سـنـةـ»، وـماـ أـثـيـنـاهـ مـنـ رـاـ وـهـوـ أـجـودـ.

(٥) لـفـظـةـ «ـذـكـرـ» لـيـسـتـ فـيـ رـاـ.

(٦) في رـاـ: «ـوـسـبـعـةـ عـشـرـ يـوـمـاـ»، وـهـوـ غـلـطـ يـؤـكـدـهـ مـاـ ذـكـرـ مـنـ تـارـيـخـ تـولـيـهـ وـتـارـيـخـ وـفـاتـهـ.

(٧) وـيـنـظـرـ اـتـعـاظـ الـخـنـفـاـ ٧٤ / ١.

(٨) في رـاـ: «ـوـلـايـتـهـ».

(٩) في أـ: «ـقـفـاـ».

(١٠) في أـ، مـ: «ـلـاـ».

(١١) في رـاـ: «ـوـأـوـصـلـ»، وـهـوـ تـحـرـيفـ.

فما ركب دابةً من باب قصره مُنْذُ مات أبوه سوي مررتين إلى أن هلك^(١). وافتتحتْ في أيامه مَدَائِنٌ كثيرةً من^(٢) مدائن الروم بِصَقلِية^(٣)، وثار عليه عدّة ثوار، فنصرَ عليهم وتمكنَ منهم^(٤). وممّن ثار عليه ابن طالوت القرشيُّ، فسار إلى ناحية أطرا بلس ليأخذها هو في عَدَدٍ كثيرٍ؛ فقاتلوا وقتلوا جملةً من أصحابه، وزعمَ آنه ابن المهدىيَّ، فقام معه البربر، واتّبعوه. فلما تبيّن لهم أمره، قاتلوا وأتوا برأسه إلى القائم بأمر الله^(٥). وكان أول ما بدأ به أبو القاسم الشيعيُّ أنْ أمرَ عَمَّالَه في سائر الْبُلدان^(٦) بِعَمَلِ السلاح وجمعِ الآلات الحربيَّة، وأخرج ميسوراً الفتى في عدِّ عظيمٍ إلى المغرب، فانتهى إلى فاس، وهزم ابن أبي العافية، وأخذَ ابنَه أسيراً. وأخرج يعقوب بن إسحاق في الأسطول إلى بلد الروم، فافتتح جَنَوَة^(٧). وأقرَّ أبا جعفرٍ البغداديَّ على البريد والكتابة، وفوَضَ إليه كثيراً من أمور المملكة.

وفي سنة ثلاثة وعشرين وثلاث مئة: بعث القائم بأمر الله عسكراً إلى بُرقَة، قوَّد عليه زيدانَ، وبعث معه عامراً المجنونَ، وأبا زرارة، وجماعةً من عساكر بُرقَةَ الذين بها من كُتامة، إلى مصرَ، فدخلوا إلى الإسكندرية، فأخرج إليهم^(٨) محمدُ بن الإخشيد جيشاً فيه خمسة عشر ألفاً، فأسرَ منهم حَلْقاً كثيراً.

وفي هذه السنة: مات الفضل بن عليٍّ بن ظفر، وكان أديبَ دُهْرِه، وظريفَ عَصْرِه، عِلْمًا وفقهاً وأدبًا ووفاء^(٩).

(١) في أ، م: «منذ مات أبوه إلى أن قبض سوي مررتين».

(٢) في ر١: «بعض» بدلاً من «مدائن كثيرة من».

(٣) ليست في أ.

(٤) في أ، م: «فأمكنته الله منهم».

(٥) في ر١: «أبي القاسم بن عبيد الله».

(٦) في ر١: «البلاد».

(٧) الكامل لابن الأثير ٨/٢٨٥.

(٨) في أ، م: «إليه».

(٩) ينظر الوافي للصفدي ٨/٣١٨.

وفي هذه السنة: وصل ميسور الصقلبي إلى مدينة فاس، فخرج إليه صاحبها
أحمد بن أبي^(١) بكر بن أبي سهل الجذامي؛ فغدره وبغض عليه وبعث به إلى المهدية؛
فقدّموا على أنفسهم أهل فاس^(٢) حسن بن قاسم اللوائى، وحارب أهل فاس ميسوراً
سبعة أشهر، فلم يقدر عليهم، ثم حاصر ابن أبي العافية، واستعانبني إدريس عليه،
واعتنى بهم، ووفّ لهم حقّهم، فانجل ابن أبي العافية أمامهم إلى الصحراء، وصار كلّ ما
كان لبني العافية لبني إدريس. وكانت الرئاسة فيهم لبني محمد بن القاسم، وهم:
حسن، وفون، وإبراهيم، وكان إبراهيم^(٣) المعروف بالرهوني، وفون اسمه القاسم،
وكان يلزم مدينة صخرة النسر.

ذِكْرُ أخْبَارِ الْأَدَارِسَةِ، رَحْمَهُمُ اللَّهُ وَسَبَبُ دُخُولِهِمْ إِلَى^(٤) الْمَغْرِبِ، وَبَنَائِهِمْ مَدِينَةَ فَاسِ، وَمَنْ وَلَيْهَا مِنْهُمْ وَمَنْ غَيْرُهُمْ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ

ذكر العذرية وغيره أنَّ إدريس وسليمان ابنَيْ عبد الله بن حسن بن الحسن بن
عليّ بن أبي طالب^(٥) رضي الله عنهم فرُوا من الوعة التي كانت في أيام أبي جعفر^(٦)
المنصور، وهي وقعة فخ^(٧)، وكانوا ستة إخوة: إدريس، وسليمان، ومحمد، وإبراهيم،
وعيسى، ويحيى. أمّا محمد^(٨)، فخرج بالحجاز، وقتل. وأمّا إبراهيم^(٩)، فقام بالبصرة

(١) ليس في را.

(٢) هكذا في النسختين، وفي م: «فقدم أهل فاس على أنفسهم»، وهي من صياغة الناشرين.

(٣) قوله: «وكان إبراهيم» من را.

(٤) ليس في را.

(٥) قوله: «ابن علي بن أبي طالب» ليس في را.

(٦) سقطت من م.

(٧) هكذا في الأصل، والمحفوظ أنَّ وقعة فخ كانت في عهد الهادي لا المنصور، ينظر تاريخ الطبرى ٨/١٩٢-٢٠٣.

(٨) هو المعروف بالنفس الزكية (تاريخ الإسلام ٣/٩٦٤).

(٩) تاريخ الإسلام ٣/٧٩٤-٨٠٠.

من العِراق، فُقِيلَ في أَيَّامِ الْمُنْصُورِ. وَأَمَّا يَحْبِي^(١)، فَقَامَ فِي الدَّيْلَمِ، فِي خِلَافَةِ الرَّشِيدِ، وَهَبَطَ عَلَى الْأَمَانِ، ثُمَّ سُمِّ وَمَاتَ. وَأَمَّا إِدْرِيسُ، فَفَرَّ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِهِ مِنَ الطَّالِبِينَ^(٢) أَخْوَهُ سُلَيْمَانَ، فَاحْتَلَ تِلْمِسَانَ^(٣)، وَدَاوَدَ^(٤) بْنَ الْقَاسِمِ بْنَ إِسْحَاقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ رَجَعَ دَاوَدُ إِلَى الْمَشْرُقِ، وَبَقِيَتْ دُرْبِيَّتُهُ بِالْمَغْرِبِ. وَاحْتَلَ إِدْرِيسُ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِالْمَغْرِبِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِئَةً، وَاسْتَوْطَنَ ولَيْلَ^(٥)، وَكَانَ أَزْلَيَّةً. وَكَانَ وَصْوَلُهُ مَعَ مَوْلَاهُ رَاشِدًا، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى إِسْحَاقَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِئَةً، فَقَدَّمَهُ قَبَائِلُ الْبَرِيرِ، وَأَطَاعُوهُ. وَبَلَغَ خَبْرُهُ هَارُونَ^(٦) الرَّشِيدِ، فَدَسَّ إِلَيْهِ الشَّيْخَ فَسَمَّهُ^(٧)، وَهَرَبَ إِلَى الْمَشْرُقِ. وَمَاتَ إِدْرِيسُ فِي سَنَةِ خَمْسِ وَسَبْعِينَ وَمِئَةً، فَقَامَ بِأَمْرِ الْبَرِيرِ مَوْلَاهُ رَاشِدًا. وَتَرَكَ إِدْرِيسُ جَارِيَّةً بِرِيرِيَّةً اسْمُهَا كَنْزَةً، فَوُلِدتْ لَهُ غُلَامًا سُمِّيَّ بِاسْمِ أَبِيهِ. فَوَلَيَّ إِدْرِيسُ^(٨) بْنَ إِدْرِيسِ سَنَةَ سَبْعِ وَثَمَانِينَ وَمِئَةً وَهُوَ ابْنُ إِحدِي عَشَرَةِ سَنَّةٍ، وَقِيلَ: أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَبِإِيمَانِهِ جَمِيعُ الْقَبَائِلِ. وَكَانَتْ عُدُوَّةُ الْقَرْوَيْنِ غَيَّاضًا، فِي أَطْرَافِهَا بَيْوتٌ مِنْ زُواغَةَ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، وَدَبَّرُ فِي الْبَنَاءِ عِنْهُمْ. فَكَانَ ابْتِدَاءُ بَنَاءِ مَدِينَةِ فَاسَّ سَنَةَ ثَلَاثَ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً، وَذَلِكَ عُدُوَّةُ الْقَرْوَيْنِ^(٩).

وَغَزَا إِدْرِيسُ بْنُ إِدْرِيسِ نَفْزَةً، وَوَصَلَ إِلَى تِلْمِسَانَ، ثُمَّ رَجَعَ، وَوَصَلَ إِلَى وَادِي نَقِيسِ، فَاسْتَفْتَحَ بِلَادَ الْمَصَاصِمَةِ، وَتُؤْقَى مَسْمُومًا سَنَةَ ثَلَاثَ عَشَرَةَ وَمِئَتَيْنِ، وَاحْتَلَفَ فِي

(١) تاريخ الإسلام /٤ /١٠٠٢.

(٢) قوله: «من الطالبيين» ليس في ر١.

(٣) في م: «بتلمسان»، محرفة.

(٤) تاريخ الإسلام /٦ /٧٩.

(٥) الروض المعطار .٦٠٩.

(٦) ليس في ر١.

(٧) في أ، م: «فَدَسَ إِلَيْهِ مِنْ سَمَّهِ، وَكَانَ المَدْسُوسُ إِلَيْهِ رَجَلًا يُقالُ لَهُ الشَّيْخُ فَسَمَّهُ»، وَالْعَبَارَةُ التِّي أَثْبَتَنَاها مِنْ ر١ أَوجَزَ وَأَوْضَحَ.

(٨) ينظر عنه الْوَافِي لِلصَّفْدِي /٨ /٣١٤.

(٩) معجم البلدان /٤ /٢٣٠.

كَيْفِيَّة موته. قال ابن حَمَادَهُ، والبَكْرِيُّ، وغَيْرُهُمَا: تَرَكَ مِن الْوَلَدِ اثْنَيْ عَشَرَ، وَهُمْ: مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَعِيسَى، وَإِدْرِيسٌ، وَجَعْفُرٌ، وَيَحْيَى، وَحَمْزَةٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَالْقَاسِمُ، وَدَاؤُودٌ، وَعُمَرٌ، فَوْلَى مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسٍ، فَفَرَّقَ الْبَلَادَ عَلَى إِخْوَتِهِ بِأَمْرِ جَدِّهِ كَنْزَةَ فَأَعْطَى الْقَاسِمَ طَنْجَةً وَمَا يَلِيهَا، وَأَعْطَى عُمَرَ صُنْهَاجَةَ الْهَبْطِ وَغُمَارَةً، وَأَعْطَى دَاؤُودَ هَوَارَةً تَامْلِيتَ، وَوَلَى عِيسَى وَيَحْيَى وَعَبْدَ اللَّهِ بِلَادًا أُخْرَى، وَبَقِيَ الصَّغَارُ مِنْ إِخْوَتِهِ^(١). فَثَارَ عَلَيْهِ عِيسَى، وَنَكَثَ طَاعَتَهُ، فَكَتَبَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسٍ إِلَى أَخِيهِ الْقَاسِمِ، يَأْمُرُهُ بِمُحَارَبَتِهِ، فَامْتَنَعَ، وَكَتَبَ أَيْضًا^(٢) إِلَى أَخِيهِ عُمَرَ، فَأَجَابَهُ وَسَارَعَ إِلَى نُصْرَتِهِ، وَكَانَ تَقْدِيمُ عُمَرَ وَعِيسَى تَنَازُعًاً. وَتُؤْفَى عُمَرُ بِلَدَ صُنْهَاجَةَ، وَتُنْقَلَ إِلَى فَاسَ، وَهُوَ جَدُّ الْحَمُودَيْنَ.

ثُمَّ تُؤْفَى الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسٍ، رَحْمَهُ اللَّهُ، فَوْلَى يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ إِدْرِيسٍ، فَوَلَى يَحْيَى أَعْمَامَهُ وَأَخْوَاهُ أَعْمَالًا؛ فَوَلَى حُسَيْنَ بْنَ الْقِبْلَةَ مِنْ مَدِينَةِ فَاسَ إِلَى أَغْمَاتٍ، وَوَلَى دَاؤُودَ الْمَشْرَقَ مِنْ مَدِينَةِ فَاسَ: مِكْنَاسَةَ، وَهَوَارَةَ، وَصَدِينَةَ، وَوَلَى الْقَاسِمَ غَرْبَيَّ فَاسَ: لَمَاءَةَ وَكُتَّامَةَ. وَتَشَاغَّلَ يَحْيَى عَمَّا كَانَ يَحْقُّ^(٣) عَلَيْهِ مِنْ سِيَاسَةِ أَمْرِهِ^(٤). فَمَلَكَ إِخْوَتُهُ أَنْفُسَهُمْ، وَاسْتَهَلُوا الْقَبَائِلَ، وَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا نَحْنُ أَبْنَاءُ أَبٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ تَرَوْنَ مَا صَارَ إِلَيْهِ أَخْوَنَا يَحْيَى^(٥) مِنْ إِضَاعَةِ أَمْرِهِ. فَقَدَّمُوهُمْ الْبَرْبُرُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ تَقْدِيمًا كُلْلِيًّا. وَكَانَ يَحْيَى مُهْمَمًّا فِي الشَّرَابِ، مُعْجَبًا بِالنِّسَاءِ، ذُكِرَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا الْحَمَامَ عَلَى امْرَأَةٍ، فَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَاسَ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَلاَكَهُ، فَهَرَبَ إِلَى عُدُوَّةِ الْأَنْدَلُسِ، فَهَمَّتْ بِهِا. وَكَانَتْ زَوْجُهُ بَنْتَ^(٦) عَلَيَّ بْنِ عَمْرَ جَدِّ الْحَمُودَيْنَ.

ثُمَّ وَلَى عَلَيُّ بْنَ عَمَرَ بْنَ إِدْرِيسٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا هَلَكَ يَحْيَى، أَتَى صَهْرُهُ عَلَيُّ هَذَا، فَدَخَلَ عُدُوَّةَ الْقَرَوَيْنِ وَمَلَكُهَا، وَانْتَقَلَ الْأَمْرُ عَنْ بْنِي مُحَمَّدٍ بْنَ إِدْرِيسٍ إِلَى بْنِي عَمَرَ

(١) قوله: «وبقي الصغار من إخوته» ليس في ر١.

(٢) ليست في ر١.

(٣) ليست في ر١.

(٤) في ر١: «الملك».

(٥) ليس في ر١.

(٦) في أ: «بنته زوج».

بن إدريس^(١). ثُمَّ قام عليه عبد الرزاق الْخَارِجِيُّ الصُّفْرِيُّ من مَدْيُونَة، فدارت بين عليٍّ وعبد الرزاق حروبٌ كثيرة، إلى أن هزمه الْخَارِجِيُّ، واستولى على فاس. ومرَّ عليٌّ إلى أوربة، وملك عبد الرزاق عدوة الأندلسين، ولم يملِكْ عدوة القرويين، فبعثوا إلى يحيى بن القاسم بن إدريس الذي يُعرف بالعَدَّام^(٢) وقدّمه على أنفسهم أهل عدوة القرويين، ثم ملك بعد ذلك عدوة الأندلسين، وأخرج منها عبد الرزاق هذا^(٣) في خبرٍ طويل. وطالت أيامُ يحيى هذا بفاس وما والاها من البلاد والأقطار والقلاع، إلى أن قتله رَبِيعُ بْنُ سليمان سنة اثنين وسبعين ومئتين^(٤).

ثم ولِيَ يحيى بن إدريس بن عمرَ بن إدريس، وذلك آنَّه لما مات يحيى بن القاسم تقدَّم إلى فاسَ يحيى بن إدريس، وملَّكته^(٥) . ورجع الأمرُ إلىبني عمرَ بن إدريس خمسَ عشرةَ سنة، إلى أن قَدِمَ مَصَالَةُ بن حَبُوس في سنة سبع وثلاث مئة، وذلك آنَّ مَصَالَةً قد قَدِمَ الْغَرْبَ في المرة^(٦) الأولى سنة خمس وثلاث مئة، فابتدأ بالإحسان والإكرام لموسى بن أبي العافية، وقدّمه على ما استولى عليه من بلاد الغرب. وكان يحيى بن إدريس، صاحبُ فاس، يُغَيِّرُ عليه، ويقطع عنه^(٧) أَمْلَه. فلِمَّا رجع مَصَالَةً في سنة سبع وثلاث مئة، أقام بالغرب خمسةَ أَعوام، فكان ابن أبي العافية يسعي في ضرار^(٨) يحيى وحَنَقَه عند مَصَالَةَ لِمَا تقدَّمَ بين موسى ومَصَالَةَ من الموَدَّةَ، ولِمَا كان بين موسى ويحيى بن إدريس من العداوة. فعزَّمَ مَصَالَةً على القبض على يحيى، فلم يَزُلْ يتحيَّلُ عليه، حتَّى أقبل إلى مَعْسِكِه، فغدرَه وقبضَ عليه،

(١) العبارة في ر ١: «وانطلق الأمر إلىبني عمر بن إدريس عنبني محمد بن إدريس».

(٢) هكذا في النسخ، وفي م: «العوام».

(٣) ليست في أ، م.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٤/١٥.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٤/١٦.

(٦) في أ: «الردة»، وفي م: «حركته»!

(٧) في ر ١: «عليه».

(٨) في ر ١: «ضرر».

وانزع ما كان بيده^(١)، وأمره باستجلاب ماله؛ فأحضره، وأخرجه^(٢) من فاس، وولي فاساً عامل مصالحة. وانفصل مصالحة من الغرب، وبقي موسى بن أبي العافية في الغرب أميراً.

ثم قام حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدَ سِنَةً ثَلَاثَ عَشَرَةً وَثَلَاثَ مِئَةً^(٣)، وَهُوَ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنَ إِدْرِيسَ، الْمَلَكُ بِالْحَجَّاجِ، فَأَوْقَعَ بِمُوسَى بْنَ أَبِي الْعَافِيَةِ. وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُؤْسَاءِ الْقَبَائِلِ وَقَعَةُ شَنِيعَةُ، لَمْ يَكُنْ بِالْغَرْبِ بَعْدَ دُخُولِ إِدْرِيسَ الْكَبِيرِ مِثْلُهَا، قُتِلَ فِيهَا مِنَ الْبَرِّيرِ نَحْوَ الْفَيْ قَتِيلٌ، وَقُتِلَ مُوسَى فِي جُمْلَتَهُمْ وَلَدُّهُ يُسَمَّى مَنْهَلًا. وَمَلَكَ حَسَنٌ هَذَا فَاسًا وَمَا يَلِيهَا نَحْوَ سَتِينٍ، ثُمَّ قَامَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَاسِ وَغَدَرُوهُ وَقَدَّمُوا حَامِدَ بْنَ حَمْدَانَ الْهَمْدَانِيَّ، وَكَانَ يُعْرَفُ بِاللَّوْزِيَّ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بِإِفْرِيقِيَّةِ تُسَبِّبُ إِلَيْهَا تُسَمِّيَ لَوْزَةُ، فَأَخْذَ حَامِدَ حَسَنَ بْنَ مُحَمَّدَ وَسَجَنَهُ، وَأُرْسَلَ إِلَى مُوسَى بْنَ أَبِي الْعَافِيَةِ، فَأَتَاهُ بِجِيُوشِهِ، وَدَخَلَ فَاسًا، وَتَغْلَبَ عَلَيْهَا، وَأَرَادَ قَتْلَ حَسَنٍ لِأَجْلِ ابْنِهِ مَنْهَلِ الَّذِي كَانَ السَّبَبَ فِي قَتْلِهِ، فَدَافَعَهُ حَامِدٌ عَنْهُ، وَكَرِهَ الْمُجَاهِرَةُ بِقَتْلِهِ. ثُمَّ سُمِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقِيلَ: أَخْرَجَهُ حَامِدٌ عَلَى السُّورِ فَسَقَطَ عَنْهُ وَانْكَسَرَ رِجْلُهُ، وَوَصَلَ إِلَى عَدْوَةِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ فَهَاتَ بِهَا^(٤)، رَحْمَهُ اللَّهُ.

وَاسْتَولَى مُوسَى بْنَ أَبِي الْعَافِيَةِ عَلَى مُلْكِ فَاسِ وَبِلَادِ الْغَرْبِ بَعْدَ مَوْتِ حَسَنِ الْحَجَّاجِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ حَارَبَ بْنَيْ عَمِّهِ، فَضَرَبَ رِجْلًا بِحَرْبَةٍ صَادَفَ بِهَا مَوْضِعَ الْحِجْمِ؛ ثُمَّ صَادَفَ ضَرَبَةً أُخْرَى لِشَخْصٍ آخَرَ فِي مَوْضِعِ الْمَحَاجِمِ أَيْضًا، وَكَذَلِكَ ثَالِثَةً، فَقَالَ ابْنُ عَمِّهِ أَحْمَدُ: صَارَ ابْنُ عَمِّي حَجَّامًا، فُسُمِّيَ بِذَلِكَ. وَمِنْ قَوْلِهِ [من الطويل]:

وَسُمِّيَتْ حَجَّامًا وَلِسْتُ بِحَاجِمٍ
وَلِكُنْ لِضَرْبِي فِي مَكَانِ الْمَحَاجِمِ

(١) في ر١: «بَيْنَ يَدِيهِ».

(٢) في أ: «فَأَحْضَرَهُ لَهُ».

(٣) هكذا في النسخ، وغيرها ناشر (م) إلى «٣١٠».

(٤) في ر١: «حَتَّى مَاتَ» بدلاً من «وَوَصَلَ إِلَى عَدْوَةِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ فَهَاتَ بِهَا».

ولمّا استولى ابن أبي العافية على فاس، قُتل عبد الله بن ثعلبة بن محارب الأزدي^(١)، وقتل أخاه^(٢) محمدًا، وهرب والدهما ثعلبة بن محارب إلى قرطبة. وأراد موسى بن أبي العافية قتْلَ حامِدَ الَّذِي كَانَ السَّبَبَ فِي دُخُولِهِ فاسًا، فهرب منه وحصل في المهدية. وأجل موسى بنى إدريس أجمعين عن مواضعهم، وصاروا في مدينة حَجَر السُّنْرَ مَقْهُورِينَ، وَهُوَ حِصْنٌ مَانِعٌ بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ إِدْرِيسٍ. وعزم موسى على مُحاصرتهم في هذا الحصن واستئصالهم^(٣)، فأخذ عليه في ذلك أكابر أهل المغرب، وقالوا له: قد أجيأْتَهُمْ، وأفقرْتَهُمْ، أتُريدُ أَنْ تقتلَ بنى إدريس أجمعين، وأنتَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرْبَرِ؟ فانكسر عن ذلك^(٤)، ولا ذُّنْبَهُمْ بِعَسْكِرِهِ، وَتَخَلَّفَ لِرَاقِبِهِمْ^(٥) قائدُهُ أَبُو^(٦) قَمْحٍ، فكانت محلته قريباً منهم، فضيق عليهم، واستخلف ابن أبي العافية ابنه مَدْيَنَ على فاس، فبقي بها حتى قدم حُمَيْدَ بْنَ يَصَّالَ. ولمّا وصل حُمَيْدٌ إلى بلاد الغرب^(٧)، ولّ على فاسِ حَامِدَ بْنَ حَمْدَانَ. وكان ولدُ موسى لِمَا سمع بقدوم حُمَيْدٍ وحامِدٍ، هَرَبَ من فاس. وتظاهرتْ بنو إدريس على قائد موسى ابن أبي العافية فهزموه وغنموا أكثر عَسْكِرِهِ، وذلك سنة سبع عشرة وثلاث مئة^(٨). ثمّ قام بفاس أَحْمَدُ بْنُ بَكْرٍ بْنُ أَبِي سَهْلِ الْجُذَامِيِّ^(٩)، فقتل حامِدَ بْنَ حَمْدَانَ، وبعث برأسه إلى موسى بن أبي العافية وبرأس ولده، فبعث بهما موسى إلى قرطبة مع سعيد الرَّزَادَ. وكان حُمَيْدَ بْنَ يَصَّالَ، لِمَا رَجَعَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ، تَرَكَ

(١) ينظر تاريخ ابن خلدون ٤/١٦.

(٢) في ر١: «ابنه»، وهو خطأ، لما سيأتي بعد من قوله «والدهما».

(٣) ليست في أ.

(٤) في ر١: «فانكسر لذلك».

(٥) في ر١: «وَخَلَّفَ لِمَحَاصِرِهِمْ».

(٦) في ر١: «أبا».

(٧) في ر١: «المغرب».

(٨) تاريخ ابن خلدون ٤/١٦-١٧.

(٩) تاريخ ابن خلدون ٤/٤٠.

موسى بن أبي العافية بغير عَهْدٍ من أمير إفريقية، فكان ذلك سبباً لسجنه بإفريقية، إلى أن هرب إلى الأندلس. وكان موسى يَمِيلُ لصاحب قُرْطْبَةَ من أمراءبني أميّة.

وفي سنة أربع وعشرين وثلاث مئة: خَرَبَ عَلَيْهِ بْنَ حَمْدُونَ الْمَعْرُوفُ بابن الأَنْدُلُسِ^(١) مَدِينَةَ الْمَسِيلَةَ. وكان بينها وبين طُبْنَةَ مَرْحَلَتَانِ، وكان بقرب المَسِيلَةَ مَدِينَةَ الْأَوَّلِ تُسَمَّى الرُّمَائِيَّةَ، يَطْلُبُ عَلَيْهَا جَبَلُ أُورَاسِ، وَهُوَ مَسِيرَةُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَفِيهِ قِلَاعٌ كثِيرٌ يَسْكُنُهَا هَوَارَةُ، وَهُمْ عَلَى رَأْيِ الْخَوَارِجِ. وَفِي هَذَا الْجَبَلِ كَانَ مُسْتَقْرَرًا الْكَاهِنَةُ، وَفِيهِ ظَهَرَ أَبُو يَزِيدَ مَخْلَدُ بْنُ كَيْدَادَ، وَقَامَ عَلَى أَبِي القَاسِمِ الشَّيْعِيِّ.

وفي سنة خمس وعشرين وثلاث مئة: قَدَّمَ أَبُو القَاسِمِ بْنُ عَيْدَ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ عَلَى صِقْلَيَّةَ خَلِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ^(٢)، فَعَمِلَ بِهَا مَا لَمْ يَعْمَلْهُ^(٣) أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَهْلَكَهُمْ^(٤) قَتْلًا وَجُوعًا، حَتَّى فَرَوُا إِلَى بَلَادِ الرُّومِ، وَتَنَصَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ^(٥)، وَبَقِيَ بِصِقْلَيَّةِ أَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ. وَلَمَّا قَدِمْتُ مِنْهَا سَنَةَ تِسْعَ وَعَشْرِينَ، قَالَ يَوْمًا، مُفْتَخِرًا بِظُلْمِهِ، فِي مَجْلِسٍ حَضَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ وِجُوهِ النَّاسِ تَكَلَّمُوا فِيهِ مَعَهُ فِي أُمُورِ شَتَّى، ثُمَّ جَرَى ذِكْرُ خَرْوَجِهِ إِلَى صِقْلَيَّةَ، فَقَالَ: إِنِّي قَتَلْتُ وَأَهْلَكْتُ^(٦) أَلْفَ أَلْفَ، يَقُولُهُ^(٧) الْمُكْثَرُ، وَالْمُقْلَلُ يَقُولُ: مِئَةُ أَلْفٍ، فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ، ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَكْثَرُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤْدَبُ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، لَكَ فِي قَتْلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مَا يَكْفِيكَ، وَكَانَ خَلِيلُ هَذَا يُكْنَى أَبَا الْعَبَّاسِ^(٨)، وَكَانَ عُبَيْدَ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ^(٩) يُصَرِّفُهُ^(١٠) فِي الْأَعْمَالِ وَجِبَابِاتِ الْأَمْوَالِ

(١) ينظر تاريخ ابن خلدون ٤ / ٨٢.

(٢) تنظر الحلقة السيراء ١ / ٣٠٢.

(٣) في ر١: «يعمل».

(٤) في ر١: «أهلك المسلمين» بدلاً من «من المسلمين، أهلكهم».

(٥) في أ: «أكثرهم».

(٦) «وأهلكت» ليست في أ.

(٧) في ر١: «يقول».

(٨) قوله: «وكان خليل هذا يُكْنَى أبا العباس» ليس في ر١.

(٩) ليس في ر١.

(١٠) في ر١: «يُصَرِّفُ خَلِيلًا هَذَا».

ومحاسبة الدواوين والعمال^(١). ثم وقعت فيه أقوال سيئة^(٢)، فكرهه عبيد الله وأبغضه، ولو لا ابُو القاسم لأهلكه. ومن قول خليل هذا^(٣) في عبيد الله الشيعي، لعنها الله^(٤)، وتوجّله فيه^(٥) [من الكامل]:

إِنَّ الْإِمَامَ أَقَامَ سُنَّةً جَدِّهِ
لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا حَذَوْتَ نِعَالَهَا
أَحِيَا شَرائِعَهُ وَقَوَّمَ كُتُبَهَا
وَفُرِّوْضَهَا^(٦) وَحَرَامَهَا وَحَلَالَهَا

وكان الأمير أبو القاسم بن عبيد الله أمر ببناء مدينة المسيلة سنة ثلاثة عشرة وثلاث مئة^(٧)، وجعل المئوي لبنيتها ابن الأندلسى، واستعمله بعد ذلك عليها، إلى أن هلك في فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد سنة ست وعشرين وثلاث مئة، وبقي ابُو جعفر في المسيلة، وصار أميرًا على الزَّاب كله، إلى أن خرج عنها في سنة ستين وثلاث مئة في فتنة زيري بن مناد^(٨). والشيعة تسمى المسيلة: المحمدية، قال المروي [من الرجز]:

لُمْ إِلَى مَدِينَةِ مَرْضِيَّةِ
أَسْتُ عَلَى التَّقْوَىِ مُحَمَّدِيَّةِ

وأما مدينة أشير^(٩)، فبناتها زيري بن مناد الصنهاجى، والدليل على ذلك ما أنسده عبد الملك بن عيسون، وهو قوله [من السريع]:

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ حَرِبَنا
وَعَنْ مَحَلِّ الْكُفْرِ أَشِيرِ

(١) في م: «ومحاسبات العمال» بدلاً من «ومحاسبة الدواوين والعمال».

(٢) ليست في أ، م.

(٣) ليست في أ، م.

(٤) من ر ١.

(٥) قوله: «وتوجّله فيه» ليس في ر ١.

(٦) في ر ١: «وفروعها».

(٧) ينظر الروض المعطار ٥٥٨.

(٨) ينظر عنه الوافي للصفدي ١٥ / ٥٩.

(٩) معجم البلدان ١ / ٢٠٢.

عَنْ دَارِ فِسْقٍ ظَالِمٍ أَهْلُهَا
قَدْ شُيَّدَتْ لِلْكُفُرِ وَالْزُورِ

أَسَسَهَا الْمَلْعُونُ زِيرِيْهَا
فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى زِيرِيْهَا

وخرّبها يوسفُ بن حمَّاد الصُّنْهاجيُّ واستباح أمواها بعد الأربعين والأربع مئة.
وفي سنة سبع وعشرين وثلاث مئة: قام بالمغرب الأقصى، ويُقال له: السُّوسُ^(١)
الأدنى، وهو موضع تادلاً وتامسناً، أبو الأنصار بن أبي عُفَيْر البَرْغَوَاطِيُّ بعد موت أبيه،
وكان يَفِي بالعَهْدِ وَالْوَعْدِ. وسَادَ ذُكْرُ بَعْضِ أخْبَارِهِمْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَمِنْ أَخْبَارِ أَبِي يَزِيدَ مَخْلُدِ بْنِ كَيْدَادِ الْيَقْرَنِيِّ الْزَّانِيِّ^(٢)

هو مَخْلُدُ بْنُ كَيْدَادِ بْنُ سَعْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْيَثٍ بْنِ كَرْمَانَ بْنِ مَخْلُدِ بْنِ عَمَّانَ بْنِ
وَرِيمَتَ بْنِ تَبْرَاسِنَ^(٣) بْنِ سَمِيَّدَانَ بْنِ يَفْرَنَ، وَيَفْرَنَ هُوَ أَبُو الْكَاهِنَةِ وَيَنْتَسِبُ إِلَى
جَانَا بْنِ يَحْيَى أَبُو^(٤) زَنَّاتَةَ كُلُّهَا.

قال ابن حَمَّادُ: كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّيْعِيُّ لِمَا مَاتَ أَبُوهُ عُيَيْدَ اللَّهِ أَظْهَرَ مَذْهَبَهُ، وَأَمْرَ
بَسَبِّ الْغَارِ وَالْعَبَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكِ مِنِ الضَّلَالِ^(٥) وَتَكْذِيبِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ تَكَلَّمَ
عُذْبَ وَقُتِّلَ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ إِنَّ أَبَا يَزِيدَ هَبَطَ مِنْ جَبَلِ أُورَاسِنَ، يَدْعُو إِلَى
الْحَقِّ بِزَعْمِهِ، وَلَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ مَذْهَبَهُ^(٦)، فَرَجَوْا فِيهِ الْخَيْرَ وَالْقِيَامَ بِالسُّنَّةِ، فَخَرَجَ عَلَى
الشِّيَعَةِ، وَدَخَلَ إِفْرِيقِيَّةَ، وَخَرَبَ مُدُنَّهَا وَدُوَّنَّهَا، وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِهَا مَا لَا يَنْحَصِرُ.

وَفِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينِ وَثَلَاثَ مِائَةٍ: اشْتَدَّ أَمْرُ أَبِي يَزِيدَ بِإِفْرِيقِيَّةِ حَتَّى فَرَّ أَمَامَهُ
أَبُو الْقَاسِمِ الشَّيْعِيِّ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ مِنْ رَقَادَةِ. وَكَانَ أَبُو يَزِيدَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الإِباضِيَّةِ النُّكَارِ
بِالْمَغْرِبِ، قَالَ الرَّاقِيقُ: وَقَرَأَ عَلَى عَمَّارِ الْأَعْمَى، وَكَانَ يَرْكُبُ الْحِمَارَ، وَتَسَمَّى شَيْخَ

(١) في أ: «الليوم».

(٢) ذُكْرُ خَبْرِهِ مُوسَعًا المَقْرِيزِيُّ فِي اتِّعَاظِ الْحَنْفَى / ١ - ٧٥ - ٨٥.

(٣) في ر ١: «تنظر س».

(٤) سَقْطٌ مِنْ م.

(٥) لِيَسْتَ فِي أَ، م.

(٦) «مَذْهَبَهُ» لِيَسْتَ فِي ر ١.

المؤمنين. قال ابن سعدون: فبعث الله على أبي القاسم الشيعي مخلد بن كيداد الخارجي، فقهره وقتل جنوده، وقام المسلمون معه، وخرج الفقهاء والعباد مع أبي يزيد لحربه. وسماهم ابن سعدون في كتابه رجلاً رجلاً. فركبوا معه، فنهض^(١) إلى القبران فدخلها في صفر العام، وأظهر لأهلها خيراً وترحم على أبي بكر وعمر رضي الله عنها، ودعا الناس إلى جهاد الشيعة، وأمرهم بقراءة مذهب مالك، فخرج معه^(٢) الفقهاء والصلحاء معلنين^(٣) في الأسواق بالصلاحة على النبي ﷺ والرضا عن أبي بكر وعمر وسائر الصحابة^(٤) حتى ركزوا بنو دهم عند الجامع. فلما كان يوم الجمعة، اجتمعوا بالمسجد الجامع، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح، ومعهم البنود والطبلول، منها بندان أصفران^(٥)، مكتوب في أحدهما^(٦) البسملة و«محمد رسول الله»، وفي الآخر^(٧): «نصر من الله وفتح قريب»، على يدي الشيخ أبي يزيد. اللهم انصر وليك على من سب أولياءك، وبند آخر مكتوب عليه: «قتلوا أئمة الكفر» [التوبة: ١٢]، وبند آخر^(٨) فيه مكتوب: «قتلواهم يعبد بهم الله يأيديكم ويغزيرهم ويصركم عليهم» [التوبة: ١٤]؛ وبند آخر مكتوب فيه بعد البسملة أيضاً: «محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق»، وبند آخر، وهو السابع، فيه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» **إلا نصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الدين كفروا ثائف أشين إذ هما في الفرار إذ يقول لصحيه لا تخزن إن الله معنا» [التوبة: ٤٠]. فلما اجتمع الناس، وحضر الإمام، وطلع على المنبر، خطب خطبة أبلغ فيها، وحرّض الناس على جهاد الشيعة، وأعلمهم بها لهم فيه من الثواب، ثم لعن عبيداً الله الشيعيًّا وابنه^(٩).**

(١) في أ، م: «ونهضوا».

(٢) ليست في أ، م.

(٣) من ر. ١.

(٤) في أ، م: «بالصلاحة على النبي ﷺ وعلى أصحابه وأزواجه»، وما أثبتناه من ر. ١، وهو أبين.

(٥) في ر. ١: «أحران».

(٦) في ر. ١: «فيها».

(٧) في ر. ١: «الثاني».

(٨) في ر. ١: «عبيداً وابنه».

ثم نزل، فخرج وخرج الناس معه لقتال الشيعة **الفُجَار**^(١). فلم يزُل قاهراً لهم، غالباً عليهم، قاتلاً لجنودهم، حتى لم يبق لهم من بلاد إفريقيَّة إلَّا اليسير.

ولما رأى أبو يزيد أَنَّه قد استولى على الأمر، أو كاد، وأنَّ الشيعيَّ قد كاد يبيِّدُ أو باد، قال لجنوده: إذا التقِيتُم مع القوم فانكشِفُوا عن أهل القَيْرَوان، حتَّى يتمكَّن أعداؤكم من قتْلِهم، فيكونوا هُمُ الذين قتلُوهُم لا نَحْنُ، فنستريح منهم؛ أراد أن يتبرَّأَ من مَعْرَة قتلهم عند الناس، وأراد الراحة منهم، لأنَّه فيما ظنَّ، إذا قُتِلَ شيوخ القَيْرَوان وأئمَّةُ الدين، تَمَكَّنَ من أَبْياعِهم، فيذُعُوهُم إلى ما شاءَ، فيتبعونه. فُقْتِلَ من صَلَحاءِ القَيْرَوان وفُقهائِها مَنْ أراد اللهُ بسعادته وشهادته، وسُقِطَ في أيدي الناس، وقالوا: قَتَلَ أولياءَ اللهُ شُهَدَاء^(٢). ففارقوه، واشتَدَّ بُغضُّهم له، أعني لأَبِي يَزِيد^(٣). ومات أبو القاسم الشيعيُّ مُصوَّراً.

وفي سنة ثلث وثلاثين وثلاثة: قُتِلَ أبو يزيد مَيْسِرَةً الفَتَى قائدَ أبي القاسم الشيعي^(٤)؛ وكان بين أبي القاسم وأبِي يَزِيد^(٥) حربٌ كثيرةً. وفيها كانت الواقعةُ المشهورةُ بينهما في وادي الملح، قُتِلَ فيها من أصحابِ أبي القاسم^(٦) عَدُدًا لا يُحصى.

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاثة: تُؤْقَيَ أبو القاسم بن عُبَيْدِ اللهِ الشيعيُّ، المتلقِّب^(٧) بالقائم بأمر الله، وذلك يوم الأحد لثلاث عشرة خَلَتْ من شوَّالِ من السنة المذكورة، فكانت مَدَّهُ اثنتي عشرة سنة^(٨).

(١) «الفُجَار» ليس في أ.

(٢) ليس في را.

(٣) عبارة: «أعني لأَبِي يَزِيد» ليس في را.

(٤) «قائد أبي الحسن الشيعي» ليس في را، وينظر اتعاظ الحنفا / ١٧٧.

(٥) في را: «بينه وبين أبِي يَزِيد».

(٦) في را: «الشيعي» بدلاً من «أبِي القاسم».

(٧) سقطت من أ.

(٨) الكامل لابن الأثير / ٤٥٥.

ولاية^(١) إسماعيل بن أبي القاسم بن عبد الله الشيعي^(٢)

كُنْتُهُ: أبو الطاھر. لَقَبُهُ: المنصور. وَكَانَ وَالدُّهُ وَلَاهُ عَهْدَهُ فِي رَمَضَانَ وَدَعَا لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِإِفْرِيقِيَّةِ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ بِالْمَهْدِيَّةِ سَنَةِ اثْتَيْنِ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَوَلَيَ وَسِنَّهُ اثْتَانَ وَثَلَاثُونَ سَنَّةً، وَكَانَ فَصِيحًا بِلِيْغًا.

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ: وَصَلَ أَبُو يَزِيدَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، ثُمَّ نَهَضَ^(٣) إِلَى سُوْسَةَ، فَنَاوَشَهُ أَهْلُهَا؛ فَقِيلَ فِيهِ [مِنَ الْوَافِرِ]:

وَلَكُنَّ إِلَهَ هَايَصِيرُ ^(٤)	أَلَمَ بِسُوْسَةَ وَبَغَى عَلَيْهَا
يَدِينُهَا الْمَدَائِنُ وَالْقُصُورُ ^(٥)	مَدِينَةُ سُوْسَةَ الْغَرْبُ ثَغْرُ
كَمَا لَعِنْتُ قُرْيَظَةَ وَالنَّضِيرُ	لَقَدْ لَعِنَ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْهَا
بِسُوْسَةَ بَعْدَمَا التَّوْتِ الْأَمْوَرُ	أَعَزَّ الدِّينَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

فَرَفِعَ أَبُو يَزِيدَ عَنْهَا، وَرَجَعَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ. فَلَمَّا وَصَلَهَا، دَفَعَ حَتَّى ضَرَبَ بِرُحْمِهِ فِي بَابِهِ؛ فَدَخَلَ رَجُلُ^(٦) الْقَصْرَ عَلَى إِسْمَاعِيلٍ؛ فَوَجَدَهُ يَلْعَبُ بِسِلْبَاحَةِ فِي الصَّهْرِيْجِ. فَقَالَ لَهُ: تَلْعَبُ، وَأَبُو يَزِيدَ يَرْكُزُ رُحْمَهُ بِالْبَابِ! فَقَالَ لَهُ: أَوْقَدْ فَعَلَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَاللهِ لَا عَادَ إِلَيْهَا أَبَدًا وَقَدْ جَاءَ حَتْفَهُ، كَذَا رَأَيْنَا فِي كُتُبِنَا. ثُمَّ أَمْرَ بِالْحِلْكَةِ بِالرَّكْوبِ وَالْخُرُوجِ إِلَيْهِ.

وَفِي سَنَةِ سَتِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ: أَمْرَ الْمَنْصُورِ أَبُو الطَّاهِرِ بِبَنَاءِ صَبْرَةِ^(٧)، وَأَخْتَطَهَا، وَسَمَّاها الْمَنْصُورِيَّةَ. قَالَ الْبَكْرِيُّ: وَلَمْ تَزُلِ الْمَهْدِيَّةِ دَارِ مُلْكِ

(١) في أ: «إِمَارَة» وَمَا هَنَا مِنْ رَا.

(٢) لَيْسَ فِي رَا. وَتَنْظَرُ الْحَلَةُ السِّيرَاءُ لَابْنِ الْأَبَارِ ٢/٣٨٧.

(٣) في رَا: «وَصَلَ».

(٤) في رَا: «فَلَا كَانَ إِلَهَ لَهُ نَصِيرٌ».

(٥) هَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ فِي رَا.

(٦) في أ, م: «رَاجِلٌ» وَمَا هَنَا مِنْ رَا وَهُوَ أَوْقَفُ لِلْمَعْنَى.

(٧) مَعْجمُ الْبَلْدَانِ لِيَاقُوتٍ ٣/٣٩١.

بني عُبيد إلى أن سار منهم أبو الطاهر إلى القَيْرَوان بعد قتله لأبي يزيد، وبنى مدينة صَبْرَة، واستوطنها، وخلَّت أكثر أرباض المهدية وتهدمت. ونقل أبو الطاهر سُوقَة القَيْرَوان إلى صَبْرَة. وكان لها أربعة أبواب. وبينها وبين القَيْرَوان تَحْوِي نَصْفَ ميل. وكان^(١) من المهدية إلى مدينة سَلَقْطَة^(٢) ثانية أميال؛ ومنها زحف أبو يزيد إلى المهدية أيام حصاره. وكانت محلَّة أبي يزيد بِتَرْبُوط^(٣). وفي كُتب الحُدُثان: إذا ربط الخارجي خَلَه بِتَرْبُوط، لم يَقِن لأهل السَّواد مخلولٌ ولا مربوطٌ! وَيُلْ لأهل السَّواد من محلَّة ابن كَيْداد!^(٤) وامتحن أهْل باجة أيام أبي يزيد بالقتل والسببي. وقيل في أبي يزيد [من الرجز]:

وَبَعْدَهَا باجةً أَيْضًا أَفْسَدا
وَأَهْلَهَا أَخْلَى وَمِنْهَا شَرَّدا

ولما عزم المنصور على مُقاتلة ومحاربته^(٥)، أعطى جنوده، وحشد حشوده، وخرج إليه في عساكره. فمررت الهزيمة على أبي يزيد. وأمر إسماعيل الناس بتَبَاعَه إلى أن دخل بلاد كُتامة. فتعلَّق بالجبل المعروف بِحَصْنِ أبي يزيد، وأُثْخن بالجراح، وفُبْضَ عليه حيًّا؛ فجعل في قُفص من^(٦) حديد، وجيءَ به إلى المنصور^(٧) إلى المهدية^(٨). فقتله، وصلبه على الباب الذي ضرب فيه بُرْحَمه. قال القُضايعي^(٩): مات أبو يزيد في محرَّم من سنة ست وثلاثين وثلاثين مئة المذكورة.

قال: وأمر بِسَلْخَه، وحَشِي جلدَه قطناً، وصَلَبَه^(١٠).

(١) من هنا إلى قوله: «حصاره» ليس في ر١.

(٢) ينظر عنها الروض المعطار ٣١٨.

(٣) الروض المعطار ١٣٣.

(٤) ينظر المصدر السابق.

(٥) في ر١: «ولما عزم أبو الطاهر على محاربته لما قيل له قد وصل إلى الباب».

(٦) ليست في ر١.

(٧) في أ: «وجاء به».

(٨) في ر١: «أبي الطاهر».

(٩) قول القضايعي هذا كله ليس في ر١.

(١٠) في ر١: «وصُلِبَ».

وقال ابن حماده: ولما ظفر بأبي يزيد^(١)، نهض إلى القيروان؛ فدخلها في هذه السنة^(٢)؛ فقتل من أهلها خلقاً، وعدب آخرين؛ ولم يز الواعظ في الامتحان إلى أن هلك. قال القضايعي^(٣): وكان انتقال المنصور إلى المنصورية في سنة سبع وثلاثين وثلاثة.

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثة: تحرك أبو الطاهر المنصور بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي^(٤) إلى بلاد المشرق؛ وردد الحجر الأسود إلى مكانه من الرُّكْن من بيت الله الحرام، وذلك بعد خمسة أعوام من دولة المُطَبِّع. وكان الذي اقتلته سليمان بن الحسن القرمي^(٥) - لعنه الله! - في سنة سبع عشرة وثلاثة، في أيام المقتدر العباسي، رحمة الله، والذي تولى قلعة بيده بأمر القرمي^(٦) جعفر بن أبي علاج، لعنه الله، ولما مات القرمي^(٧)، وجّه إخواته الحجر، فردد إلى موضعه في هذه السنة؛ ووضعه بيده حسين بن المرزوقي الكناني^(٨). وكان غيبة الحجر من يوم رده^(٩) إلى يوم رده^(١٠) اثنتين وعشرين سنة أو نحوها. ورأي الحجر الأسود، في أيام ابن الزبير، ناصع البياض إلا وجهه الظاهر. وكان اسوداده من لطخ المشركين له بدم القرابين، ولمسهم له^(١١) بأيديهم، مع طول الدهر. قال الذهبي^(١٢): حضرت يوم قلعه، ويوم رده.

(١) في رأي: «صلب أبو يزيد» بدلاً من: «لما ظفر بأبي يزيد».

(٢) «في هذه السنة» ليست في رأي.

(٣) قول القضايعي هذا ليس في رأي.

(٤) «بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي» ليس في رأي.

(٥) «في سنة» ليست في رأي.

(٦) هكذا هذه الرواية، وفي تاريخ الإسلام للذهبي أن الذي وضعه بيده هو سنبر بن الحسن بن

سنبر، نقل ذلك عن المسحي (٧/٦٤٠-٦٤١).

(٧) ليست في رأي.

(٨) في رأي: «الذهببي» وهو بعيد فهذه النسبة قلماً عُرف بها أحد العلماء، وُعرف بها سطيح الكاهن، والذهببي نسبة عرف بها عدد من العلماء يتذرع علينا معرفة المقصود منها، وخبر رد الحجر في هذه السنة مذكور في كتب الحواليات مثل المتنظم والكامل وتاريخ الإسلام وغيرها.

وفي سنة أربعين وثلاث مئة: ولَّ أبو الطاهر إسماعيل العُبيدي ولدَه مَعَدًا المُمْكَنَى بِأَبِي تَسْمِيمَ عَهْدَه. وخرج أبو الطاهر مُتَنَزِّهًا إلى جَلُولَا، ورجع منها مُعْتَلًا، وصلَّى عيد الفطر مَرِيضًا.

وفي سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة: تُوفِّي أبو الطاهر إسماعيل، الملقب^(١) بالمنصور، ابن أبي القاسم الملقب بالقائم، ابن عَبْدِ اللهِ الْمَهْدِيِّ^(٢)؛ وذلك مُنسَلَخَ شَوَّالَ من العام، وله تسعُّ وثلاثون سنة. فكانت ولادته سبع سنين وخمسة عشر يومًا. حاجِهُ جعفر بن علي^(٣).

ثمَ ولَّيَ الْمُرْكَبَةَ مَعَدًّا بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْمُعِزَّ لِدِينِ اللَّهِ الْعُبَيْدِيِّ

وهو مَعَدُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ^(٤) بْنُ عَبْدِ اللهِ. كُنْيَتُهُ: أَبُو تَسْمِيمَ. لَقَبُهُ: الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ. مُولَدُهُ: بِالْمَهْدِيَّةِ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعَ وَعَشْرَةَ وَثَلَاثَ مَائَةٍ. وَوَلَّيَ، وَلَهُ اثْنَانِ وَعَشْرَوْنَ سَنَةً^(٥). وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ مِنْ بَنِي عَبَيْدٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ، لَمَّا تُوفِّيَ كَافُورُ الْإِخْشِيدِيُّ أَمِيرُ مِصْرَ، بَعْثَ الْمُعِزَّ لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِدَ^(٦) أَبَا الْحَسَنِ جَوْهَرًا إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ جَوْهَرُ غُلَامًا وَالِّدَّهُ إِسْمَاعِيلُ، وَأَصْلُهُ رُومِيٌّ، جَلَبَهُ خَادِمُ اسْمَهُ صَابِرٌ؛ ثُمَّ انتَقَلَ إِلَى خَفِيفِ الْخَادِمِ، فَحَمَلَهُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ الْمُنْصُورَ، فَظَهَرَ^(٧) عِنْدَهُ، فَأَرْسَلَهُ الْمُعِزُّ بِالْعَسَاكِرِ إِلَى مِصْرَ، فَافتَحَهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِسِعْ عَشْرَةِ لِلَّيْلَةِ خَلَتْ مِنْ شَعْبَانَ^(٨). وَهَرَبَ أَعْيَانُ الْإِخْشِيدِيَّةِ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ قَبْلَ وَصُولِ جَوْهَرِ^(٩)، وَأُقِيمَتِ الدُّعَوةُ لِلْمُعِزِّ.

(١) من هنا إلى قوله: «العام» ليس في ر١.

(٢) الكامل لابن الأثير ٨/٤٩٧.

(٣) « حاجِهُ جعفر بن علي» ليست في ر١.

(٤) قوله: «المعز لدين الله العبيدي، وهو معد بن إسماعيل بن» ليست في ر١.

(٥) الخلة السيراء ٢/٣٩١.

(٦) «القائد» ليست في ر١.

(٧) في ر١: «وَظَهَرَ».

(٨) الخلة السيراء ٢/٣٩١.

(٩) «قبل وصول جوهر» ليست في أ.

يوم الجمعة الموافق عِشرِين لشَعبان من سنه ثمان وخمسين وثلاث مئة، في الجامع العتيق؛ وكان الخطيب أبو محمد الشّمساطيُّ. ودُعِيَ له^(١) بمكَّةً في موسم هذه السنة، ودعا أبو مُسْلِم العَلَوِيُّ بالمدينة للْمُعَزَّ. وسار جعفر بن فلاح إلى الشام، وقبض على الحُسين بن عبد الله، وأنفذه إلى جَوْهَر، فانفذ جَوْهَرُ الحُسَيْنَ المذكورَ مع جماعة من الإخْشِيدِيَّة مع هديَّةٍ إلى الْمُعَزَّ؛ فوصلت إلى إفريقية مع ولَدِه جعفر في رَجَب من سنة تسع وخمسين وثلاث مئة.

وفي سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة: فُلَجَ خطيبُ القيروان على المِنْبَر، ومات، وَسَمِّمَ الخطبة أبو سفيان الفقيه.

وفي سنة أربع وأربعين وثلاث مئة: وُلِدَ للْمُعَزَّ أبِي تَحْمِيمٍ وَلَدُّ سَمَاءٌ نِزَارًا^(٢).

وفي سنة ست وأربعين وثلاث مئة: وَلَيَّ مدِينة سَبْتَة وَالِّيْ من قِبَل النَّاصِرِ عبد الرحمن، أمير^(٣) الأندلس، وأمَرَهُ بتحصينها وبناء سورها؛ فبناه بالكَذَان^(٤).

وفي سنة سبع وأربعين وثلاث مئة: دخل جَوْهَرُ قائدُ أبِي تَحْمِيمٍ إلى الغَرْب^(٥) واستولى على مدينة فاس. ثمَّ توجَّهَ إلى تِيطَاوِن^(٦)، ووصل إلى مَضيق سَبْتَة، فلم يَقْدِرْ عليها، ورجعَ عنها، وقصدَ بعساكره إلى سِجْلِمَاسَة، ففَرَّ أَمَامَه صَاحِبُها مُحَمَّدُ ابنُ الْأَمِير^(٧) الفَتْح^(٨)، وَسَخَّنَ في حِصْنِه على اثني عَشَرَ مِيلًا من سِجْلِمَاسَة، بأهله وماله وبعض أصحابه. وكان يُلْقَبُ الشَّاكِرُ لِللهِ؛ وقد تقدَّمَ بعضُ خبره. واستولى جَوْهَرُ

(١) في ر١: «ودعا للْمُعَزَّ».

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٦٠١ / ٨.

(٣) في ر١: «صاحب».

(٤) الكَذَان: الحجارة التي ليست بصلبة (اللسان: كذن).

(٥) في ر١: «المغرب».

(٦) في ر١: «تطاون»، وينظر الروض المعطار ١٤٥، وهي المعروفة اليوم باسم «تطوان».

(٧) في أ: «الأمين».

(٨) في ر١: «أبِي الفتح»، وسيأتي بعد قليل على الوجه.

على سِجْلِمَاسَةٍ؛ فملكتها. وخرج محمد بن الفتح من الحصن في نفر يسبر، ليتعرف على الأخبار، مُسْتَرًا، فغدره قومٌ من مَذْعَرَة عَرَفَوَهُ، وأتوا به إلى جَوْهَرٍ؛ فقتله في رَجَب. وبقي جَوْهَرٌ في الغَرْب تَحْوِيْسَةً، وتوجَّهَ إلى إفريقيَّة^(١).

وفي هذه السنة: وصل إلى قُرْطُبَةِ السَّاحِنُ بْنَ قَنُونَ^(٢)، من بني إدريس، فارًا بنفسه أمام جَوْهَرٍ قائد أبي تميم المذكور. وكان بُنُوءُ^(٣) محمد بن القاسم من بني إدريس بن إدريس، رحمة الله، أجمعوا على هَدْمِ تِيطَاوَنَ^(٤)؛ فهدموها^(٥)، ثُمَّ ندموا على ذلك، وشروعوا في بنائها، فضَّجَّ أهْلُ سَبْتَةَ لِذَلِكَ، لَأَنَّ بَنَاءَهَا صَرَرُّهُمْ، فبعثَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ جِيشًا بِرَسْمٍ مُحَارِبَةً بْنَيِّ مُحَمَّدٍ، وقَوْدَ^(٦) عَلَى الجَيْشِ أَحْمَدَ^(٧) بْنَ يَعْلَى. وكتب الناصِرُ إلى حُمَيْدَ بْنَ يَصَّلَ^(٨)، صاحِبِ تِيكِيسَاسِ وَتِلْكَ الْجَهَاتِ كُلُّهَا، أَنْ يُعينَ القائد المذكورَ على بَنَيِّ مُحَمَّدٍ، فتَخَلَّى بْنُو مُحَمَّدٍ عَنْ بَنَاءِ تِيطَاوَنَ^(٩) لِمَا اجْتَمَعَ الْعُسْكَرُانَ عَلَيْهِمْ، وَبَعْثُوا أَوْلَادَهُمْ^(١٠) مَرَاهِنَ إِلَى قُرْطُبَةِ.

وفي سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة: وصل كتابُ صاحب سَبْتَةَ إلى أمير الأندلس^(١١) عبد الرحمن الناصر، يُعرَفُ بِهَا فُتْحَ عَلَيْهِ فِي عَسْكَرِ جَوْهَرٍ قائد الشيعيِّ.

(١) الكامل لابن الأثير / ٨ / ٥٢٤.

(٢) في ر ١: «جعفر»، وقد ذكر ابن خلدون أخباره في تاريخه ٢١٨-٢١٩.

(٣) في ر ١: «أبو»، خطأ.

(٤) في ر ١: «تطاون».

(٥) في ر ١: «فهدمها».

(٦) سقطت الواو من أ، م.

(٧) في ر ١: «محمد».

(٨) في ر ١: «مصل».

(٩) في ر ١: «تطاون».

(١٠) في ر ١: «أولاده».

(١١) في ر ١: «سلطانه» بدلاً من: «أمير الأندلس».

وفي سنة تسع وأربعين وثلاث مئة: وجَهَ أبو تميم المُعْزُ لِدِينَ اللَّهِ القاضي إلى أئمَّةِ المساجدِ والمؤذنِين، يأْمُرُهُم إلَّا يؤذنوا إلَّا ويقولوا فيه: «حَيٌّ^(١) عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» وأن يقرؤوا: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» في أوَّلِ كُلُّ سُورَةٍ، وَيُسَلِّمُوا^(٢) تَسْلِيمَتَيْنِ، ويَكْبُرُوا عَلَى الْجَنَاثَرِ خَمْسًا^(٣)، وَلَا يَؤْخُرُوا الْعَصْرَ، وَلَا يُبَكِّرُوا بِالْعَشَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَصِحَّ امْرَأَةٌ وَرَاءَ^(٤) جَنَازَةً، وَلَا يَقْرَأُ الْعُمَيْانُ عَلَى الْقُبُورِ إلَّا عِنْدَ الدَّفْنِ.

وفي سنة خمسين وثلاث مئة: تُوفِيَ حُسْنِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِدْرِيسَ الْحَسَنِيَّ بِقُرْطُبَةَ وَكَانَ رَهِيْنًا بِهَا، وَخَلَفَ أَبْنِيْنِ يُسَمَّيَانِ: مُحَمَّدًا وَحُسَيْنًا، فَلِمَ يَزَالَا مُسْتَقْرِرَيْنَ بِقُرْطُبَةِ إِلَى خِلَافَةِ الْحَكَمِ، فَبَعَثُهُمَا إِلَى إِخْوَانِهِمَا، فَوَصَّلَا فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعَ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ، وَاسْتَقَرُّا بِبِلَادِهِمَا بِالْغَرْبِ^(٥).

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة: أَخْذَ الرُّومُ مِدِينَةَ الْمِصِّيَّةَ وَمِدِينَةَ طَرْسُوسَ^(٦)، وَاسْتَولُوا عَلَيْهِمَا^(٧).

وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة: وَفَدَ عَلَى الْحَكَمِ الْمُسْتَقْرِرِ بِاللَّهِ^(٨) أَبُو صَالِحَ زَمُورَ الْبَرْغَاطِيَّ^(٩) رَسُولًا مِنْ أَمِيرِ الْبَرْغَاطَةِ أَبِي مُنْصُورِ عِيسَى بْنِ أَبِي الْأَنْصَارِ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ^(١٠) شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ^(١١) السَّنَةِ. وَكَانَ الْمُتَرْجِمُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ

(١) في ر١: «إِلَّا بِالْحَيِّ».

(٢) سقطت من أ.

(٣) سقطت من ر١، وَلَا بدَّ مِنْهَا إِذَا لَا مَعْنَى مِنْ غَيْرِهَا.

(٤) في ر١: «خَلَفٌ».

(٥) في ر١: «وَاسْتَقَرُوا بِبِلَادِ الْغَرْبِ».

(٦) في ر١: «مِدِينَتِي الْمِصِّيَّةُ وَطَرْسُوسُ».

(٧) ذَكَرَ أَبْنُ الْأَئْيَرِ فِي الْكَامِلِ أَنَّ اسْتِيلَاءَ الرُّومَ عَلَى الْمِصِّيَّةِ وَطَرْسُوسَ كَانَ سَنَةَ ٣٥٤ (الْكَامِلُ / ٨ / ٥٦٠)، وَهُوَ الْأَصْحَ.

(٨) انظر الْحَلَةُ السِّيَّرَاءُ ١ / ٢٠٠.

(٩) هو زمور بن صالح بن هاشم بن وراد، وينظر تاريخ ابن خلدون ٦ / ٢٠٧.

(١٠) ليست في ر١.

(١١) ليست في ر١.

العربي^(١) عيسى بن داود المسطاسي^(٢). فسأله الحكم عن نسب برغواطة ومذهبهم^(٣)؟ فأخبره^(٤).

خبر برغواطة^(٥)

ومن أخبار برغواطة ما خبر^(٦) زمُورْ أَنَّ طَرِيفًا كَانَ أَبَا مُلُوكِهِمْ. وَهُوَ مَنْ وَلَدَ شِمْعُونَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: وَكَانَ طَرِيفٌ مِنْ أَصْحَابِ مَيْسِرَةَ مَلِكِ الْمَغْرِبِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ^(٧)؛ فَلَمَّا قُتِلَ مَيْسِرَةُ، وَافْتَرَقَ^(٨) أَصْحَابُهُ، احْتَلَ طَرِيفَ بِلَادَ^(٩) تَامَسْنَا فَقَدَّمَهُ^(١٠) الْبَرِيرُ عَلَى أَنفُسِهِمْ، فَوَلَيَّ أَمْرَهُمْ، وَكَانَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ جَزِيرَةُ طَرِيف^(١١). فَبَقَى أَمِيرًا عَلَيْهِمْ، إِلَى أَنْ هَلَكَ، وَتَرَكَ أَرْبَعَةَ أَوْلَادَ. فَوَلَيَّ الْأَمْرَ مِنْ^(١٢) بَعْدِهِ صَالِحُ^(١٣) بْنُ طَرِيفٍ، وَكَانَ مُولَدُهُ سَنَةُ عَشْرَ وَمِائَةٌ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَتَبَّأَ فِيهِمْ، وَشَرَعَ لَهُمْ دِيَانَةً، وَسَمَّى نَفْسَهُ صَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَاهَدَ إِلَى أَبْنَهِ إِلْيَاسَ بِدِيَانَتِهِ، وَأَمْرَهُ أَلَا يُظْهِرَ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا قَوَىَ أَمْرُهُ، وَجِئَنَّ يَدِهِ إِلَى مَذْهَبِهِ، وَيُقْتَلُ مِنْ خَالَفَهُ فِيهِ مِنْ قَوْمِهِ. وَأَمْرَهُ بِمَوَالَةِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ. وَخَرَجَ صَالِحٌ إِلَى الْمَسْرِقِ، وَزَعَمَ

(١) في ر ١: «بالعربية» بدلاً من «باللسان العربي».

(٢) في تاريخ ابن خلدون ٦ / ٢٠٧ اسمه: داود بن عمر المسطاسي.

(٣) في ر ١: «ومذاهبهم».

(٤) تاريخ ابن خلدون ٦ / ٢٠٧ .

(٥) العنوان من ر ١.

(٦) في ر ١: «فأخبر» بدلاً من: «ومن أخبار برغواطة ما خبر».

(٧) في ر ١: «خبره».

(٨) في ر ١: «وتفرق».

(٩) في ر ١: «بِلَد».

(١٠) في ر ١: «فقيلده».

(١١) الروض المعطار ٣٩٢ .

(١٢) ليست في ر ١.

(١٣) تاريخ ابن خلدون ٦ / ٢١٠ .

أنَّه يعود إليهم في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنَّه هو المَهْدِيُّ الْأَكْبَرُ الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدَّجَّالِ، وأنَّه يملأ الأرض عذلاً كما ملئت جَوْرًا، وتكلم لهم في ذلك بكلام كثير نسبته لموسى، عليه السلام، ولسَطْحِ الكاهن وغيره.

ثمَّ وَلِيٌ^(١) بعده إِلِيَّاسُ بْنُ طَرِيفٍ، فَأَظْهَرَ دِيَانَةَ الْإِسْلَامِ وَالْعَفَافِ، وَبَقِيَ أَمِيرًا خَمْسِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ هَلَكَ، وَتَرَكَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَوْلَادِ. فَوَلِيَ ابْنُهُ يُوسُفُ بْنُ إِلِيَّاسَ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا وَصَلَ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَحَجَّ، وَلَمْ يَجْعَلْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَأَظْهَرَ دِيَانَةَ جَدِّهِ، وَدَعَا إِلَيْهَا، وَقُتِلَ مِنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا، حَتَّى أَخْلَى ثَمَانِيْمَائَةَ مَوْضِعًا مِنْ مَوْاضِعِ الْبَرِّ، قِيلُ: إِنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعَةَ آلَافٍ وَنَحْوِ السَّبْعِ مِائَةٍ. وَهَلَكَ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ تَحْوَأَرْبِيعَنِ سَنَةً، وَخَرَجَ الْأَمْرُ عَنْ بَنِيهِ.

وَقَامَ أَبُو عُفَيْرٍ مُحَمَّدٌ^(٢) بْنُ مُعَاذَ بْنِ الْيَسَعِ بْنِ طَرِيفٍ؛ فَاسْتَولَ عَلَى مَلْكِ تِلْكَ الْبَلَادِ، وَدَأَنَّ بِدِيَانَةِ آبَائِهِ. وَاشْتَدَّ شُوْكُتُهُ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ. وَكَانَتْ^(٣) لَهُ وَقَائِعَةُ فِي الْبَرِّ مُشْهُورَةً، مِنْهَا وَقَعَةُ تَامَغْرَا^(٤)، أَقَامَ الْقَتْلَ فِيهَا ثَمَانِيَّةَ^(٥) أَيَّامٍ. وَمِنْهَا وَقَعَةُ بَهْتَ، عَجَزَ الْإِحْصَاءُ عَنِ عَدِّ^(٦) مِنْ قُتْلِ فِيهَا. وَكَانَ لَأَبِي عُفَيْرٍ مِنَ الْزَّوْجَاتِ أَرْبَعًا وَأَرْبَعُونَ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ بَعْدَهُنَّ. وَمَاتَ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ تَسْعَةَ^(٧) وَعَشْرِينَ سَنَةً.

ثُمَّ وَلِيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي عُفَيْرٍ، وَهُوَ أَبُو الْأَنْصَارِ، وَذَلِكَ عِنْدَ قَمَ الْمَهْدِيَّةِ الْأَنْتَيْرِيَّةِ، وَكَانَ شِيخًا^(٨) طَرِيفًا، يَرْفِي بِالْوَعْدِ وَالْعَهْدِ، وَيَحْفَظُ الْجَارَ وَيُكَافِعُ عَلَى الْهَدِيَّةِ بِأَضْعافِهَا^(٩).

(١) في ر١: «وَوْلِيٌّ».

(٢) في أ١، م١: «يَحْمَدُ» وَسِيَّاتِي كَمَا أَثَبَتَنَا مِنْ ر١ بَعْدَ قَلِيلٍ فِي النَّسْخَتَيْنِ «مُحَمَّدٌ».

(٣) في ر١: «وَكَانَ».

(٤) في م١: «تَامَعْزًا»، وَفِي الْبَكْرِيِّ: «تَيْمَغَسَنَ».

(٥) في ر١: «ثَلَاثَةٌ».

(٦) في ر١: «عَدَدٌ».

(٧) في ر١: «سَبْعَانًا».

(٨) في أ١، م١: «سَخِيَّاً».

(٩) لِيْسَ فِي ر١.

وَصِفَتُهُ: أَفْطَسُ، شَدِيدُ أَدْمَةِ الْوَجْهِ^(١)، نَاصِعٌ بِيَاضِ الْجِسمِ، طَوِيلُ الْلَّحْيَةِ. وَكَانَ يَلْبِسُ السَّرَّاويلَ وَالْمِلْحَفَةَ، وَلَا يَلْبِسُ الْقَمِيصَ، وَلَا يَعْتَمُ إِلَّا فِي الْحَرَبِ، وَلَا يَعْتَمُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا الغَرِيَّةَ عِنْهُمْ. وَكَانَ فِي كُلِّ عَامٍ^(٢) يَحْشُدُ^(٣) وَيُظْهِرُ أَنَّهُ يَغْزُو مِنْ^(٤) يَلِيهِ مِنَ الْقَبَائِلِ؛ فَيُهَادِونَهُ^(٥)، فَيُتَرَكُ حَرَكَتَهُ. فَمَلَكَ فِي دَعَةٍ نَحْوِ اثْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

ثُمَّ وَلِيَ أَبُو مَنْصُورِ عِيسَى بْنِ أَبِي الْأَنْصَارِ، الَّذِي بَعَثَ زَمُورًا هَذَا إِلَى الْمُسْتَبْصِرِ بِاللَّهِ الْأَمْوَيِّ سَنَةَ اثْتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةَ، وَهُوَ عِيسَى بْنُ أَبِي الْأَنْصَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَفِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ مُعاذِ بْنِ الْيَسَعِ بْنِ صَالِحِ بْنِ طَرِيفٍ. وَكَانَ سِنَّهُ إِذَا وَلِيَ اثْتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً، فَسَارَ بِسِيرَةِ أَبِيهِ، وَدَانَ بِدِيَانَتِهِ. وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ. وَكَانَ أَبُوهُ قَدْوَصَاهُ عَنْدَ مَوْتِهِ بِمَوَالَةِ أَمِيرِ الْأَنْدُلُسِ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ سَابِعُ الْأُمُرَاءِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، وَأَرْجُو أَنْ يَأْتِيَكَ جَدُّكَ صَالِحٌ كَمَا وَعَدْ». انتهى مَا اخْتَصَرَهُ مِنْ كَلَامِ زَمُورٍ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَذْحِجِيُّ: إِنَّ يُؤْسَ القَائِمَ بِدِينِ بَرْغَوَاطَةِ أَصْلُهُ مِنْ شَدُونَة^(٦)، مِنْ جِهَةِ وَادِيِّ بَرْبَاطٍ؛ وَكَانَ قَدْ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرُقِ فِي^(٧) عَامِ أَحَدٍ وَمِئَتَيْنِ مَعَ عَبَّاس^(٨) بْنِ نَاصِحٍ، وَزَيْدَ بْنِ سِنَانَ^(٩) الْزَّنَاتِيِّ صاحِبِ الْوَاصِلِيَّةِ، وَبَرْغُوث^(١٠) بْنِ سَعِيد^(١١) وَكِيلِ الصُّفْرِيَّةِ، وَمَنَادِ صَاحِبِ الْقَلْعَةِ الْمَنَادِيَّةِ، قَرِيبًا مِنْ

(١) في أ، م: «الأدمة في الوجه».

(٢) في ر١: «سنة».

(٣) في ر١: «يحييش».

(٤) في أ، م: «ملن».

(٥) في ر١: «فينادونه»، محرفة.

(٦) الروض المعطار .٣٣٩

(٧) ليس في ر١ .

(٨) ينظر الوافي بالوفيات للصفدي ١٦ / ٦٤٤.

(٩) قوله: «بن ناصح، وزيد بن سنان» سقط من ر١.

(١٠) في ر١: «برغوث» بالباء ثالث الحروف.

(١١) أضاف ناشر (م) بعد هذا من البكري: «التاري وجدبني عبد الرزاق ويعرفون ببني»، والنص مستقيم من غير هذه الزيادة.

سِجْلَمَةَ^(١)، وَآخَرَ ذَهَبَ عَنِّي اسْمُهُ. فَأَرْبَعَةُ مِنْهُمْ^(٢) فَقَهُوا فِي الدِّينِ. وَادَّعَى^(٣) يُونُسْ صَاحِبُ بَرْغَوَاطَةِ النُّبُوَّةِ. قَالَ: وَكَانَ يُونُسْ شَرِبَ دَوَاءً لِلْحَفْظِ، فَحَفِظَ كُلَّ مَا سَمِعَهُ، وَطَلَبَ عِلْمَ النَّجُومِ وَالْكِهَانَةِ، وَنَظَرَ فِي الْجَدَلِ^(٤)، وَانْصَرَفَ؛ فَنَزَلَ بَيْنَ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ؛ فَرَأَى جَهَلَهُمْ. وَكَانَ يُخَبِّرُهُمْ بِأَشْيَاءِ قَبْلِ كَوْنِهَا، مَمَّا يَدْلُلُ عَلَيْهِ التَّنْجِيمِ؛ فَيَكُونُ كَمَا قَالَ^(٥)، أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ، فَعَظِيمُ عَنْهُمْ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَعِلْمَ ضَعْفَ عَقْوَهُمْ وَكُثْرَةِ جَهَلِهِمْ، أَظْهَرَ دِيَانَتَهُ، وَدَعَا إِلَى نُبُوَّتِهِ، وَسَمِّيَّ مِنْ أَتَّبَعِهِ بِرْبَاطِيٌّ؛ ثُمَّ أَحَالُوهُ بِالْسِّتَّهُمْ، وَرَدُّوهُ «بَرْغَوَاطِيٌّ» بِلِغَتِهِمْ^(٦). وَكَانَ يُونُسْ قَدْ قُتِلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْبَرْبَرِ، حَتَّى أَطَاعُوهُ، وَعَلَى دِينِهِ تَابَعُوهُ^(٧). وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ هَشَامَ^(٨) الْمَاصِمُودِيُّ فِي وَقْعَةِ بَهْتَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً، مِنْهَا [مِنَ الْوَافِرِ]:

وَقُولِي وَاحْبَرِي خَبَرًا مُبِينًا ^(٩) وَخَابُوا لَا سُقُوا مَاءً مَعِينا فَأَخْرَى اللَّهُ أَمَّ الْكَاذِبِينَ عَلَى آثَارِ خَيْلِهِمْ رَزِينَا وَعَاوِيَةٍ وَمُسْقَطَةٍ جَنِينَا	قِفِي قَبْلَ التَّسْرُقِ فَاخْبِرِينَا هُمُومٌ ^(١٠) بَرَابِرٌ خَسِرُوا وَضَلُّوا يَقُولُونَ: النَّبِيُّ أَبُو عَفَيْرٍ أَلَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرِيَوْمَ بَهْتٍ رَزِينَ الْبَاكِيَاتِ بِهِمْ ثُكَالَ
---	---

(١) في ر١: «وَهِيَ قَلْعَةٌ حَمَادٌ» بَدَلًا مِنْ: «قَرِيبًا مِنْ سِجْلَمَةَ».

(٢) لِيُسْتَ في ر١.

(٣) الْوَاوُ مِنْ ر١.

(٤) في أ، م: «الْجَدَالِ»، وَمَا هُنَا مِنْ ر١ وَهُوَ الأَصْحَ.

(٥) «أَوْ كَمَا قَالَ» لِيُسْتَ في ر١.

(٦) سَقَطَتْ مِنْ أ، م.

(٧) في ر١: «وَتَابَعُوهُ عَلَى دِينِهِ».

(٨) في ر١: «هَاشِمٌ».

(٩) هَذَا الشَّطَرُ في ر١: «بِقُولٍ صَادِقٍ لَا تَكَذِّبِينَا».

(١٠) في ر١: «بَأْمَرٍ».

هُنَالِكَ يُوْسُّ وَبَنُوا أَيْهِ
يُوَالُونَ الْبَوَارَ مَعَظِمِنَا
فَلَيْسَ الْيَوْمَ رِدَّتْكُمْ وَلَكُنْ
لَيْسَ إِلَيْكُمْ كُنْتُمْ مُسْتَيْسِرِينَا

يعني بقوله: «**مُسْتَيْسِرِينَا**» من الميَاسِرَةِ أَصْحَابَ مَيْسَرَةِ الْحَقِيرِ^(١). فأمّا الضلالُ الذي شَرَعَ لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَقْرُونَ بِنُبُوَّةِ صَالِحٍ بْنِ طَرِيفٍ، وَأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أَلْفَهُمْ هُوَ^(٢) وَحْدَيْنِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَشْكُونَ فِيهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ - وَفَرَضَ لَهُمْ صَوْمَ رَجَبَ^(٣)، وَأَكْلَ رَمَضَانَ، وَخَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَكَذَلِكَ فِي الْلَّيْلَةِ، وَالضَّحِيَّةِ الْيَوْمِ الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَفِي الْوَضُوءِ غَسْلَ السُّرَّةِ وَالْخَاصِرَتَيْنِ، ثُمَّ الْاسْتِبْجَاءُ وَالْمَاضِمَةُ، وَغَسْلَ الْوَجْهِ، وَمَسْحَ الْقَفَافِ، وَغَسْلَ النِّرْاعَيْنِ وَالْمَنْكِيَّنِ، وَمَسْحَ الرَّأْسِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَمَسْحَ الْأَذْنَيْنِ كَذَلِكَ، ثُمَّ غَسْلَ الرِّجْلَيْنِ مِنَ الرُّكْبَتَيْنِ^(٤). وَبعْضُ صَلَاتِهِمْ^(٥) دُونَ سُجُودٍ، وَبعْضُهَا عَلَى كَيْفِيَّةِ صَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ. وَهُمْ^(٦) يَسْجُدُونَ ثَلَاثَ سُجُودًا^(٧) مَتَّصِلَاتٍ، وَيَرْفَعُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَرْضِ مِقْدَارَ نِصْفِ شِبْرٍ، وَيَقْرُؤُونَ نِصْفَ قِرَاءَتِهِمْ^(٨) فِي وَقْوفِهِمْ، وَنِصْفَهَا فِي رُكُوعِهِمْ، وَيَقُولُونَ فِي تَسْلِيمِهِمْ بِكَلَامِهِمْ: «اللَّهُ فَوْقَنَا، لَمْ يَغْبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ» ثُمَّ يَقُولُونَ: «مُقْرُبٌ بِأَكْثَرٍ» خَمْسَا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، وَتَفْسِيرُهُ: «الْكَبِيرُ اللَّهُ» وَيَقُولُونَ: «إِيْسَمْ بِاَكْشُ» تَفْسِيرُهُ: «بِسْمِ اللَّهِ» وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْبَاطِلِ^(٩). وَيَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيُطَلِّقُ^(١٠)

(١) لَيْسَ فِي أَ، مِ.

(٢) لَيْسَ فِي رَ، ا.

(٣) فِي رَ، «شَهْرُ رَجَبٍ».

(٤) «ثُمَّ غَسْلَ الرِّجْلَيْنِ مِنَ الرُّكْبَتَيْنِ» لَيْسَ فِي رَ، ا.

(٥) فِي رَ، «صَلَوَاتِهِمْ».

(٦) لَيْسَ فِي رَ، ا.

(٧) فِي رَ، «صَلَوَاتٍ»، خَطَأً.

(٨) فِي أَ، مِ: «قُرْآنَهُمْ»، وَلَا تَصْحُ.

(٩) فِي أَ، مِ: «وَغَيْرُ هَذَا».

(١٠) فِي رَ، «وَيُفْرَقُ».

ويُرَاجِعُ مَا أَحَبَّ. وَيُقْتَلُ^(١) السَّارِقُ بِالْإِقْرَارِ وَالْبَيِّنَةِ، وَيُرْجَمُ الزَّانِي، وَيُنَفَّى الْكَاذِبُ، وَيُسَمُّونَهُ الْمُغَيْرُ. وَالدِّيَةُ عِنْدَهُمْ مِئَةُ رَأْسٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَ[رَأْسٌ] كُلُّ حَيْوَانٍ^(٢) عَلَيْهِمْ حَرَامٌ؛ وَلَا يُؤْكَلُ الْحَوْتُ عِنْدَهُمْ إِلَّا أَنْ يُذَكَّى؛ وَالدِّيلُكُ وَالبَيْضُ عِنْدَهُمْ حَرَامٌ؛ وَالدَّجَاجُ مَكْرُوهٌ إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَيْهَا. وَلَيْسُ عِنْهُمْ أَذَانٌ، وَلَا إِقَامَةٌ؛ وَهُمْ يَكْتَفُونَ فِي مَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ بِصَرَاطِ الدِّيَكَةِ، وَلَذِكْ حَرَمُوهَا. وَيَتَبَرَّكُونَ بِصُاصِقَهِ، أَيْ: بُصَاصَقٌ صَالِحٌ. وَكَانُوا أَعْلَمَ النَّاسَ بِالنَّجُومِ.

وَكَانُوا أَجْمَلَ النَّاسَ رِجَالًا وَنِسَاءً. وَقُرْآنُهُمُ الَّذِي وَضَعَ لَهُمْ صَالِحٌ ثَانُونَ سُورَةً، أَكْثُرُهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَسْمَاءِ النَّبِيِّينَ، أَوْلَاهُ سُورَةُ أَيُّوبُ، وَآخِرُهَا^(٣) سُورَةُ يُوسُفُ. وَغَيْرُهَا مِنْ أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَفِيهَا سُورَةُ فِرْعَوْنُ، وَسُورَةُ الدِّيلِكِ، وَسُورَةُ الْجَرَادِ، وَسُورَةُ الْجَمَلِ، وَسُورَةُ هَارُوتُ وَمَارُوتُ، وَسُورَةُ الْحَشْرِ^(٤)، وَسُورَةُ غَرَائِبِ الدُّنْيَا، وَفِيهَا عِلْمٌ عَظِيمٌ عِنْهُمْ^(٥). وَلَمْ يَزِلْ كَثِيرٌ مِنَ الْقَبَائِلِ عَلَى مَذْهِبِهِمْ إِلَى عَامِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

رَجَعْنَا إِلَى نَسَقِ التَّارِيخِ: كَانَ الْحَكَمُ أَمِيرُ^(٦) الْأَنْدَلُسِ وَلِيَ الْخِلَافَةَ بِهَا سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ^(٧). فَطَاعَ لِهِ الْمَغْرِبُ كُلُّهُ. وَتَمَّ بِنَاءُ سُورَةِ سَبْتَةِ فِي عَامِ إِحدِي وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ: كَتَبَ الْحَكَمُ الْمُسْتَقْصِرُ بِاللهِ سِجِّلًا إِلَى أَهْلِ سَبْتَةِ، رَفَعَ عَنْهُمْ فِيهِ جَمِيعَ الْوَظَائِفِ الْمَخْزِنَةِ وَالْمَغَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ. قَالَ ابْنُ حَمَادُهُ: رَأَيْتُ هَذَا السِّجِّلَ عِنْدَ الْقَاضِيِّ عِيَاضَ رَحْمَهُ اللهُ مَوْرَخًا بِشَهْرِ صَفَرَ مِنَ الْعَامِ

(١) مِنْ هَنَا إِلَى نَهَايَةِ الْفَقْرَةِ لَمْ يَرِدْ فِي ر١.

(٢) الَّذِي عِنْدَ الْبَكْرِيِّ: «وَرَأْسُ كُلِّ حَيْوَانٍ»، وَهُوَ الصَّوَابُ، لَذِكْ زَدَنَاهَا بَيْنَ حَاصِرَتِينَ.

(٣) لَيْسَ فِي ر١.

(٤) «وَسُورَةُ الْحَشْرِ» لَيْسَ فِي ر١.

(٥) فِي ر١: «وَفِيهَا عِنْهُمْ عِلْمٌ كَبِيرٌ».

(٦) فِي ر١: «مَلِكٌ».

(٧) تَنْظَرُ الْحَلَةِ السِّيَرَاءِ / ٢٠٠.

المذكور؛ ذكر^(١) فيه: «وما وَقَعَ عَلَيْهَا مِنَ الْمُؤْنَ السُّلْطانِيَّةِ فِي التَّقْسِيسِ، فَهُوَ مَضْرُوبٌ عَلَى شَرَفِ إِشْبِيلِيَّةٍ».

وفي سنة أربع وخمسين وثلاث مئة: تُوفِّي أبو الطَّيِّبُ الْمُسْتَبِّي^(٢)، وكان مَوْلَدُه بالكوفة سنة ثلاثة وثلاث مئة، وعُمُرُه إحدى وخمسون سنة، وكان أَشْهَرَ مِنْ أَنْ يُذَكَّر^(٣).

وفي سنة سبع وخمسين وثلاث مئة: تُوفِّي الأَسْتَاذُ كَافُور^(٤) بمصر.

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة: بعث المُعِزُّ أبو تَمِيمَ مَعْدَ ابنُ النَّصُورِ العَبَيْدِيُّ أبا الحَسَنِ جَوْهَرًا إِلَى مِصْرَ، لِمَا تُوفِّيَ كَافُورُ الْإِخْشِيدِيُّ أَمِيرُ مِصْرَ، فَلَمَّا وَصَلَهَا جَوْهَرُ، فَتَحَاهَا فِي شَعْبَانَ^(٥).

وفي سنة تسع وخمسين وثلاث مئة: أَنْفَذَ جَوْهَرُ إِلَى المُعِزِّ لِدِينِ اللهِ هَدِيَّةً حَفِيلَةً^(٦) صُحْبَةً وَلَدَهِ جَعْفَرٌ فِي رَجَبٍ.

وفي سنة ستين وثلاث مئة: وَصَلَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْقِرْمَطِيُّ إِلَى دِمْشَقَ^(٧)، وُقْتَلَ جَعْفَرُ بْنُ فَلَاحَ^(٨)، وَتَغْلَبَتِ الْقَرَامِطَةُ عَلَى دِمْشَقَ، وَصَارُوا إِلَى الرَّمْلَةِ^(٩).

وفي سنة إحدى وستين وثلاث مئة: خَرَجَ أَبُو تَمِيمَ مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ رَاحِلًا إِلَى الْمَسْرِقِ، فِي أَوَاخِرِ شَوَّالٍ، لِثَمَانِيَّ بَقِينَ مِنْهُ، وَاسْتَخَلَفَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ أَبَا الْفُتوْحِ الصُّنْهَاجِيِّ^(١٠).

(١) في ر١: «قال».

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ٦٥ / ٨.

(٣) «وكان أشهر من أن يذكر» ليست في ر١.

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٠٥ / ٨.

(٥) الحلقة السيراء ٣٩٢ / ٢.

(٦) في م: «جميلة»، محرفة.

(٧) أخباره في تاريخ دمشق ١٣ / ٦-٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٥٤ / ٨.

(٨) ترجمته وأخباره في وفيات الأعيان ١ / ٣٦٢-٣٦١، وتاريخ الإسلام ١٤٢ / ٨ وهو أول والٍ على دمشق لبني عبيد.

(٩) ينظر الكامل لابن الأثير ٦١٤ / ٨.

(١٠) الكامل لابن الأثير ٦٢٠ / ٨، ونهاية الأدب للنويري ٢٤ / ٨٥.

ابتداء الدولة الصنهاجية بإفريقية^(١)

ولاية أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي^(٢) إفريقية

لما خرج أبو تميم المعز^(٣) من إفريقية إلى المشرق^(٤)، استخلف يوسف المذكور^(٥) وأمر الكتاب أن يكتبوا إلى العمال وولاة الأشغال بالسمع والطاعة لأبي الفتوح^(٦). ورحل أبو تميم^(٧) إلى مصر، فاحتلها^(٨)، وأمن أهلها، وبنى القاهرة المعازية نسبة إليه^(٩)، وأخذها دار ملكه. وبقي أبو الفتوح أميراً على إفريقية والمغرب كله من جهته^(١٠). قال القضايعي: لما وصل المعز^(١١) أبو تميم إلى الإسكندرية، توجه إليه من مصر القاضي، والشهود، وأعيان أهل^(١٢) البلد، مهتمين، وداعين، ومسلين. ثم استقرَ المعز بقصره^(١٣) في السابع لرمضان.

وفي سنة ثلاثة وستين وثلاثمائة: وصل القرمطي^(١٤) إلى الطواحين، في جمادى الأولى، وانهزم في شعبان من هذه السنة.

(١) هذا العنوان ليس في را.

(٢) «ابن مناد الصنهاجي» ليس في را.

(٣) من را فقط.

(٤) في را: «إلى ملك مصر»، وما هنا أصح لأن مصر كانت قد ملكت له.

(٥) بعد هذا في را: «عليها».

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٤ / ٩٣.

(٧) في را: «المعز».

(٨) هكذا في النسخ، وإنما احتلها قائد جوهر، وكذلك بناء القاهرة، إنما بناها قائد جوهر.

(٩) قوله: «وبني القاهرة المعازية نسبة إليه» ليست في أ، م.

(١٠) «من جهته»: ليست في أ، م.

(١١) من را.

(١٢) ليست في را.

(١٣) في أ، م: «بقصر المعز»، وما هنا من را وهو الأحسن.

(١٤) ليست في را.

وفي سنة خمس وستين وثلاث مئة: تُوفى أبو تميم المُعْزُ لِدِينِ الله^(١) العَبِيدِيُّ، في يوم الجمعة الحادي عشر لِربيع الآخر^(٢)، فكانت ولادته ثلثاً وعشرين سنة، وخمسة أشهر، وأياماً، منها مقامه بمصر ستة وسبعين شهر^(٣).

ولاية العزيز بالله نزار

فولى الإمارة بمصر العزيز بالله نزار^(٤)، المُكْنَى بأبي النصوص، ابن معد المُكْنَى بأبي تميم^(٥). ولد بالمهدية في محرم سنة أربع وأربعين وثلاث مئة؛ وولى العهد بمصر في العاشر لِربيع الأول سنة خمس وستين^(٦)، وسُرتَّ وفاة أبيه، وسلم عليه بأمير المؤمنين. وقد^(٧) ذكرنا بعض أخباره في أمراء مصر في «أخبار المشرق».

وفي جمادى الآخرة من سنة خمس وستين وثلاث مئة: بعث^(٨) أبو الفتوح أمير إفريقية إلى العزيز بالله هدية؛ فشيّعها. وعاد أبو الفتوح إلى رقادة، فخرج إليه أهل القيروان، فتلقاهم بأحسن قبول، وأنزلهم أجمل نزول وبعد ذلك عزم أبو الفتوح

(١) «الدين الله» ليست في را.

(٢) «في يوم الجمعة الحادي عشر لِربيع الآخر» ليست في را. وذكر ابن الأثير أن وفاته كانت في سابع عشر ربيع الآخر (الكامل / ٦٦٣) وقال ابن خلكان: «توفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر، وقيل: الثالث عشر، وقيل: لسيع خلون منه» (وفيات الأعيان ٢٢٨ / ٥).

(٣) بعد هذا في را: «أولى بعده ولده نزار».

(٤) «فولى الإمارة بمصر العزيز بالله نزار» ليست في را.

(٥) في را: «ابن معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبد الله الشيعي».

(٦) هكذا في النسختين، وهو وهم بين، فأبوه توفي في ربيع الآخر فكيف يتولى هو في ربيع الأول؟! وذكر المقريزي أنه ولـي العهد بمصر ويوم لسيع بقين من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاث مئة (اتعاظ الحفا ٩٣). وهذا يتفق مع من قال: إنه توفي لسيع خلون منه، كما نقلنا قبل قليل من وفيات الأعيان لابن خلكان.

(٧) من هنا إلى نهاية الفقرة ليس في را.

(٨) في را بدلاً مما تقدم: «وفيها بعث».

على الانتقال إلى فَحْص أَبِي صَالِح، فَخَرَج لِتَوْدِيعِهِ الْقُضَاهُ وَالشِّيوخُ^(١) لِثَلَاثَ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنِ السَّنَةِ الْمُؤَرَّخَةِ.

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ: أَمْرَ أَبْوَ الْفُتوحِ الْعَامِلُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ وَالِيهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدَ الْكَاتِبُ أَنْ يُقْتِيمَ أَسْطُولًا بِالْمَهْدِيَّةِ مُعدَّةً مِنَ الرِّجَالِ وَالسَّلاحِ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، وَأَخْذَ فِي حَسْدِ الْبَحْرِيِّينَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ، وَأَمْرَ أَنْ يُؤْخَذَ كُلُّ مَنْ لُقِيَ مِنْهُمْ بِالْقَبْرِ وَانْغِيرَاهَا وَمَلَأُوهُمُ السُّجُونَ. وَأَدْرَكَ خَاصَّةَ الْبَلْدِ وَعَامَّتَهُمْ مِنَ الْخُوفِ مَا لَزَمَوا لِهِ الْبَيْوتَ، وَانْتَهَى حَالُهُمْ إِلَى أَنَّهُ^(٢)، إِذَا ماتَ أَحَدُهُمْ^(٣)، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا النِّسَاءُ.

وَفِي سَنَةِ سِتٍ وَسِتِينَ^(٤) وَثَلَاثَ مِئَةٍ: خَرَجَ الْأَسْطُولُ مِنِ الْمَهْدِيَّةِ فِي أَوَّلِ الْمَحْرَمِ، فَتَعَدَّرَتِ الرِّيحُ عَلَيْهِمْ^(٥)؛ فَأَقَامُوا حَتَّى فَرَغْتُ أَزْوَادُهُمْ فِي الْبَحْرِ^(٦) وَعَدَمُوا الْمَاءَ؛ فَهَرَبَ جَمِيعُ مَنْ فِيهَا^(٧) مِنَ النَّوَاتِيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ^(٨)، وَصَارُوا إِلَى الْبَرِّ؛ فَنَهَبُوا مَا فِي الْمَرَاكِبِ مِنْ عُدَّةٍ وَسِلَاحٍ، وَهَرَبُوا إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ. فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ يَطْلُبُهُمْ^(٩)؛ فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ^(١٠)، قُتِّلَ.

وَفِي^(١١) هَذِهِ السَّنَةِ: تُوفَّى زِيَادُهُ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِيْنَ فِي سِجْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبِ؛ وَقِيلَ: إِنَّهُ قُتِلَهُ بِأَنْواعِ الْعَذَابِ^(١٢).

(١) فِي ر١: «وَالأشیاخ فی آخر رجب»، وَمَا أَثَبَنَاهُ مِنْ أَنَّهُ، وَيَنْظَرُ نَهَايَةُ الْأَرْبَ لِلنُّورِيِّ ٩٤ / ٢٤.

(٢) «إِلَى أَنَّهُ» لَيْسَ فِي أَنَّهُ.

(٣) «أَحَدُهُمْ» لَيْسَ فِي ر١.

(٤) فِي ر١: «وَثَلَاثِينَ»، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ.

(٥) فِي م: «عَلَيْهَا».

(٦) «فِي الْبَحْرِ» لَيْسَ فِي ر١.

(٧) فِي ر١: «بِهَا».

(٨) فِي ر١: «الْبَحْرِيِّينَ وَالنَّوَاتِيَّةِ».

(٩) فِي ر١: «الْطَّلْبُ عَلَيْهِمْ».

(١٠) فِي ر١: «وُجِدَ مِنْهُمْ».

(١١) هَذِهِ الْفَقْرَةُ لَيْسَ فِي ر١.

(١٢) يَنْظَرُ نَهَايَةُ الْأَرْبَ لِلنُّورِيِّ ٩٤ / ٢٤.

وفي هذه السنة: نادى عامل إفريقية والقيروان، وهو عبد الله الكاتب؛ فاجتمع الناس إليه، فأخذ من أعيانهم نحو ست مئة رجل^(١) وأغرمهم الأموال بالتعيين: يأخذ من الرجل الواحد عشرة آلاف دينار، ومن آخر ديناراً واحداً. فاجتمعت له بالقيروان أموال كثيرة. وعم هذا الغرم سائر أعمال إفريقية ما عدا الفقهاء والصلحاء والأدباء وأولياء السلطان^(٢). وكان الذي جبى من القيروان نيقاً على أربع مئة ألف دينار عيناً. وبقي الأمر كذلك في الطلب، إلى أن وصل الأمر من مصر إلى أبي الفتوح برفع الغرم عن الناس، فأطلقهم عبد الله الكاتب في أواخر شوال.

وفي سنة سبع وستين وثلاث مئة: بعث عبد الله الكاتب عامل إفريقية هذا المال^(٣) إلى ملك مصر العزيز بالله بأمر أبي الفتوح صاحب إفريقية من قبل العزيز بالله، وكتب على كل صرّة اسم صاحبها. فكان خروج هذا المال من المنصورية لخمسين بيّن من جهاد الآخرة. ولما وصل المال إلى مصر، رد العزيز بالله بعض الضرر لأربابها.

وفي هذه السنة: أنعم العزيز بالله على أبي الفتوح بأطربالبس ونواحيها^(٤). فقدم عليها أبو الفتوح يحيى بن خليفة الميلاني، فأقام بها شهوراً، ثم عزّله.

وفيها: زحف خزرون بن فلفل^(٥) بن خزر الزناتي إلى سجلماسة، في عدد عظيم، فخرج إليه المعتز، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل المعتز، لخمس بيّن من رمضان، وملك^(٦) خزرون سجلماسة، وأخذ فيها أموالاً جليلة. وبعث خزرون برأس المعتز إلى الأندلس واستحكم بها ملك زناته وأتباعهم^(٧).

(١) بعد هذا في أ، م: «من أغنيائهم».

(٢) قوله: «ما عدا الفقهاء والصلحاء والأدباء وأولياء السلطان» ليس في ر. ١.

(٣) بعد هذا في ر. ١: «المبارك».

(٤) الكامل لابن الأثير ٨/٦٦٥.

(٥) هكذا سباه، وفي كامل ابن الأثير ٨/٦٦٥، وتاريخ ابن خلدون ٧/١٩، وصبح الأعشى للقلشندي ٥/١٦٢: «فلفول».

(٦) في أ: «وحكمة».

(٧) الكامل لابن الأثير ٨/٦٦٥.

وفي هذه السنة: وصل أبو الفتوح صاحب إفريقية إلى سبتة، فحاصرها. وبعث إليه ابن أبي عامر برأس جعفر بن علي، أراد أن يُرضِّيهُ بذلك. وكان ابن أبي عامر قد قتل^(١) جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلس. ويأتي خبر قتله في أخبار ابن أبي عامر من أخبار الأندلس.

وفي سنة ثمان وستين وثلاث مئة: خرج العزيز من مصر إلى الشام في عَدَدٍ عظيمٍ ونزل بالرملة. وكان بين يديه ألف بَنْدٍ وخمس مئة طبل. وكان جوهر قائدُه خرج في العام الفارط إلى الشام، فهزمه أفتاكين^(٢) التركىُّ ورجع إلى مصر مفلولاً. فخرج العزيز بالله في هذه السنة بنفسه^(٣)، فلما نزل الرملة، خرج إليه التركىُّ. فكانت بينهم حروبٌ عظيمة؛ فانهزم التركىُّ^(٤)، وأخذ أسرى؛ فسيق إلى العزيز بالله بحبيل في عنقه، ولما وصل إلى مصر، عفا عنه، ومات بعد ذلك.

وفي هذه السنة: دخل أبو الفتوح صاحب إفريقية من قبل العزيز بالله^(٥) بلاد الغرب، واستولى عليها، وهدم مدينة البصرة، ومحا رسماها بعد طول مددتها وكثرة عمارتها. وكان رحيل أبي الفتوح من إفريقية إلى الغرب يوم الأربعاء لخمس بقين من شعبان من سنة ثمان وستين وثلاث مئة^(٦)؛ فوصل بجيشه الضخم^(٧) إلى فاس، فاستولى عليها، وملك سجلاسة وبلاط ال�بط كلها، وطرد من جميعها^(٨) عمال بني أمية^(٩). ثم رحل

(١) في ر ١: «قتله»، ولم ترد فيها بقية الفقرة.

(٢) ويقال فيه: «هفتاكين» أيضًا كما في تاريخ الإسلام ٢٩٧/٨ وجاء في النسختين: «أفتاكين»، خطأ.

(٣) «فخرج العزيز بالله في هذه السنة بنفسه» ليست في ر ١.

(٤) في ر ١: «أفتاكين صاحب الشام من قبل الخليفة العباسي»

(٥) «صاحب إفريقية من قبل العزيز بالله» ليست في ر ١.

(٦) «وكان رحيل أبي الفتوح من إفريقية إلى الغرب يوم الأربعاء لخمس بقين من شعبان من سنة ثمان وستين وثلاث مئة» لم يرد في ر ١.

(٧) ليست في ر ١.

(٨) في ر ١: «جميعهم»

(٩) الكامل لابن الأثير ٦٦٥/٨.

إلى سبعة في طلب من لها إليها من زناته. فلما أشرف عليها، تأمل الوصول إليها، فرأى من تحصينها^(١) ومنعها ما لا يُستطيع إدراكه^(٢) إلا بالراكب البحري^(٣)؛ فرجع عنها، ولم يُعوزه من بلاد المغرب غيرها. ومَضى^(٤) يُريد البصرة؛ وكان فيها عمارة عظيمة بالأندلس والبربر. فلما دخلها، أمر بهدمها، وتهبَّ ما كان فيها من الأموال والأمتنة وجميع الأسباب. فاستحالت الجيوش والأمم^(٥) عليها، فصارت كأن لم تَغُنِ بالأمس، فلم^(٦) تكن بصرة بالغرب إلى الآن؛ ودثر رسمها، وكانت قديمة أزلية. وقد تقدَّم ذكرها. ثم صار منها إلى أصيلاً.

ذِكْرُ مَدِينَةِ أَصِيلَاً^(٧)

وأَمَّا أَصِيلَاً، فهي مُدْنَثةٌ. وكان سبب بنائها أنَّ الْمَجُوسَ خرجوا بساحلها، وزعموا أنَّ لهم بها أموالاً وكُنُوراً، ترَكَها لهم الأوائل الذين كانوا يسكنون السواحل وأخرجهم منها عامة القبائل. فلما نزلوا في البر لأخذ أموالهم، اجتمع البربر لقتالهم؛ فقالوا: «لم نأتْ لحرب^(٨)، وإنما لنا كُنُورٌ في هذا الموضع. فكُونوا ناجيَّةً حتى نستخرِّجها، ونُشارِّكُم فيها». فاعتزل البربر عنهم لما سمعوا بذلك منهم. فحضر المَجُوسُ مواضعهم، واستخرجوا دُخناً كثيراً عفناً. فلما رأى البربر، ظُنُوه ذهباً، فبدروا^(٩) إليهم. وهرب الروم إلى مراكبهم، فأصاب البربر الدُّخْنَ، فندموا، ورغبو إلى المَجُوس في الرجوع واستخراج المال، فأبوا، وقالوا: «قد نَقَضْتُم العَهْدَ» وساروا إلى الأندلس؛ فحيثَنَد

(١) في ر١: «حصانتها».

(٢) في ر١: «الوصول إليها».

(٣) ليست في ر١.

(٤) في ر١، م: «فرجع»، وما أثبتناه من أ.

(٥) ليست في ر١.

(٦) من هنا إلى قوله: «ذكرها» لم يرد في ر١.

(٧) الروض المعطار ٤٢.

(٨) في ر١: «حرفهم».

(٩) في ر١: «فبرزوا».

خرجوا بإشبيلية على ما يأتي ذكره في أخبار الأندلس^(١). فاتَّخذَ النَّاسُ موضعَ أصِيلًا رباطًا، وانتابوا إليه من جميع الأمصار. فكانت تَقُومُ فيه سُوقٌ جامِعَةً ثلَاثَ مَرَاتِ في السَّنَةِ: في رمضان، وفي العَاشرِ، وفي عَاشرَاءِ.

وَمَمَّا قَيَّدَتُهُ وَاحْتَصَرَتُهُ مِنْ «كتاب المَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ» لِمُحَمَّدِ بْنِ يَوسُفِ الْقَرَوِيِّ، رَحْمَهُ اللَّهُ، قَالَ^(٢): «وَمِنَ الْمُدُنِ الْقَدِيمَةِ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الْغَرْبِ، أصِيلًا^(٣)؛ وَهِيَ فِي سَهْلَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، كَانَتْ مَدِينَةً لِلْأُولَى. ثُمَّ تَغْلَبَ عَلَيْهَا الْبَحْرُ. ثُمَّ بُنِيَتْ بَعْدَ ذَلِكَ؛ وَكَانَ سَبَبُ بَنَائِهَا أَنَّ الْمَجُوسَ خَرَجَوْا فِي مَرْسَاهَا مَرَّتَيْنِ: أَمَا الْأُولَى، فَإِنَّهُمْ قَصَدُوا إِلَيْهَا، زَاعِمِينَ أَنَّ لَهُمْ بِهَا مَالًا وَكُنُوزًا؛ فَاجْتَمَعَ الْبَرِيرُ لِقتالِهِمْ حَسْبَمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا خروجُهُمُ الثَّانِي، فَإِنَّ الرِّيحَ قَدَّفَتْ بِهِمْ إِلَيْهَا^(٤) وَعَطَبَتْ لَهُمْ أَجْفَانُ كثِيرَةٌ عَلَيْهَا، حَتَّى كَانَ يُعرَفُ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ بِبَابِ الْمَجُوسِ. وَكَانَ مَوْضِعُهَا مِلْكًا لِقَبَائِلِ لَوَاتَةٍ. فَابْتَنَاهَا قَوْمٌ مِنْ كُتُمَّةَ، فَأَوَّلُ مَا ابْتَدَرُوا بِهِ مَسْجِدًا. ثُمَّ بَنَى لَوَاتَةَ مَسْجِدًا ثَانِيًّا، وَشَاعَ أَمْرُهَا، فَبَنَى النَّاسُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْئٍ، فَقَصَدُهَا التُّجَارُ مِنَ الْأَمْصَارِ بِضَرُوبِ الْمَتَاجِرِ فِي أَوْقَاتِ مَعْلُومَاتٍ لِأَسْوَاقِ^(٥) الْغُبَارِ.

فَأَوَّلُ مَنْ قَدِيمَ عَلَيْهَا مِنَ الْمُلُوكِ الْقَاسِمُ بْنُ إِدْرِيسَ، فَإِنَّهُ مَلِكُهَا، وَقَامَتْ دُعَوَتُهُ بِهَا إِلَى أَنْ تُؤْتَى، رَحْمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ وَلَيْهَا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْقَاسِمِ، فَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمْرَ^(٦) بْنَ حَفْصُونَ الثَّالِثِ بِبِيُّشْتَرِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ مُرَاسِلَاتٍ وَمُكَاتِباتٍ فِي شَأنِ النَّفَاقِ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْأَمْوَيِّ بِقُرْطُبَةِ، إِلَى أَنْ هَلَكَ. ثُمَّ وَلَيْهَا ابْنُ حُسْنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْقَاسِمِ، فَاضْطَرَبَ أَمْرُهُ، وَضَعَفَتْ طَاعَتُهُ، وَكَانَتْ مُدَّتُهُ خَمْسَا وَعَشْرِينَ سَنَةً فِي قَبَائِلِ لَوَاتَةٍ.

(١) «في أخبار الأندلس» لم ترد في ر1.

(٢) المسالك والممالك للبكري ٢/٧٩٠ فما بعد.

(٣) في ر1: «مدينة أصيلا».

(٤) في ر1: «بها إليهم».

(٥) في ر1: «الأوقات».

(٦) ينظر تاريخ ابن خلدون ٤/١٣٤.

وكان أخوه أحمد المُتَوَلِّ لأمر كُتامة، وكان يُعرف بأبي الأذْنِين. وكان صاحب البصرة حينئذٍ أخوهما عيسى بن إبراهيم بن القاسم، إلى أن قتله أبو العيَش چَنُون^(١) منبني إدريس، رحمة الله، فتزوج أخوه أحمد الملقب بأبي الأذْنِين زوجته، وملك مكانه. وقيل إن زوجته سَمَّته، فقتلته. فصار أمر كُتامة وأمر البصرة إلى يحيى بن إبراهيم بن القاسم المعروف بابن بَرْهُوْيَة؛ فاختلت عليه كُتامة، وكان ذلك سبب دخولبني محمدَ بَلَدَ كُتامة وهَوَّارة وتلك الناحية، واستجاشوا بحسن بن محمد المعروف بالحجَّام، فقام بأمرهم، وهلك القاسم بن حَسَنَ بن القاسم بن إدريس صاحب أصيلاً.

ودخل بنو^(٢) محمد منبني إدريس مدينة أصيلاً، فاستأثر بها حَسَنَ الحجَّام دونبني عَمَّه، فولَى عليها رجلاً من خاصته يُقال له: حَجَّاج بن يوسف فأحسن السيرة فيهم إلى أن هلك. فطلب ولائتها رجلٌ من أهلها يُقال له: محمد بن عبد الوارث، فعدا طَوْرَه فيها، ويُقال: إنه أصاب بأصيلاً كَنْزًا بداره، ونُهِيَ ذلك إلى حسن المعروف بالحجَّام، فطمع في ذلك المال، وعزَّله عن أصيلاً. ثمَّ ول إليها إبراهيم بن الغل المِكْناسي؛ وكان ساكناً بها، بعدما أعطى مالاً لحسن الحجَّام. فلما وصل إلى أصيلاً، سار محمد بن عبد الوارث إلى حَسَنَ بْنَ كثير، فعزل إبراهيم وأعاد ابن عبد الوارث. فسار إبراهيم بهدية إلى حَسَنَ، فعزل محمدًا وولاه عليها. ثمَّ عزل إبراهيم وولَّ محمد بن عبد الوارث. وكانت عَزْلَتُهَا وولائتها نَحْوَ ستَّين، إلى أن استقرَّ فيها محمدٌ هذا. وسُميَ فَار الصَّفَرِيْع، يَعْنُونَ الْكَنْزَ الذي أصاب فيه. وتبَيَّنَ لابن عبد الوارث رَغْبَةُ حَسَنَ في ماله، فأعطاه. واستقامت له معه جميعُ أحواله مُدَّة^(٣). ثمَّ عزله، وولَّ إبراهيم بن الغل المذكور؛ فبقي^(٤) بها إلى أن حضر ابن أبي العافيةبني محمد في حصن النَّسْر، فأتاه أهل أصيلاً، وطلبوه منه واليًا من قِيلَه؛ فولَّهَا سعيد^(٥) ابن الشيخ الإشبيلي. و Herb

(١) وضع تحت الجيم ثلات نقط فقط علامة الكاف الأعجمية، وربما تكتب بالقاف أيضًا.

(٢) في ر١: «ودخلها أبو» وليس بشيء.

(٣) في ر١: «واستقامت الحال بينهما مدة».

(٤) في ر١: «وأقام».

(٥) في ر١: «فوليها سعد».

إبراهيم بن الغل إلى مدين بن موسى بن أبي العافية، فوفد عليه، وهاداه، وانقطع إليه، فولأه أصيلاً، فأحسن السيرة، ورفق بالرعاية. وانصرف إلى رسول، بعدهما استخلف على حرببني محمد رجلاً من أصحابه يُعرف بأبي قمح، فحاصرَهم حصاراً شديداً. فلما ضاق عليهم الأمر، هجموا عليه ليلاً، فهرب أبو قمح، وملك بنو محمد محلته. واجتمعت قبائل كُتامة بقلعة هناك، فزحف إليهم بنو محمد الأدارسة، فحاربوهم حتى دخلوا القلعة، وقتلوا من كان فيها، فكان أول فتحبني محمد بن إدريس الحسني.

وبلغ ذلك إلى^(١) أهل أصيلاً، فكتبوا إلى ابن أبي العافية، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، في حين خروج ميسور إلى أرض المغرب. فجاؤهم موسى بن أبي العافية، وأمرهم أن يتحصنوا في بلدهم، وكتب إلى قبائل كُتامة، ولوّاته، وهوارة، وصنهاجة، يأمرهم بمُعونتهم على البناء، فانقسموا على سور المدينة، وبئوه في ستة أشهر. فهرب وجُوه القبائل إلى أصيلاً، واجتمع بها ملأ عظيم منهم، فزحف إليهم بنو محمد الأدارسة بعساكرهم، فكانت بينهم حرب عظيمة، فاستمدوا ابن أبي العافية، فاعتذر إليهم، وقال لهم: «اكتبوا إلى أمير المؤمنين، فأنا وأنتم رعيته وتحت طاعته»، فكتبوا إلى أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر، وكانت مدينة^(٢) سبعة تحت طاعته. فبعث إليهم الرّمّة الأنجاد، واتصل ذلك بيني محمد، فخشدوا الأحساد، وزحفوا إلى أصيلاً، فحاربواها أربعين يوماً. فخاف وجُوه أهلها، فجازوا إلى الأندلس. ودخل بنو محمد أصيلاً، وذلك سنة ست وعشرين وثلاث مئة وملكوها، فأمنوا من بقي بها من أهلها، وعاد من جاز إلى الأندلس إليها.

وحولها من القبائل لوّاته في القبْلَة، ومن هوارة قوم يُعرفون ببني زياد، بينهم كُذيبة رمل عاليه. قال إبراهيم بن محمد الأصيلي من قصيدة له [من الوافر]:

تُسقى غَرِيَّ أَرْضِي بْنِي زِيَادٍ	سَحَابُ ما يَجْفُ لَهَا غُرُوبٌ
إِذَا وَلَّتِ النَّعِيمُ يَعْمَلُ قَوْمًا	وَلَا زَالَ الشَّرْقُ الْكَثِيبُ

وحولها من القبائل من جهة الغرب هوارة الساحل.

(١) ليست في را.

(٢) ليست في را.

ذِكْرُ مَنْ وَلَيَّ مَدِينَةَ الْبَصْرَةِ^(١)

أَسْسَتِ الْبَصْرَةِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَسْسَتِ فِيهِ أَصْبَلَاً. وَعَلَى ثَمَانِيَّةِ أَمِيالٍ مِنْهَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ صَرْصَرٌ، كَثِيرُ الْمَاءِ وَالثَّمَارِ، يَسْكُنُهُ مَصْمُودَةٌ. وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَهَا^(٢) إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ إِدْرِيسِ تَحْوَى أَرْبَعينَ سَنَةً. ثُمَّ وَلَيْهَا ابْنُ عَيْسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ. ثُمَّ أَخُوهُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٣). ثُمَّ بَرَهُونَ بْنُ عَيْسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ. ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ إِدْرِيسِ. ثُمَّ بَرَهُونَ بْنُ عَيْسَى ثَانِيَّةً. ثُمَّ سَعِيدٌ، غَلَامُ الْمُظَفَّرِ مِنْ قِبَلِ مَصَالَةِ بْنِ حَبُّوسِ. ثُمَّ حَسْنُ بْنُ مُحَمَّدِ الْحَجَّامِ. ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْقَاسِمِ وَلَدُ الْجُوَاطِيِّ. ثُمَّ عَيْسَى بْنُ أَحْمَدَ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي الْعَيْشِ. ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ ثَانِيَّةً. ثُمَّ وَالِّيَّ مِنْ قِبَلِ ابْنِ أَبِي الْعَافِيَّةِ. ثُمَّ أَبُو الْعَيْشِ بْنُ أَحْمَدَ ثَالِثَةً. ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْعَيْشِ إِلَى سَنَةِ سِبْعٍ وَأَرْبَعينَ وَثَلَاثَ مَائَةٍ.

وَكَانَتْ مَدِينَةُ يُقَالُ لَهَا كُرْتُ، فِي جَبَلٍ يُسَمَّى كَذَلِكَ^(٤) بِهِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا^(٥)، خَرَبَهَا بْنُو مُحَمَّدٍ؛ وَهِيَ كَانَتْ قَاعِدَةَ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِ بَكْرُ بْنُ حَمَادَ [مِنَ الْكَاملِ]:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوَّةَ وَالنَّدَى
وَإِذَا تَفَاخَرَتِ الْقَبَائِلُ وَانْتَمَتِ
وَبِجَعْفَرِ الطَّيَّارِ فِي دُرُجِ الْعُلَى
إِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا
فَابْعَثُ إِلَيْكَ بِمَرْكِبٍ أَسْمُو بِهِ
وَاعْلَمُ بِأَنَّكَ لَنْ تَنَالَ مَحَبَّةَ

جُمِيعُوا لِأَحْمَدَ مِنْ بُنَيِّ الْقَاسِمِ
فَافْخَرْ بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ وَبِفَاطِمٍ
وَعَلَيِّ الْعَصْبِ الْحُسَامِ الصَّارِمِ
يَسْمُو الْعُقَابُ إِذَا سَمَا بِقَوَادِمِ
عَلَيِّ أَكْوَنُ عَلَيْكَ أَوَّلَ قَادِمِ
إِلَّا بَعْضِ مَلَابِسِ وَدَرَاهِمِ

(١) ينظر عنها: الروض المعطار . ١٧٦ .

(٢) في ر١: «ملك البصرة».

(٣) من قوله: «بن إدريس» إلى هنا سقط كله من ر١ .

(٤) من ر١ .

(٥) «إلى وقتنا هذا» ليست في ر١ .

فبعث إليه ببلغة سنية وصلة جزلة. وكان له فيه أمداح كثيرة.
وكان على وادي ورغة حصنٌ كبيرٌ يسكنه البربر، فسكن عندهم شخصٌ من
الحضر، فقال في نفسه^(١) [من الطويل]:

بِوَرْغَةَ بَيْنَ الْأَعْجَمِينَ غَرِيبُ
أَلَا هَلْ أَتَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَنَّنِي
إِذَا قَلْتُ شَيْئًا قِيلَ: مَاذَا تُرِيدُهُ؟ لَهُمْ بَيْنَ أَحْرَازِ الْوُجُوهِ قُطُوبُ

وكان هناك حصنٌ أيضاً يُعرف بسوق عكاشة، قربٌ من ورغة، لمحمد بن
حسن من بني إدريس، رحهم الله، وجنيارة^(٢) حصنٌ كبيرٌ في جبل يُعرف بالجبل
الأشهب؛ وهي لبني حصين. وفي ذلك الجبل قرى كثيرة، وهو^(٣) بمقربة من
فاس. ومن أصيلاً إلى مدينة فاس خمسة أيام على طريق البصرة. ويلٍ أصيلاً من جهة
الشرق مدينة طنجة. وكان صاحب طنجة القاسم بن إدريس. ومن طنجة إلى فاس
على طريق أصيلاً ستة أيام.

وفي مدينة فاس عدوتان، أَسَسَتْ عُدْوَةُ الْأَنْدُلُسِيَّينَ سنة اثنين وتسعين ومئة
من الهجرة، أَسَسَهَا^(٤) أَهْلُ رَبَضٍ قُرْطُبَةٍ إِذْ فَرُوا مِنْ الْحَكَمِ الرَّبَّاضِيِّ. وَأَسَسَتْ عُدْوَةُ
القرويين بعدها بستة. قال الشاعر [من البسيط]:

لَا زَالَ جَانِيكَ الْمَحْبُورُ مَمْطُوراً
يَا عُدْوَةَ الْقَرَوِيَّينَ التِي كَرُمَتْ
لَا مَسْكَ اللَّهُ عَنْهَا صَوْبَ نِعْمَتِهِ
أَرْضُنَجْبَتِ الْأَشَامِ وَالزُّورَا

ولما خرب أبو الفتوح يوسف بن زيري الصنهاجي^(٥) أمير إفريقية مدينة البصرة،
رحل بعساكره إلى بلد^(٦) برغواطة. وكان ملكُهم صالح بن عيسى بن أبي الأنصار،

(١) «في نفسه» ليست في ر١.

(٢) الروض المعطار ٧٦.

(٣) في ر١: «وهي».

(٤) من هنا إلى قوله «عدوة» سقط من أ.

(٥) ليست في ر١.

(٦) كذلك.

وكان فصيحاً^(١) شاعراً، فأطاعوه حتى جعلوهنبياً، وشرع لهم شريعة، فاتبعوه، فضل وأصلهم. فغزاهم أبو الفتوح، فكانت بينهم حروب لم يجر قبلها مثلها كان الظفر فيها لأبي الفتوح. وقتل الله الكافر ابن عيسى، وانهزمت عساكر برغواطة، فقتلوا قتلاً ذريعاً، وسيبي من نسائهم وذرارتهم ما لا يُحصى عددهم. وأرسل أبو الفتوح سبيهم إلى إفريقيا، فلقىهم عامله عبد الله الكاتب، مع أهل القيروان والمنصورية. وملك أبو الفتوح بلاد الغرب مع بلاد إفريقيا^(٢). فكانت السجلات تردد عليه من مصر، فتصله على البريد إلى فاس أو غيرها، ثم يرجع بها إلى عامل إفريقيا، فتقراً بعد مدة من تارينها. وأقام أبو الفتوح في بلاد الغرب، وهو قد ملكها^(٣)، وأهل سبعة منه خائفون، وزنانة مسردون، وذلك من سنة ثمان وستين وثلاث مئة المؤرخة إلى سنة ثلاثة وسبعين وثلاث مئة.

وفي سنة تسع وستين وثلاث مئة: توفي أحمد بن أبي خالد، الطبيب الكبير المعروف بابن الجزار^(٤).

وفيها: كانت الحمرة التي ظهرت في السماء ليلة الأربعاء الخامس خلون من ربيع الأول، فخرج الناس إلى المساجد للضريح والتضرع إلى الله تعالى. وفي غد تلك الليلة، هرب كتاب ومغني ابن زيري بن مناد من قصر أخيهما السلطان أبي الفتوح الذي كانا فيه محبوسين، وقد ليسا ثياب النساء، وخرجوا في نسوة دخلن إليهما لزيارتِها، فوجدا^(٥) عبيدَهما قد أعدوا لهما خيلاً وسلاماً، فركبا، ومضيا نحو المشرق، حتى وصلاً مصر، فأنزلها العزيز بالله، وخلع عليهما، ووصلَها، وبقيا هنالك بقية هذه السنة.

(١) كذلك.

(٢) «مع بلاد إفريقيا» من را.

(٣) «وهو قد ملكها» ليست في را.

(٤) تنظر ترجمته في عيون الأنباء ٤٨١.

(٥) في را: «فوجدوا».

وفي سنة سبعين وثلاث مئة: صرف العزيز بالله كتاباً ومحنيناً ابنَي زِيرِي إلى أخيه^(١) أبي الفتح يوسف بن زِيرِي أمير إفريقية، وأمره أن يعفو عنهم، ولا يتعرّض لهم. ففعل ذلك.

وفيها: تمكّنت حاول يعقوب بن يوسف بن كِلْس^(٢) مع العزيز بالله، فأذّل كُتامة، وقهَّرُهُمْ، وقدَّمَ التُّركَ والإخْشِيدِيَّةَ، وعزل الوزراء جَوْهَرًا وغَيْرَه.

وفي سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة: دخل سُبُّي البرْغَوَاطِيُّينَ إلى المنصوريَّة يوم السبت لثمانَ حَلَوْنَ من ربيع الأول، فرأى أهل إفريقية من السُّبُّي ما لم يرَهُ أحدٌ منهم لكثرةِه، وطَيَّفَ بهم في المنصوريَّةِ والقَيْرَوانَ.

وفي هذه السنة: وصل باديس بن زِيرِي من مصر برسالة إلى أبي الفتح، يأمره بتخيير ألف فارس من إخوته الأبطال صُنهاجة، منهم حَبُوس وَمَاكَسَن وزَاوِي وَحَمَامَة بنو زِيرِي، وبنو حَمَامَة بن مَنَاد، وزَاوِي بن مَنَاد، ونُظَرَائِهِمْ. فكتب إليه من بلاد الغَرب يُعرِّفه بتغلُّب بنـي أُمَّيَّة أُمـراء الـآنـدلس على بلاد الغَرب، وأنَّ الدُّعَاء لـهـمـ فـيـهـ عـلـىـ المـنـابـرـ، وـأـنـهـ قـدـ خـرـجـ لـمـحـارـبـتـهـ بـهـؤـلـاءـ الرـجـالـ الذـيـنـ سـمـاهـمـ أـمـيرـ المؤـمـنـيـنـ؛ـ إـنـ عـزـمـ عـلـىـ بـعـثـهـ إـلـيـهـ، تـرـكـ الغـربـ، وـسـارـ بـنـفـسـهـ فـيـ جـمـاتـهـمـ، فـلـمـ يـعـدـ إـلـيـهـ جـوـبـاـ فـيـهـمـ.

وفي جُمادى الأولى من هذه السنة: كان بالمهديَّة زَلَازِلْ دامت الشَّهَرَ كَلَّهُ وعشرة أيام بعده، تُزَلِّلُ في كُلِّ يوم مَرَّات، حتَّى هربَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا، وأَسْلَمُوا دِيَارَهُمْ وَمَا فِيهَا.

وفي سنة اثنين وسبعين وثلاث مئة: قُتِّلَ أمير صِقلِّيَّة أبو القاسم عليُّ بن حَسَن الحَسَنِيُّ في مقابلته مع الإفرنج. وكانت ولاته بها إحدى عشرة سنة. ثُمَّ وَلَيَ ابْنُه جابرُ سنَةً واحدةً^(٣).

وفي سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة: اشتري عبدُ الله بن محمدَ الكاتِبَ عَامِلَ إفريقية العَبَيْدَ السُّودَانَ، وجعلَ على كلِّ عَامِلٍ مِنْ ثلَاثِينَ عَبْدًا إِلَى ما دونَ ذَلِكَ.

(١) ليست في أ، م.

(٢) تنظر ترجمته في وفيات الأعيان ٧/٢٧-٣٤، وتاريخ الإسلام ٨/٤٨٦-٤٨٧.

(٣) ذكر ابن الأثير هذا الخبر بتفصيل في الكامل ٩/١٣-١٤، ولكن في حادث سنة ٣٧١.

وكذلك على أصحاب الخراج ووجوه رجاله. فاجتمع له منهم ألف، وأسكنهم بالنصرية.

وفيها: عمل عبد الله بيت الحديد، وملاةً أموالاً، ثم عمل بيت خشب وملاةً أموالاً أيضاً. واستختلف على النصرية جعفر بن حبيب، وخرج إلى المهديّة على عادته في كل سنة.

ذكر وفاة أبي الفتح^(١) يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي

وفي هذه السنة: توفي أبو الفتح^(٢) عند قfolه من قتال برعاطة، وقد انفصل من سجلماسة، فمات بموضع يقال له واركتفو، يوم الأحد لتسع بقين من ذي الحجة؛ وذلك أنَّ ابن خزرون الرناتيَّ ضرب على سجلماسة؛ فدخلها، وأخذ ما كان فيها من الأموال^(٣)؛ وكان بها عامل أبي الفتح؛ فأتاه الخبر بذلك، فرحل إليها، فاعتلَّ في طريقه بقولنج، فمات بالموضع المذكور. فأوصى لأبي زَعْبَلْ بن هشام. وكان من خاصته، فأرسل إلى النصر يُعرفه بوفاة والده^(٤) أبي الفتح^(٥).

ولادة أبي القتَح^(٦) المنصور بن أبي الفتح إفريقية^(٧)

ولِي الإمارة^(٨) في أوائل سنة أربع وسبعين وثلاث مئة بمدينة أشير، وتُوفي يوم الخميس الخامس خلونَ من ربيع الأول من سنة ست وثمانين وثلاث مئة، فكانت مدَّته اثنتي عشرة سنة، ودُفن بالنصرية. وكان كريماً، سمحاً، جواداً، صارماً، عازماً.

(١) أقصر العنوان في ر ١ على هذا القدر.

(٢) «أبو الفتح» ليست في ر ١.

(٣) «من الأموال» ليست في ر ١.

(٤) في ر ١: «والدته».

(٥) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/٣٤.

(٦) في ر ١: «الفتح»، خطأ.

(٧) ليست في ر ١.

(٨) كذلك.

قال الرّقيق: وقد ذكرتُ سيرَتَه، وحروبه، وعطياتِه في كتابٍ مُفرِدٍ لأخبارِ جَدِّه وأبيه وأخبارِه. وكان لقبُه عُدّة العزيز بالله بن يوسف سيف^(١) العزيز بالله.

وفي هذه السنة، وهي سنة أربع وسبعين وثلاث مئة: بعث المنصور أخاه يطوفَت من مدينة أشير، لِمَا بلغه موتُ أبيه، وأمره أن يطوي المراحل إلى القَيْرَوان والمنصوريَّة بِرَسْمِ القبض على عبد الله بن محمد الكاتِب، وكان بالمهديَّة، ونائبه على المنصوريَّة جعْفَر بن حَبِيب، وعلى القَيْرَوان بِرْهُون العاِمِل، فصَبَّحُهم يطوفَت سَحَرَ يوم الثلاثاء منتصف المحرَّم. فنظر يطوفَت إلى الخزائن مُغْلَقَةً وإلى بيت المال مُفْلَأً، فأخذ المفاتيح، وفتح بيت المال وبيت السلاح، وفرقَ على أصحابِه، ورَكَبَ من كان مُترجِّلاً من الصُّنْهاجيَّين بالمنصوريَّة. ثمَّ خرج، والتقيَ مع عبد الله الكاتِب في بعض الطريق؛ فوثبَ عليه، وأرْجَله عن فَرَسِه، وانتهتِ أسبابُه، واعتُقلَ بالمنصوريَّة آيَاماً. ثمَّ أمرَ المنصور بإطلاقه، ورفعَ يَدَه عن البلد. ثمَّ عاد الأمْرُ إلى عبد الله، فأمرَ بالقصاصة ووجوه الناس من شيوخ القَيْرَوان وغيرهم، وتوجَّهَ معهم برسم التَّهْئِة والتَّعْزِيَة للمنصور، فوصلوا إليه، وسلموا عليه بمدينة أشير، فقال لهم المنصور: «لقد شَقَّ عليَّ تعبكم في حَرَكتِكم، غيرَ أَنَّ سُرورِي في رُؤُيَّتِكم». ثمَّ شكرَ عبدَ الله الكاتِب، وذمَّ فعلَ أخيه به، ثمَّ أمرَ عبدَ الله الكاتِب أن يدفعَ للوادِفين عليه عشرةَ آلَاف دينار ضيافَتهم. فدعَوا له، وانصرَفُوا. ثمَّ استدعاهم بعد ذلك، وقال لهم: «إنَّ أبي وجدي أخذَا النَّاسَ بالسيفِ قَهْرًا، وأنا لا أَخْذُهم إلَّا بالإحسان، وما أنا في هذا الْمُلْكِ مِمَّن يُولِّي بكتاب أو يُعزِّل بكتاب، لَأَنِّي ورثْتُه عن آبائي وأجدادي، وورثُوه عن آبائهم^(٢) وأجدادهم حَمْيَرًا!» وكلامُه في هذا المعنى كثير^(٣)؛ ثمَّ أمرَهم^(٤) بالانصراف مع عبدَ الله الكاتِب، فكانت مدةً مَسِيرِهم ورجوعِهم خمسةَ وثلاثينَ يوْمًا.

(١) «سيف» ليست في أ، م.

(٢) ليس في را.

(٣) في را: «أو كلامًا هذا معناه».

(٤) في را: «أذن لهم».

وفي رجب، قدِمَ المنصور إلى رَقَادَة، فتلقاه عبدُ الله الكاتب في خَلْقٍ عظيم من أهل الْقَيْرَوان؛ فأظهر للناس الحَيْزَرَ، ووعدهم بكلِّ جيل، وأتاه العَمَالَ بالهدايا والأموال، وأعطاه عبدُ الله هدايا جليلةً. ثُمَّ أخذ المنصور في جهاز هديَّةً بعثها إلى مصر مع زَرْوال بن نَصْرٍ. فقيل: إنَّ قيمة ما كان فيها من الأُمْتعة والدواب والطُّرف ألفُ ألفٍ دينارَ عَيْنَانَ. وأقام المنصور برَقَادَة، فأمر بعمل سُرْجٍ مكَلَّ بالدُّرُّ والياقوت، فخرج به إلى العيد في أحسن زَيِّ؛ وخرج إليه من الْقَيْرَوان خَلْقٌ عظيمٌ، فصلَّى بالمُصلَّى، وخطب القاضي ابنُ الْكُوْمِيَّ، وانصرف المنصور إلى قصره. ولَدُّ له ولَدٌ سَمَاءَ باديس^(١) ابن المنصور، ليلةَ الأَحَد لِثَلَاثَ عَشَرَةَ خَلَتْ^(٢) من ربيع الأَوَّلِ من هذه السنة.

وفيها: أعطى المنصور لأخيه يَطُوفَت العساكر، وجَهَهُ إلى مدِيتِي فاس وسِجْلَاسَة، يطلب رَدَّها ورَدَّ تلك الْبَلَاد الغَرْبِيَّة، إذ كانت خرجت عن طاعةِ صُنْهَاجَة عند وفاة أبي الفُتوح، فوصل إلى مدينة فاس. وكان بها زِيرِي بن عَطِيَّة الزَّنَانِيُّ الْمُلَقَّب بالقرطاس^(٣). فلما أحسَّ بوفادة يَطُوفَت بن أبي الفُتوح، عاجَلَ بالخروج إليه والهجوم عليه، فقاتله قتالاً شديداً، حتَّى انهزَم يَطُوفَت، وظفرت زَنَانَة بِصُنْهَاجَة؛ فاتَّبعوهُمْ، وقتلوهُمْ خَلْقاً كثِيرًا، وأسْرُوا آخرين، وهرب الباقيون إلى تِيهَرْت. وهزم في هذه الواقعة قائدان له، اسمُهما ابنُ شعبان وابنُ عَامِلٍ، فسُمِّرَ ابنُ شعبان على باب فاس؛ وقتل ابنُ عَامِلَ شَرَّ قِتْلَة. وبقي زِيرِي بن عَطِيَّة مالِكًا لفاس وما حَوْلَها. ولما بلغ المنصور هزيمة أخيه، من المنصوريَّة يوم الأربعاء لِثَلَاثَ عَشَرَةَ ليلةَ خَلَتْ من ذي الحجة بِرِسم الغَرْبِ، وخرج^(٤) ومعه عبدُ الله الكاتب، واستخلف عبدُ الله على الْقَيْرَوان ابنَ يوسف، ثُمَّ رجع عبدُ الله بعد ذلك بِعَمَالَةِ إفريقيَّةٍ كلَّها. وبعث المنصور إلى أخيه يَطُوفَت بجيشه آخر، فتلقاه بِتِيهَرْت، ولم يَتَعرَّضْ المنصور بعد ذلك إلى بلاد زَنَانَة^(٥).

(١) ينظر عنه وفيات الأعيان ٢٦٥ / ١.

(٢) من ر١.

(٣) ينظر نهاية الأربع للنويري ٢٤ / ١٠٦.

(٤) سقطت من م.

(٥) نهاية الأربع ٢٤ / ٩٨.

وفي سنة خمس وسبعين وثلاث مئة: أمر أبو الفتح المنصور أن يُعمل بجامع^(١) القيروان أبواب من^(٢) حديد، وأمر بناء قصره الكبير.

وفيها^(٣): كان مولده أبي علي منصور^(٤)، وقيل: المنصور، ابن نزار العزيز بالله، بمدينة القاهرة، في يوم الخميس لسبعين يقين من ربيع الأول.

وفي سنة ست وسبعين وثلاث مئة: ظهر أبو الفهم الخراساني الداعي^(٥)؛ واجتمع إليه حلق كثير من كتامة. وكان يوسف بن عبد الله بن محمد^(٦) الكاتب قد أعطاه مالاً وخياراً، فتوجّه بذلك لبلد كتامة، فدعاهم، فأجابوه، وتقرر أموره عندهم، حتى صار يركب الخيل^(٧). ويجمع العساكر، ويعلم البنود، ويضرب السكّة، فعظم أمره، وشاع خبره.

وفيها: جد يوسف بن عبد الله الكاتب في بناء قصر المنصورية للمنصور أبي الفتح، بلغ إنفاقه فيه قبل تمامه مئة ألف دينار.

وفي سنة سبع وسبعين وثلاث مئة: وصل المنصور أبو الفتح صاحب إفريقية^(٨) إلى المنصورية، فنزل في قصره الذي بني له، وأتى معه عبد الله الكاتب وجُموع عساكره، ووجوه بني عمّه ورجاله.

وفي هذه السنة: كان مقْتُل عبد الله بن محمد^(٩) الكاتب وابنه يوسف؛ وذلك أنَّ عبد الله المذكور^(١٠) بلغ مع المنصور بن أبي الفتح ما لم يبلغه أحدٌ من قرابته وأهلي

(١) ليس في م.

(٢) ليس في ر١.

(٣) هذه الفقرة كلها ليست في ر١.

(٤) ترجمته في وفيات الأعيان ٥/٢٩٢-٢٩٨، وتاريخ الإسلام ٩/١٩٩-١٩٨.

(٥) ينظر كامل ابن الأثير ٩/٥٣-٥٤.

(٦) من ر١.

(٧) في ر١: «الحمار».

(٨) «صاحب إفريقية» ليست في ر١.

(٩) ليست في أ، م.

(١٠) في أ، م: «عبد الله بن محمد الكاتب» وما أثبتناه من ر١ هو الأوفق.

بيته ودولته، وانحصرت أموره كلُّها تحت قبضته، فجمع الأموال، ورتب الأحوال والأعمال، وأعطي السياسة والرياسة حَقَّها. فحسده كُبراء^(١) أهل الدولة، وألقى عنه حَسَنُ بْنُ خَالِتِه إلى المنصور أموراً من القَدْح في دولته، وأنَّه كان السبب في خروج الداعي الثائر^(٢) أبي الفَهْم بكتامة، وأنَّه كان يُصَغِّر خبرَه حتى تفاصَمَ أمرُه، وغير ذلك من الأسباب المُهْلِكَات. وكان عبد الله الكاتب، لثقيبه بنفسه، لا يُداري أحداً من أولاد زِيرِي ولا أكبَرِ الدُّولَة. فلما أحْسَوا من المنصور بعْض التغيير عليه، أكثروا من الذَّم^(٣) فيه والوشي به إليه، فقال له أبو الفتح المنصور: «اعتزل عن عمل إفريقيَّة، واقصر على الكتابة، وكل من تولَّ مُنَصَّرٌ بين يديك وتحت أمرك»^(٤) فكان جوابه أن قال: «القتلة ولا العزلة!» فلما كان يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رَجَب، غَدَّا إلى ديوانِ كان قد بناه، فجلس فيه لانتظار رُكوب المنصور، وبهذه جُزءٌ من القرآن، يقرأ فيه، حتَّى قيل له: «قد رَكِبَ فأطلقه»، وركب فرسه برسم لقائه، وهو يقول: [من الطويل]:

وَمَنْ يَأْمِنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَانَتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
 فلما وصل إليه المنصور، نزل عبد الله إليه، وسلم عليه، ثمَّ وقف، فدار بينهما كلامٌ كثيرٌ، لم يقف أحدٌ على صِحَّتِه، ثمَّ طعنه المنصور بِرُمحِه، فجعل أكبامه على وجْهِه، وقال: «على مِلَّةِ اللهِ وملَّةِ رسولِه» لم يُسْمَع له غيرُ ذلك. وضربه عبد الله أخو المنصور بِرُمحٍ بين كَتَنِيهِ، فسقط إلى الأرض ميَّتاً. ثمَّ أتَى بابنه يوسف، فضربه المنصور وماكِسنُ بْنُ زِيرِي، فسقط ميَّتاً. وكان عبد الله^(٥)، لما تنَّرَ له المنصور، لا يزال يتمثَّل بهذا البيت: [من الطويل]:

(١) في ر ١: «كبار».

(٢) «الداعي الثائر» ليست في ر ١.

(٣) من هنا إلى قوله: «المنصور» سقط كله من م.

(٤) «وتحت أمرك» ليست في ر ١.

(٥) ليس في ر ١.

أَرِيْ أَلْفَ بَانِ لَا يَقُوْمُ لَهَا دِمٌ فَكَيْفَ بِبَانِ حَوْلَهُ أَلْفُ هَادِمٍ

وَكَانَ يَتَمَثَّلُ أَيْضًا^(١) بِقَوْلِهِ [مِنَ الْكَامِلِ]:

لَوْ صَارَ عَنِّي الْأَسْدُ ضَارِيَّةً حَتَّىٰ إِذَا قَضَيْتُهَا مِتًّا لِي مُدَّهُ لَا بُدَّ أَبْلُغُهَا

وَلَا ماتَ عَبْدُ اللهِ وَابْنُهُ، دَارَ الْعَسْكُرُ عَلَى النَّاسِ، فَانْتَهَبُوهُمْ وَسَلَبُوهُمْ، وَقَطَعُوا الطُّرُقَ، فَأَخْذُوا كُلَّ مَنْ وَجَدُوا مِنَ الْمُسَافِرِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَمَالُوا إِلَى وَادِي الْقَصَارِينَ إِلَى بَابِ تُونِسِ، أَحَدِ أَبْوَابِ الْقَيْرَوَانِ، فَنَهَبُوا مَا كَانَ عِنْدَ الْقَصَارِينَ، فَذَهَبَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ، وَقُتِلَ حَلْقٌ مَمَّنْ دَافَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ. وَدُفِنَ عَبْدُ اللهِ فِي الْإِصْطَبَلِ دُونَ غَسْلٍ وَلَا كَفْنٍ. وَوَلِيَ أَعْمَالَ إِفْرِيقِيَّةَ مِنْ قِبَلِ أَبِي الْفَتْحِ الْمُنْصُورِ: يُوسُفُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، وَكَانَ عَامِلًا عَلَى قَفْصَةِ الْمَغْرِبِ، فَأَعْطَاهُ الْبُنُودَ وَالظَّبَوْلَ خَلْعَ عَلَيْهِ، وَوَلَاهُ إِفْرِيقِيَّةَ مَكَانَ عَبْدِ اللهِ، يَوْمَ الْخَمِيسِ لِخَمْسِ يَوْمَيْنِ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ السَّنَةِ الْمَؤَرَّخَةِ^(٢).

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ وَسَبْعِينَ وَثُلَاثِ مِائَةٍ: تَحَرَّكَ أَبُو الْفَتْحِ الْمُنْصُورُ بِعُسَارِكِهِ إِلَى بَلَادِ^(٣) كُتَّامَةَ. فَمَرَّ عَلَى مِيلَهِ^(٤)، وَأَمْرَ بِخَرَابِهَا، وَهَدَمَ سُورِهَا، وَأَمْرَ أَهْلَهَا بِالْمَسِيرِ مِنْهَا إِلَى بَاغِيَّةِ، فَاجْتَمَعُوا وَسَارُوا إِلَيْهَا. فَلَقِيَهُمْ مَاكَسَنَ بْنَ زِيرِي بِعُسَارِكِهِ، فَأَخْذَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ. وَكَانَ الْمُنْصُورُ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ لَا يَمُرُّ بِمَنْزِلٍ وَلَا فَصْرٍ وَلَا دَارٍ إِلَّا أَمْرَ بِهَدْمِهِ. وَلَا وَصَلَ الْمُنْصُورُ إِلَى كُتَّامَةَ، حَارَبُوهُ، فَظَفَرُ بِهِمْ، وَقَتَلُوهُمْ، وَاسْتَأْصلُهُمْ. وَهَرَبَ الثَّانِيُّ أَبُو الْفَهْمِ إِلَى جَبَلِ وَعْرِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُنْصُورُ مَنْ أَخْذَهُهُ فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدِيهِ، أَمْرَ بِهِ؛ فَلَطِمَ لَطِمًا شَدِيدًا، وَنُفِّقَتْ لِحْيَتُهُ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ^(٥).

(١) «وَكَانَ يَتَمَثَّلُ أَيْضًا» لَيْسَ فِي ر١.

(٢) الْكَامِلُ لَابْنِ الْأَثِيرِ ٩/٥١ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٣٧٦.

(٣) فِي ر١: «بَلَاد».

(٤) انْظُرْ عَنْهَا مَعْجَمَ الْبَلَادَنَ ٥/٢٤٤.

(٥) الْكَامِلُ لَابْنِ الْأَثِيرِ ٩/٥٥٣-٥٤.

مقتل الشاعر أبي الفهْم

وذلك أَنَّهُ، لما صار بين يديهِ، وعِمِلَ به ما تقدَّم ذَكْرُهُ، أمر بخروجه، وقد بقيت فيه حُشاشةٌ من الرُّوح. فأخذه بعض رجاله؛ فنحرَهُ، وشقَّ بطنه، وأُخْرَجَتْ كِبُدهُ، فُشِّيَّتْ وأُكِلَتْ. وأخذه عبيدُ المنصور، فشرَّحَوا لَحْمَهُ، وأكلوهُ، حتَّى لم يَقِنْ إلَّا عِظامُه مُتَجَرَّدًا؛ وذلك يوم الثلاثاء لثلاثة خَلَوْنَ من صَفَرٍ. وُقُلِّلَ بسَبِيهِ وَالِّي مِيلَةٍ وجماعةٍ من كُتَّامة، ونزل بكتَّامة الذُّلُّ والهُوَانُ. وبقيت مِيلَةٌ خَرَابًا، ثُمَّ عَمِرَتْ بعد ذلك. ورحل أبو الفتح المنصورُ قافِلًا إلى المنصوريَّة والقَيْرَوانَ.

وفي هذه السنة: دخل الوادي^(١) إلى المنصوريَّة وهدم دُورَها.

وفي سنة تسع وسبعين وثلاث مئة: وصل إلى المنصور سعيدُ بن خَزْرُونَ الزَّنَاتِيُّ من الغَرب، فأعطاه وأرضاه، وقال له يومًا: يا سعيد، هل تعرف من هو أكرم مِنِّي؟ قال: نعم. قال: ومن هو؟ قال: أنا! قال له المنصور: ولِمَ ذلك؟ قال: لأنك جُدِّتَ علىَ بالمال، وجُدِّتَ أنا عليك بنفسي. فولَى سعيدًا هذا^(٢) مدينة طُبُّنة. وقدِمَ عليه بعد ذلك جماعةٌ من الزَّنَاتَيْنَ، فأكرمهُمْ، وأعطاهُمْ، وزوجَ المنصورُ ابنته من وذُو بن سعيد^(٣).

وفي هذه السنة: خالَفَ أبو البَهَار بن زِيرِي، فزحفَ إلَيْهِ المنصورُ إلى تِيهَرْت، ففرَّ أبو البَهَار أمامه إلى الغَرب. ودخل عَسْكُرُ المنصور تِيهَرْت، فنهبوا وقتلوا، ثمَّ أَمْنَهم بعد ذلك^(٤). ورجع المنصورُ عن تبعِهِ أبي البَهَار، وولَى على تِيهَرْت أخاه يَطْوُفَتْ ومضى المنصورُ إلى مدينة أثَيْر. وكتب أبو البَهَار إلى ابن أبي عامِر، يسألُه الدخول في طاعته، وأن يكتب له إلى زِيرِي بن عَطِيَّة الزَّنَاتِي^(٥) صاحِبِ فاس أن يكون عندَه، وكان ابن عَطِيَّة مُؤَالِيًّا ومُصَافِيًّا لابن أبي عامِر، فكتب ابن أبي عامِر إلى أبي البَهَار:

(١) يعني: السبيل.

(٢) في ر١: «فولاه» بدلاً من «فولى سعيدًا هذا».

(٣) في الكامل لابن الأثير ٦٧-٦٨ أنَّ المنصور زوج ابنه بعض بنات سعيد.

(٤) الكامل لابن الأثير ٩/٦٨.

(٥) ليست في ر١.

إن كنتَ على نِيَّةٍ فيها وصَفْتُهُ عن نفسك، فأرسِلْ إِلَيَّ ابْنَكَ، يَكُونُ رَهِينَةً عَنْدِي، وَأَفْعُلْ لَكَ مَا أَحْبَبْتُهُ. فوَجَّهَ إِلَيْهِ ابْنَهُ فِي مَرْكَبٍ مَعَ مَيْمُونَ الْمَعْرُوفِ بَيْنَ الدَّابَّةِ كَاتِبِهِ. فُعْطَبَ الْمَرْكَبُ، وَمَا تَأْتِي جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ. فوَجَّهَ إِلَيْهِ وَلَدَهُ الْآخِرِ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ لَأَبِي الْبَهَارِ أَمْوَالًا وَكُسْكَى، وَكَتَبَ إِلَى زَيْرِي بْنِ عَطِيَّةٍ فِي حَقِّهِ أَنْ يُعَاضِدَهُ، وَيَنْصُرَهُ وَيَكُونَ مَعَهُ.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَبَا الْبَهَارِ، وَصَلَ إِلَى فَاسَ، وَانْتَقَعَ مَعَ زَيْرِي بْنِ عَطِيَّةٍ صَاحِبِهَا.

وَأَمَّا الْعَامِلُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ، يُوسُفُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدِ الْمُتَقَدِّمِ الْذَّكَرِ، فَكَانَ مُشْتَغَلًا بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَإِذَا دَخَلَ الْوَرْدُ، اصْطَبَحَ عَلَيْهِ، فَلَا يَظْهُرُ حَتَّى يَفْنِي الْوَرْدُ وَيَنْقُطِعَ. وَكَانَ يَجْلِسُ فِيهِ، وَيَنَامُ عَلَيْهِ، فَسُمِّيَ شَيْخُ الْوَرْدِ. وَأَسْلَمَ الْأُمُورَ لَابْنِ الْبُونِيِّ، فَكَانَ أَهْلُ الْحَاضِرَةِ مَعَهُ فِي أَمِنٍ وَعَافِيَّةٍ، وَأَهْلُ الْبَادِيَّةِ فِي عَذَابٍ وَغَرَامَةٍ. وَكَانَ جَبَارًا عَنِيدًا، وَسَمْحًا جَوَادًا، وَكَانَ يَخْرُجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَيَدُورُ عَلَى كُورِ إِفْرِيقِيَّةِ، وَيَنْجِيِ الْأُمُولَ، وَيَأْخُذُ الْهَدَىَّا مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ، وَيَرْجِعُ.

قال الرَّقِيق: كُنَّا إِذَا دُرْنَا مَعَ يُوسُفَ بْنَ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَى الْبُلْدَانِ، وَاسْتَطَابَ مَوْضِعًا، وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ، أَقَامَ فِيهِ مُصْطَبًا الشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ، وَأَبُو الْحَسْنِ الْبُونِيِّ يَنْجِيِ الْأُمُولَ، وَيَقْبِضُ الْهَدَىَّا، وَيَقُومُ بِأُمُورِ دُخْلَةٍ^(١) يُوسُفُ وَعَسْكَرُهُ. وَكَانَ يَعْطِي لَخَاصَّةَ يُوسُفَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَةَ آلَافَ دِرْهَمًا، وَيَنْفَقُ عَلَى يُوسُفَ لِمَطْبَخِهِ وَفَاكِهَتِهِ نَحْوَ هَذَا الْمَالِ الْمَذَكُورِ.

وَفِيهَا: تُؤْفَى عَامِلُ صِقلِيلَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي السَّخَّانِ، وَوَلِيِّ ابْنِهِ يُوسُفَ، فَكَانَ النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ عَلَى أَفْضَلِ مَا يَشْتَهُونَ؛ وَاسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ، وَأَدَّاهُ بَلَادَ الرُّومِ، وَظَهَرَ مِنْ كَرَمِهِ وَجُودِهِ وَعَدْلِهِ مَا هُوَ مَعْدُومٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ.

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ: تُؤْفَى الْمَرْصَدِيُّ^(٢)، صَاحِبُ خَرَاجِ الْقَيْرَوَانِ. وَأَمَرَ أَبُو الْفَتْحِ الْمُنْصُورَ بِولَاهَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ خَلَفَ الْخَرَاجَ مَعَ سَلَامَةَ بْنِ عِيسَى، فَجَلَسَا مَعًا فِي دِيوَانِ خَرَاجِ الْمُنْصُورِيَّةِ.

(١) يعني: أسرار يُوسُف وَعَسْكَرُهُ.

(٢) هو حسِينُ بْنِ خَلَفَ الْمَرْصَدِيِّ، يَنْظَرُ تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُونَ ٤٩ / ٤.

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة: تُوفِّي القائد جوهر بمصر^(١)، وهو الذي فتحها. فلم يبق شاعر بمصر^(٢) إلَّا رثاءً، وذَكَر ما فتحه شرقاً وغرباً.

وفيها: وصل المنصور إلى المتصوريَّة، ودخل قصره الجديد؛ فخرج إليه أهل الفَّيروان، يتلقونه، فأدناهم، وأثنى عليهم، ووعدهم خيراً. ثم رفع له في عَبْد من عبيده آنَّه قَرَفَ^(٣) بعض الصَّحابة، رضي الله عنهم، فأمر بقتله وصَلَبِ جُثَّته، ونُوِّديَ على رأسه بمدينة الفَّيروان.

وفي سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة: طَهَّر أبو مَنَاد بادييس بن أبي الفتاح المنصور بقصر والده، وأهدى إليه جماعةً من الناس على قدر أحواهم^(٤).

وفيها: ترك المنصور البقايا^(٥) للرَّعایا.

وفيها: قَبَضَ على البوئي وابنه، وطلَبَ منها مالاً كثيراً، فأنكراه، وكان المنصور قدَرَ آنَّه يأخذُ منها أموالاً يفتخر بها على أضيافِ كانوا عنده في يوم طلبها، وقال لهم: «لو أنَّ عَبْدًا من عبيدي طلب منه بيوتٍ مالٍ، لوحِدَ ذلك عنده»، فصادفَ إنكار البوئي ذلك المَحَلَّ؛ فأمر بذبحِ البوئي. وعزَّل يوسف بن أبي محمد عن عمالة إفريقية، وولَّ مكانَه محمد بن أبي العَرب^(٦) الكاتب.

وفيها: وصل سِجِّيل من العزيز بالله بولاية العَهْد لأبي مَنَاد بادييس بن المنصور، فسرَّ المنصور بذلك، وجاءَه اهدايا من الْبُلْدان، ومن كُلِّ جهة ومكان.

وفيها: كان وصولُ سعيد بن خَزْرُون من مدينة طُبْنة إلى المَنْصوريَّة فلقيه المنصور وعائقه ثم دخل معه إلى قصره وأنزله وأجرَى عليه الأرزاق الواسعة، فاعتَلَّ سعيد بن خَزْرُون أياماً، ومات في أول رَجَب، ففكَّنه المنصور بسبعين ثوبًا.

(١) الكامل لابن الأثير ٩ / ٩٠.

(٢) ليست في ر١.

(٣) قرف: عاب، وتحرف في م إلى: قذف.

(٤) في ر١: «حاهم».

(٥) في م: «البقايا» بالقاف، وهو تحريف.

(٦) في ر١: «المعرف»، خطأ.

وفيها^(١): وصلت هدية من بلد السودان، فيها زرافه؛ فخرج المنصور حتى دخلت بين يديه.

وفيها: وصل إلى المنصور فُلُفُل بن سعيد بن خزرون بعد موت أبيه، فأعطاه ثلاثين حملًا من المال، وثمانين تحنًا من أنواع الكسبي، وخيلًا بسرورج محلاة، وعشرة من البنود الجدد المذهبة، ورده إلى مدينة طبنة أميرًا عليها^(٢).

وفي سنة ثلاثة وثمانين وثلاث مئة: خرج باديس ابن المنصور إلى مدينة أشير.

وفيها: وصل إلى المنصور كتاب أخيه يطوفت، يخبره بوصول عمه أبي البهار إليه، فكتب إليه المنصور أن يبعثه، فكان وصول أبي البهار إلى المنصورية ليلة الاثنين متتصف شعبان؛ فأعطاه المنصور كسي، وجواري، وفرشًا، وسرّ به أعظم سرور، وأنزله أحسن نزول.

وفي سنة أربع وثمانين وثلاث مئة: كان دخول أبي مناد باديس ابن المنصور إلى المنصورية من جهة الغرب، وهي أول حركة، فتقلاه أبوه بالعساكر وأهل القيروان وغيرهم.

وفيها: كان وصول الهدية من مصر مع جعفر بن حبيب، ومعه فيل عظيم^(٣).

وفي سنة خمس وثمانين وثلاث مئة: مات الأمير عبد الله بن يوسف بن زيري بن مناد^(٤).

وفيها: كان خروج القائد يوسف بن أبي محمد عاملاً على متيجة.

وفي جمادى الآخرة: وصل قاسم بن حجاج إلى المنصورية من مصر برؤوس الرؤوم الذين قتلهم مارق الكتامي بحلب.

(١) في أ، م: «وفي هذه السنة».

(٢) الكامل ٦٨/٩.

(٣) جعلها ناسخ را في سنة خمس وثمانين وثلاث مئة.

(٤) هذه الفقرة ليست في را.

وفي سنة ست وثمانين وثلاث مئة: تُوفى أبو الفتح المنصور عدّة العزيز بالله ابن يوسف سيف العزيز بالله بن زيري بن مناد الصنهاجي^(١) في يوم الخميس لثلاث خلّونَ من ربيع الأول، ودُفِنَ بقصره الجديد الخارج عن المنصورية. وكانت أيامه أحسنَ أيامَ^(٢).

إمارة^(٣) أبي مناد باديس بن أبي الفتح بن أبي الفتوح

يوسف بن زيري بن مناد^(٤)

ولما صارت الأمور إليه، أتاه الناس من كُلّ ناحية بإفريقية للعزاء والتهنئة. وكان بنو زيري وبنو حمّاما قد همّوا بأمور، وخالفوا من جاء معهم^(٥) على ما عقدوه؛ فما تركهم عيْدُ باديس وعيْدُ أبيه إلى شيءٍ ممّا أرادواه. ووصل أبو بيساش يطوفت بن أبي الفتوح إلى المنصورية للعزاء والتهنئة، ثمّ رجع إلى طُبُنة وجهة الغرب في أواخر شعبان.

وفي هذه السنة: تُوفى أبو المنصور نزار العزيز بالله العبيدي صاحب مصر في حوض الحمام، وكانت به علة الحصاء، وشرب دواءً في الحوض، وأدركه أجله فيه، فمات. وولي مكانه أبو علي، ولّي عهده، الملقب بالحاكم بأمر الله^(٦). وكان أبو مناد قد هيأ هديةً ليبعثها للعزيز، فبرزت الهدية من المنصورية إلى رقادة مع جعفر بن حبيب ليست خلّونَ من رمضان. وكان العزيز بالله قد بعث سجلاً إلى أبي مناد، يأمره فيه برفع القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم إلى مصر، فوصل السجل، والقاضي مريض، فأمره أبو مناد بالخروج مع الهدية، فاعتذر بعلته، فبعث إلى داره محمد بن

(١) قوله: «بن زيري بن مناد الصنهاجي» ليس في ر ١.

(٢) الكامل لابن الأثير ١٢٧/٩.

(٣) في ر ١: «ولاية».

(٤) «يوسف بن زيري بن مناد» ليس في ر ١.

(٥) في ر ١: «على من كان معهم».

(٦) الكامل لابن الأثير ١١٦/٩.

أبي العَرب وجماعة رجال الدولة، وذلك لثلاث خلواتٍ من ذي القعدة، ووقفَ العسكرُ بباب أبي الريبع وظُنوا أنَّ أهلَ القيروان يمنعُهُم، ويحُولون بينه وبينهم؛ فهجموا عليه، وحملوه بساطه الذي كان مريضاً عليه في ثيابه التي يلبسها في داره، لأنَّهم فاجؤوه، وخرجوا به محمولاً، وقد اجتمع عند داره خلقٌ عظيمٌ، ولم ينطق أحدُّهم، ومشوا به إلى رقادة، وخلفه غلامٌ نصرايٌ يمسكُهُ، وأولادُهُ وقربُهُ يمشون خلفه، واغتُمَّ بمسيره سائر الناس، وظهرَ عليهم الحزنُ والأسفُ لفقدِه، وكثُر الدعاءُ له والثناءُ عليه. ثم جاءت الأخبار بوفاة العزيز بالله؛ فأمر أبو مناد برجوعه إلى داره مكرماً ممعظماً.

وفي هذه السنة: توفي^(١) الفقيه أبو محمد بن أبي زيد، رحمه الله.

وفي سنة سبع وثمانين وثلاث مئة: تواترت الأخبار بموت العزيز بالله.

وفيها: رجع القاضي إلى داره، وهو مريضٌ، فازداد مقداره عند الناس.

وفي صفر: عقد أبو مناد ولالية أشير لـحامد بن أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد، فخرج عاملًا عليها، وأعطاه خيلاً كثيرةً وكُسَّى جليلةً، ثمَّ اتسعت عمالته، وكثُرت عساكره، وعظم شأنه^(٢).

وفي ربيع الآخر: وصل القاضي الباهريُّ من مصر إلى المنصورية^(٣)، فبرز أبو مناد بعساكره عليه، وخرج بجميع رجاله إليه، فرأى ما لم ير مثله. ووصل المذكور بـسجلىين، فقرئاً بجامع القيروان والمنصورية: أحدُهما بولالية أبي مناد، وتلقىيه نصير الدولة، والثاني بوفاة العزيز بالله وخلافة الحاكم بأمر الله، والجواب عن وفاة المنصور عدَّة العزيز بالله. وكان معه سجلٌ ثالثٌ بأخذ العهد على باديس وجماعة بني مناد للحاكم. فجلس أبو مناد ودعا وجوه الصنهاجيَّين وأخذ عليهم البيعة. ثمَّ رجع القاضي الشريف الباهريُّ إلى مصر، بعد أن وصله أبو مناد بهال جليل.

(١) في أ، م: «مات».

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٤ / ١٠٢.

(٣) ذكر النويري أنَّ الذي وصل من مصر هو الشريف الداعي علي بن عبد الله العلوى المعروف بالتيهري (نهاية الأرب ٢٤ / ١٠٣).

وفي هذه السنة: خرج نَصِيرُ الدُّولَةِ إلى الْمُصَلَّى بِزَيْيِ جَلِيلٍ، وَهِيَتَةٌ حَسَنَةٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْفِيلُ، وَزَرَافَاتِانٍ، وَجَمْلٌ أَيْضًا ساطِعُ الْبِياضِ، لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ قَطُّ^(١).

وفي سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة: وصلت إلى نَصِيرِ الدُّولَةِ هَدِيَّةً من مَصْرَ تَشتمل على الْجَوْهَرِ وَالْأَعْلَاقِ الْفِيَسَةِ، فَتَلَقَّاهَا، وَدُخِلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى الْمُنْصُورِيَّةِ.

وفيها: كانت وقعةٌ بمَصْرَ بَيْنَ الْتُّرْكِ وَالْكُثَامِيَّينَ، وَكَانَ الظَّفَرُ لِلْتُّرْكِ عَلَيْهِمْ.

وفي سنة تسع وثمانين وثلاث مئة: زَحْفٌ زِيرِيُّ بْنُ عَطِيَّةٍ صَاحِبُ فَاسِ وَمَا وَالاها مِنْ بَلَادِ الْغَرْبِ إِلَى مَدِينَةِ تِيهَرْتٍ، فَنَزَلَ عَلَيْهَا وَحَاصِرَهَا. وَكَانَ يَطُوفَتْ بَنْ يُوسُفُ بْنُ زِيرِيٍّ صَاحِبَهَا، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ أَمِيرٍ^(٢) إِفْرِيقِيَّة، يَسْتَمِدُهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ.

ذَكْرُ هَزِيمَةِ عَسْكَرِ إِفْرِيقِيَّةِ

وَاسْتِيلَاءِ زِيرِيٍّ بْنِ عَطِيَّةٍ عَلَيْهِ، وَظَهُورِ زَنَاتَةٍ عَلَى صُنْهَاجَةِ

لَمَّا وَصَلَ كِتَابُ يَطُوفَتْ إِلَى بَادِيسِ نَصِيرِ الدُّولَةِ، أَمْرَ نَصِيرِ الدُّولَةِ^(٣) مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ الْكَاتِبَ بِالْخُرُوجِ بِالْعَسَكِرِ إِلَى^(٤) زَنَاتَةٍ؛ فَكَانَ تَبِيزُهُ فِي مُنْتَصَفِ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَنَهَضَ بِالْعَسَكِرِ حَتَّى بَلَغَ أَشِيرَ، وَبَهَا حَمَّادَ بْنَ يُوسُفَ بْنَ زِيرِيٍّ، عَالِمًا عَلَيْهَا، وَمَعَهُ عَسْكُرٌ عَظِيمٌ، فَأَقَامَ بِهَا يَسِيرًا، ثُمَّ رَحَلَ، وَرَحَلَ حَمَّادَ مَعَهُ بِعَسْكِرِهِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى تِيهَرْتٍ، فَاجْتَمَعَا بِيَطُوفَتْ، وَمَعَهُ أَيْضًا عَسْكُرٌ عَظِيمٌ، وَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ بِتِيهَرْتٍ غَرَّةً جُهَادِيَّةً الْأُولَى. وَكَانَ بِتِيهَرْتٍ زِيرِيُّ بْنُ عَطِيَّةٍ نَازِلًا بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ آمَسَارٌ^(٥)، عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ تِيهَرْتٍ؛ فَزَحَفُوا إِلَيْهِ. فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَ

(١) فِي ر١: «لَمْ يَرِ مِثْلَهُ».

(٢) فِي ر١: «صَاحِب».

(٣) «نَصِيرُ الدُّولَةِ» لَيْسَ فِي ر١.

(٤) مِنْ هَنَا إِلَى قُولَهُ «بِالْعَسَكِرِ» سَقْطٌ مِنْ ر١، كَانَهُ قَفْزٌ نَظَرٌ مِنَ النَّاسِخِ.

(٥) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبَعَ لِلْتُّوْرِيِّ ٤/٢٤: «أَمْسَانٌ»!

مُعْظَمُ عَسْكَرِ حَمَادِ الْوَلْكَاتِيْنَ؛ وَكَانَ قَدْ أَسَاءَ عِشْرَتَهُمْ. فَلَمَّا حَمَىَ الْوَطِيسُ وَاشتَدَّ الْبَأْسُ، وَلَوْا مُنْهَزِّيْنَ، فَاتَّبَعُهُمْ جَمِيعُ الْعَسَكِرِ الْإِفْرِيقِيَّةِ. فَرَأَمَ ابْنُ أَبِي الْعَرَبِ رَدَّ النَّاسَ، فَلَمْ يَقْدِرُ، فَوَلَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَىِ الْجَمِيعِ، حَتَّىٰ وَصَلَوْا إِلَىِ أَشِيرَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَحَلَّتِهِمْ وَمَضَارِبِهِمْ، وَكُلَّ مَا فِيهَا مِنِ الْأَمْوَالِ وَالسَّلاحِ وَغَيْرِ ذَلِكِ، فَاحْتَوَى زِيرِيْ بْنُ عَطِيَّةَ وَإِخْرَانِهِ عَلَىِ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا. وَقُتُلَّ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأَخْذَ أَسَارَى كَثِيرَةٌ، فَوَعْدَهُمْ بِجَمِيلٍ، ثُمَّ أَطْلَقُهُمْ عَنْدَ وَصْوَلِهِ إِلَىِ تِيَّهَرَتِ، فَمَضُوا حَتَّىٰ وَصَلَوْا إِلَىِ أَشِيرَ. وَبَقِيَ ابْنُ أَبِي الْعَرَبِ وَحَمَادُ وَيَطُوفَتْ بِأَشِيرَ. وَبَقِيَ زِيرِيْ بْنُ عَطِيَّةَ الزَّنَاتِيِّ^(١) عَلَىِ حَصَارِ^(٢) تِيَّهَرَتِ. وَكَانَتْ^(٣) هَذِهِ الْوَقْعَةُ وَالْهَزِيمَةُ يَوْمَ السَّبْتِ لِأَرْبِعِ حَلَوْنَ مِنْ جَمَادِي الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ^(٤). وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَىِ الْمَنْصُورِيَّةِ لِعَشْرِ بَقِينَ مِنْهَا^(٥)، فَخَرَجَ نَصِيرُ الدُّولَةِ صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةِ^(٦) مِنِ الْمَنْصُورِيَّةِ لِلقاءِ زِيرِيْ بْنِ عَطِيَّةِ يَوْمِ السَّبْتِ لِلْلِيلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ جَمَادِي الْآخِرَةِ، وَرَحَلَ^(٧) حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىِ طُبْنَةَ، فَبَعَثَ فِي طَلْبِ فُلْقُلَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْرُونَ الزَّنَاتِيِّ؛ وَكَانَ عَلَىِ طُبْنَةَ، فَخَافَ مِنْهُ، وَبَعَثَ يَعْتَدُرُ لَهُ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتَبَ لَهُ سِجِّلًا بِوَلَايَةِ طُبْنَةَ، فَكَتَبَهُ لَهُ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ، وَرَحَلَ عَنْهُ نَصِيرُ الدُّولَةِ بِأَدِيسِ^(٨)، وَتَمَادَى فِي رَحِيلِهِ. فَلَمَّا بَلَغْ فُلْفَلًا أَنَّهُ قَدْ أَبْعَدَ عَنْهُ، ضَرَبَ عَلَىِ^(٩) جِهَةِ مِنْ جَهَاتِهِ، فَأَكَلَ مَا حَوْلَهَا، وَنَهَبَ، وَأَفْسَدَ، وَمَضَى إِلَىِ بَاغَايَةِ، فَحاَصَرَهَا، وَأَفْسَدَ تِلْكَ الْجَهَاتَ كُلَّهَا، وَأَكَلَ مَا وَالَّاهَا، وَنَصِيرُ الدُّولَةِ فِي هَذَا كُلُّهُ مُتَمَادٍ عَلَىِ سِيرِهِ، حَتَّىٰ

(١) لَيْسَ فِي ر١.

(٢) لَيْسَ فِي أ١، م١.

(٣) مِنْ هَنَا إِلَىِ قَوْلِهِ: «هَذِهِ السَّنَةُ» لَيْسَ فِي ر١.

(٤) نَهَايَةُ الْأَرْبَ لِلنُّوَيْرِيِّ ٢٤/٢٠٣-١٠٤.

(٥) «الْعَشْرِ بَقِينَ مِنْهَا» لَيْسَ فِي ر١.

(٦) «صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةِ» لَيْسَ فِي ر١.

(٧) «يَوْمُ السَّبْتِ لِلْلِيلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ جَمَادِي الْآخِرَةِ، وَرَحَلَ» لَيْسَ فِي ر١.

(٨) لَيْسَ فِي ر١.

(٩) فِي ر١: «فِي».

وصل أشير. ولما وصل إلى المسيلة، رحل زيري بن عطيّة عن تيهرت^(١). فصمم إليه نصير الدولة. ثم وصله الخبر أنَّه توجَّه إلى ناحية فاس، فعند ذلك رجع نصير الدولة إلى تيهرت وأشير، واستخلف يطُوفَت على تيهرت ابنه أيوب في أربعة آلاف فارس. وبلغ نصير الدولة ما فعل فُلُفلُ بن سعيد؛ فأرسل من أشير عساكرَ تقدَّمت إليه، ثمَّ رحل بعْدَهم، ومعه أبو البهار بن زيري، حتَّى وصل إلى المسيلة، فعِيدَ بها عِيدَ الفطر. ووصل إلى أبي البهار فيه الخبرُ بأنَّ إخوته ماكتن وزاوي ومغنين نافقوا بأشير، وأنَّهم قد^(٢) قبضوا على يطُوفَت، فرحل أبو البهار هاربًا في بيته ورجاله وعياله. ورحل نصير الدولة ثالث شوال إلى إفريقيا. فلما بلغ إلى^(٣) بلزمة، بلغه أنَّ فُلُفلَ بن سعيد تماذى إلى القَيْرَوان، فرحل إلى باغاية، فعرَفوه ما قاسوه من قتال فُلُفلَ وأنَّه حاضرَهم خمسة وأربعين يومًا. فرحل من باغاية في طلب فُلُفلَ، فالتقى معه عشرَ خلُونَ من ذي القعدة، فكانت بينهم حروبٌ لم يُسمَّعْ بمثلها. وكان قد اجتمع لفُلُفلَ من البربر ما لا يُحصى عدَّاً وكثرةً^(٤)، فانهزم فُلُفلَ إلى جبل الحناش، حسبَما ذُكرَه^(٥)، واتَّبعته صُنْهاجة والعيَّد. فلما رأوه تماذى مُنهَرًا، رجعوا عنه، ونبوا محتله. وقتل في ذلك اليوم نحو سبعة آلاف من زناته^(٦). وأرسل نصير الدولة كتاب الفتح إلى مدينة القَيْرَوان.

وفي سنة تسعين وثلاث مئة: خرج نصير الدولة في طلب فُلُفلَ بن سعيد. فلما علم فُلُفلَ أنَّه لا طاقة له بلقائه^(٧)، هرب إلى الرّمال، وافتلق جمْعه. فرجع نصير الدولة

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٤ / ١٠٤.

(٢) ليست في ر١.

(٣) كذلك.

(٤) في ر١: «ما لا يُحصى عدَّه».

(٥) «حسبَما ذُكرَه» ليست في ر١.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٤ / ١٠٥ وفيه أنَّ عدد القتلى من زناته تسعة آلاف.

(٧) في ر١: «به».

إلى إفريقية، ومعه أبو البهار بن زيري، وقد اعتذر له ممّا فعل إخوانه^(١)، فقبل عذرها. ثم رجع فلُفل إلى أطربالس، وتمادي نصیر الدولة إلى أن وصل^(٢) قصر الإفريقي، فبلغه حينئذ أنّ بني زيري رجعوا إلى الغرب حَوْفًا منه، وأنّه لم يبق مع فلُفل منهم سوى مَاكْسن وابنِه مُحْسِن، فرجع نصیر الدولة إلى المنصورية حضرته. وفي أولِ رَجَب من هذه السنة خَرَج نصیر الدولة إلى رَقَادَة، متوجّهاً لقتال زيري بن عَطِيَّة^(٣) الزَّنَانِي أمير الغَرْب، لما بلغه أنّه أتى إلى أشير. ثم جاء الخبر برحيل زيري بن عَطِيَّة إلى الغَرْب، فرجع نصیر الدولة إلى المنصورية.

وفي سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة: خَرَج نصیر الدولة في طلب فلُفل ثانية. ووصل كتابُ يوسف بن عامِل قَابِس، يذكر فيه أنَّ فلُفلَ رحل إلى أطربالس من على قابس لستٌ بَقِينَ من رَجَب. ولما وصل فلُفل إلى أطربالس، خَرَج إليه فتوح بن علي^(٤) وجماعة أهلها، فتلقوه، وأدخلوه البلد، فاستوطنهَا من ذلك الوقت^(٥).

وفي هذه السنة: وصل رسول حَمَّاد بن يوسف العزيز بالله، يذكر أنَّه زحفَ إلى عَمَّه مَاكْسن بن زيري ومن معه، فُقِيلَ مَاكْسن وَوَلَدُاهُ مُحْسِن وباديس بعد حروب شديدة، وذلك بعد ثلاث خَلْوَنَ لرمضان المُعَظَّم^(٦).

وفيها: ثُوقي زيري بن عَطِيَّة الزَّنَانِي، صاحب فاس والغرْب كُلُّه، وذلك في الثاني عشر من رمضان المذكور من السنة المؤرَّخة، بعد قتل مَاكْسن بتسعة أيام^(٧).

(١) في ر ١: «إخوته».

(٢) في ر ١: «بلغ».

(٣) قفز نظر ناسخ ر ١ من هنا إلى «عطية» الآتي، فسقط ما بينهما.

(٤) ذكره المقريزي في اتعاظ الحنفا ٢/٣٤.

(٥) نهاية الأربع للنويري ٢٤/١٠٥.

(٦) المصدر السابق.

(٧) نهاية الأربع ٢٤/١٠٦.

بعض أخبار زَنَاتَة وَدُولَتِهِم بِالْغَرْب إِلَى حِينِ ظَهُورِ الْمُرَابِطِينَ

وَذَلِكَ أَنَّ زَنَاتَةً كَانَتْ تَقْعُومُ بِدُعْوَةِ الْأَمْوَيِّينَ، لِمَا تَقْدَمَ لَهُمْ مِنْ هِجْرَةِ جَدِّهِمْ خَرَزَ بْنَ صُولَاتَ، وَإِسْلَامَهُ عَلَى يَدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ صُنْهَاجَةٌ تَقْعُومُ بِدُعْوَةِ الْعَيْدَيْنَ. وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ حِرْوُبٌ كَثِيرٌ^(١). وَقَامَ بِبَلَادِ الْغَرْبِ زِيرِي بْنُ عَطِيَّةِ الْخَرَزِيِّ الْمَغْرَاوِيِّ، وَمَلَكَ فَاسًا وَغَيْرَهَا، وَصَارَ أَمِيرَ زَنَاتَةِ كَلَّهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَكَانَ يَدْعُو لِبَنِي أُمَّيَّةَ فِي دُولَةِ هَشَامِ الْمُؤَيَّدِ، إِذَا كَانَ الْمُقِيمُ لَهُ مُحَمَّدٌ^(٢) بْنُ أَبِي عَامِرٍ حَاجِبَةً، وَهُوَ يُخَارِبُ أَعْدَاءَهُ وَأَضْدَادَهُ صُنْهَاجَةَ أَمْرَاءِ إِفْرِيقِيَّةٍ. قَالَ ابْنُ حَمَادَةُ: كَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ، وَاجْتَمَعَ مَعَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ سَنَةَ تَسْعَ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً، وَكَانَ بِأَرْضِ الْغَرْبِ فِي خِدْمَتِهِ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ وَمُوْلَاهِهِ مَعَ سَعْةِ مُلْكِهِ وَيُعْدِ صِيَّتِهِ إِلَى أَنْ فَسَدَ مَا بَيْنَهُمَا سَنَةَ سَبْعَ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةً، وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُظَفَّرِ حِرْوُبٌ يَطْوُلُ ذِكْرُهَا.

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ: ثُمَّ إِنَّ زِيرِي بْنَ عَطِيَّةِ الْمَغْرَاوِيِّ نَكَثَ عَلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ بَعْدِ الْحُبُّ الشَّدِيدِ، وَالْوَفَاءِ^(٣) الْأَكِيدِ، وَطَعَنَ عَلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ^(٤) سَلْبِهِ مَلْكَ هَشَامَ، وَامْتَعَضَ هَشَامُ الْمُؤَيَّدُ، وَغَلَبةَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ عَلَيْهِ، فَأَنْفَذَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَاضْحَى فَتَاهُ فِي جِيشِ كَيْفَ^(٥)، فَقاومَهُ بِالْمَغْرِبِ. وَدارَتْ بَيْنَهُمْ حِرْوُبٌ عَظِيمَةٌ. ثُمَّ أَرْدَفَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ بِوَلْدِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهَبَطَ هُوَ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ يُمْدِدُهُمْ بِالْقُوَّادِ وَالْأَجْنَادِ^(٦). وَبِرِزَ^(٧) عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ طَنْجَةِ إِلَى زِيرِي، وَدارَتْ بَيْنَهُمْ حِرْبٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي الْحِرْوُبِ الْغَابِرَةِ^(٨)، أَجْلَتْ عَنْ هَزِيمَةِ زِيرِي وَاسْتَصَالَ رَجَالُهُ وَحَالُهُ. وَنَجَّا هُوَ مُتَخَنَّا بِالْجَرَاحِ.

(١) في ر١: «عظيمة».

(٢) ليس في أ، م.

(٣) في ر١: «الولاء».

(٤) في ر١: «وطعن عليه»، وما هنا أبين.

(٥) في ر١: «عظيم».

(٦) في ر١: «والأنجاد».

(٧) في ر١: «وقر» وما هنا أصح.

(٨) في ر١: «الغاربة»، وهو تحرير.

وأنبسط مُلْك عبد الملك بن أبي عامر على الغَرب وما والاه إلى سِجْلِماَسَة، وعلى تِلِمسَان وتيهُرَت. وقفل إلى الأندلس سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، واستخلف على بلاد الغَرب وأصْحَى الغازِي^(١)، فأقام بفاس مُدَّةً، وانصرف^(٢) إلى الأندلس، وَخَلَفَ على فاس عبد الله بن أبي عامر، ابن أخي المَنْصُور، ثُمَّ تَلَاهُ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ الْبُورِي^(٣)؛ ثُمَّ تَلَاهُ أبو الأَخْوَصِ مَعْنُونَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٤)، وبقي فيها إلى أن تُوفِيَ حَمَدُ بْنُ أَبِي عامر؛ فصرَفَها ابنه عبد الملك^(٥) المظفر إلى المُعَزِّ بْنِ عَطِيَّة، وقد استحکمت ثُقَّته به وَحَسْنَ رأْيِه فيه، فولَّه على فاس^(٦) سنة سبع وتسعين وثلاث مئة، على أن يعطيه المُعَزُّ عِدَّةً من السُّخْلِيْن والسلاَح، يحملها كُلَّ سنة إلى حضرة^(٧) قُرْطُبَة، وقبض على ابنه المسمَّى مُعَنْصَرَ رهينة^(٨). فاستقامت طاعة المُعَزِّ، وأقام ابنه بِقُرْطُبَة إلى أن نشأت الفتنة، وانقرَضَتِ الدُّولَة العاْمِرِيَّة، فانصرف مُعَنْصَر إلى أبيه، ومَضَى^(٩) أبوه على رأْيِه في موالة من ظهر بالأندلس من المَرْوَانِيَّة^(١٠)، إلى أن هلك بعد صَدْرٍ من الفتنة، وأورث ولَدَه حَمَامَة مُلْكَ فاس وما والاها.

وقد ذكر^(١١) الوراق ذلك، وشرحه شرحاً كافياً^(١٢)، وقال: لما تُوفِيَ زَيْرِيُّ بْنُ عَطِيَّة في سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة، أقام بْنُو عَمِّهِ ابْنَهُ المُعَزَّ مَكَاهَهُه. وذكر

(١) في رأي: «المغاربي».

(٢) في رأي: «ثم انصرف».

(٣) ذكره القلقشندي في صبح الأعشى ١٧٩ / ٥.

(٤) صبح العشى ٥ / ٢٥٦.

(٥) المعجب للمرَاكشي ٨٥.

(٦) تاريخ ابن خلدون ٧ / ٣٤.

(٧) من رأي.

(٨) تاريخ ابن خلدون ٧ / ٣٤.

(٩) في رأي: «وبقي».

(١٠) في رأي: «الأموية».

(١١) في رأي: «شرح».

(١٢) قوله: «وشرحه شرحاً كافياً» ليس في رأي.

استجداء^(١) المُعِزَّ للْمُظْفَرِ بن أبي عامِرٍ، وإرساله إليه، وتقليل المظفر له ولالية المغرب، على ما تضمنه من خيل^(٢) وسلاح وغير ذلك؛ ورَهْنَهُ الْمُعِزُّ وَلَدِيهِ حَمَامَةٌ وَمُعْنَصِّرًا. وذكر موت المظفر، وتقديم أخيه عبد الرحمن^(٣) لحجابة هشام المؤيد^(٤)، وبلغ المُعِزَّ بن زِيرِي ذلك، فاحتفل في هدية عظيمة يهدىها له^(٥)، وذلك سبع مئة من عتاق^(٦) الخيل وأحِمالٌ كثيرةٌ من دَرَقِ اللَّمْطِ وجُملَةٌ كبيرةٌ من المال، والسلاح، وسائل ما بالغرب من الطرف، ووصل قُرْطُبة مع هذه الهدية فِتْيَانٌ من بني عمّه وجملةٌ من شيوخ القبائل ووجوه فاس؛ فسُرَّ عبدُ الرحمن بن أبي عامر^(٧) بذلك، وشكر المُعِزَّ، وسَرَّحَ ابْنَهَ إِلَيْهِ، بعد أن كساهمَا، وأراضِهِما، وكتب للْمُعِزَّ عَهْدَهُ بتجديد ولاية المغرب كله إلَّا مدينة سِجْلِمَاسَة، فإِنَّهُ كان قد عقد ولايتها لواضحة الفتَّى قبل ذلك، ووَلَّهَا وَاضِحٌ وَأَنُودِينَ بن خَزْرُونَ الْيَقْرَنِيُّ^(٨) وابن عمّه زِيرِي بن فُلْفُلْ على مالِ ضَمِّنَاهُ إِلَيْهِ وعَدَهُ من الْخَيْلِ وَالدَّرَقِ مَعْلُومَة، وَجَمِيلَةٌ مِنَ الْمَالِ فِي كُلِّ سَنَةٍ. ورَهْنَهُ كُلُّ واحدٍ مِنْهُمَا ابْنَهُ. فامتثل المُعِزُّ بن زِيرِي ما أمرَهُ به عبدُ الرحمن بن أبي عامر.

وبقي المُعِزُّ أميرَ المَغْرِبِ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتِ الدُّولَةُ الْعَامِرِيَّةُ، ثُمَّ انْقَرَضَتِ الدُّولَةُ الْمَرْوَانِيَّةُ وانشَقَّتِ عَصَا الْأُمَّةِ، وَمَرَجَ أَمْرُ النَّاسِ بِالْأَنْدَلُسِ، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ شِيَعًا مُتَفَرِّقِينَ، يَقْتَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَنْهَبُ. وَفَعَلَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَكَثُرَ فِيهِ الشَّتَّاتُ، وَشَنَّ الْغَارَاتُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ^(٩). وأقام المُعِزُّ بن زِيرِي يُدَارِي أَمْرَهُ،

(١) في ر١: «استخدام».

(٢) في ر١: «على مالٍ يعطيه وخيلٍ».

(٣) المعجب .٨٦

(٤) ليس في ر١.

(٥) في ر١: «العبد الرحمن».

(٦) ليست في أ، م.

(٧) «بن أبي عامر» ليست في أ، م.

(٨) ينظر تاريخ ابن خلدون .٣٨ / ٧

(٩) «بعضهم على بعض» ليس في ر١.

إلى أن حانت وفاته سنة ست عشرة وأربع مئة. وولي مكانه^(١) ابنه أبو العطاف حمامة بن المُعِز^(٢) بن زيري بن عطيّة، وكان له حظ من المعرفة والأدب وحسن السياسة، فكانت مدينة فاس في أيامه هادنة راحية، وكان الشعراء يقصدونه من الأندلس. وجَرْت له حروب كثيرة إلى أن حانت وفاته سنة ثلات وثلاثين وأربع مئة. وولي ابنه دُوناس بن حمامة، فقام عليه بنو عمّه؛ ولم يزل أمرُهم يضعف، ودولتهم تذير، إلى أن قام بمدينة فاس أميران بالعدوانين، وكانت الحرب تقوم بينهما. وجَرْت بين ذلك أمور وخطوب، لا يحسن ذكرها لشناختها، إذ الدُول، إذا أدرست، كُلُّ ما يجري فيها يقع ذكره^(٣)، إلى أن شاع خبر^(٤) خروج لمتونة من الصحراء، واستيلائهم على بلاد المصايدة، وخلعهم للوكهم وناموس عدهم^(٥)، ودخل عبد الله بن ياسين مدينة أغمات وما يليها، فخافت زناتة، وأجفلت^(٦) عن جهة الشرق حيث مستقرُها. ولما قُتِل عبد الله بن ياسين، رجعت زناتة إلى المغرب، وقتلوا كلَّ من اتهموه بالليل إلى أصحاب اللثام، فحاربهم الصحراويون. ووجه أبو بكر بن عمر^(٧) يوسف بن تاشفين^(٨)، فحارب رؤساء القبائل، واستفتح بلادًا كثيرة.

وفي خلال ذلك كان الجوع الشديد الذي يُعرف «بسنة أوقيبة بدرهم» من الدرارهم الخندوسية، وذلك في سنة أربع وأربعين وأربع مئة. ورجع الفتوح بن معنَّصر الزناتي من المشرق، وكسر عسكراً مدينة فاس سنة أربع وخمسين وأربع مئة.

(١) في ر ١: «بعده».

(٢) ذكر ابن خلدون أن حماما هو ابن عم المعز وليس ابنه، وقد زعم بعض المؤرخين أنه ابنه (تاریخ ابن خلدون ٧/٣٥).

(٣) قوله: «وَجَرْتَ بَيْنَ ذَلِكَ» إلى قوله: «يَقْبَحُ ذَكْرَه» ليس في ر ١.

(٤) ليس في ر ١.

(٥) «وَخَلَعُهُمْ لِلْوَكَهُمْ وَنَامُوسْ عَدَهُمْ» ليس في ر ١.

(٦) من هنا إلى نهاية الفقرة لم يرد كله في ر ١.

(٧) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/١٣٤.

(٨) انظر عنه تاريخ الإسلام ١٠/٨٣٢-٨٣٩.

وفيها: كُسِرَتْ مِكْنَاسَةُ وَلَوَاتَةُ: كَسَرَهُمَا قَائِدُ أَبِي بَكْرٍ بْنَ عُمَرَ الْمَتُونِي.

وفي سنة أربع وخمسين وأربع مئة: وطعَ بُلْجِينَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ حَمَادَ الصُّنْهَاجِيُّ
جَمِيعَ الْغَرْبِ وَدَوَّخَهُ بِجِيُوشِ عَظِيمَةٍ.

وفي سنة تسع وخمسين وأربع مئة: دخل إبراهيم بن ملِيح الجَزْنَائِيُّ مدينة
فاس، وأخرج منها معنَّصَرَ بْنَ حَمَادَ إِلَى الشَّرْقِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى فاس، وقتل كُلَّ مَنْ
أَتَهُمْهُ بِالْمَلِيلِ إِلَى الْمُلْثَمِينَ. ثُمَّ رَجَعَ يُوسُفُ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَهَرَبَ مُعَنَّصَرُ. وُقْتَلَ يُوسُفُ
سَدْرَاتَةَ وَدَخَلَ مَدِينَةَ فاس، وَاسْتَولَ عَلَيْهَا وَعَلَى أَكْثَرِ الْغَرْبِ. هَكُذا ذُكِرَ أَبُو مَرْوَانَ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُوسَى الْوَرَاقِ فِي كِتَابِهِ «الْمِقْبَاسُ فِي أَخْبَارِ فاس».

وَأَمَّا يُوسُفُ الجَزْنَائِيُّ، صَاحِبُ مِكْنَاسَةٍ، فَتُوفِيَ سَنَةً اثْتَيْنِ عَشَرَةَ وَأَرْبَعَ مَئَةً.

وَأَمَّا تَوَالَى، فَتُوفِيَ بِالْقَلْعَةِ، وَوَلِيَ ابْنُهُ مَهْدِيُّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي الْعَافِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فَتُوفِيَ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَأَرْبَعَ مَئَةً، وَوَلِيَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ؛
وَكَانَ بْنُ أَبِي الْعَافِيَّةِ أَصْحَابَ تَسْوُلٍ وَمَلْوَيَّةٍ وَنُكُورٍ، وَهِيَ الْمَزَمَّةُ؛ وَتُوفِيَ عَبْدُ اللهِ
سَنَةَ سِتِينَ وَأَرْبَعَ مَئَةً، وَوَلِيَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ أَبِي الْعَافِيَّةِ.

وَأَمَّا تِلْمِسَانُ وَالزَّابُ، فَكَانَ فِيهَا يَعْلَمُ الزَّنَاقُ، وَمَاتَ فِي هَذَا التَّارِيخِ، أَوْ قَرِيبًا
مِنْهُ، وَقَامَ فِيهَا بْنُوهُ. وَمَا وَرَاءَ الزَّابِ مِنْ بَلَادِ الْغَرْبِ، لَمْ يَمْلِكْهُ الْعَبَّاسِيُّونَ قَطُّ، أَمَّا
تِلْمِسَانُ وَأَنْظَارُهَا، فَوَلِيَهَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمانَ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ حَسَنَ بْنِ
عَلَيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ وَلَدَهُ أَبُو الْعَيْشِ عَيْسَى بْنُ إِدْرِيسِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَذْكُورِ.

وَأَمَّا فاسُ وَأَنْظَارُهَا، فَكَانَ فِيهَا^(۱) شِيَعَةٌ؛ ثُمَّ آلَ أَمْرُهَا إِلَى إِدْرِيسِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ
حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا تَامَسْنَا، فَكَانَ فِيهَا أَوْلَادُ صَالِحِ بْنِ طَرِيفٍ عَلَى ضَلَالِهِمْ.

وَأَمَّا سِجِلْمَاسَةُ، فَنَزَلَهَا عَيْسَى بْنُ سَمْغُونَ، رَئِيسُ الصُّفْرِيَّةِ. فَهَذِهِ هِيَ الْبِلَادُ
الْمُتَفَقُ عَلَيْهَا. وَأَمَّا الْمُخْتَلَفُ فِيهَا، فِإِفْرِيقِيَّةُ: قِيلَ إِنَّهُ كَانَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ
ثَائِرًا، وَبِالْأَنْدَلُسِ يُوسُفُ الْفَهْرِيُّ أَمِيرًا.

(۱) قُرِنَ نَظَرُ نَاسِخٍ رَأَى مِثْلَهَا «فَكَانَ فِيهَا» الَّتِي تَلَيْهَا فِي الْفَقْرَةِ الَّتِي تَلَيْهَا فَسَقَطَ مَا بَيْنَهَا.

رجُعُ الْحَبَرِ إِلَى نُسُقِ التَّارِيخِ:

وَفِي سَنَةِ اثْتَيْنِ وَتِسْعَيْنِ وَثَلَاثَ مِئَةٍ: تُوفِيَ أَبُو طَالِبٍ شِيفَ الْمُعْتَزِلَةِ وَلِسَانِهِ، وَلِهِ تِسْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَ خَرْجُ يَحْيَى بْنِ عَلَىٰ ابْنِ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنْ مِصْرَ بِالْعُسْكُرِ، فَكَانَ وَصُولُهُ إِلَى أَطْرَابِلْسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِتِسْعَ خَلْوَنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ. وَكَانَ مُتَوَلِّي التَّدْبِيرِ فِي الْوَقْتِ زَيْدَانَ الصَّقْلِيَّ، فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أُمُورُ الْعُسْكُرِ مَعَ سُوءِ عَقْلِهِ، وَضَعْفِ تَدْبِيرِهِ، وَوَصَلَ إِلَى فُلْفُلٍ، فَاسْتَخَفَّ بِهِ، وَاحْتَفَرَهُ.

وَفِيهَا^(١): فِي رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ، تُوفِيَ الْمُنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ رَحْمَهُ اللَّهُ^(٢)، عَلَىٰ مَا يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ^(٣).

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثَ وَتِسْعَيْنِ وَثَلَاثَ مِئَةٍ: وَصَلَ يَحْيَى بْنِ عَلَىٰ ابْنِ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَمَعَهُ فُلْفُلٌ بْنُ سَعِيدٍ، وَفُتُوحٌ بْنُ عَلَىٰ إِلَى مَدِينَةِ قَابِسٍ؛ فَحَصَرُوا عَطَيَّةَ بْنَ جَعْفَرٍ. وَخَرَجَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ إِلَى قَابِسٍ عَشْرَوْنَ رَجُلًا مِنَ النَّاسِبَةِ، فُعْرُفَ بِهِمْ فُلْفُلٌ، فُبَعِثَ فِي طَلْبِهِمْ؛ فَلَمَّا أُتِيَ بِهِمْ، ضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ، وَكَانَ^(٤) وَصُولُهُمْ إِلَيْهَا يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ لِأَرْبَعَ عَشَرَةِ خَلْوَنَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. ثُمَّ انْصَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى أَطْرَابِلْسِ. وَلَا رَأَى يَحْيَى بْنُ عَلَىٰ اخْتَالَ الْحَالَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَجِدْ مَا يُعْطِي لِرَجَالِهِ، عَادَ بِقَيْتِهِمْ إِلَى مِصْرَ، بَعْدَمَا أَخْذَ فُلْفُلَ وَأَصْحَابَهُ مَا أَحْبَبُوهُ مِنْ خَيْلِهِمْ، بَيْنَ شَرَاءِ وَغَصْبٍ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ، أَرَادَ الْإِيقَاعَ بِهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ عَفَا عَنْهُ، وَقِيلَ عُذْرَهُ^(٥).

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعَ وَتِسْعَيْنِ وَثَلَاثَ مِئَةٍ: قُتِلَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْجَمَهُ الْبَكْرِيُّ بِمِصْرَ، وَكَانَ ضَعِيفُ الْعَقْلِ، أَحْقَقَ، وَكَانَ لَهُ بَصَرٌ بِالْقَضَايَا.

وَفِيهَا: قُتِلَ الْحَاكِمُ جَمَاعَةً كَبِيرَةً مِنْ وَجْهِهِ رَجَالَهُ، وَأَحْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ.

(١) لَيْسَ فِي ر١.

(٢) مِنْ ر١.

(٣) «عَلَىٰ مَا يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ» لَيْسَ فِي ر١.

(٤) مِنْ هَنَا إِلَى قَوْلِهِ: «أَطْرَابِلْسُ» لَمْ يَرَدْ فِي ر١.

(٥) الْكَاملُ لِابْنِ الْأَثْيَرِ / ٩ ١٧٧.

وفيها: قُتِلَ المُعْرُوفُ بابن خَرِيطة.

وفيها: قُتِلَ ابن الغازِي المُنَجَّمُ.

وفي سنة خمس وتسعين وثلاث مئة: كانت يافريقيا شدَّةً عظيمةً، انكشفَ فيها السُّتُور، وهلك فيها الفقير، وذهب مال الغني، وغلَّت الأسعار، وعدمت الأقوات. وجلى أهل الباذنة عن أوطانهم، وخَلَّت أكثر المنازل، فلم يبقَ لها وارثٌ، ومع هذه الشدَّة، وباءٌ وطاعونٌ، هلك فيه أكثر الناس من غَنِيٍّ ومحْتاجٍ، فلا تَرَى مُتَصَرِّفًا إلَّا في عِلاج، أو عِيادةً مريضٍ، أو آخِذًا في جِهاز مَيِّتٍ، أو تشييع جنازةً أو انتصارٍ منْ دُفْنٍ. وكان الضعفاء يُجْمَعون إلى باب سالم، فتُحْفَرُ لهم أخادِيدٌ ويُدَفَّنُ المائةُ والأكثرُ في الأَحْدُود الواحد؛ فهات من طبقات الناس وأهل العلم والتجار والنساء والصبيان ما لا يُحْصي عَدَّهُم إلَّا خالقُهُم تعالى^(١)، وخَلَّت المساجد بمدينة القَيْرَوَان، وتعطلت الأفران والحمامات^(٢). وكان الناس يُوقدون أبواب بيوتهم وخُشَب سقوفهم. وجاء خُلقٌ من أهل الحاضرة والبادية إلى جزيرة صِقْلَيَّة. وكانت الرُّمَانَة بِدِرْهَمَيْن للمرِيض في ذلك الوقت^(٣)، والفرُوج^(٤) بِثَلَاثَيْن دِرْهَمًا. وقيل: إنَّ أهل الباذنة أكَلَ بعضَهم بعضاً. كذا ذكر أبو إسحاق الرَّقِيق^(٥).

وفي سنة ست وتسعين وثلاث مئة: كثُرَ الخَصْبُ يافريقيا، ورخصت الأسعار، وارتفع الوباء عن الناس.

وفيها: ثار بَرْقَة الوليدُ بن هِشَام، وادْعَى أَنَّهُ من بني أُمَيَّةٍ من وَلَدِ الْمُغَيْرَة، وكان ظهورُه في العام الفارط عن هذه، وكان مُعلِّماً بِبَرْقَة، فرأى في أهل بَرْقَة فُرْصَةً؛ فانتسب لهم وعَرَفُهم أَنَّ عنده روایات وعِلْمًا، وأنَّه هو الذي يملك مصر ويقتل الجَبَابِرَة، وأعانه على ذلك قومٌ من لَوَاتَة وزَنَاتَة، فنصبوه إمامًا، واجتمعوا عليه.

(١) في ر١: «لا يُحْصي عَدَّهُم».

(٢) أشار ابن الأثير في الكامل إلى هذا الوباء ١٨٥ / ٩.

(٣) «في ذلك الوقت» ليس في ر١.

(٤) في ر١: «وكان الفروج».

(٥) قوله: «ذكر ذلك أبو إسحاق الرقيق» ليس في ر١.

ثمَّ أقبل البرابر من كُلِّ ناحيةٍ إِلَيْهِ، فزحفَ إِلَى بَرْقَةٍ وَحَاصَرَهَا حَتَّى فَتَحَّها، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنَ الْعَامِ الْفَارِطِ، ثُمَّ قَوَىَ أَمْرُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَأَخْرَجَ الْحَاكِمَ إِلَيْهِ جِيشًا، فَكَانَ بَيْنَهُمْ قَتَالٌ شَدِيدٌ، إِلَى أَنْ هُزِمَ عَسْكُرُ مِصْرَ وَقُتُلَ قَائِدُهُ.

وَفِيهَا: تُوفِّيَ عَامِلُ إِفْرِيقِيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَرَبِ.

وَفِيهَا: قَتْلُ الْحَاكِمِ قاضِيَّهُ وَأَحْرَقُهُ بِالنَّارِ عَلَى أَكْلِهِ أَمْوَالِ الْأَيْتَامِ.

وَفِي سَنَةِ سِعَ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ: اسْتَفْحَلَ أَمْرُ الثَّاثِيرِ بِبَرْقَةِ الْوَلِيدِ بْنِ هَشَامَ، وَكَثُرَتْ جَمْعُهُ وَأَتَابُاعُهُ. فَأَخْذَهُ الْحَاكِمُ بِالْحِيلَةِ، فَدَعَا وَجْهَهُ رَجَالَهُ وَقُوَّادَهُ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَكَاتِبُوهُ وَيَعْرِفُوهُ أَنْهُمْ عَلَى مَذْهِبِهِ، وَأَنَّهُ، إِنْ قَرَبَ مِنْهُمْ، صَارُوا فِي جَمْلَتِهِ. فَلَمَّا تَوَاتَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَرَأَى بِهِ وَزْحَفَ بِكُلِّ مِنْ مَعِهِ مِنْ قَبَائِلِ الْبَرِيرِ إِلَى مِصْرَ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ عَسَكِرٌ مِصْرَ؛ فَهُزِمُوهُ، وَلَحَقَ بِأَرْضِ السُّودَانِ. ثُمَّ أَخْذَ أَسِيرًا وَأَدْخَلَ مِصْرَ عَلَى جَمَلٍ، فَطِيفَ بِهِ بَشِيبٌ مُمْشَهَرٌ؛ ثُمَّ قُتِلَ شَرَّ قِتْلَةً فِي مِنْتَصِفِ شَوَّالٍ.

وَفِيهَا: وَلِيَ عَالَةَ إِفْرِيقِيَّةِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْعَرَبِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، فَأَقْرَرَ رَجَالَهُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، وَاسْتَعَانَ بِهِمْ.

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ: تُوفِّيَ صَاحِبُ الْمَظَالِمِ بِإِفْرِيقِيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ وَطَائِهُ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَى أَهْلِ الرِّيبِ وَالْفَسَادِ بِالضُّربِ وَالْقَتْلِ وَقَطْعِ الْأَيْدِيِّ وَالْأَرْجُلِ، لَا تَأْخُذُهُ فِيهِمْ لَوْمَةٌ لَا إِيمَانٌ.

وَفِي سَنَةِ سِعَ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ: هَرَبَ أَوْلَادُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْعَرَبِ مِنَ الْمُنْصُورِيَّةِ، يَرِيدُونَ فُلْفُلَ بْنَ سَعِيدَ بْنَ خَزْرُونَ الزَّنَانِيَّ بِأَطْرَابِلُسَ، فَأَرْسَلَ نَصِيرُ الدُّولَةِ إِلَى صَاحِبِ قَابِسَ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَقْطُعَ بَهُمْ، فَلَحَقَ بِهِمُ الْمَذْكُورُ، وَأَخْذَ مِنْهُمْ عَلِيًّا وَيُوسُفَ، فَقَطَعَ رُؤُوسَهُمَا، وَوَجَّهَ بِهَا إِلَى الْمُنْصُورِيَّةِ مُسَلَّخَ الْمَحَرَّمَ. وَوَصَلَ الْقَاسِمُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَعَفَا عَنْهُ.

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ مِئَةٍ: تُوفِّيَ فُلْفُلُ بِأَطْرَابِلُسَ بِعَلَةٍ أَصَابَتْهُ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخْوَهُ وَرُوَّوْ، وَأَطَاعَتْهُ زَنَانَةٌ^(۱).

(۱) نَهَايَةُ الْأَرْبَ لِلنُّزِيرِيِّ ۲۴/۱۰۶.

وفيها: رحل أبو مناد نصیر الدولة بعساکر عظيمة إلى أطربالس في طلب زناتة، فكان وصوله إلى ظاهر أطربالس يوم الاثنين لسبعين خلون من شعبان، فتلقاءه أهلها مسرورين، داعين، مستبشرین، فضررت له فساطيط الديباج والقباب الجليلة، ونزل، فأخذ الناس ريح عظيم خرق جميع المضارب ومزقها وذهب بها. ودخل نصیر الدولة إلى قصر فلفل. وجاءت رسول ورُو بن سعيد أخي فلفل راغبة في الأمان والغفو، فعفا عنهم، وأشهد بذلك على نفسه، ثم صدر إلى المنصورية ظافرا^(١). ووصل النعيم بن كنون وطائفة معه إلى المنصورية؛ فأعطاهم نصیر الدولة، وأفضل عليهم أتم الإفضال، وأمر للنعمي بالبنود والطبلول والبراذين والسروج، وصرفه إلى البلاد التي أعطاها، وقادتها قصطيطية، فأقام بها ملكاً بالطبلول والبنود والجيش.

وفي سنة إحدى وأربعين مئة: كان موت عَزْم بن زِيرِي بن مَنَاد بالقيروان.

وفيها: تُوفِّي القائد^(٢) جعفر بن حبيب.

وفيها: أمر الحاكم بأمر الله بالحسين بن جوهر قائد القواد وصهره القاضي على مصر عبد العزيز بن محمد بن النعمان، فقتلوا جميعاً في وقت واحد.

وفي شوال من هذه السنة: خالف ابن جراح على الحاكم بأمر الله، وبعث إليه رسلاً إلى أمير مكة يستدعيه للخلاف عليه معه، فخالف؛ وتسمى بأمير المؤمنين، وتابعه على ذلك أهل مكة وبني عممه وغيرهم، وتزداد أمرهم على ذلك بقية هذه السنة.

وفيها: رجع أهل مصر ومن كان معهم من المغاربة وغيرهم برسالة التوجيه إلى مكة، زادها الله تكريماً وتشريفاً^(٣)، وذلك عند وصولهم للقلزم بلغتهم ما فعل ابن جراح وأبو الفتوح^(٤) الحسن بن جعفر بن محمد^(٥)، فلم يحجَّ منهم أحدٌ. ولم يحجَّ

(١) المصدر السابق.

(٢) ليس في ر١.

(٣) في ر١: «شرفها الله».

(٤) ليس في ر١.

(٥) كذلك، والحسن بن جعفر هذا ترجمه ابن الجوزي في المتظم ١٠٠ / ٨.

في هذه السنة أحدٌ من الشام، ولا العراق، ولا خراسان، ولا سائر الآفاق، إلا أهلُ
اليَّمَنِ وَنَفَرٌ يَسِيرُ مَمَّنْ كَانَ بِمَكَّةَ مُجَاوِرًا.

وفي سنة اثنين وأربع مئة: قدم المنصورية خزرون بن سعيد بن خزرون الرناتيُّ،
أخو فلُقُلَّ المتقدم ذِكْرُهُ. وكان سببَ وصوله اختلافُ جَرَى بينه وبين أخيه وَرُو، فقصد
إلى نَصِيرِ الدُّولَةِ، فقبله أحسنَ قبولًا، وكان معه نحو سبعين فارسًا من زَنَاتَةِ، فأنزَلَهم
وأحسنَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ بعد ذلك بأيَّامٍ، أَعْطَاهُ مَدِينَةً، فخرَجَ إِلَيْهَا بِالْبُنُودِ وَالظَّبُولِ^(١).

وفي سنة ثلاثة وأربع مئة: وصل إلى المَهْدِيَّةِ مَرْكَبٌ في هَدِيَّةِ جَلِيلَةٍ مِنَ الْحَاكِمِ
إِلَى نَصِيرِ الدُّولَةِ بِإِدِيسِ صاحبِ إِفْرِيقِيَّةِ، وإِلَى ولَدِهِ مَنْصُورِ عَزِيزِ الدُّولَةِ. فتلقَّا هُنَّا
الْمَنْصُورُ مَعَ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ عَلَى قَصْرِ الْمَاءِ بِالْبُنُودِ وَالظَّبُولِ، وَوَصَّلَتْ سِجَّلَاتُهُ مِنْهُ إِلَى
نَصِيرِ الدُّولَةِ بِإِضَافَةِ بَرْقَةٍ وَأَعْمَالَهَا إِلَيْهِ.

وفيها: تُوْقِيُّ أبو الحسن القابسيُّ الفقيه العالِمُ^(٢).

وفيها: عزل نَصِيرِ الدُّولَةِ يَوسُفَ بْنَ أَبِي حَبْوُسِ الصُّنْهَاجِيِّ عنْ أَمْرِ الْجَيُوشِ
وَغَيْرِهَا.

وفيها: تُوْقِيُّ مُفَرِّجُ بْنُ الْجَرَاحِ^(٣) بِبَلَادِ الشَّامِ، وَبَقِيَ أَوْلَادُهُ مَكَانَهُ.

وفيها: عاد صاحبُ مَكَّةَ إِلَى طَاعَةِ الْحَاكِمِ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ جَعْفَرِ المتقدِّمِ الذَّكْرِ،
الَّذِي قَامَ بِهِ، وَدَعَا لِنَفْسِهِ، وَتَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّاشِدِ بِاللهِ، ثُمَّ تَابَ مَا فَعَلَ فِي هَذِهِ
السَّنَةِ، وَصَعَدَ النَّبْرَ، وَتَبَرَّأَ مَا كَانَ ادْعَاهُ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللهِ؛ فَقَبِيلَ مِنْهُ،
وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ أَمْوَالًا عَظِيمَةً، وَأَمْرَ النَّاسَ أَنْ يَسَافِرُوا إِلَى مَكَّةَ بِالطَّعَامِ وَسَائِرِ الْمَرَاقِقِ.

وفي هذه السنة: ظهر بِإِفْرِيقِيَّةِ ثَائِرٌ اسْمُهُ عبدُ اللهِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ الْمُغَيْرَةِ؛ وَكَانَ
مُتَسَرِّتًا^(٤)، مُشْتَغَلًا بِالْتَّعْلِيمِ، ثُمَّ دَعَا إِلَيْهِ نَفْسَهُ، فَأَخْذَهُ وَسَيَقَ إِلَى الْقَيْرَوَانَ مَعَ صَاحِبِهِ لِهِ.

(١) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/١٧٧.

(٢) هو علي بن محمد بن خلف الفقيه المالكي عالم إفريقي، ترجمته في تاريخ الإسلام ٩/٦١-٦٢ وَغَيْرِهِ.

(٣) هو أمير طيء وسائر العرب بأرض فلسطين (تاريخ ابن خلدون ٤/٥٣).

(٤) في أ، م: «خاماً».

وَحُمْلاً عَلَى جَمَلَيْنِ، وَطِيفَ بِهَا، ثُمَّ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمَا، وَرُفِعاً، فَصُلِبَا. وُجِدَتْ عِنْدَهُ خَرِيطَةٌ فِيهَا كِتَابٌ بِخَطٍّ يَدِهِ لِبَعْضِ أَشِيَّاخِ الْقَبَائِلِ، يَقُولُ فِيهَا: «مَنْ عَبْدُ اللَّهِ أَبِي مُحَمَّدِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى فَلَانٍ»، ثُمَّ يُذَكَّرُ لَهُ أَنَّ تَامَّ أَمْرِهِ وَظَهُورَهِ يَكُونُ بِكُتَامَةِ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَتَلَقَّاهُ فِي أَوَّلِ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ فَإِنَّهَا آخِرُ دُولَةٍ صُنْهَاجَةٍ، وَبِهَا تَنْقُطُ دُولَتُهُمْ. فَتَمَكَّنَ مِنْهُ صُنْهَاجَةٍ كَمَا ذَكَرْنَا.

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ: وَصَلَ سِجْلُّ مِنَ الْحَاكِمِ إِلَى نَصِيرِ الدُّولَةِ، يُذَكَّرُ فِيهِ أَنَّهُ جَعَلَ وَلَايَةَ الْعَهْدِ فِي حَيَاتِهِ لَابْنِ عَمِّهِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(١) بْنَ إِلْيَاسٍ. فَقُرِئَ بِجَامِعِ الْقَيْرَوَانِ وَالْمُصُورِيَّةِ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ مَعَ اسْمِ الْحَاكِمِ فِي الْبُنُودِ^(٢) وَالسَّكَّةِ. فَعَظُمَ ذَلِكُ عَلَى نَصِيرِ الدُّولَةِ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ الْإِمَامَ لَا يُعْتَرَضُ عَلَى تَدْبِيرٍ، لَكَانَتْهُ أَلَّا يَعْرِفَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ وَلَدِهِ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ^(٣).

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ: أَخْرَجَ نَصِيرُ الدُّولَةِ هَدِيَّةً جَلِيلَةً إِلَى الْحَاكِمِ، وَشَيَّعَهَا بِالْطُّبُولِ وَالْبُنُودِ عَنِ الْمُصُورِيَّةِ، فَوَصَّلَتْ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، وَرَكِبَ الْبَحْرَ بِهَا يَعْلَمَ بْنَ فَرْجَ. وَكَانَ فِيهَا مِئَةُ فَرَسٍ وَلَا سِرْوَجٌ مُحَلَّةٌ شُدَّتْ فِي ثَمَانِيَّةِ عَشَرَ حِمْلًا أَفْقَاصًا، وَكَانَ فِيهَا ثَمَانِيَّةُ وَعِشْرُونَ حِمْلًا مِنَ الْخَزْرِ وَالسَّمُورِ وَالْمَتَاعِ السُّوِّيِّ الْمُذَهَّبِ الْفَنِيسِ، وَعِشْرُونَ وَصِيفَةً بَارِعَةً الْجَمَالِ^(٤)، وَعِشْرُونَ مِنَ الصَّقَالِيَّةِ، وَغَيْرُ ذَلِكِ. وَوَجَّهَتِ السَّيْدَةُ أُمُّ مَلَّالٍ أُخْتُ نَصِيرِ الدُّولَةِ إِلَى السَّيْدَةِ أُخْتِ الْحَاكِمِ هَدِيَّةً أَيْضًا. وَلَا وَصَّلَتْ تَلْكَ الْهَدِيَايَا إِلَى جَهَةِ بَرْقَةِ، أَخْذَهَا الْعَرَبُ، وَهَرَبَ يَعْلَمَ بْنَ فَرْجَ، وَأَسْلَمَهَا بِجَمِيعِ مَا فِيهَا.

وَفِيهَا: نَادَى مُنَادٍ فِي الْقَيْرَوَانِ بِاِنْتِقَالِ مَنْ كَانَ يَسْكُنُ فِيهَا مِنَ الصُّنْهَاجِيِّينَ إِلَى الْمُصُورِيَّةِ. ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِغْلَاقِ الْحَوَانِيَّةِ بِالْقَيْرَوَانِ وَفَنَادِيقِهَا؛ فَأُغْلِقَتْ،

(١) هَكَذَا سَمَاءُ، وَالصَّوابُ فِي اسْمِهِ: «عَبْدُ الرَّحِيمِ»، كَمَا فِي تَرْجِمَتِهِ مِنْ تَارِيخِ دِمْشِقٍ لَابْنِ عَسَاكِرٍ ٣٦/١٢٧-١٢٩، وَتَارِيخِ الإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ ٩٥/٩، وَاتِّعَاظِ الْحَنْفَى لِلْمَقْرِيزِيِّ ١٠١/٢ وَغَيْرِهَا.

(٢) بَعْدَ هَذَا فِي رِجْلِ ١: «وَالْطُّبُولِ».

(٣) اِتِّعَاظُ الْحَنْفَى ٢/١٠١.

(٤) «بَارِعَةُ الْجَمَالِ» لَيْسَ فِي أَنَّ.

ولم ييق بها إلا بعض حوانيت الأحباس. وبلغ كراء حانوت بالمنصورية مئتي درهم لبيع الكتان، وما سمع بذلك في كراء حانوت بالقيروان؛ فكان ذلك أول أسباب خرابها^(١).

وكان الحاكم لقب المنصور بن نصير الدولة عزيز الدولة، وقرئ سجله بذلك، فأراد نصير الدولة أن يُرسّحه، ويُضيف إليه أعمالاً يستخدم فيها أتباعه وصنائعه. وكان نصير الدولة اتصل به عن إبراهيم بن سيف العزيز بالله هناتٌ أنكرها عليه، فأراد اختبارها، فكتب كتاباً إلى حماد يأمره فيه بتسليم عمل أبي زعبل قصر الإفريقي ومدينة القدسية إلى مُسْتَخْلَف عزيز الدولة، وكان قد خلع على هشام بن جعفر، وأعطاه الطبول والبُنود، وأمره بالخروج إلى هذا العمل، فخرج بخزائنَ وعدِّ جليلة. وبعث نصير الدولة إلى إبراهيم بن سيف العزيز بالله يشاوره فيمن^(٢) يمضي بكتابه إلى حماد، فتسَرَّع إبراهيم إلى المسير بالكتاب بنفسه، وقال: لا يجد مولانا عبداً من عبيده أنهض بخدمته مني وتضمن ذلك، وأخذ على نفسه المواريث آلة لا يُقيِّم في مضيّه وعُوده إلا أقلَّ من عشرين يوماً، فأشار على نصير الدولة من يقرب منه بأن يعتقل إبراهيم، ولا يدعه لِمَا يريد من السفر، حتى يرى ما يكون من طاعة أخيه حماد ومسارعته إلى ما يأمره^(٣)، فأبى^(٤) نصير الدولة من ذلك، وقال لإبراهيم: امض إلى أخيك حماد، فإن صدقت فيما قلت، ووفيت بها وعدت، وإنما فافعلا ما أردتُ. وخرج إبراهيم بن سيف العزيز بالله بهاله ورجاله وجميع ذخائره، ولم يُعْقِه في ذلك عائقٌ من نصير الدولة وإن فقد كان خروجه بأనقاله وجملة رجاله دليلاً على خلاف ما أظهر. وكان خروجه في شوال، وصاحبها هاشم بن جعفر، ثمَّ أحسَّ هاشم آلة سيفدره إذا قربَ من أخيه، فاعتذر له أن حاجةً بقيت له بياجةً، وعدل إلى طريقها، ووعده أن يلحقه سريعاً. فنجاه الله من غدره. ومضى إبراهيم

(١) في أ: «سبب خرابها»، وما هنا من رأي، وهو أجود.

(٢) في أ، م: «على من».

(٣) قوله: «مسارعته إلى ما يأمره» ليس في رأي.

(٤) في أ، م: «به» وما أثبتناه من رأي وهو الأوجه والأبين للمعنى.

حتى وصل تأمديت، وكتب إلى أخيه، فنهض إليه حماد في عساكر عظيمة، واجتمعت كلمتها، وخلعا أيديها من الطاعة.

وانتهى ذلك إلى نصير الدولة، فرحل في أواخر ذي حجة، ونزل برقادة، ووضع العطاء لعساكره، وأخرج عياله وأثقاله وأخته السيدة أم ملال، وأولاده، وعيده إلى المهدية، ورحل في السابع منه. وأمر بالقبض على يوسف بن أبي حبوب وإخوته، فقبض عليه. وكان نصير الدولة لم يمض له يوم من الأيام إلا جددا عليه كرامة وإحسانا، ولا كان يهدى إليه فرس أو ثوب من ثياب الخلافة إلا آثره بذلك على نفسه، مع ما أعطاه^(١) من الضياع والرابع بكل كورة من كور إفريقيا، وما زال يرفع من قدره، ويزيد في التنويه بذكره، حتى نال من أعلى المراتب ما لم ينلها بعيد ولا قريب، وسما^(٢) من رفيع الدرجات ما لم يسم له حميم ولا نسيب. وكان، والله أعلم، تُسأل له نفسه الفتى بالأمير نصير الدولة، وإنَّ هم بذلك مدةً من الزمان، فلم يعنِ الله عليه، بل خيب سعيه، ورَدَ في نحره بغية^(٣). فتقرر ذلك عند نصير الدولة، فقبض عليه. وكان في قبضه عليه ما أوهنَ الله به كيد الأعداء، وخيبَ آمالهم، وأضلَّ أعماهم^(٤). ورحل نصير الدولة ثانيَ عيد الأضحى بعسكره^(٥) لـ حماد المذكور.

وفي سنة ست وأربعين مئة، في صدر المحرم: وصل عزمٌ وفلُفل ابنًا حسون بن سنون، وماكسن بن بُلقين، وعدنان بن مُعاصم في عدّةٍ من الفرسان من عسكر حماد. فخلع عليهم، وأحسن إليهم. وما زال نصير الدولة يرحل مرحلةً بعد مرحلةً إلى أن وصل إلى تأمديت. ثم وردت عليه الأخبار بوفاة ولده المنصور عزيز الدولة؛ وذلك أنَّه كان في حين حركته إلى المهدية^(٦) عرضت له حمي، وظهر به جدريٌّ؛ فأقام سبعة عشر يوماً،

(١) في أ، م: «حمل له».

(٢) من هنا إلى قوله: «نسيب» ليس في را.

(٣) «بل خيب سعيه، ورد في نحره بغية» ليست في را.

(٤) «وخيب آمالهم وأضل أعماهم» ليست في را.

(٥) في را: «بعساكره».

(٦) «إلى المهدية» ليست في را.

وَتُؤْيِّقُ فُكُّيْمَ عَنْ نَصِيرِ الدُّولَةِ أَمْرُهُ خَوْفًا أَنْ يَبْدُو مِنْهُ جَزَعٌ، يَكُونُ فِيهِ وَهْنٌ عَلَى الدُّولَةِ فِيمَا هُوَ بِسَيْلَهُ مِنْ مَقَابِلَهُ عَدُوّهُ. فَبَلَغَ خَبْرُهُ إِبْرَاهِيمَ حَمَادًا، فَبَعْثَاهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ وَلْدَكَ، الَّذِي طَلَبْتَ لَهُ مَا طَلَبَتْ، قَدْ تُؤْيِّقُ. فَهَا ضَعْضَعَهُ ذَلِكَ، وَلَا حَرَّكَهُ^(١)؛ وَكَتَبَ إِلَى السَّيِّدَهُ يَسَّاهَا عَنْ ذَلِكَ^(٢)، فَوَرَدَ كَتَابُهَا بِوَفَاتِهِ وَالْتَّعْزِيَّهُ عَنْهُ، وَتَصِيفُ سَلامَةَ الْمُعَزَّ وَحُسْنَ حَالَهُ. فَكَانَ مِنْ صَبَرِ نَصِيرِ الدُّولَةِ وَحُسْنِ عَزَائِهِ مَا كَثُرَ التَّعْجِبُ مِنْهُ. وَجَلَسَ مَجْلِسًا عَامِّا لِلعزاءِ، فَكَانَ لَا يَرَى مِنْ أَحَدٍ جَزَعًا وَبَكَاءً^(٣) إِلَّا سَلَاهُ وَهَوَّنَ عَلَيْهِ، فَزَادَ ذَلِكَ سُرُورًا لِأَوْلِيَائِهِ، وَكَمَدَالْحَسَدَتِهِ وَأَعْدَائِهِ.

ثُمَّ رَحَلَ مِنْ تَامِدِيتِ لَسْتَ خَلْوَنَ مِنْ صَفَرَ، وَتَمَادَى رَحِيلُهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ الْمُحَمَّدِيَّةَ، وَهِيَ مَدِينَةُ الْمَسِيلَةِ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا دَاعِينَ شَاكِرِينَ عَلَى مَا مَنَّهُمُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانِ، وَكَشَفَ عَنْهُمُ مِنَ الْجُوْرِ وَالْعُدُوانِ. فَأَقَامَ بِهَا سَتَّةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ رَحَلَ، فَعَبَرَ وَادِيَ شَلَفَ، ثُمَّ تَمَادَى مَسْيِهِ حَتَّى قَرُبَ مِنْ عَسَكِرِ حَمَادَ وَحَشْوَدَهُ مِنْ زَنَاتَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي الْعُدُوْنَ الْأُخْرَى مِنَ الْوَادِيِّ، فَبَاتَ عَلَى تَحْفِظٍ وَاحْتِرَاسٍ.

وَلَمَّا كَانَ فِي عَدِيزِ نَزُولِهِ، بَرَزَ فِي عَسَكِرِهِ وَمَشِيِّهِ عَلَيْهَا، وَرَتَبَهَا، وَأَقَامَ كُلَّ قَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ فِي مَرْكَزِهِ. وَقُدْ تَقَارِبَ الْفَرِيقَانِ، وَتَرَأَءَى الْجَمْعَانِ، فَالْتَّقِيَا^(٤) فَهُزِمَ حَمَادُ، وَأَنْتَهَبَ عَسَكِرُهُ. فَقَيْلٌ: إِنَّ الَّذِي أَنْتَهَبَ مِنَ الدَّرَقِ عَشْرَةَ أَلْفَ دَرَقَةٍ. وَكَانَ اشْتَغَالُ الْعَسَكِرِ النَّصِيرِيَّةِ بِرَفْعِ الْغَنَائِمِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَنْتَفَالِ سَبَبًا لِنَجَاهَ حَمَادَ الْمَذْكُورِ، لِتَرْكِهِمْ اتِّبَاعَهِ^(٥). وَأَخْذَ النَّاسَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْغَنَائِمِ مَا لَا يُحْصِي عَدَدًا وَكَثْرَةً، وَوُجِدَ رُقْعَتَانِ فِيهِمَا: إِنَّ الَّذِي عَنْدَ الْقَائِدِ فَلَانَ صَنْدُوقٌ فِيهِ خَسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَسَبْعَ مِائَةً، وَمِنَ الْوَرِقِ أَلْفَ أَلْفٍ وَخَمْسَ مِائَةَ أَلْفِ درَهْمٍ، وَمِنَ الْأَمْتِيعَةِ خَسُونَ صُنْدُوقًا غَيْرِ مَا كَانَ فِي بَيْتِ حَمَادَ وَخَزَائِنِهِ.

(١) فِي ر١: «وَأَوْهِنَهُ».

(٢) فِي أَ: «يَعْرُفُهَا بِذَلِكَ»، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى بِقُولِهِ بَعْدَ فَوَرَدَ كَتَابَهَا بِوَفَاتِهِ... الْخَ.

(٣) لَيْسَ فِي ر١.

(٤) لَيْسَ فِي أَ، مَ.

(٥) يَنْظَرُ كَامِلُ ابْنِ الْأَثِيرِ / ٩-٢٥٤-٢٥٥.

قال أبو إسحاق: وُجِدَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدِيهِ بَغْلٌ يَسُوقُهُ، فَفَتَّشَهُ بعْضُ الْوُصْفَانِ بَيْنَ أَيْدِينَا، فُوجِدَ فِي حَشْوِ بَرْدَاعَتِهِ وَصُوفِهَا ثَانِيَةً آلَافَ دِينَارٍ، وَمِثْلُ هَذَا مَا لَا يُحْصَى كُثْرَةً.
وَعَرَضَتْ لِي أَبْيَاتٌ بَعْدَ أَنْ صَدَنَا مِنَ الْوَادِي^(۱)، وَقَدْ لَقِينَا بِهِ مَشْفَقَةً شَدِيدَةً^(۲)،
غَيْرَ أَنَّ حَلاوةَ الظَّفَرِ وَالْفَوْزَ بِالسَّلَامَةِ أَنْسَى ذَلِكَ، هِيَ [من البسيط]:

لَمْ أَنْسَ يَوْمًا بِشَلْفٍ رَاعَ مَنْظَرُهُ
وَالْخَيلَ تَعْبُرُ بِالْهَامَاتِ خَائِضَةً
وَالْبَيْضُ^(۳) فِي ظُلُمَاتِ النَّقْعِ بَارِقَةً
وَقَدْ بَدَا مَعْلَمًا بِإِدِيسِ مُسْتَهِرًا
وَإِنَّ رَاحَتَهُ لَوْفَاصَ نَائِلُهَا
تَجْلُلُ عِمَامَتُهُ الْحَمْرَاءُ غَرَّتَهُ
لَوْ صُورَ الْمَوْتُ شَخْصًا ثُمَّ قِيلَ لَهُ

وَقَدْ تَضَايَقَ فِيهِ مُلْتَقَى الْحَدَقِ
مِنْ سَافِحِ الدَّمِ مَجْرَى قَانِي الْعَلَقِ
مِثْلَ النُّجُومِ تَهَاوَتْ فِي دُجَى الْغَسَقِ
كَالشَّمْسِ فِي الْجَوَّ لَا يَنْهَا عَنِ الْحَدَقِ
وَبَأْسُهَا فِي الْوَرَى أَشْفَوْا عَلَى الْغَرَقِ
كَأَنَّهُ قَمَرٌ فِي حُمْرَةِ الشَّفَقِ
«أَبُو مَنَادَ تَبَدَّى» مَاتَ مِنْ فَرَقِ

وَأَصْبَحَ نَصِيرَ الدُّولَةِ يَوْمَ الْاثْنَيْنِ لِلْيَلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ جُمَادِيِّ الْأُولَى، فَبُعْثَ في طَلَبِ حَمَّادَ بْنِ بَادِيسِ بْنِ سِيفِ الْعَزِيزِ بِاللهِ، وَقَدْ تَحَصَّنَ فِي الْقَلْعَةِ مَعَ أَخِيهِ، فَأَفَاقَ مَا بِهَا ثَلَاثَةً أَيَّامٍ حَتَّى اسْتَرَاحَا وَأَرَاحَا دُواَبَاهَا وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا. فَعُرِفَهُ إِبْرَاهِيمُ بِحَاجَتِهِ^(۴) إِلَى الْازْدِيَادِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمِلْحِ؛ فَخَرَجَ حَمَّادٌ فِي جَمِيعِ^(۵) مَنْ كَانَ مَعَهُ وَمَعَ أَخِيهِ، فَسَارُ بَهُمْ حَتَّى دَخَلَ مَدِينَةَ دَكْمَةَ^(۶)؛ وَقَدْ كَانَ نَقْمَ على أَهْلِهَا، وَكَانَ نَصِيرُ الدُّولَةِ فِي أَثْرِهِ؛ فَتَصَابَحَ أَهْلُ الْمَوْضِعِ بِسَاقِتِهِ، فَاعْتَرَضُوهُمْ بِالسِّيفِ، وَقُتِلُّ مِنْهُمْ نَحْوَ ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ.

(۱) في أ: «بعد انصرافنا».

(۲) في ر1: «عظيمة».

(۳) في ر1: «والنقع».

(۴) في ر1: «بالاحتياج».

(۵) ليست في ر1.

(۶) معجم البلدان ۲/۴۵۹.

فخرج إليه^(١) أَحْمَدُ بْنُ أَبِي تَوْبَةَ فَقِيهُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَصَالِحُهَا، فَخَوْفَهُ بِاللَّهِ، وَوَعَظَهُ، وَقَالَ لَهُ: يَا حَمَادَ إِذَا لَاقَتِ الْجَمِيعَ هَرَبْتَ مِنْهَا، إِنْ قَاتَكَ الْجَيُوشُ، فَرَزَّتَ عَنْهَا، وَإِنَّمَا قُدْرَتُكَ وَسُلْطَانُكَ عَلَى أَسِيرٍ يَكُونُ فِي يَدِيْكَ، لَا نَاصِرٌ لَهُ عَلَيْكَ. فَلَمَّا سَمِعْ كَلَامَهُ، أَمْرَ بِضَرْبِ عَنْقِهِ. وَوَقَفَ إِلَيْهِ شَيْخٌ صَالِحٌ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ: يَا حَمَادَ اتَّقِ اللَّهَ فَإِنِّي حَجَجْتُ حَجَجَتْنِي. فَقَالَ لَهُ: أَنَا أَزِيدُكَ عَلَيْهِمَا الشَّهَادَةَ. وَأَمْرَ بِهِ، فَضَرَبَتْ عَنْقِهِ. وَوَقَفَ إِلَيْهِ جَمِيعٌ مِنَ التَّجَارِ الْمُسَافِرِينَ، فَقَالُوا لَهُ: نَحْنُ قَوْمٌ غُرْبَاءُ، وَلَا نَدِرِي مَا جَنَى أَهْلُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ عَلَيْكَ. فَقَالُوا لَهُمْ: اجْتَمِعُوا وَأَنَا أَعْرِفُكُمْ، فَاجْتَمَعُوا^(٢) وَدَخَلُوا مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ مَمَّنْ طَمَعَ فِي الْخَلَاصِ مَعَهُمْ. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ، أَمْرَ بِهِمْ؛ فَضَرَبَتْ رِقَابُهُمْ أَجْمَعِينَ. وَأَخْذَ جَمِيعَ مَا كَانَ بِتِلْكَ الْمَدِينَةِ مِنْ طَعَامٍ وَمِلْحٍ، وَعَادَ بِهِ إِلَى قَلْعَتِهِ.

وَأَمَّا نَصِيرُ الدُّولَةِ، فِيَوْمِ هَزِيمَةِ حَمَادَ، أَخْرَجَ بَكَارَ بْنَ جَالَةَ الْوَتْلَكَاتِيَّ؛ وَكَانَ قَدْ أَخْذَهُ أَسِيرًا، وَكَانَ بَكَارٌ كَثِيرًا مَا يَنْطَلِقُ بِهِ لِسَائِنَهُ. وَكَانَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي حَبُّوْسٍ مُعْتَقَلًا أَيْضًا عِنْدَ نَصِيرِ الدُّولَةِ، فَأَخْرَجَ بَكَارٌ بِمَحْضِرِ يُوسُفِ، وَحُلِقَتْ لَحِيَتُهُ، وَيُوسُفُ يَنْظَرُ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمْرَ: فَحُلِقَتْ لَحِيَةُ يُوسُفِ، فَصَارَ مُثْلَهُ فِي الْعَالَمِ.

قَالَ الرَّقِيقُ: لَمَّا عَانَى يُوسُفَ، وَقَدْ حُلِقَتْ لَحِيَتُهُ، تَحَدَّثَنَا سِرًا بَيْنَنَا، وَقُلْنَا: قَدْ كُنَّا نَرْجُو لِيُوسُفَ الْحَيَاةَ، لَأَنَّ الْمَلُوكَ تَعْفُوُ بَعْدَ الْعَقُوبَةِ! وَأَمَّا الْمُثْلَهُ، فَمَا نَرَى أَنَّ بَعْدَهَا إِيْقَاءً! فَلَمَحَنَا نَصِيرُ الدُّولَةِ وَقَالَ: مَا خُضْتُمُ فِيهِ؟ فَصَدَقْنَاهُ سِرًا، فَقَالَ: مَا أَبْعَدْتُمُهُ. وَبَعْدَ ثَلَاثَةَ، أَمْرَ بِيَاحْضارَهِ؛ فَعَدَّ عَلَيْهِ مَسَاوِيَ أَفْعَالِهِ وَقَبَائِحِ أَعْمَالِهِ، ثُمَّ أَمْرَ بِهِ فِيْجِدَعَ أَنْفُهُ، وَقُطِعَتْ أَذْنُهُ، وَرُفِعَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ. ثُمَّ أُعِيدَ إِلَيْهِ؛ فَأُمْرَ بِهِ فَقُطِعَتْ يَدَاهُ جَمِيعًا. ثُمَّ أُمْرَ بِهِ إِلَى مَوْضِعِ اعْتِقالِهِ؛ فَبَاتَ مُشَحَّطًا فِي دَمَائِهِ. فَحَكِيَ بَعْضُ الْحَرَسِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يُرْغَبُ أَخَاهُ أَنْ يَذْبَحَهُ وَيُرْيِكَهُ، خِيفَةً أَنْ يُخْرِجَ مِنَ الْغَدِ وَيُزَادَ فِي عَذَابِهِ أَمَامَ أَعْدَائِهِ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ: اصْبِرْ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ. فَقَالَ لِبَعْضِ الْحَرَسِ: خُذْ بِيَدِي

(١) في أ، م: «إِلَيْهِمْ» وَمَا أَثْبَتَنَا مِنْ ر١، وَهُوَ الْأَوْفَقُ.

(٢) مِنْ ر١.

آخر لقضاء الحاجة، فأخذ بيده ووقف، فضرب ضربة عظيمة بجبهته في عمودٍ ندرت^(١) منها عيناه، وجَرَى دماغُه، وخرَ إلى الأرض ميًّا.
ورحل نصير الدولة من وادي شَلَف.

قال الرَّقيق: ومن عجيب ما سمعناه عن مanax وادي شَلَف أنَّ شيخاً كبيراً من البربر حدثنا أنَّه يُعرف بِوادي^(٢) المحن، وأخذ يذكُر لنا مَنْ هُزم فيه ومَنْ قُتل فيه من ملوك زَناتة. وكُنَّا على ظَهُور الطريق، فلمْ نَكُنْ بِذلك، إلى أن قال: آخر مَنْ مات فيه زيري بن عطيَّة، وآخر مَنْ هُزم فيه حَمَّاد، وبه قُتل يوسف بن أبي حبُوس، وحُمَّيل منه معادلاً لأنَّيه ورجله باديتان؛ ثمَّ أمر به فُدُنْ هُناك.

وفي هذه السنة: مات وَرُو بن سعيد في شَوَّال، فاختلت كَلِمةُ الزَّناتيَّين، ومالت فَرِيقَةُ مع خَلِيفَة بن وَرُو، وفَرِيقَةُ مع خَزْرُون، ابْنِ عَمِّه، وأوقع اللهُ فيهم الشَّتَّاتَ^(٣).

ذكر وفاة نصير الدولة باديس ابن المنصور

لما كان يوم الثلاثاء للليلة بقيت من ذي القعدة، أمر بالتمييز؛ فبرَّ كلُّ قائد في عسْكِرٍه. وجلسَ نصير الدولة في القُبة وأمر أبُوبَنَ يطُوفَت بالطواف على العساكر وحسابها، وانتظره حتَّى فرغ من حسابها وَعَدَها، فجاءَه^(٤)، فعرَفَه بما سَرَّه وأبهجه، وانصرف إلى قصره. ثمَّ ركب عشيةً هذا اليوم، وهو قد تناهى إقبالاً، واستوى حُسْنَا وجَمَّالاً، فلعبوا بين يديه، فكُلُّها هَرَّ رُحْماً، كَسَرَهُ وأخذ غَيْرَه. ثمَّ عاد إلى قصره أَفْسَحَ ما كان أَمْلَاً، وأَشَدَّ سُرُوراً وجَذَلاً، فطَعَمَ وشَرِبَ مع خاصَّته وقرابته؛ فعاينُوا من طَرِيْه ما لم يعهدُوه منه. فلما مضى نحو النصف من ليلة الأربعاء انقضَّ^(٥) ذي القعدة، قضى نَحْبَه، رَحْمَه اللهُ^(٦).

(١) في م: «فَذَرَت»، وهو تحريف.

(٢) في أ: «بِمَانَخ».

(٣) الكامل لابن الأثير ٩/٢٥٥.

(٤) في ر١: «وَعَدَهَا وَجَاءَهُ».

(٥) في ر١: «وَانْقَضَّ».

(٦) الكامل لابن الأثير ٩/٢٥٦.

وَبِعِثَتْ فِي الْوَقْتِ إِلَى حَبِيبِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، وَبَادِيسِ بْنِ حَمَّامَةَ، وَأَيُوبَ بْنَ يَطْوَفَتْ. فَأَعْلَمُوا بِوفَاتِهِ خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ صُنْهَاجَةِ وَغَيْرِهِمْ، فَانْصَرَفُوا عَلَى أَنْ يَكْتُمُوا أَمْرَهُ حَتَّى يَجْتَمِعَ رَأْيُهُمْ، وَأَصْبَحَ وجْهُ الْعَسَاكِرِ لِلسلامِ عَلَى عَادِهِمْ، وَلِيُسَمِّيَ عَنْهُمْ خَبْرُهُ، وَقَدْ عَزَمُوا أَنْ يُعْرِفُوا النَّاسَ أَنَّهُ أَخْذَ دَوَاءً، وَتَقدَّمُوا إِلَى سَائِرٍ^(١) قُوَّادِ الْعَسَاكِرِ أَنْ يَخْضُرُوا بَعْدَهُمْ، فَقَدْ بَلَغُهُمْ أَنَّ حَمَّادًا يَضْرِبُ فِي الْمَحَلَّةِ، فَمَا شَعَرُوا أَنْ خَرَجَ الْخَبْرُ مِنْ مَدِينَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِوَفَاهُ السُّلْطَانِ، وَأَئْنَمُهُمْ أَغْلَقُوا أَبْوَابِهِمْ، وَصَعَدُوا عَلَى أَسْوَارِهِمْ. فَظَهَرَ مَا لَمْ يُسْتَطِعُوهُ إِخْفَاءَهُ، فَكَانَمَا نُودِيَ فِي النَّاسِ بِإِشَاعَتِهِ، فَاضْطَرَبَتِ الْعَسَاكِرُ، وَمَاجَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، وَخَشَوْا مِنْ اخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ كَرَامَةٍ^(٢)، فَأَخْذَ عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ، وَأَمْرَ بِالْكُتُبِ إِلَى بَعْضِ الْبَلَادِ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَيْدُ نَصِيرِ الدُّولَةِ، وَمِنْ انْضَافِ إِلَيْهِمْ مِنْ سَائِرِ الْحَشَمِ^(٣)، أَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ مَنَاهُ لِيَحْوِطَ الرِّجَالَ وَيَحْفَظَ الْأَمْوَالَ، حَتَّى يَدْفَعَ ذَلِكَ إِلَى مُسْتَحِقِهِ الْمُعِزِّ بْنِ مُولَانَا نَصِيرِ الدُّولَةِ^(٤)، وَمَشَى لَيَلًا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَتَحَالَّفُوا عَلَى بَيْعَةِ الْمُعِزِّ. فَلَمَّا تَمَّ لَهُمْ مَا عَقَدُوهُ، أَعْلَنُوا بِهِ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَلَاثِ خَلُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ. وَتَحَالَّفَتِ الْعَسَاكِرُ عَلَى ذَلِكَ طَائِفَةً بَعْدَ طَائِفَةٍ، وَانْفَقَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى خَرْوَجِ كَرَامَةِ إِلَى أَشِيرِ لِيَحْشِدِ قَبَائِلِ صُنْهَاجَةِ وَتَلْكَاتَةِ، وَيَعُودُهُمْ إِلَى الْمُحَمَّدِيَّةِ. ثُمَّ رَحَلَتِ الْعَسَاكِرُ بِتَابُوتِ نَصِيرِ الدُّولَةِ^(٥).

وَلَايَةُ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسِ إِفْرِيقِيَّةِ وَمُدَّتِهِ

كَانَتْ وَلَايَتُهُ بِالْمَهْدِيَّةِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ المَذَكُورِ مِنْ سَنَةِ سَتِ وأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَسِنُّهُ ثَنَانِيْ سِنِينَ وَأَرْبَعَةَ^(٦) أَشْهُرٍ، وَوَلَايَتُهُ بِالْمَهْدِيَّةِ وَبِيَعْتُهُ بِهَا لِتَسْعَ^(٧) بَقِيَّةَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

(١) فِي ر١: «جَمِيع».

(٢) هُوَ كَرَامَةُ بْنِ الْمُنْصُورِ أَخُو بَادِيسِ (الْكَاملُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٢٥٦/٩).

(٣) «وَمَنْ انْضَافَ إِلَيْهِمْ مِنْ سَائِرِ الْحَشَمِ» لِيَسْتَ فِي ر١.

(٤) «نَصِيرُ الدُّولَةِ» لِيَسْتَ فِي ر١.

(٥) الْكَاملُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٢٥٦-٢٥٧/٩.

(٦) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبَعَةِ ١١١/٢٤: «وَسِبْعَة».

(٧) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبَعَةِ: «سِبْعَة».

وذلك لِمَا وَصَلَ الْخَبَرُ بِوفَاتِ أُبَيِّ، وَالسَّيْدَةُ أُمَّ مَلَّالَ بِالْمَهْدِيَّةِ، خَرَجَ إِلَيْهَا مُنْصُورٌ بْنُ رَشِيقٍ، وَقاضِي الْقَيْرَوَانَ وَالْمَنْصُورِيَّةِ، وَشَيْوُخُهَا، وَمَنْ كَانَ بَهَا مِنَ الصُّنْهَاجِيَّينَ، فَعَزَّزُوهَا فِي أَخِيهَا. وَخَرَجَ الْمُعِزُّ بِالْبُنُودِ وَالظُّبُولِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ يَهْتَئُونَهُ^(١) جَمِيعًا، وَبِإِعْوَهُ، وَهَنَاءَهُ، وَعَزَّزُوهُ، وَابْتَهَلُوا بِالدُّعَاءِ لَهُ، وَعَادَ إِلَى قَصْرِهِ. وَدَخَلَ النَّاسُ يَهْتَئُونَ السَّيْدَةَ بِوْلَايَتِهِ، فَصَرَفَ أَهْلَ الْقَيْرَوَانَ وَالْمَنْصُورِيَّةِ. وَبَقِيَ الْمُعِزُّ بِالْمَهْدِيَّةِ، يَرْكِبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَيَعُودُ إِلَى قُبَّةِ السَّلَامِ، وَيَنْطَعِمُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَنْصَرِفُ^(٢) إِلَى قَصْرِهِ^(٣).

وَفِي يَوْمِ السِّبْتَ بِمُوافَقَةِ عِيدِ الْأَضْحَى، رَحَلَتِ الْعُسَكِرُ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ بَعْدَ أَنْ أَضْرَمُوا النَّارَ فِي الْأَبْنِيَةِ وَالْبَيْوَاتِ وَالْزُّرُوبِ، وَقَدَّمُوا التَّابُوتَ أَمَامَ الْبُنُودِ وَالظُّبُولِ. فَأَشَرَّفَ حَمَادُ عَلَى الْعُسَكِرِ، وَهِيَ تَمُّرُّ كَالسَّلِيلِ بَيْنَ يَدِي التَّابُوتِ، فَقَالَ لِأَخِيهِ وَخَاصَّتِهِ: مِثْلُ هُؤُلَاءِ يَخْدُمُ الْمُلُوكَ، وَصَلَّتْ أَنَا إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفِ فَارِسٍ، مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَحْسَنَتُ إِلَيْهِ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ، فَعُدْتُ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَمَا بَقِيَ مَعِيَ مِنْهُمْ إِلَّا أَقْلَى مِنْ سُتْ مِائَةَ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ أَرْجَى، وَهَذَا مَيْتُ أَطَاعَهُ هُؤُلَاءِ كَمَا كَانَ حَيًّا. وَكَانَ وَصْوَلُ الْعُسَكِرِ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ لِمَهَانَ يَقِينَ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ، وَبِرْزَتِ الْعُسَكِرُ عَلَى بَابِ الْمَهْدِيَّةِ. وَرَكِبَ الْمُعِزُّ، فَوَقَفَ، وَنَزَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَوْجًا فَوْجًا حَتَّى كَمِلَ سَلَامُهُمْ^(٤).

وَفِي سَنَةِ سِعَةٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ: رَحَلَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسِ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ، فَكَانَ دُخُولُهِ الْمَنْصُورِيَّةِ يَوْمَ الْجَمْعَةِ لِلنَّصْفِ مِنْ مُحَرَّمٍ، فَدَخَلَ أَجْمَلَ دُخُولٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْبُنُودِ وَالظُّبُولِ، وَاحْتَلَّ بِقَصْرِهِ أَفْضَلَ حُلُولٍ، وَقَدْ سُرَّ بِالْخَاصُّ وَالْعَامِ^(٥).

وَكَانَ بِمَدِينَةِ الْقَيْرَوَانَ قَوْمٌ بِحَوْمَيْهِ تُعْرَفُ بِدَرْبِ الْمُعَلَّى^(٦)، يَسْتَرُونَ بِمَذْهَبِ الشِّيَعَةِ، مِنْ شِرَارِ الْأُمَّةِ، فَانْصَرَفَتِ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ مِنْ فَوْرِهِمْ، فَقَتَلُوْهُمْ خَلْقًا رَجَالًا

(١) لِيُسْتَ في ر١

(٢) في ر١: «ويَعُود».

(٣) نَهَايَةُ الْأَرْبَ لِلنُّوَيْرِيِّ ٢٤/١١١.

(٤) نَهَايَةُ الْأَرْبَ لِلنُّوَيْرِيِّ ٢٤/١١١.

(٥) المَصْدَرُ نَفْسَهُ.

(٦) هَكَذَا فِي النَّسْخَتَيْنِ، وَفِي كَامِلِ ابْنِ الْأَتَيْرِ ٩/٢٩٤، وَنَهَايَةُ الْأَرْبَ ٢٤/١١١: «دَرْبُ الْمَقْلِيِّ».

ونساءً، وانبسطت أيدي العامة على الشيعة، وانتهت دورهم وأموالهم. وتفاقم الأمر، وانتهى إلى البلدان، فقتل منهم خلقٌ كثيرٌ. وقتل من لم يُعرف مذهبُه بالشَّبهة لهم. ولجأ من بقي بالمهدية منهم إلى المسجد الجامع، فقتلوا به عن آخرهم رجالاً ونساءً. واجتمعت العامة على أبي البهار بن خلوف لشدّته عليهم وقهره لسفاهتهم، فلجأ إلى المنصورية، فانتهبوا داره. وبلغ ذلك عساكر ابن أخيه، فركب لينصر عمّه أبي البهار، فقتلته العامة، ومثلوا به، وقتلوا كلَّ من كان معه، وزحفوا إلى المنصورية، فهدموها. واجتمع بدار محمد بن عبد الرحمن نحو ألف وخمس مئة رجل من الشيعة، فإذا خرج أحدُ منهم لشراء قوته قُتل، حتى قُتل أكثرهم. ثم أخرجوا إلى قصر السلطان بعيالهم وأطفالهم، فسرّ المسلمون بما رأوه فيهم، وذلك لما ظهرت^(١) الكتب التي وُجدت^(٢) في ديار المسالمة، كان فيها من الكفر والتعطيل للشريعة وإباحة المحaram شيءٌ كثيرٌ، فتحصّنوا في هذا القصر أواخر جهادى الأولى ومجاهدى الآخرة.

وفي أواخر هذه السنة: وصل المُعزَّ ابن باديس سجِّل من الحاكم، خاطبه فيه شرف الدولة، وركب المُعزَّ بالبنود والطلبو.

وفي سنة ثمان وأربع مئة: كانت حروبٌ عظيمةٌ بين عساكر شرف الدولة المُعزَّ بن باديس وبين عساكر حمَّاد، وذلك شيءٌ يطول ذكره^(٣).

وفي سنة تسع وأربع مئة: خرجت طائفةٌ من الشيعة نحو مئي فارس بعيالهم وأطفالهم، يريدون المهدية للركوب منها إلى صقلية، وبعثت معهم خيلٌ تشيعهم. فلما وصلوا إلى قرية كامل، وباتوا بها، تنافر أهلُ المنازل عليهم، فقتلواهم وفضحوا بعض شواب النساء ومن كان لها منهنَّ جمال، ثم قتلواهنَّ.

وفيها: كان بإفريقية غالءٌ كثيرٌ^(٤) وحروبٌ كثيرة^(٥).

(١) في ر1: «وُجدت».

(٢) في ر1: «وظهرت».

(٣) في أ: «أمره»، وينظر نهاية الأرب للنويري ٢٤/١١٤.

(٤) ليست في ر1.

(٥) كذلك.

وفي سنة عشر وأربع مئة: وصل زاوي بن زيري الصُّنْهاجي^(١) من الأندلس إلى إفريقية في أهله وولده وحشمه، بعد أن اغترب بها اثنين وعشرين سنة، وقادَى حروباً وفتنها، واحتوى على نعم ملوكها وذخائرهم. فخرج إليه^(٢) يوم صوله شرف الدولة المُعَزُّ بن باديس بِرِّي عظيم، فترَّجَل له الشيخُ زاوي، ونزل شرف الدولة، فسلَّمَ عليه، وسار معه حتى أُنْزَلَه بالمنصورية^(٣).

وفي سنة إحدى عشرة وأربع مئة: ورد على المُعَزُّ بن باديس أبو القاسم بن البُرِّيز، رسولًا من الحاكم إليه، بسيف مكَّلَل بنفيس الجوهر، وخلعه من لباسه لم يَرَ الناسُ مثلها، فلقِيه شرف الدولة^(٤) المُعَزُّ في أجمل زَيِّ وأكمل هيئة. فقرِئَ عليه سِجْلٌ فيه من التشريف ما لم يَصُلْ لأحد قبله، فسُرَّ بذلك^(٥).

وفيها: ورد أيضًا محمد بن عبد العزيز بن أبي كُدْيَة بِسِجْلٌ آخر من الحاكم، جوابًا للْمُعَزِّ عَمًا كان فيه من أخبار الأندلس، وانقراضِ الدولة الأُمويَّة منها، وقيام القاسم بن حَمْودٍ فيها، فشكره على ذلك، وبعث إليه خمسة عشر عَلَمًا منسوجة بالذهب. وركب المُعَزُّ بن باديس، والأعلام المذكورة بين يديه، يوم الأحد لليلتين بقيتا من ربيع الآخر. وجاءت سحابة شديدة الرعد، فأ茅طَرَتْ حَجَرًا لم يَرَ أهُلُ إفريقية مثله كِبَرًا وكثرةً، ووَقَعَتْ معه صاعقتانِ.

وفيها: وصل الخبر بوفاة الحاكم أمير مصر، وولي الظاهر بَعْدَه^(٦).

وفي سنة اثنتي عشرة وأربع مئة: تُوْقِي^(٧) باديس بن سيف العزيز بالله، وصلَى عليه شرف الدولة، وكان له مشهد عظيم.

(١) انظر عنه الإحاطة ١/٥١٣ فما بعده.

(٢) في ر ١: «إليهم».

(٣) ذكر ابن الخطيب أن زاوي انصرف من الأندلس سنة ٤١٦ (الإحاطة ١/٥١٧).

(٤) «شرف الدولة» ليست في ر ١.

(٥) قوله: «فسر بذلك» ليست في ر ١.

(٦) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/٣١٢-٣١٧.

(٧) هذه الفقرة ليست في ر ١.

وفيها: تُوفّيت السيدة زوجة نصیر الدولة، وكُفنت فيها لم يُذکر أنَّ ملِكًا من الملوك كُفِنَ في مثله، فبحکى من حضره من التجار أنَّ قيمته مئة ألف دینار، وجُعلت في تابوت من عود هندي قد رُصّع بالجوهر. وكانت لها جنازة لم يُرِ مِثلها، دُفِنت بالمهديَّة. وكانت مسامير التابوت بـألفي دینار.

وفي سنة ثلاَث عشرة وأربع مئة: تَعرَسَ المُعْزُ شَرَفُ الدولة. فكان له عرسٌ ما تهياً قطُّ لأحدٍ من ملوك الإسلام. وقد شرحه الرَّقيقُ في كتابه وترْكُناه اختصاراً.

وفي سنة أربع عشرة وأربع مئة: وردت الأخبار وتتابعت^(۱) بإفريقية بأنَّ خَلِيفَةَ بن وَرْوَ وَمَن مَعَهُ رَمَوا في الْبَحْرِ مَرَاكِبَ كثِيرَةً، وَأَئْمَمُهُمْ رَحْلَوْا مِنْ أَطْرَابِلُسْ فِي طَلْبِ الْفُتوحِ بْنِ الْقَائِدِ، وَقَدْ كَانَ كَاتِبَ شَرَفَ الدُّولَةِ المُعْزَ بْنَ بَادِيسِ فِي الْإِنْجِيَاشِ إِلَيْهِ وَالدُخُولِ فِي طَاعَتِهِ، فَأَعْطَاهُ مَدِينَةَ نَفْطَةَ^(۲) مِنْ عَمَلِ قَسْطِيلِيَّةَ^(۳). فَخَرَجَ شَرَفُ الدُّولَةِ فَاجْتَازَ سُوسَةَ، ثُمَّ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِأَرْبَعَ حَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ. وَأَمْرَ بِالنَّدَاءِ فِي حَشْدِ الْبَحْرَيْنِ، وَكَتَبَ أَنْ يَلْحِقَ بِهِ كُلُّ مَن يَتَخَلَّفُ عَنْهُ مِنْ عَساِكِرِهِ لِيَكُونَ رَحِيلُهُ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ إِلَى سَفَاقُسَ^(۴)، ثُمَّ إِلَى قَابِسَ^(۵)، فَاصْدَأَ إِلَى أَطْرَابِلُسْ. وَأَمْرَ بِالاحْتِفَازِ^(۶) فِي إِصْلَاحِ الْقَطَاعِ وَعِمَارَةِ دَارِ الصَّنَاعَةِ، وَأَخْذَ فِي إِنْشَاءِ العَدَدِ الْحَرْبِيَّةِ، فَأَنْشَىَ مِنْهَا فِي الْمَدَّةِ الْقَرِيبَةِ مَا لَمْ يَتَمَّ مِثْلُهُ فِي الزَّمْنِ الْبَعِيدِ. ثُمَّ رَأَى الْوَصْوَلَ إِلَى الْمَنْصُورَيَّةِ لِيَأْخُذَ النَّاسُ عُدَّهُمْ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، فَكَانَ وَصْوْلُهُ يَوْمَ الْاثِنَيْنِ لِسْتَ بِقِيَنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنَ الْعَامِ.

وَوَرَدَتِ الْأَخْبَارُ مِنَ الْمَشْرُقِ بِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الظَّاهِرَ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَمْرَ بِإِحْضَارِ سَيْفَ الدُّولَةِ ذِي الْمَجْدَيْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ دَوَّاسِ الْكُتَامِيِّ. فَلَمَّا دَخَلَ^(۷) الْقَصْرِ،

(۱) في ر ۱: «تَابَعَت».

(۲) ينظر عنها معجم البلدان ۵/۲۹۶، والروض المعطار ۵۷۸.

(۳) في ر ۱: («قَسْطِيلِيَّة»)، وينظر الروض المعطار ۵۷۸ حيث قال: نَفْطَةٌ فِي قَسْطِيلِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْجَرِيدِ.

(۴) معجم البلدان ۳/۲۲۳.

(۵) معجم البلدان ۴/۲۸۹.

(۶) في ر ۱: «بِالْجَدِّ».

(۷) في ر ۱: «أَدْخَلَ».

ولم يكن يدخله قبل ذلك حَذْرًا على نفسه، أُخْرَجَ من ساعته مقتولًا؛ فأقام ثلاثة أيام، وُمنادٍ ينادي عليه: هذا جزاءُ منْ غَدَرِ مَوَالِيهِ، ثُمَّ دُفِعَ إلى عَيْدِهِ، فدُفِنَوهُ^(١).

ثُمَّ جاء الخبر في الوقت بوفاة السيدة الشريفة^(٢) بنت العزيز بالله. وصَلَّى اللهُ عَلَيْها الظاهر لإعزاز دين الله^(٣) بمصر. وكانت قد ضَبَطَتِ المملكة، وقَوَّمتِ الأمور بحسن رأي وتدبير. وكان الوزير عمَّار فُوَضَّ إِلَيْهِ الْأَمْرُ فِي^(٤) النَّظَرِ فِي الدَّوَافِينِ وَالْأَمْوَالِ وَالْكِتَابَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خَدْمَةِ الْخَلَافَةِ، فَأَمْرَتْ بِقَتْلِهِ، فُقْتِلَ. وبَاشَرَتْ تَدْبِيرَ الْمُلْكَةِ، فَلَا يُنَفَّذُ أَمْرُ جَلَّ أَوْ قَلَّ إِلَّا بِتَوْقِيعِ يَخْرُجُ عَنْهَا بِخَطِّ أَبِي الْبَيَانِ الصَّقْلَبَيِّ عَبْدِهَا.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ أَبُو مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ، مِنْ قِبَلِ الظَّاهِرِ أَمِيرِ مِصْرَ، بِتَشْرِيفِ عَظِيمٍ لِشَرْفِ الدُّولَةِ. فَقُرِئَتْ بِهِ سِجَّلَاتٌ مَا وَصَلَّى قَبْلَهَا مِثْلُهَا أَجَلٌ حَالًا وَلَا أَعْلَى مَقَالًا. وَزَادَهُ لَقَبًا إِلَى لَقَبِهِ، فَسَمَّاهُ شَرْفَ الدُّولَةِ وَعَضْدَهَا، وَبَشَّرَهُ بِمَوْلُودَيْنِ وَلِدَاهُ: إِسْمَاعِيلَ^(٥) أَبُو الطَّاهِرِ، وَعَبْدَ اللهِ أَبُو مُحَمَّدٍ، وَبَعْثَ إِلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَفْرَاسٍ مِنْ خَيْلٍ رَكُوبِهِ بِسُرُوجٍ جَلِيلَةِ وَخَلْعَةِ نَفِيسَةِ مِنْ نَفِيسِ ثِيَابِهِ، وَمَنْجُوقَيْنِ مَنْسُوجَيْنِ بِالْذَّهَبِ عَلَى قَصْبِ فِضَّةٍ، مَا دَخَلَ إِفْرِيقِيَّةَ مِثْلُهَا قَطُّ، وَعَشْرِينَ بَنْدَانَ مُذَهَّبَةَ وَمَفَضَّةً. فَلَقِيَهَا شَرْفُ الدُّولَةِ^(٦) أَجْمَلَ لِقَاءٍ، وَأَعْطَاهَا حَقَّهَا مِنَ الإِكْرَامِ وَالاعْتِنَاءِ، وَقُرِئَتْ السِّجَّلَاتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قُرِئَتْ بِجَامِعِ الْقَيْرَوَانِ، وَأَمْرَ بِنَسْخِهَا، وَأُنْفِدَتْ إِلَى الْآفَاقِ، فَكَانَ لَهَا مِنَ السَّرُورِ مَا لَا يَوْصِفُ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ، فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَصَلَّى سِجَّلٌ آخَرَ بِزِيَادَةِ لَقَبٍ آخَرَ، تَشْرِيفًا لِشَرْفِ الدُّولَةِ، وَأَمْرَ أَنْ يُكَاتَبَ: «مِنَ الْأَمِيرِ شَرْفَ الدُّولَةِ وَعَضْدِهَا» وَيُخَاطَبَ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

(١) ذَكَرَ ابنُ الأَئْمَرِ وَالْمَقْرِيزِيَّ أَنَّ أَخْتَ الْحَاكِمِ هِيَ الَّتِي دَبَرَتْ قَتْلَهُ فِي خَبَرِ طَوَيْلٍ (الْكَاملُ ٣٢٠، وَاتَّعَاظُ الْحَنْفَاءِ ١١٥-١١٧).

(٢) «الشَّرِيفَةُ» لَيْسَتْ فِي ر١.

(٣) «لِإِعْزَازِ دِينِ اللهِ» لَيْسَتْ فِي ر١.

(٤) «الْأَمْرُ فِي» لَيْسَتْ فِي ر١.

(٥) لَيْسَ فِي أَ، مَ.

(٦) بَعْدَ هَذَا فِي ر١: «وَعَضْدِهَا».

فلقيه أحسن لقاء، وخلع عليه، وحمله. وجَرَت المُمكَاتَةُ من ذلك الوقت بهذا التشريف الجليل.

وفي هذه السنة: اعتلت السيدة أم ملآل بنت عدّة العزيز بالله أياماً، والأمير شرف الدولة يصل إليها في كل يوم عائداً ومفتقداً، فيجلس عندها، ويأذن لرجاله وعيده يدخلون إليها، ثم ينصرفون. فلما كان ليلة الخميس منْسَلَخَ رجب، قبضها الله، وصَلَّى على^(١) جنازتها بالبُنُود والطبول والعمَريَّات، والسيَّدتان الجليلتان الوالدة والأخت بحال من التشريف لهذه الجنازة، لم يُرِ لملكٍ ولا لسوقةٍ مثلها.

وفوَضَ الأمير^(٢) شرف الدولة جباية الأموال، وولاية العُمال، والنظر في العساكر وسائر الأشغال لأبي البهار بن خلوف يوم الثلاثاء لخمس بيَّنَ من جمادى الأولى^(٣)، فحسنت الأمور، وضُبِطَت الأطراف والتغور. واستقام التدبير، ورأى الأمير شرف الدولة من حُزْمه، وكفايته، وعزْمه، وشهادته، ما لم يقم به غيره، ولا وُجَدَ عند سواه بوجِهٍ.

وفي سنة خمس عشرة وأربع مئة في صفر منه: ولد للأمير شرف الدولة ولد سماه كَبَابَا.

وفي شهر رجب: تزوَّجت السيدة أم العلو بنت نصیر الدولة، أخت شرف الدولة. فلما كان يوم الأربعاء غرة شعبان المكرَّم، زَيَّنَ الإيوانُ المُعَظَّم للسيدة الجليلة أم العلو، ودخل الناسُ خاصَّةً وعامَّةً، فنظروا من صُنوف الجُوهر والأسلاك والأمْتعة النفيسة وأواني الذهب والفضة ما لم يُعْمَلْ مثله، ولا سمع لأحدٍ من الملوك قَبْلَه؛ قال أبو إسحاق الرَّقيق: فَبَهَرَ عِيُونَ الْخَلْقَ حَالُ مَا عَايَنُوهُ، وَأَبْهَتَهُمْ عَظِيمٌ مَا شَاهَدُوهُ، وَحُمِّلَ جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي ضُرِبَتْ فِيهِ الْأَبْنِيَةُ وَالْقِبَابُ وَالْأَخْبِيَةُ، وَحُمِّلَ الْمَهْرُ فِي عَشْرَةِ أَهْمَالٍ عَلَى أَبْغُلٍ عَلَى كُلِّ حِمْلٍ جَارِيَّةً حَسْنَاءً، وَجَمَلَتُهُ مَئَةُ أَلْفِ دِينَارٍ عَيْنًا، وَذَكَرَ بعْضُ حُدَّاقِ التُّجَارِ أَنَّهُ فَوْمٌ مَا هُوَ فَكَانَ زَائِدًا عَلَى أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَهَذَا مَا لَمْ يُرِّقْطُ

(١) في ر١: «توفيت فخرج إلى».

(٢) ليست في ر١.

(٣) قوله: «يوم الثلاثاء لخمس بيَّنَ من جمادى الأولى» ليست في ر١.

لأمْرَأةَ قَبْلَهَا بِإفْرِيقِيَّةٍ^(١). وَرُفَّتِ الْعَرْوَسُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ، وَمَضِيَ بَيْنَ يَدَيْهَا عَيْدُ أَخِيهَا شَرْفُ الدُّولَةِ وَأَبِيهَا نَصِيرُ الدُّولَةِ وَجَدَّهَا عُدَّةُ الْعَزِيزِ بِاللهِ، وَوِجْوَهُ رِجَالُ الدُّولَةِ، فَكَانَ يَوْمًا سَارَتِ الرُّكْبَانُ بِمَحَاسِنِ آثَارِهِ، وَامْتَلَأَتِ الْبَلَدَانُ بِعِجَابِ أَخْبَارِهِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: وَقَفَ شَرْفُ الدُّولَةِ لِهُدَى صَنْدَلٍ وَالِيْسِنْكِرَةِ^(٢)، فَعُرِضَتْ عَلَيْهِ، وَهِيَ ثَلَاثُ مِئَةٍ حَصَانٌ، وَمِئَةٌ فَرْسٌ أُنْثَى، وَبِغَلَاتٍ مِنْهَا عَشْرُونَ بِسْرُوجَ مُحَلَّةً، وَمِئَةٌ حَمْلٌ مِنَ الْمَالِ. فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَدَّهُ لِهِ الْوَلَايَةَ عَلَى بِسْكِرَةِ.

وَفِي سَنَةِ سَتِ عَشَرَةِ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ: تُؤْفَى أَيُوبُ بْنُ يَطْوَفَةَ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ شَرْفُ الدُّولَةِ وَعَصْدُهَا، وَهُوَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسَ، بِالْبَنْوَدِ وَالظَّبُولِ^(٣).

وَفِي سَنَةِ سَبْعِ عَشَرَةِ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ: وُلِدَ لِلْأَمِيرِ شَرْفِ الدُّولَةِ وَعَصْدِهَا مَوْلُودٌ سَمَاهُ نِيَازَارًا. وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ عُمَالِهِ بِالْبَشَارَةِ بِذَلِكَ.

ذُكْرُ قِيَامِ الْمُعِزِّ شَرْفِ الدُّولَةِ^(٤) بِالْإِمَارَةِ وَقَطْعِ الدَّعْوَةِ الْعَبَيْدِيَّةِ الشِّيَعِيَّةِ^(٥) مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ

كَانَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسَ صَغِيرًا إِذْ ولَيَ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَّةِ أَعْوَامٍ، وَقِيلَ: ابْنُ سَبْعَةِ أَعْوَامٍ. وَرُوِيَّ فِي حِجْرِ وَزِيرِهِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الرِّجَالِ، وَكَانَ وَرَعًا زَاهِدًا. وَكَانَتِ إِفْرِيقِيَّةُ كُلُّهَا وَالْقِيرَوانُ عَلَى مَذْهَبِ الشِّيَعَةِ وَعَلَى خِلَافِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، مِنْ وَقْتٍ تَمْلَكَ عَيْدُ اللهِ الْمَهْدِيَّ هَا. فَحَرَّضَ ابْنُ أَبِي الرِّجَالِ الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ عَلَى إِقَامَةِ السُّنَّةِ^(٦)، وَأَدَبَهُ، وَدَلَّهُ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَعَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ^(٧)، وَالشِّيَعَةُ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ،

(١) «وَهَذَا مَا لَمْ يُرُقْطْ لِأَمْرَأَةِ قَبْلَهَا بِإِفْرِيقِيَّةِ» لَيْسَتْ فِي ر١.

(٢) مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ ١ / ٤٢٢، وَالرُّوْضُ الْمَعْتَارُ ١١٣ - ١١٤، وَهِيَ بَكْسُ الْكَافِ.

(٣) هَذِهِ الْفَقْرَةُ خَلَتْ مِنْهَا ر١.

(٤) «شَرْفُ الدُّولَةِ» لَيْسَ فِي ر١.

(٥) لَيْسَ فِي ر١.

(٦) «عَلَى إِقَامَةِ السُّنَّةِ» لَيْسَتْ فِي أ١، م١.

(٧) «وَعَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» لَيْسَتْ فِي ر١.

ولأهْل الْقَيْرَوَانِ فخرَجَ الْمُعِزُّ فِي بَعْضِ الْأَعِيادِ إِلَى الْمُصْلَى فِي زِيَّنَتِهِ وَحُشْوَدِهِ، وَهُوَ غَلامٌ، فَكَبَا بِهِ فَرَسُهُ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» فَسَعَيْتَهُ الشِّيَعَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَسْكَرِهِ، فَبَادَرُوهَا إِلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ، فَجَاءَهُ (١) عَيْدِهِ وَرِجَالُهُ وَمَنْ كَانَ يَكْتُمُ السُّنَّةَ مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ، وَوُضِعَ السِّيفُ فِي الشِّيَعَةِ، فُقْتَلَ مِنْهُمْ مَا يَنِيبُ عَلَى الْثَّلَاثَةِ آلَافَ، فَسُمِّيَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ بِرَكَةِ الدَّمِ إِلَى الْآنِ. قَالَ أَبُو الصَّلَتْ: وَصَاحَ بَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ صَائِحُ الْمَوْتِ، فَقُتُلُوا فِي سَائِرِ بَلَادِ إِفْرِيقِيَّةِ. فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا قَالَهُ الشُّعُّرَاءُ فِيهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّطْهِيرِ لَهُمْ، كَقُولُ الْقَاسِمِ بْنِ مَرْوَانَ [مِنْ الْوَافِرِ]:

وَسَوْفَ يُقْتَلُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ
كَمَا قُتِلُوا بِأَرْضِ الْقَيْرَوَانِ

وَكَوْلُ الْآخِرِ [مِنِ الرَّمْلِ]:

يَا مُعِزَّ الدِّينِ عِشْ فِي رِفَعَةِ	وَسُورِ وَاغْبَاطِ وَجَذَلِ
أَنْتَ أَرْضَيْتَ النَّبِيَّ الْمُضْطَفَى	وَعَيْتَهَا فِي الْمَلَاعِينِ السَّفَلِ
وَجَعَلْتَ الْقَتْلَ فِيهِمْ سُنَّةً	بِأَقَاصِيِ الْأَرْضِ فِي كُلِّ الدُّوَلِ

وَكَوْلُ الْآخِرِ [مِنِ الطَّوْرِيلِ]:

وَكَانَتْ لَهُمْ بِالشَّرْقِ نَارٌ فَأَطْفَئُتْ	فَمَا مَلَكُوا بِالْكُفْرِ شَرْفًا وَلَا غَرْبًا
وَحُكِيَّ فِي قَتْلِ الرَّوَافِضِ حَكَايَاتٌ كَثِيرَةٌ مِمَّا رَأَاهُ الْمُعِزُّ فِي مَنَامِهِ، وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ	
وَغَيْرِهِ الْغَيْنَا هُنَا عَنْ ذِكْرِهِ خَوْفَ التَّطْوِيلِ (٢). وَلَمْ يَزِلِ الْمُعِزُّ يُعَمِّلُ فِي كُلِّهِ فِي قِطْعَةِ	
الْدُّعْوَةِ لَهُمْ إِلَى أَنْ كَانَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعَ مِئَةً.	

وَفِي سَنَةِ عَشَرِينَ وَأَرْبَعَ مِئَةٍ: زَحَفَتْ جَمْعُ زَنَاتَةِ تُرِيدُ حَضْرَةَ الْقَيْرَوَانِ، طَمَعًا مِنْهَا فِي الْمُلْكِ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُعِزَّ، خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِجُنُودِهِ، فَاقْتَلُوا قَتَالًا شَدِيدًا، فَانْهَزَمَتْ زَنَاتَةُ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَفَرَّ بَاقِيَهُمْ إِلَى الْغَربِ (٣).

(١) فِي ر١: «فَحْمَاهُ»، وَلَهَا وَجْهٌ.

(٢) فِي ر١: «تَرَكَنَا ذِكْرَهُ خَوْفَ التَّطْوِيلِ»، وَعِبَارَةٌ: «خَوْفَ التَّطْوِيلِ» لَمْ تَرْدِ في أَ، م.

(٣) يَنْظُرُ كَامِلَ ابْنِ الْأَثِيرِ ٣٧٧ / ٩.

وفي سنة إحدى وعشرين وأربع مئة: وقعت في القِيَرْوان بين الأجناد والعامَّة فتنة، فُقتل من العامَّة نحو المئتين.

وفي سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة: كثُرَ الْخَصْبُ والرُّخاءُ والأمانُ بِإفريقيَّة.

وفي سنة ثلَاث وعشرين وأربع مئة: وصلَتْ مِنْ مَلِكِ السُّودَانِ إِلَى الْمُعِزَّ هَدِيَّةً جَلِيلَةً، فِيهَا رَقِيقٌ كَثِيرٌ، وَزَرَافَاتٌ، وَأَنْواعٌ مِنَ الْحَيَّانِ غَرِيبَةً.

وفي سنة خمس وعشرين وأربع مئة: كَانَتْ بِإفريقيَّةِ مَجَاهِدَةً شَدِيدَةً^(١).

وَفِيهَا: خَرَجَ الْفَقِيهُ^(٢) أَبُو عَمْرَانَ الْفَاسِيُّ إِلَى الْحِجَازِ^(٣).

وَفِيهَا: مَاتَ الظَّاهِرُ صَاحِبُ مِصْرَ^(٤) بِمِصْرَ، وَوَلِيَ ابْنُهُ الْمُسْتَنْصِرُ^(٥).

وفي سنة ست وعشرين وأربع مئة: وصلَتْ إِلَى الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسِ مِنْ مَلِكِ الرُّومِ هَدِيَّةً لَمْ يُرِيْ مُثْلُهَا فِي كُثُرَةِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْتَعَةِ الدِّيَاجِ الْفَاخِرِ وَغَيْرِ ذَلِكِ.

وفي سنة سبع وعشرين وأربع مئة: زَحَفَتْ رَنَاتَةُ فِي جَيُوشِ عَظِيمَةٍ وَجَمْعَ كَثِيفَةٍ، تُرِيدُ الْمُنْصُورِيَّةَ. فَلَقِيَتْهَا جَيُوشُ الْمُعِزَّ وَاقْتُلُوا^(٦)، فَظَهَرَتْ رَنَاتَةُ عَلَيْهَا، فَانْهَزَّ مُتُّ، وَوَصَلَتْ إِلَى مَا بَيْنَ الْمُنْصُورِيَّةِ وَالْقِيَرْوانِ. ثُمَّ تَلَاقَوْا فِي الْغَدَ منْ ذَلِكِ الْيَمِّ، فَثَبَتَتْ صُنْهَاجَةُ وَثَبَتَتْ رَنَاتَةُ^(٧).

وفي سنة ثمان وعشرين وأربع مئة: كَسَرَ الْمُعِزَّ رَنَاتَةَ، وَهَزَمَهُمْ وَقُتِلَ مِنْهُمْ حَلْقًا كَثِيرًا.

(١) الكامل لابن الأثير ٩/٣٧٧.

(٢) ليست في أ.م.

(٣) هو فقيه المالكية الأشهر أبو عمران موسى بن أبي عيسى بن أبي حاج الفاسي نزيل القيروان المتوفى سنة ٤٣٠هـ (الصلة لابن بشكوال ١٣٣٧، وتاريخ الإسلام ٩/٤٨١-٤٨٢) وقد حجَ حجَّاً كثيرة.

(٤) من را.

(٥) ذكر ابن الأثير والذهبي المقرizi أن وفاة الظاهر كانت سنة ٤٢٧ (الكامن لابن الأثير ٩/٤٤٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ٩/٤٢٧، واتعاظ الحنف ٢/١٢٤) فـ هنا غلط محسن.

(٦) ليست في أ.م.

(٧) الكامل لابن الأثير ٩/٤٥٠.

وفي سنة تسع وعشرين وأربع مئة: خرج عسکر^(١) المُعَزُ من القَيْرَوان إلى الزَّاب، فقتل من البربر خلقاً كثيراً^(٢).

وفي سنة ثلاثين وأربع مئة: كثُرَ الْخُصُب ببلاد إفريقيا.

وفيها: مات أبو عِمْران الفاسِي^(٣) بعد عوده من المشرق.

وفي سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة: دخلت جيوش مالطة جزيرة جربة^(٤)، ففتحتها وقتلت خلقاً كثيراً من أهلها.

وفي سنة اثنين وثلاثين وأربع مئة: خرج المُعَزُ إلى قلعة حَمَاد وحاصرها مدة سنتين، وأخذ بمحنقة حَمَاد فيها^(٥).

وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة: أظهر المُعَزُ الدولة العباسية، وورد عليه عَهْد القائم بأمر الله^(٦).

وفيها: نَكِبَ مُحَمَّد بن محمود بن السَّكَاك، وكان المتولى لأشغال أمّ المُعَزِّ، واستولى بها على دولته^(٧).

وفي هذه السنة: وصل الأَمِير نِزار بن المُعَزُ إلى الحضرة، قافلاً من سَفَرِه الذي هزم فيه زَنَاتَة، فأنشده ابن شَرْف قصيدة التي أَوَّلُها [من الكامل]:

طَلَعْتُ مِنَ الْغَرْبِ شَمْسُ الدِّين بِالسَّعْدِ وَالْإِقْبَالِ وَالتَّمْكِينِ

(١) ليست في را.

(٢) الكامل في التاريخ /٩ - ٤٦٠ - ٤٦١.

(٣) ينظر عيون الإمامة ونوازل السياسة لأبي طالب المروان ١٦٧ وتعليقنا عليه.

(٤) ينظر عنها معجم البلدان ٢/١١٨.

(٥) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/٤٩٢ - ٤٩٣.

(٦) ذكر ابن الأثير أن المعز أظهر الدعاء للدولة العباسية سنة ٤٣٥هـ وليس في هذه السنة (ال الكامل

٥٢١)، وسيأتي أن الخطبة لم تقطع لصاحب مصر إلا سنة ٤٤٠، والعجيب أن ابن الأثير ناقض

نفسه وذكر في موضع آخر أن المعز بن باديس إنما خطب للقائم سنة ٤٤٠ (ال الكامل ٩/٥٦٦).

(٧) هذه الفقرة ليست في را.

وفي سنة ست وثلاثين وأربع مئة: مات **الجرجرائي**^(١) بمصر، وكان الحاكم بأمر الله العبيدي قطع يديه جمِيعاً، لجنية جناها، فلم يَجْزُعْ لما أصابه. فقيل: إنَّه عَصَبَ يَدِيهِ إِثْرَ قطعهما، وانصرف من وقته إلى ديوانه، وجلس خدمته على عادته. فلما تُعْجَبَ منه، قال: إنَّ أمير المؤمنين لم يعزلي، وإنَّما عاقبني بجنايتي! فلما بلغ ذلك الحاكم، أَفَرَّه على عمله.

وفي سنة سبع وثلاثين وأربع مئة: وردت رُسُلُ الْمُعَزٌ إلى الفَيْرَوَانَ، يُخْبِرُونَهُ أَوْقَعَ بِلَوَاتَةَ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَدًا، وَغَنِمَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا، فَضَرِبَتِ الْطَّبُولُ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ شَرَفَ مِنْ قَصِيدَةِ أَوَّلِهَا^(٢) [من المنسرح]:

مُوَفَّقَ الْوَرْدِ غَانِمَ الصَّدَرِ
بِالْيُمْنِ وَالسَّعْدِ عُدْ وَبِالظَّفَرِ

وفيها: بُني سور المصورية.

وفيها: هَبَّتْ رِيحُ عَاصِفٍ بِإِفْرِيقِيَّةِ، قَصَفَتْ مَا مَرَّتْ بِهِ مِنْ الشَّجَرِ لَقْوَاهَا
وَشَدَّتْهَا.

وفي سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة: كانت وفاة نزار بن المُعَزِّ بن باديس في رَجَبٍ، وكان عُمُرهُ إِحْدَى وعشرين سنة وأَشْهَرًا.

وفيها: ولَّ الْمُعَزُّ وَلَدَهُ الْآخِرُ أَبَا الْقَاسِمِ، وَكَنَّاهُ الْعَزِيزُ بِاللهِ، وَهُوَ إِذَا ذَاكَ ابْنَ ثَنَانِيَّةَ أَشْهَرٍ، وَتَوَقَّيَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهُوَ ابْنُ سَنَةِ واحِدَةٍ وَثَلَاثَةَ أَشْهَرٍ.

وفي سنة تسع وثلاثين وأربع مئة: نَكِبَ حُبُوسَ بنَ حُمَيْدَ الصُّنْهَاجِيَّ وَالِيَّ نَفْطَةِ، وَطُولِبَ بِهِ كَثِيرٌ، وَنِيلَ بِالْمَكْرُوهِ وَالْهَوَانِ.

وفيها: نَكِبَ أَحْمَدُ بْنُ حَجَاجَ قَاضِيَ قَفْصَةَ، فَبَادَرَ بِعُشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَكَانَ مُنَصَّاوِنًا.

(١) هو أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني وزير الديار المصرية (الذهبي: تاريخ الإسلام ٥٦٦/٩، وسير أعلام النبلاء ١٤٥/١٨٥).

(٢) «من قصيدة أولها» ليست في ر١.

وفي سنة أربعين وأربع مئة: قُطعَتُ الخطبة لصاحب مصر^(١)، وأحرقتُ بُنوده.
 قال ابن شَرَف: وأمر المُعِزُّ بن باديس بأن يُدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المُطَلِّب وتقطع دعوة الشيعة العُبَيْدِيَّين، فدعا الخطيب للخلفاء الأربع، ولل Abbas، ولبقية العشرة رضي الله عنهم.

ذكر السبب في قطع الدعوة العُبَيْدِيَّة من الخطبة بالقيروان وغيرها^(٢)

لَمَّا رحل بنو عُبَيْدٍ إلى مصر، لم يزل ملوكُ صُنْهاجة يخطبون^(٣) لهم بإفريقية، ويذكرون^(٤) أسماءَهم على المنابر. وتمادي الأمر على ذلك حتى قطع أهل القَيْرَوان صلاة الجمعة فِرارًا من دعوتهم، وتبديعًا لإقامتها بأسمائهم، فكان بعضهم، إذا بلغ إلى المسجد، قال سرًا: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ! اللَّهُمَّ اشْهَدْ! ثُمَّ ينصرف، فيصلّي ظهراً أربعاً، إلى أن تناهى الحال حتَّى لم يحضر الجمعة من أهل القَيْرَوان أحدٌ. فتعطلت الجمعة دَهْرًا، وأقام ذلك مُدَّةً إلى أن رأى المُعِزُّ بن باديس قطع دعوتهم، فكان بالقَيْرَوان لذلك سُورٌ عظيم.

ذِكرُ وقوع التَّضْرِيحِ بِلَعْنِهِمْ فِي الْخُطُبِ بِجَمِيعِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَخَلْعِهِمْ^(٥)

قال ابن شَرَف: وأمر المُعِزُّ بِلَعْنِهِمْ فِي الْخُطُبِ وَخَلْعِهِمْ. ولَمَّا كان عيد الأضحى، أمر الخطيب أن يُسبَّ بني عُبَيْدٍ، فقال: «اللَّهُمَّ وَالْعَنِ الْفَسَقَةِ الْكِبَارِ، الْمَارِقِينَ الْفَجَارِ، أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَأَنْصَارَ الشَّيْطَانِ، الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِكَ، وَالنَّاقِصِينَ لِعَهْدِكَ، الْمُتَّعِينَ غَيْرَ سَبِيلِكَ، الْمُبَدِّلِينَ لِكِتَابِكَ! اللَّهُمَّ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا وَبِيلًا، وَأَخْرِزْهُمْ خَرِيزًا عَرِيضًا طَوِيلًا! اللَّهُمَّ وَإِنَّ سَيِّدَنَا أَبَا تَحِيمَ المُعِزَّ بْنَ بَادِرِيسَ ابْنَ الْمَنْصُورِ الْقَائِمِ لِدِينِكَ، وَالنَّاصِرِ لِسَنَةِ نَبِيِّكَ، وَالرَّافِعِ لِلْلَّوَاءِ أُولَيَائِكَ، يَقُولُ مُصَدِّقًا لِكِتَابِكَ، وَتَابِعًا لِأَمْرِكَ، مَدَافِعًا

(١) ينظر الكامل لابن الأثير ٩/٥٦٦، وسبق أن ذكر أن ذلك كان في سنة ٤٣٥ (الكامل ٩/٥٢١).

(٢) في ر١: «بِأَقْطَارِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَلَعْنِهِمْ».

(٣) في ر١: «تَخَطَّب».

(٤) في ر١: «وَتَذَكَّر».

(٥) لم يرد هذا العنوان كله في ر١.

لمن غير الدين، وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين: ﴿يَأْتِيهَا الْكَفَرُونَ ۚ لَاۚ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢]، هكذا ذكر بإسقاط «قل» وأخرها. قال: وأمر الأمير أبو تميم^(١) المُعْزُ بن باديس الخطيب أن يسبّهم على منبر القِيروان باشتعان من هذا السبّ. فلما كان في الجمعة الأخرى، أبلغ في ذلك بما فيه شفاءً لنفوس المؤمنين.

وفي سنة إحدى وأربعين وأربعين مئة: تحرك الأمير أبو تميم إلى بلاد المغرب الأقصى، وترك ولده أبا الطاهر تميمًا ابن المُعْزٍ على حضرة القِيروان بالمنصورية.

وفيها: بُنِيَتِ الْمُصَلَّى بالمنصورية.

وفيها: ضُرب الدينار المسماً بالتجاري.

وفيها: ركب المُعْزُ بن باديس المذكور^(٢) في أحفل جمع وأحسن^(٣) زيه، وخرج إلى ظاهر مدينة^(٤) القِيروان. وأخْرَجَتِ السَّبَاعَ بَيْنَ يَدِيهِ، فَأَفْلَتَ مِنْهَا سَبْعُهُ، فَانهزمَ النَّاسُ أَمَامَهُ، وَوَقَعَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَهَمَّتْ مِنْهُمْ نَحْوَ الْمَتَّيْنِ؛ وَوَثَبَ السَّبَعُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ كُتَّابِ بَابِ الْغَنَمِ يُدْعَى بِالْكَرَامِيِّ، فَقُتِلَ.

ذكر تبديل السكّة عن أسماء بنى عُبيّد

قال ابن شَرَف: وفي هذه السنة، أمر المُعْزُ بن باديس بتبدل السكّة في شهر شعبان، فُقِّشَ على الأزواج^(٥) في الوجه الواحد: ﴿وَمَنْ يَبْتَغَ غَيْرَ إِلَهٍ لِّإِسْلَامِ دِينَنَا فَنَّا يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفي الوجه الثاني: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللهِ، وُضُربَ منها دنانير كثيرةً. وأمر أيضًا بسبُك ما كان عنده من الدنانير التي عليها أسماء بنى عُبيّد، فسبِّكت، وكانت أموالًا عظيمة. ثُمَّ بَثَ في الناس قطعَ سُكَّتهم، وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدر衙م بسائر عمله. وقد كان قطع أسماءهم من

(١) «الأمير أبو تميم» ليست في ر١.

(٢) «بن باديس المذكور» ليست في ر١.

(٣) في ر١: «وأكمل».

(٤) ليست في ر١.

(٥) «على الأزواج» ليست في ر١.

الرايات والبنود. وكان مُبْتَدأ صَرْبِ السكك بأسماء بنى عُبَيْد اللَّه ورَسْمِها في الرايات والطَّرْز سنة ست وتسعين ومئتين، إلى أن قطعها المُعَزُّ المذكور سنة إحدى وأربعين وأربع مئة المذكورة، وذلك مئة سنة وخمس وأربعون سنة.

وفي شوَّال من هذه السنة: نادى مُنادٍ بأمر السلطان أبي تميم: إِنَّه مَنْ تصرَّف بِهِ الْأَمْلَاك عَلَيْهِ أَسْمَاءُ بْنِي عُبَيْد نَالَتْهُ الْعَقُوبَةُ الشَّدِيدَة، فضاقت الْحَالُ بِالْفَقَرَاءِ وَالْمُعْنَفَاءِ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِالْقَيْرَوَانَ. وَكَانَ الدِّينَارُ الْقَدِيمُ بِأَرْبَعَةِ دَنَارَيْنِ وَدَرَهْمَيْنِ، وَكَانَ صَرْفُ الدِّينَارِ الْجَدِيدِ خَمْسَةً وَثَلَاثَيْنِ درَهْمًا.

وفي هذه السنة: نُكِبَ القائد عَبَّادُ بْنُ مَرْوَانَ الْمَلَقَّبُ بِسَيفِ الْمُلْكِ، وَكَانَ مِنَ الْخَاصَّةِ، وَدُفِعَ إِلَى أَعْدَائِهِ، وَأُمْرَ بِاستخراجِ أَمْوَالِهِ، وَالْقَبْضُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ اسْتَعْمَلَ فِي أَعْمَالِهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ، أُلْقِيَ فِي سِرْدَابٍ مُظْلِمٍ حَتَّى مَاتَ فِيهِ.

وفيها: وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِالْقَيْرَوَانَ بِمَوْتِ الْقَادِيِّ حَمَادِ بْنِ قَلْعَتِهِ، فَقَالَ ابْنُ شَرْفِ مِنْ قصيدة [من الحفيظ]:

لَا جُنُودٌ إِلَّا جُنُودُ السُّعُودِ مُعْنِيَاتٌ عَنْ عُدَّةٍ وَعَدِيدٍ

وفي سنة اثنين وأربعين وأربع مئة: اصطلح أهل القَيْرَوَانَ وَأَهْلُ سُوْسَةِ، وقد كانت جَرَّتْ بَيْنَهُمْ وَحْشَةً، فصَنَعَ الْقَيْرَوَانِيُّونَ لِلْسُّوْسِيَّنَ دَعَوَاتٍ غُسِلَتْ فِيهَا الْأَيْدِي بِهِاءِ الْوَرَدِ، وَمُسْحَتْ بِمَنَادِيلِ الشَّرَبِ.

وفي هذه السنة: ولَّ الْأَمْيَرُ أَبُو تميم ولدَهُ أبا الطاهر بن المُعَزِّ عَهْدَهُ.

ذَكْرُ وِلَايَةِ الْعَهْدِ لِتميمِ ابْنِ السُّلْطَانِ^(۱) الْمُعَزِّ بْنِ بَادِيس

قال ابن شَرْفٍ: وَخَطَبَ الْخَطِيبُ يَوْمَ الْجَمْعَةِ عَلَى جَامِعِ الْقَيْرَوَانَ، فَدُعَا لِلسُّلْطَانِ الْمُعَزِّ بْنِ بَادِيس لِولَدِهِ أبا الطاهر ولِّي عَهْدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ عَبْدَكَ وَوَلِيَّكَ أبا الطاهر تميمَ بْنَ الْمُعَزِّ، الطَّاهِرَ مِنْ كُفْرِ مَعَدِّ بْنِ الظَّاهِرِ!» يَعْنِي صَاحِبَ مَصْرٍ.

وفيها: كان خروج الفقيه الزاهد الواعظ أبي عبد الله بن عبد الصمد من القَيْرَوَانَ في شهر رَجَبٍ، وَوَكَّلُوا بِهِ رِجَالًا تَوَجَّهُوا مَعَهُ إِلَى مَدِينَةِ قَابِسَ، وَكَانَ الرَّفِيقُ خَارِجًا

(۱) لِيَسْتُ فِي أَمْ.

من القَيْرَوان إلى مصر، فأمر أن يتظَّرَّها بمدينتِه قابس إلى أن يصْبِحُها. وكتب عاملُ قابسَ بأن لا يترك من يدخل إليه، ولا من يُسلِّمُ عليه، ولا يخرج من موضعِ نزوله إلَّا في^(١) يوم سَفَرِه، فخرج وهو غير آمِنٍ على نفسه، ثم قُتِلَ^(٢) في طريقِه ذلك، وكان رجلاً واعظاً، يعظُ الناس، فيجتمعون إليه، ويسمعون كلامَه، وكان له لسانٌ وحِدَّةٌ فحدَّرَه المُعِزُّ. واجتمع عليه بعضُ فقراء القَيْرَوان، واستبشعوا ألفاظاً ذكرها، فرفعوا رقاعَهم إلى المُعِزِّ بذلك، فكان سبَبَ نَفِيَّه وحَفْتِه. وكان أبوه يعظُ بجامع مصر في ذلك الوقت، إلى أن تُعيَّنَ له ابْنُه هذا، فحجَّ في تلك السنة، فقيل: إنَّه كان يطوفُ بالكعبة، ويصبح^(٣)، فيقول: «يا ربُّ المُعِزِّ عليك به! يا ربُّ عليك بابن باديس!» فكانت الهزيمة على المُعِزِّ في اليوم الثاني من دُعائِه، وكان ذلك سبَبَ خَرَابِ مُلْكِه ودمار القَيْرَوان حضرته^(٤)، فلم يشكَ أحدٌ في إجابة دَعْوَته.

وفي سنة ثلاثة وأربعين وأربعين مئة: كان لباسُ السواد بالقَيْرَوان، والدعاءُ لبني العَبَّاس؛ قال ابن شَرَف: وفي جُمادى الآخرة، أمر المُعِزِّ بن باديس بإحضار جماعة من الصَّبَاغين، وأخرج لهم ثياباً يبيضاً من فندق الكَتَان، وأمرهم أن يصبغوها سُوداً، فصبغوها بأحْلَكِ السَّواد، وجمع الخَيَاطين، فقطعوها أثواباً^(٥)، ثمَّ جمع الفقهاء والقضاة إلى قصره، وخطبَيَّ القَيْرَوان وجَمِيع المؤذنين، وكساهم ذلك السواد، ونزلوا بأجتمعهم، وركبَ السلطان بعدهم حتَّى وصل إلى جامِع القَيْرَوان، ثمَّ صعدَ الخطيبُ المِنْبَرَ، وخطبَ خطبةً أتى فيها على جميع الأمر بأجزل لَفْظٍ وأحسن معنى، ثمَّ دعا لأبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله العَبَّاسي، ودعا للسلطان المُعِزِّ بن باديس، ولولده أبي الطاهر تَمِيم^(٦) ولَّيَّ عهده من بعده، ثمَّ أخزى بني عُبَيْد الشيعة ولَعَنَّهم.

(١) ليست في ر١.

(٢) في ر١: «قتل».

(٣) ليست في ر١.

(٤) كذلك.

(٥) كذلك.

(٦) كذلك.

ذَكْرُ مَا قيلَ مِنْ أخْبَارِهِمْ

قال أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي في تأليفه^(١) «في تعزية أهل القبر وان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان»، قال فيه: باب ذكر فيه أول من وضع هذه الدعوة التي شرع فيها عبيد الله وذرته، والسبب الذي دعاهم لذلك، وباب ذكر فيه تسويرهم الركبان بدعاوتها ودعاتها إلى البلدان، وباب ذكر فيه عبيد الله وسببه واتساعه إلى النبي ﷺ كاذباً وسبب ملكه المغرب كلّه^(٢).

قال: فأول من نصب هذه الدعوة، جد عبيد الله وهو عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي^(٣)، لعنه الله، وكان أبوه ميمون تنتسب إليه فرقه من أصحاب أبي الخطاب، تعرف بالميمنية. وذكر من جملة كلامه قال: وكان عبد الله ادعى لنفسه النبوة، فقصد لسفك دمه، فاختفى، ثم هرب من وطنه، وفر على وجهه، متقدلاً في البلاد، مستتراً، يستر اسمه ومذهبها؛ لئلا يقتل إن عرف، إلى أن وافته منيته بأقبح علة في الشام، وأراح الله منه. وأخذ جماعة من أصحابه، فقتلوا عن آخرهم.

ثم ذكر دعاوتها، وما كان منهم مع غواتها، فقال: فمنهم رجلان، أحدهما يُعرف بالنجار الكوفي، فخرجا من الشام، وتغلبا على اليمن، فأنزل الله عليه الأكلة، فتقطع قطعاً حتى مات، وخلف ابنًا له، فكان يكتب إلى أصحابه: «من ابن رب العالمين» تعالى الله عن قوله، فسار إليه ابن نصير، فأظفره الله به، فقتله، ودخل مدنه، فانته بها، وسباها. وأماماً الكوفي، فرمى الله تعالى بداء في جوفه، فكانت أمعاؤه تخرج من دبره، حتى مات.

وأماماً بالشام، فذكر جماعة أبادهم الله تعالى، وكذلك بالبحرين أيضاً. ثم قال: وإنما دعاهم لهذا الكفر عبد الله بن ميمون القداح؛ لأنّه صحب قرمطاً، ودعا إلى مذهبها، فطاووه على ذلك، وقد اشتهر استخفافهم بالدين، وكثرت به الأخبار والأحاديث. وكان ممن أظهر مذهبهم، وأعلن به: أبو عبيد الجنبي، وفُتّ تغلب على البحرين،

(١) بعد هذا في أ: «وتصنيفه».

(٢) ليست في ر١.

(٣) ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ١١٤٢ / ٤.

فإنَّه وضع عنهم جميعَ الفرائض، وأعلن بالزنا، واللواتِ^(١)، والكَذب، وشربُ الخمر، وتركِ الصلاة. وكذلك صنَعَ الأصْبَهَانِيُّ، وحرَمَ على الغَلِيمَانِ^(٢) الامتناع ممَّن أراد أن يفعل بهم^(٣)، وجعل حَدًّا من امتناعِ منهم الذَّبَحَ، لعنه الله، وكانت له ليلةً تُسمَى الإمامية، يجتمع فيها نساءه ونساءهم، فمن ولَدَ من تلك الليلة يسمَى ولَدَ الإخوان.

قال: وقد أدعى الحاكمُ من بنى عبيد الله الرُّبوبيَّةَ^(٤)، وجعل رجلاً سَمَاه بالهادي يدعو الناس إلى ذلك، وأدعى معدًّا منهم النبوة، وجعل من نادئ فوق صَوْمَعة جامع القَيْرَوانَ: «أشهدُ أَنَّ مَعَدًا رسولُ الله!» فارتَجَ الْبَلْدُ لِذَلِكَ، وداخَلَ أهْلَهُ الرُّغْبُ، فأرسل من سَكَنَ النَّاسَ، وكُلُّ مَنْ كَانُوا يَرْسِلُونَهُ إِلَى بَلْدِهِ، فَإِنَّمَا يَأْمُرُونَهُ بِإِظْهَارِ الإِسْلَامِ وَالْخَيْرِ، حتَّى يَتَمَكَّنْ مَمَّا يُرِيدُ.

وأمَّا نَسَبُ عُبَيْدِ اللهِ الَّذِي تَلَقَّبَ^(٥) بِالْمَهْدِيِّ، فَإِنَّ اسْمَهُ سعيدٌ، وإنَّه تُسَمَّى بِعُبَيْدِ اللهِ لِيُخْفِيْ أَمْرَهُ؛ لَأَنَّهَ كَانَ عَلَيْهِ الْطَّلْبُ مِنَ الْحُسَينِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ. وَكَانَ مُحَمَّدُ هَذَا وَلَدُ يُلَقَّبُ بِأَبِي السَّلْعَلَعِ^(٦) بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ، فَبُعْثَتْ بِدَاعِيَيْنِ أَخْوَيِنِ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَنَزَلَا فِي قَبْيلَةٍ تُعْرَفُ بِكُتَّامَةَ، فَدَعَوْا أَهْلَهَا، فَاسْتَجَابُوا لَهُمَا^(٧): أَحَدُهُمَا حُسَينٌ، يُكْنَى بِأَبِي عَبْدِ اللهِ الشَّيْعِيِّ، وَسَمَوَهُ الْمُعَلَّمُ، وَالآخَرُ سَمَوَهُ الْمُحْتَسِبُ، وَهُوَ أَبُو العَبَّاسِ الْمُخْطُومِ^(٨)، المُتَقدَّمُ ذَكْرُهُمَا^(٩) فَأَظَهَرُوهُمَا مِنْ أَنفُسِهِمَا الرُّزْهُدُ وَالْوَرَعُ،

(١) ليست في را.

(٢) في را: «الصبيان».

(٣) ليست في را.

(٤) في هذا مبالغة، وقد ذكر الذهبي أنَّ الحاكم أراد أن يدعى الإلهية وشرع في ذلك، فكلمه أعيان دولته وخوفوه بخروج الناس كلهم عليه، فانتهتى (تاريخ الإسلام ١٩٩/٩).

(٥) في أ، م: «تسمى»، وما أثبتناه من را، هو الأوفق.

(٦) في را: «بالبلعلع».

(٧) ليست في أ.

(٨) ليست في أ.

(٩) «المتقدَّم ذَكْرُهُمَا» ليست في را.

حتى افتتحا بالكذب والخربة بلاد إفريقية. وسار أبو عبد الله إلى سجلماسة، فأخرج عبيداً من حبسها، فلما اجتمع به، سلم الأمر إليه، وانسلخ^(١) له منه، فلم يلبث إلا يسيراً وقتله بنو أخيه.

ولمّا وصل عبيد الله، لعنه الله، إلى رقاده، أرسل إلى القيروان من أتاه بأبي إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بابن البردون وبابن هديل، وكانا من العلّماء الخاسعين لله. فلما وصلا إليه، وجده على سرير ملكه جالساً، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعيُّ الذي ولَّه المُلْك وسلَّم له فيه، وعن يساره أبو العباس أخوه. فقال لها أبو عبد الله وأخوه: «أشهدا أن هذا رسول الله» فقالا جميعاً بلفظ واحد: «والله الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا، والشمسُ عن يمينه، والقمرُ عن يساره، وينطقان، فيقولان: إنه رسول الله، ما قلنا: إنه هو»، فأمر عبيد الله، لعنه الله، عند ذلك بذبحهما وربطهما في أذناب الحيل، وأن يُشَقَّ بهما سُساطُ القَيْرَوَان، ففعل ذلك بهما، رحمة الله عليهما.

وقال أبو عبد الله الشيعيُّ يوماً لأبي عثمان سعيد ابن الحداد العالم: «القرآن يُخَبِّرُ أنَّ محمداً ليس بخاتم النبيين في قوله: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاطَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فخاتم النبيين غير رسول الله. فقال أبو عثمان: هذه الواو ليست من واوات الابداء، وإنما هي من واوات العطف، مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالباطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. وقال له مرّة أخرى: إنَّ الله أخبر أنَّ أصحابَ محمدٍ عليه السلام يرتدون لقوله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبُتُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فقال أبو عثمان: هذا إنما هو على الاستفهام، كقوله سُبحانَهُ: ﴿أَفَإِنْ مِتَ فَهُمُ الْخَلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ولمّا تمكن عبيد الله الشيعيُّ من المُلْك، قتل أبا عبد الله الداعي، وأخاه، وانتقم الله منها على يديه من سعيا له، وقتلوا الخلق بسيبه، حتى أخرجاه من حبس سجلماسة، سلمَ له في المُلْك، ولم يقيمه معه إلا سنة أو نحوها، ثم سلطه الله على كبار كُتابة الدين سعوا في إقامة ملكه، فقتل جميعهم. ثم تمادت دولته ودولته أبنائه نحو ثلث مئة سنة، ملكوا من ماضيق سبتة إلى مكة، شرّفها الله؛ لأنَّ^(٢) عمَّاله

(١) من هنا إلى آخر الفقرة ليست في را.

(٢) من هنا إلى قوله: «ويرجعون» ليست في را.

كانوا يصلون إلى مَضِيق سبtle، فيعانيوها، ومن هناك يرجعون. وهذا دليل على هوان^(١) الدنيا على الله وصِغر قدرها عنده؛ إذ مَكَنَ فيها هُؤلاء الكُفَّارُ الفُجَّارُ يسومون أولياء الله سوء العذاب، والعماد القيامة، والحاكم الله^(٢).

وخرج في دولة عَبْيَدِ الله شيخ للسفر، ومعه خيل، فباتوا في مسجد بخيولهم. فقيل لهم: كيف تُدخلون خيولكم المسجد؟ فقال لهم الشيخ وأصحابه: إن أروانها وأبوالها طاهرة؛ لأنَّها خيل المَهْدي. فقال لهم القَيْم بالمسجد: إنَّ الذي يخرج من المَهْدي غير طاهر^(٣) فكيف الذي يخرج من خيله؟ فقالوا له: طعنَت على المَهْدي. فأخذوه وذهبوا به إليه، فأخرجه عشيَّة جُمعَةٍ، فقتله. فلما قُرِّبَ للموت، دعا عليه، فأجاب الله دُعاءه. فامتحنه بعلةٍ قبيحةٍ يُقال لها: حُبُّ القرع، وهي دُودٌ على صورة حُبُّ القرع في آخر محْرجه، تأكل أحشاءه وما والاها، فكان يؤتى بأذناب الكباش العظيمة، فيستدخلها في نفسه، لتشتغل عنه الدُود بها، فيجدر ذلك بعض راحته لشغله بالأذناب، ثمَّ يخرج الأذناب، وقد هتكتها الدُود، يدخل أخرى في دُبره، ثمَّ لم تزل الدُود تأكل حتى انقطعت مَذَاكُرُهُ، وهلك. ولما هلك، أتَى بابن أخت الغساني المُقرئ ليقرأ عند رأسه، وكان من أطيب الناس قراءةً، وحولَ عَبْيَدَ الله أبناؤه ي يكون عليه، فقال البَعْدَادِيُّ للغساني: أقرأ. قال: فطلبت ما أقرأ من القرآن، فلم أتذكري منه إلا قولَه تعالى: ﴿يَقْدِمُ قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدُهُمُ الْتَّار﴾ [هود: ٩٨]، إلى آخر الآية. قال: فطلبت غير هذه الآية أقرأه، فلم أقدر، فكنت أرددُها حتى خشيت على نفسي أنْ يُفيقوا من بُكائهم، فيتأملون قراءتي، فيقتلوني، فتسلىت وخرجت.

وذكر أنَّ الحَجَرَ الأَسْوَدَ أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِلْعِينِ الْجَنَابِيِّ إِلَى عَبْيَدِ الله بالمهديَّة، فلم يلبث إلَّا أَيَّاماً وهلك كما ذكرنا. فلما دُفِنَ، طَرَحَتْهُ الأرضُ، ثُمَّ دُفِنَ^(٤)، فطَرَحَتْهُ الأرضُ ثلاثاً.

(١) في أ، م: «أن هوان»، وما هنا من ر١، وهو أوافق.

(٢) «والعماد القيامة والحاكم الله» ليست في ر١.

(٣) في ر١: «نجس».

(٤) «ثم دفن» ليست في ر١.

فَقِيلَ لَابْنِ أَبِي الْقَاسِمِ: إِنَّ هَذَا لِأَجْلِهِ هَذَا الْحَجَرُ، فَارْدُدْهُ حَيْثُ كَانَ. فَأَمْرَ بِإِخْرَاجِهِ وَرَدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَقَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ^(١) فِي قَبْرِهِ.

ثُمَّ وَلِي وَلْدُهُ أَبُو الْقَاسِمَ مِنْ بَعْدِهِ، فَلَمْ يَزُلْ فِي شُغْلٍ وَحُزْنٍ، وَبَعْثَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَبَا يَزِيدَ مُحَمَّدَ بْنَ كَيْدَادَ، فَقَهَرَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِ وَقُتِلَ جُنُودَهُ، وَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ^(٢) عَلَيْهِ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَكْرُهُ. وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ جُمُوعَةِ الْإِمَامِ عَلَى الْمَنْبَرِ، طَلَعَ الْإِمَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَهُوَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدُ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْوَلِيدِ، فَخَطَبَ خَطْبَةً بِلِيْغَةَ وَحْرَضَ النَّاسَ عَلَى جَهَادِ الشِّيَعَةِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْقِرْمَطِيُّ الْكَافِرُ الْمَعْرُوفُ بِعُبَيْدِ أَدَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، جَاهِدًا لِنَعْمَتِكَ، كَافِرًا بِرُبُوبِيَّتِكَ فَانْصُرْنَا اللَّهُمَّ عَلَيْهِ، وَأَرْحَنَا مِنْهُ وَمِنْ دُولَتِهِ، وَأَصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، بَعْدَ أَنْ تَجْعَلَهُ فِي دُنْيَا عِبْرَةً لِلْسَّائِلِينَ، وَأَحَادِيثَ فِي الْغَابِرِينَ، وَأَهْلِكِ اللَّهُمَّ شِيَعَتَهُ، وَشَتَّتَ كَلِمَتَهُ!» وَمَاتَ أَبُو الْقَاسِمَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ مَحْصُورًا، وَفِي نَفْسِهِ مَقْهُورًا^(٣).

ثُمَّ وَلِي بَعْدِهِ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلَ، فَأَظْهَرَ لِلْعَامَّةِ الْجَمِيلَ. فَلَمَّا اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَقَوَيْتُ شُوكُتُهُ، أَرَادَ أَنْ يَتَقَمَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَبَا تَقَدَّمَ لَهُمْ مِنْ حَرْبِهِ وَحَرْبِ أَبِي الْقَاسِمِ وَالدِّهِ، فَحَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا أَرَادَ، وَأَجَابَ دُعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ، فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ بِالْعَطْشِ، حَتَّى مَاتَ.

ثُمَّ وَلِيَ ابْنُهُ مَعْدُثُ، فَادَّعَ النُّبُوَّةَ، وَصَوَّتَ الْمَؤْذِنُ بِذَلِكَ فَوْقَ صَوْمَعَةِ الْقَيْرَوَانَ بِأَمْرِهِ، فَضَرَّ الْمُسْلِمِينَ لِذَلِكَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ^(٤)، دَخَلَهُ الرُّعبُ، وَأُرْسَلَ إِلَى النَّاسِ يُهَدِّئُهُمْ إِلَى أَنْ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ، فَدَخَلَهَا بِالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِعَلَةِ الْأَسْتِسْقاءِ، فَكَانَ الَّذِي يَقْعُدُ عَنْ دُرْسِهِ لَا يَرَى رَجْلَيْهِ، وَسَالَتْ عَيْنَاهُ، وَسَقَطَتْ أَسْنَاهُ، وَأَرَاهُ اللَّهُ الْعِبْرَةَ فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ مَاتَ.

(١) لِيسَتْ فِي ر١.

(٢) كَذَلِكَ.

(٣) «وَفِي نَفْسِهِ مَقْهُورًا» لِيسَتْ فِي ر١.

(٤) لِيسَتْ فِي ر١.

وولي بعده نزارُ المُكْنَى بأبي المنصور، فحدثَ في أَيَّامِهِ مِن سَبْ الصَّحَابَةِ - رضي الله عنهم - ما حَدَثَ، ثُمَّ تشوَّفتْ نفْسُهُ مِعَ أحوالِ الدِّينَيَّةِ، إِلَى أَن يَسْتَحضرَ الْعُلَمَاءَ مِن أَهْلِ الْقَيْرَوَانَ، ثُمَّ حَدَثَ عَلَيْهِ بِالشَّامِ مَا أَشْغَلَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَلِيَّس^(١)، ماتَ فِي مِرْحَاضِ الْحَمَامِ.

ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ الْحَاكِمُ، فَأَظْهَرَ أَكْثَرَ مَذَهْبِهِمْ، فَكَانَ مِمَّا أَحْدَثَ أَنَّهُ بْنَ دَارَأً، وَجَعَلَ لَهَا أَبُوا بَابَا وَطَبِيقَا، وَجَعَلَ فِيهَا قِيُودًا وَأَغْلَالًا، وَسَمَّاهَا جَهَنَّمَ، فَمِنْ جَنَّى حِنَايَةَ عِنْدِهِ، قَالَ: أَدْخِلُوهُ جَهَنَّمَ!، وَأَمْرَ أَنْ يُكْتَبَ فِي الشَّوَّارِعِ وَالْجَوَامِعِ بِسَبْ الصَّحَابَةِ، وَلِعِنْهُمْ - رضي الله عنهم - أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَرْسَلَ دَاعِيًّا إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا طَلَعَ الْمَنْبُرُ، وَذَكَرَ مَا ذَكَرَ، اقْتَحَمَ عَلَيْهِ بْنُ هُدَيْلٍ، فَقُطِّعَ قِطْعَةً قِطْعَةً، وَكُسِّرَ الْمَنْبُرُ، وَفُتِّتَ، حَتَّى لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهُ شَيْءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ رَجُلًا خُرَاسَانِيًّا مِنْ بَنِي عَمَّهُ، فَضَرَبَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِدَبُّوسٍ، فُقْتُلَ مِنْ حِينِهِ، وَأَخْذَهُ النَّاسُ قِطْعَةً قِطْعَةً، وَأُحْرَقَ بِالنَّارِ. وَأَرْسَلَ، لَعْنِهِ اللَّهُ، إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ مَنْ يَبْنِشُ الْقَبْرَ الْمُعَظَّمَ، فَسَمِعَ النَّاسُ صَائِحًا يَقُولُ: «الْقَبْرُ يُبْنِشُ» فَفَتَّشَهُ النَّاسُ، فَوَجَدُوهُ وَأَصْحَابَهُ، فَقَتَلُوهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ ادَّعَى الرُّبُوْيَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَجَعَلَ دَاعِيًّا يَدْعُ النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَسَمَّاهُ الْمَهْدِيَّ، فَكَتَبَ دَاعِيَهُ الْكِتَابَ، وَكَانَ اسْمُهُ حَزَّةُ، وَذَلِكَ فِي^(٢) سَنَةِ عَشَرَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ، وَفُرِئَ بِحُضْرَةِ الْحَاكِمِ لَعْنِهِ اللَّهُ، عَلَى أَهْلِ مَلْكَتِهِ، ذَكَرَ فِيهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ إِبْطَالِ الْمُبْطَلِينَ عَلَوْا كَبِيرًا: «الْحَمْدُ لِمَوْلَايِ الْحَاكِمِ وَحْدَهُ، بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ الْحَاكِمِ بِالْحَقِّ» ثُمَّ تَمَادَى، فَقَالَ: «تَوَكَّلْتُ عَلَى إِلَهِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، جَلَّ ذِكْرُهُ وَبِهِ تَسْتَعِينُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ»، ثُمَّ طَوَّلَ فِي الْكِتَابِ بِالتَّخْلِيطِ: فَمَرَّةً يَجْعَلُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَرَّةً يَجْعَلُهُ إِلَهًا، وَقَالَ فِيهِ: «وَأَمْرَنِي بِإِسْقاطِ مَا لَا يَلْزَمُكُمْ اعْتِقَادُهُ مِنَ الْأَدِيَانِ الْمَاضِيَّةِ، وَالشَّرَائِعِ الدَّارِسَةِ» وَذَكَرَ قَبَائِحَ^(٣) يَطُولُ ذِكْرُهَا. وَكَانَتْ

(١) فِي م: «السِّبْر» وَفِي ر١: «الْمَنْسِير» وَكُلُّهُ تُحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثَبَنَا مِنْ وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ٣٧٤ / ٥ وَتَارِيخِ الإِسْلَامِ ٦٠١ / ٨ وَغَيْرُهُمَا.

(٢) لَيْسَ فِي ر١.

(٣) فِي أٌ، م: «أَشْيَاء».

له رايةٌ حمراء تحت قصره، فاجتمع إليه خلقٌ نحو خمسة عشر ألفَ رجُلٍ فيها قيل، ثمَّ إنَّ رجلاً من الترك قتل كاتبه حمزة، فأظهر الحاكمُ أنَّه أمر بقتله. وكان الحاكمُ كثير التصرف بالليل إلى جبل المقطم على حمار، فخرج ليلةً^(١)؛ فُقتل هو وحماره.

ثمَّ ولَيَّ بعده عليٌّ المتلقب بالظاهر، فكان مشتغلًا بالشرب، منهكًا فيه، يلبس ثياب النساء، حتَّى يظنُّه الناسُ إذا مشى معهنَّ امرأةً، ثمَّ أصابه الاستسقاء، حتَّى صار كالعَدْل، فمات.

ثمَّ ولَيَّ بعده مَعَدُّ الملقب بالمستنصر، فمرةً يُظهر السبَّ، ومرةً يكُفُّ ويُسكنُ الناسَ، فإذا مشى في جنوده، كان بين يديه الشَّبابَة وَمَنْ يُشَدُّ الشِّعرَ. وذكر أنَّه أرسل مَنْ كتب السبَّ في أستار الكعبة في ليلةٍ ظلماءً، فأصبح الناسُ، فوجدوه، فضَّحَ المسلمونَ لذلِكَ، وأكثروا البكاء لسبِّ الصحابة، رضي الله عنهم.

قال ابن سعدُون: وعلى هذا بنوا أصل مذهبهم^(٢) أنَّهم يُظهرون الدين والخير، حتَّى يتمكَّنوا. قال المؤلِّفُ: انتهى ما لخصته من كتاب ابن سعدُون.

وذكر ابن القطان عنهم أنَّهم قومٌ من الرافضة، يدعون السبَّ إلى عليٍّ، رضي الله عنه، وأكثرُ اعتقاداتهم كُفرٌ. ولما مات المستنصر ابن الظاهر، ولَيَّ بعده ولده^(٣) الملقب بالمستعلي^(٤)، وكان أُسْبَةً من غيره سياسةً، لا دينًا. فلما توفيَ هو، وزيره الأفضل، استبدَّ ولده وتسمَّى بالأمير بحُكْمِ الله^(٥). وكان جبارًا عنيدًا ظالماً جائراً، وكثيرًا في زمانه دعوئيًّا الباطل، ونصرُ الظالم على المظلوم، وإعانته على ظلمه. واستخلص لنفسه فتيانَ الوضاء^(٦) الوجه، اتخذهما للفاحشة، وكان رزقُ كلِّ واحدٍ

(١) في أ، م: «ليلًا».

(٢) في أ: «أصلهم».

(٣) ليست في ر١.

(٤) المتظم لابن الجوزي ٩/١٣٣.

(٥) ينظر اتعاظ الحنفا ٣/٢٩ وهو الأمر بأحكام الله.

(٦) في ر١: «الحسان».

منهم ألف دينار في كل يوم، وكان يعمل التزاهة^(١)، ويبيع للناس فيها المحظورات، فلا يشاء مُؤْمِنٌ أن يعain مُنْكَرًا مُبَاحًا إلَّا عائِنَهُ.

ثمَّ ولِيَ بعْدَهُ عَبْدُ الْمُجِيدِ، الْمَلَكُ بِالْحَفْظِ لِدِينِ اللَّهِ^(٢)، ابْنُ الْمُسْتَنْصِرِ، بَوْيَعَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْأَمِيرُ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَوُزِّرَ لَهُ أَبُو عَلَيٰ أَحْمَدُ^(٣) ابْنُ الْأَفْضَلِ أَمِيرُ الْجَيُوشِ، ثُمَّ اسْتَوَى أَبُو عَلَيٰ عَلَى الْأَمِيرِ.

وجملة الحال من سنة ست وعشرين إلى سنة اثنين وثلاثين وخمس مئة، كانت لهم فيها محاولات شنيعة وأمورٌ فظيعة، منها⁽⁴⁾ قتل الامير، وانتزاع قاتلِه حِرْزُ الْمُلُوك، وقتلُه، واستيلاءُ ابنِ الأَفْضَلِ، وقتلُه، وظهورُ عبدِ المُجِيدِ، وما كان من الأُسْقُفِ من النَّفَرِ، والأمر بعبادةِ عبدِ المُجِيدِ وقتلِه، ثمَّ استيلاءُ حُسْنِي بنِ عبدِ المُجِيدِ، والقيامُ عليه، إلى أن قُتِلَ نَفْسَه بسَمٍّ، ورجوعُ عبدِ المُجِيدِ إلى الولَاية.

رجُعَ الْخَبَرُ: وفي سنة ثلَاث وأربعين وأربعين مئةً: وردت الأخبار أنَّ مُحَمَّدَ بن جعْفر الْكُوُميَّ ولِيَ الْقَضَاءَ بِمَصْرَ، وَلَقِبَ قَاضِيَ الْقَضَاءِ وَدَاعِيَ الدُّعَاءِ. قال ابن شَرْفٍ: فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُوءِ الْعَاكِبَةِ! لِأَنَّ قَاضِيَ الْقَومِ مِنْهُمْ وَعَلَى مَذَهِبِهِمْ، يَعْنِي الشِّيَعَةَ.

وفيها: وصلت إلى القَيْرَوَان مُكَاتَبَةً من الْأَمِير جُبَارَة بْن مُحَتَّارِ الْعَرَبِ^(٥) من بَرْقَة بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَة لِلْمُعَزِّزِ بْنِ بَادِيسِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ وَأَهْلَ بَرْقَة قد أَحْرَقُوا الْمَنَابِرَ الَّتِي كَانَ يُدْعَى عَلَيْهَا لِلْعَبْيَدِيَّةِ، وَأَحْرَقُوا رَأْيَتِهِمْ، وَتَبَرَّؤُوا مِنْهُمْ، وَلَعْنُوهُمْ عَلَى مَنَابِرِهِمْ، وَدَعَوْا لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ.

وفي هذه السنة: كان أَوَّلُ الفتنة يافريقيـة.

(١) فـ ١: «النـاهـات».

١٣٥ / ٣) اتعاظ الحنف

(٣) ينظر الكامل لابن الأثير /١٠-٦٧٢، و تاريخ الإسلام للذهبي /٤٣٣-٤٤٤ في
وفيات سنة ٥٢٦ هـ.

(٤) يعرض ما يأقى كان قبل سنة ٥٢٦ مثلاً قتاً الأمر.

(٥) في ر١: «العز في» وليس بشيء، وجباره بن مختار هذا أمير عرب برقة، وينظر الكامل لابن الأثير ٥٦٦ فما بعدها.

ذِكْرُ طَرَفٍ مِنَ الْفِتْنَةِ الْعَظِيمَةِ^(١) وَدَمَارِ الْقَيْرَوَانِ

قال ابن شَرَف: لَمَّا آلَ الْأَمْرُ إِلَى التَّصْرِيفِ بِلِعْنَةِ بْنِ عُبَيْدٍ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَأَمْرَ المُعَزِّ بْنَ بَادِيسَ بِقَتْلِ أَشْيَا عَهْمِهِمْ، أَبَاحَ بْنُ عُبَيْدٍ لِلْعَرَبِ بِجَاهَ النَّيلِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَنْوِعًا، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ، ثُمَّ أَمْرَ لِكُلِّ جَاهِزٍ مِنْهُمْ بِدِينَارٍ، فَجَازَ مِنْهُمْ خَلْقٌ عَظِيمٌ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرُهُمْ بِشَيْءٍ؛ لِعِلْمِهِ أَهْمَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ لِوَاصِيَّةٍ، فَجَازُوا أَفْوَاجًا، وَأَقَامُوا بِنَاحِيَةِ بَرْقَةِ. وَمَضَتِ الْأَيَّامُ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً. ثُمَّ قَدِمَ مِنْهُمْ مُؤْنِسُ بْنُ يَحْيَى الرِّيَاحِيُّ^(٢) عَلَى الْمَعْزِ، وَكَانَ الْمُعَزُّ كَارِهًا لِإِخْرَانِهِ صُنْهَاجَةَ، مُحِبًا لِلْاسْتِبدَالِ بِهِمْ، حَاقَّدًا عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ يُظْهِرْ ذَلِكَ لَهُمْ. فَلَطَّافَ عَنْهُ مَحْلُّ مُؤْنِسٍ هَذَا، وَكَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ، شَجَاعًا، عَاقِلًا، فَشَارَوْهُ الْمُعَزُّ فِي الْخَازِنِ بْنِ عَمِّهِ رِيَاحِ جُندَا، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنَّ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَعَرَّفَهُ بِقَلْلَةِ اجْتِمَاعِ الْقَوْمِ عَلَى الْكَلِمَةِ، وَعَدَمِ اقْنِيَادِهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ، فَأَلْلَحَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، إِلَى قَالَ لَهُ الْمُعَزُّ: إِنَّمَا تَرِيدُ انْفَرَادَكَ؛ حَسَدًا مِنْكَ لِقَوْمِكَ. فَعَزِمَ مُؤْنِسٌ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ، بَعْدَمَا قَدِمَ الْعُذْرَ، وَأَشْهَدَ بَعْضَ رِجَالِ السُّلْطَانِ، ثُمَّ رَحَلَ مَتَوَجِّهًا نَحْوَهُمْ، فَنَادَى فِي الْقَوْمِ، وَحَشَدَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ، وَغَبَطَهُمْ، وَوَصَّفَهُمْ كِرَامَةَ السُّلْطَانِ وَالْإِحْسَانِ لَهُمْ، ثُمَّ قَدِمَ فِي رَكْبِ مِنْهُمْ، لَمْ يَعْهُدُوا نِعْمَةً، وَلَا طَالُوا حَاضِرَةً، فَلَمَّا انتَهُوا إِلَى قَرْيَةِ تَنَادَوْا: «هَذِهِ الْقَيْرَوَانُ!» وَنَهَبُوهَا مِنْ حِينِهَا.

فَلَمَّا وَرَدَ الْخَبَرُ عَلَى الْقَيْرَوَانِ، عَظِيمُ الْأَمْرِ عَلَى الْمُعَزِّ بْنِ بَادِيسِ وَقَالَ: إِنَّمَا فَعَلَ مُؤْنِسٌ هَذَا^(٣) لِيُصَحِّحَ قَوْلَهُ، وَيُظْهِرَ نُصْحَهُ. فَأَمْرَ بِتَقَافِ أَوْلَادِهِ وَعِيَالِهِ^(٤)، وَخَتَمَ عَلَى دَارِهِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ مُؤْنِسًا مَا فَعَلَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، اشْتَدَّتِ نِكَائِيَّةُ، وَعَظَمَ بِلَاؤُهُ، وَقَالَ: قَدَمْتُ النِّصِيحَةَ فَحَاقَ الْأَمْرُ بِي، وَنُسِّبَتُ الْخَطِيَّةَ إِلَيَّ! فَكَانَ أَشَدَّ إِضْرَارًا مِنَ الْقَوْمِ. وَكَانَ قَدْ عَلِمَ عَوْرَاتِ الْقَيْرَوَانِ. ثُمَّ أَخْرَجَ السُّلْطَانُ

(١) «الْعَظِيمَةُ» لِيُسْتَ في رَأْيِهِ.

(٢) لَهُ ذَكْرٌ فِي تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونِ ٤/٦٢، ٦٣، ١٥٩، وَاتِّعَاظُ الْحَنْفَاءِ ٢/٢١٧.

(٣) لِيُسْتَ في رَأْيِهِ.

(٤) هَكَذَا فِي النَّسْخَتَيْنِ، وَكَأَنَّهُ يَرِيدُ: بِالْتَّحْوِطِ عَلَى أَوْلَادِهِ وَعِيَالِهِ.

إليهم بعض الفقهاء، ومعهم مكاتب وشروعٌ ووصايا، وأعلمونهم أنَّ السلطان قد^(١) دفع عيالاتِهم لهم، وأخذوا عليهم العهود والمواثيق بالرجوع إلى الطاعة، وأرسلوا شيوخاً منهم بذلك، ثمَّ بعد ذلك نكثوا^(٢) على السلطان، واستولوا على الفساد بكلٍّ جهة ومكان.

ذكر هزيمة العرب للمعْز بن باديس^(٣)

لِمَا كان ثانٍ عيد الأضحى من هذه السنة، كانت الدهاية العظمى والمصيبة الكبُرَى، وذلك أنَّ السلطان عيَّد يوم الاثنين، ومشى صباح هذا اليوم إلى ناحية قرية تُعرف ببني هلال، فلما كان نصف النهار، أتته الأخبار أنَّ القوم قد قربوا منه بأجمعهم. فأمر بالنزول في أوغارٍ وأودية، فلم يستتم النزول حتَّى حملَ العرب عليهم حملة رجُلٍ واحدٍ، فانهزم العسكر^(٤)، وصبر المُعز صبراً عظيماً، إلى أن وصلت رماح العرب إليه، ومات من العيَّد^(٥) بين يديه خلقاً عظيماً فدَوْه بأنفسهم. وأماماً بني مناد وجميع صنْهاجة وغيرهم من القبائل، فإنهُم فرُوا وانتهت العربُ مصارِبَهم، ودخل العربُ معْسَكَ المُعز^(٦)؛ فحازووه، وفيه من الذهب والفضة والأمتعة والأسباب والأثار والخلف والكراع ما لا يعلم عدَّه إلَّا الله. وكان فيه من الأخبار وغيرها ما يتجاوز عشرة آلاف، ومن الجمال نحو خمسة عشر ألفاً، ومن البغال ما لا يُحصيه قولُ. فما خلُص لأحد من الجندي عقالٌ فما فوقه، وسلك أكثر الناس الجبل المعروف بحيدران، فافترقوا فيه. ثمَّ رجع بعضهم على بعض، وليس عند أهل القيروان خبرٌ بذلك، إلَّا أنَّهم كانوا تحت توقع وتشوُف. فلِمَا كان ثالث العيَّد، قَدِم فارسان مع ابن

(١) ليست في ر١.

(٢) «ثمَّ بعد ذلك نكثوا» ليست في أ.

(٣) بعد هذا في ر١: «السلطان».

(٤) في ر١: «جيشه المعز».

(٥) في ر١: «عيده».

(٦) بعد هذا في أ، م: «السلطان».

البَوَابُ، وَهُمْ قَدْ غَلَبُتْ عَلَيْهِمُ الْكَآبَةُ وَكَسُوفُ الْبَالُ، وَحَالُهُمْ تُغْنِي عَنِ السُّؤَالِ، وَكُثُرَ أَيْضًا سُؤَالُ النَّاسِ عَنِ السُّلْطَانِ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ فِي حَيْزِ السَّلَامَةِ، فَلِمَ تَأْكُ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى دَخَلَ قَصْرَهُ هُوَ وَوَلْدُهُ. ثُمَّ تَسَاقَطَ النَّاسُ بَعْدِهِ أَحَادِيثًا وَجَمِيعًا، وَتَخَلَّفَ عَنِ الْوَصْولِ خَلْقٌ عَظِيمٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ عُلِمَ بِخَبْرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعْلَمْ. ثُمَّ ذُكِرَ أَنَّ الْعَرَبَ أَحْذَوَا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الصُّنْهَاجِينَ وَغَيْرِهِمْ.

قال ابن شرف: وكان عَدُّ العَسْكَرِ المَهْزُومِ ثَلَاثَيْنَ^(١) أَلْفًا، وَمِنَ الرَّجَالَةِ مَا يَلْيَقُ بِذَلِكَ. وَكَانَتْ خَيْلُ الْعَرَبِ ثَلَاثَةَ آلَافَ فَارِسًا، وَمِنَ الرَّجَالَةِ مَا يَلْيَقُ بِذَلِكَ^(٢). وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَلَيُّ بْنُ رِزْقٍ مِنْ قَصِيدَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ، أَوَّلُهَا^(٣) [مِنَ الطَّوْلِ]:

لَقْدْ زَارَ وَهُنَا مِنْ أَمَيْمَ خَيَالٍ وَأَيْدِي الْمَطَايَا بِاللَّذِمِيلِ عِجَالٍ

إِلَى أَنْ قَالَ^(٤):

ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنْكُمْ هَرَمَتُهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ أَنَّ ذَا لَكَالٌ

وَوَصَلَ الْعَرَبُ إِلَى نَوَاحِي الْقَيْرَوَانَ، وَجَعَلَ كُلُّ مَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ قَرِيَّةً يُسَمِّيَ نَفْسَهُ لَهُمْ، وَيُؤْمِنُهُمْ، وَيُعْطِيهِمْ قَلَنْسُوتَهُ أَوْ رُقْعَةً يَكْتُبُهَا لَهُمْ عَلَامَة^(٥)؛ لِيُعْلَمَ غَيْرُهُ أَنَّهُ سَبَقَهُ. وَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَيْنِ بِالْقَيْرَوَانِ تَحْتَ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْخُوفِ. لَا يَدْرُونَ مَا يَنْزَلُ بِسَاحِتِهِمْ. وَأَفَامَ النَّاسُ يَوْمَيْنِ، لَا يَدْخُلُ إِلَيْهِمْ دَاخِلٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ خَارِجٌ، وَخَيْلُ الْعَرَبِ تَسْرُحُ حَوْلَ الْقَيْرَوَانِ فِي كُلِّ جَهَةٍ وَمَكَانٍ، وَالنَّاسُ يَرَوْنَهُمْ عِيَانًا بِيَانًا. وَخَرَجَ السُّلْطَانُ سَابِعَ عِيدِ الْأَضْحَى بِجَنُودِهِ، وَخَرَجَ عَامَّةُ الْقَيْرَوَانِ مَعَهُ، فَلِمَ يَتَعَدَّ بِهِمُ الْمُصْلَى. وَرَجَعَ الْعَرَبُ فِي أَمَانِهِمُ الَّذِي أَعْطَوْا أَهْلَ الْبَوَادِي، وَانْتَهَبُوا جَمِيعَهَا، وَانْتَقَلَ أَهْلُهَا إِلَى الْقَيْرَوَانَ. وَأَمَرَ السُّلْطَانَ كَافَةَ النَّاسِ بِاَنْتَهَابِ الزُّرُوعَاتِ الْمُحِيطَةِ

(١) في أ، م: «ثمانين»، وسيأتي في الشعر ما يصحح الثلاثين.

(٢) في ر١: «بِهِمْ».

(٣) قوله: «في ذلك أولها» ليس في ر١.

(٤) في أ، م: «وَفِيهَا».

(٥) ليست في ر١.

بالقَيْرَان وصَبْرَة، وهي المُنْصُورَة، فُسُرُّ الْمُسْلِمُونَ^(١) بذلك. وحَسِبُوهَا مِنْ أَرْزاقِهِمْ.
وكان مَصِيرُهَا إِلَى مَا قَدَرَ اللَّهُ مِنْ فَسَادِهَا وَأَكْلِ الْبَهَائِمُ لَهَا.

وفي السابع عشر لذِي حِجَّة: ظهرت خيلُ الْعَرَبِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمِيالٍ مِنْ القَيْرَانِ.
فنزلَ السُّلْطَانُ يَمْشِي فِيهَا، وَيُوصِي أَهْلَهَا بِالاحْتِفَاظِ وَالْبَنَاءِ، وَأَخْذَ النَّاسُ فِي بَنَاءِ دُورِهِمْ.
وَأَمَرَ السُّلْطَانَ الْمُعِزَّ أَنْ يَتَّقْلِلَ عَامَّةُ أَهْلِ صَبْرَةِ وَسُوقَتِهَا إِلَى القَيْرَانِ، وَيُخْلُلُوا الْحَوَانِيَّتَ
كُلَّهَا بِصَبْرَةِ، وَأَمَرَ جَمِيعَ مَنْ بِالقَيْرَانِ مِنَ الصُّنْهَاجِيَّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُسْكُرِ، أَنْ يَتَّقْلِلُوا
إِلَى صَبْرَةِ، وَيَنْزَلُوا فِي حَوَانِيَّتِهَا وَأَسْوَاقِهَا، فَارْتَجَّ الْبَلْدُ لِذَلِكَ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ،
وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ. وَمَدَّ الْعَيْدُ وَرَجَالُ صُنْهَاجِيَّةِ أَيْدِيهِمْ إِلَى خُشُبِ الْحَوَانِيَّتِ وَسَقَافَهَا،
وَاقْتَلُوْهَا، وَخَرَبَتِ الْعِمَارَةُ الْعَظِيمَةُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَبَاتَ النَّاسُ عَلَى خَوْفٍ
عَظِيمٍ، ثُمَّ أَصْبَحُوا، فَعَانِيْنَا خَيْوَلَ الْعَرَبِ، فَأَمَرَ السُّلْطَانَ أَلَّا يَخْرُجَ الْعُسْكُرَ عَنْ^(٢)
سُورِ صَبْرَةِ.

قال ابن شَرَف: أَخْبَرَنِي مَنْ أَثْقَبَهُ، قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ القَيْرَانِ وَسَرَّتُ لِيَلَّا،
فَكُنْتُ أَكْمَنُ النَّهَارَ، فَلَمْ أُمْرَ بِقَرِيرَةٍ إِلَّا وَقَدْ سُحِّقْتُ وَأُكِلْتُ، أَهْلُهَا عُرَاهَةُ أَمَامَ
حِيطَانِهَا، مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَ وَطَفْلٍ، يَبْكِي جَمِيعُهُمْ جَوَعاً وَبِرَداً. وَانْقَطَعَ الْمِرْءُ عَنِ القَيْرَانِ،
وَتَعَطَّلَتِ الْأَسْوَاقُ، وَأَمْسَكَ الْعَرَبُ جَمِيعَ مَنْ أَسْرُوهُ، فَلَمْ يُطْلِقُوْهُمْ أَحَدًا إِلَّا بِالْفِدَاءِ
مِثْلُ أُسَارِيِّ الرُّومِ، وَأَمَّا الْمُضْعِفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَأَمْسَكُوهُمْ لِخِدْمَتِهِمْ.

نُبْدُّ مِنْ وَقْعَةِ بَابِ تُونِيسِ، أَحَدِ أَبْوَابِ القَيْرَانِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ دَفَعْتُ إِلَى هَذَا الْبَابِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْعَامَّةُ، مِنْهُمْ بِسَلاحٍ،
وَمِنْهُمْ مَنْ بِيَدِهِ عَصَا لَا يُدْفَعُ بِهَا أَضْعَافُ الْكِلَابِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِمْ فُرْسَانُ الْعَرَبِ^(٣)،
وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُمْ سِيَوْفُهُمْ وَرِمَاحُهُمْ، فَتَسَاقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَجُنُوبِهِمْ، وَسَطَحُوهُمْ
مِنْ حَدَّ أَفْرَانِ الْأَجْرَ إِلَى هَذَا الْبَابِ، وَلَمْ يَمْكِنْهُمْ إِلَّا مِنْ حَصَّنَهُ أَجْلُهُ، وَلَمْ يَتَرَكُوا

(١) في ر ١: «الناس».

(٢) في أ، م: «علٰى».

(٣) في ر ١: «الأَعْرَاب».

على حيٍّ ولا ميت^(١) خرقةٌ تواريه. وخرج أهل القتلى عند انصراف العرب، فرفعوا قتلاهم، فقامت النوائح والنوادب بكل جهة ومكان من أزقة القيروان، تتصدَّع لنظرها وسماعها الجبال. وبقي خلقٌ من الغرباء في المقتلة، وجُرح من الناس خلقٌ كثير، ورأى الناس ما أذلهم من كثرة القتلى^(٢) وقبح تلك الجراحات، ففتَّت الأكباد، وذابت القلوب والأجساد^(٣)، لبنيَّاتِ قد سوَّدنَ وجوههُنَّ وحلقَنَ رؤوسهُنَّ على آبائهنَّ وإخواتهنَّ^(٤). فكان هذا يوم مصائب وأنكادٍ ونوابٍ^(٥). ولم يرَ الناس مثله في سائر الأمصار، فيما مضى من الأعصار. وبات^(٦) الناس في همٍّ وغمٍّ. ثمَّ كلام ابن سَرْف مُختَصِّراً.

هزيمة صُنهاجة أيضًا بجبل حيدران،
وهزيمة المُعِزَّ بن باديس من وجْهِ آخر

قال أبو الصَّلت: ثمَّ برز المُعِزُّ إلى لقاء العرب الوالصلة من المشرق، وجرَّد عساكره، وقدَّم عليها ابن سَلْبُون، وزكُون بن واعلان، وزيري الصُّنهاجي، وعاد هو إلى القيروان. فلما كان عيد النَّحر، انهزمت صُنهاجة، وقتل منها كثير، فخرج هو بنفسه إليهم، وانتشتَّت الحربُ بين العرب وبينه، فهزَّمته العرب، وثبت المُعِزُّ في طائفه من عبيده، ثمَّ عاد إلى المنصورية، فأُخْضيَ من قُتل من صُنهاجة في هذه الواقعة، ف كانوا ثلاثة آلاف وثلاثة مئة. ثمَّ أقبلت العرب حتى نزلت على القيروان، ووقعت الحربُ هناك، فُقُتل بين رَقَادَةَ والمنصورية خلقٌ كثير^(٧).

(١) ليست في را.

(٢) «كثرة القتلى» ليست في أ، م.

(٣) في را: «قلوهم وأجيادهم».

(٤) في را: «إخواتهن».

(٥) «ونواب» ليست في أ.

(٦) من هنا إلى نهاية الفقرة خلت منه را.

(٧) ينظر تاريخ ابن خلدون ٦ / ١٥.

وفي سنة أربع وأربعين وأربع مئة: ذهب المُعْزُ بن باديس إلى رفع الحَرْب بينه وبين العَرَب، وأباح لهم دخولَ الْقَيْرَوَانَ لما يحتاجون إليه من بيع وشراء، وبقي هو مستوطناً المنصورية مع مَنْ بقي من عسكره، فلما دخلوها، استطالت العامة عليهم، وأوسعتهم إهانةً وشتماً، فقتل العَرَبُ منهم حَلْقاً كثِيرًا. وكان عَدُّ العَرَب الوافدين من المشرق سبعةَ آلَافٍ فارس وخمس مئة. وقدر المُعْزُ أنَّ العَرَبَ عائدون من حيث أتُوا، فخرج الأمْرُ له بخلاف ظنه.

وفي هذه السنة: بنى المُعْزُ سورَ الْقَيْرَوَانَ، وسورَ زَوِيلَة^(۱)، وجعل السورَ مَمَّا يَلِي صَبْرَةَ كالفَصِيلِ: حائطانٌ مُتَصِّلَانِ إِلَى صَبْرَةٍ، وبيْنَهُمَا نَحْوُ نَصْفِ مِيلٍ. وأمَّا الْقَيْرَوَانُ، فَهِيَ فِي بَسِطِ الْأَرْضِ، مَدُودَةٌ فِي الْجَوْفِ مِنْهَا نَحْوُ تُونِسَ، وَفِي الشَّرْقِ نَحْوُ سُوْسَةَ وَالْمَهْدِيَّةِ، وَفِي الْقِبْلَةِ نَحْوُ سَفَاقُسَ، وَيَقْرَبُ مِنْهَا الْبَحْرُ الشَّرْقِيُّ؛ فَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ مَسِيرَةُ يَوْمٍ، وَسَائِرُ جَوَانِبِهَا أَرْضٌ طَيِّبَةٌ. وَلَا سَبِيلٌ لِلْوَارِدِ أَنْ يَدْخُلَ الْقَيْرَوَانَ إِلَّا بَعْدِ جُوازِهِ عَلَى صَبْرَةٍ.

وَأَمَّا صَبْرَةُ، فَبَنَاهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي القَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ، التَّلَقَّبُ بِالْمَنْصُورِ، وَسَمَّاها الْمَنْصُورِيَّةُ، وَاسْتَوْطَنَهَا سَنَةُ سِبْعَ وَثَلَاثَيْنَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، ثُمَّ كَانَتْ مَنْزِلَ الْوُلَاةِ بِالْقَيْرَوَانِ إِلَى حِينِ خَرَابِهَا.

وفي سنة خمس وأربعين وأربع مئة: ولَّ المُعْزُ بن باديس ابنَ تَمِيمَ مَدِينَةَ الْمَهْدِيَّةِ^(۲).

وَفِيهَا: نَافَقَ عَلَى المُعْزُ بن باديس أَهْلُ سُوْسَةَ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مَنِيَّةٌ، حَاصِرَهَا أَبُو يَزِيدَ شَهْوَرًا ثُمَّ انْهَزَمَ عَنْهَا، وَكَانَ عَلَيْهَا فِي ثَانِيَنِ أَلْفَيْ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ سَهْلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ [مِنَ الْكَامِلِ]:

إِنَّ الْخَوَارَجَ صَدَّهَا عَنْ سُوْسَةٍ
أَبَدًا طِعَانُ السَّمْرِ وَالْإِقْدَامِ

(۱) الْكَامِلُ لَابْنِ الْأَئْمَرِ ۹/۵۶۹.

(۲) الْكَامِلُ ۹/۵۶۹، وَذَكَرَابْنَ خَلْدُونَ أَنَّ الْمَعْزَ وَلِيَ تَمِيمَ الْمَهْدِيَّةَ سَنَةَ ۴۴۸.

وفي سنة ست وأربعين وأربعين مئة: حاصرت العرب مدينة القيروان وضيقـت
عليها تضييقاً شديداً يطول ذكره^(١).

وفيها: أخذ مؤنس بن يحيى سلطان العرب مدينة باجة، وأطاعه أهلها^(٢).

وفي سنة سبع وأربعين وأربعين مئة: تولى بلقين^(٣) الصنهاجي فلعة حماد.

وفيها: نافق ابن أبي زمان على المعز بن باديس.

وفيها: كانت بإفريقية مجاعة عظيمة وجهد مفرط.

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعين مئة: وقع بين عبيد المعز الساكدين بالمهديّة وبين عبيد تميم أبنه معاذ عاً أدت إلى الاقتتال والمحاربة، فقادت عامّة رؤيلة وسائر من كان بها من البحريّين وغيرهم معااضدة لعبيد تميم، فهزموهم، وأخرجوهم من المهدية، وقتلوا منهم عدداً كثيراً. وسار الذين بقي منهم، يريدون اللحاق بالقيروان، فدسّ تميم خبرهم إلى العرب، فقتل منهم في الطريق خلق كثير، وسبّب هذه المقاتلة قتل تميم عبيد أبيه بالمهديّة، ويقال: إنّ الذي قُتل منهم سبع مئة، وذكر أنَّ المحرّك لقتلهم واستئصالهم قصيدة محمد بن حبيب، التي أوّلها [من البسيط]:

السيفُ يسبِّقُ قبلَ الحادِث العذلاً لا تغْمِدِ السيفَ حتى تقتلَ السيفلاً

نَقلُ عِدَاتَكَ من دُبْيَا لآخرَةٍ فكُلُّهُمْ ظَنٌّ هَذَا الْمُلْكُ مُنْتَقِلاً

وفي سنة تسع وأربعين وأربعين مئة: خرج المعز بن باديس من المنصوريّة مُنتقاً إلى المهدية، لليلتين بقيتا من شعبان.

وفي أول يوم من رمضان: انتهت العرب مدينة القيروان وخربتها^(٤)، وكانت من أعظم مدن الدنيا، وذكر أبو عبيده^(٥) أنه انتهى ما ذُبح بها من البقر خاصة في

(١) الكامل لابن الأثير ٩/٥٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) في رأي: «بلجين»، وذكرنا غير مرّة أن الكاف الأعجمية تكتب قافاً أو جيّاً.

(٤) الكامل لابن الأثير ٩/٥٦٩.

(٥) المغرب، ص ٢٦.

اليوم الواحد سبع مئة رأس خمسين رأساً. وقال في سنة اثنين وخمسين: سُبِّيت القِيرَوان وأُخْلِيَتْ.

وفي سنة خمسين وأربع مئة: خَرَجَ بُلُقِينَ، ومعه الأَئْبَجُ وعَدَىٰ لِحْرَبِ رَنَاتَةَ، فَكُسِّرَ هَا وَقُتِلَ مِنْهَا عَدَداً كَثِيرًا^(١).

وفي سنة إحدى وخمسين وأربع مئة: قُتِلَ مُنْصُورُ الْبَرْغَوَاطِيُّ، صَاحِبُ سَقَافُسْ، قَتَلَهُ غَدَرًا حَمْوَيْنَ وَمَلِيلَ الْبَرْغَوَاطِيُّ، وَوَلِيَّ مَكَانَهُ، وَذَلِكَ يَوْمُ السِّبْتِ الثَّانِي لِشَوَّالٍ.

وفي سنة اثنين وخمسين وأربع مئة: وَقَعَتْ بَيْنَ الْعَرَبِ بِالْقِيرَوانِ وَبَيْنَ هَوَارَةَ حَرْبٌ كَانَ الْغَلْبُ فِيهَا لِلْعَرَبِ^(٢). وَقُتِلَتْ هَوَارَةُ بَابَ الصَّوْمِ، أَحَدُ أَبْوَاهَا.

وفي سنة ثلاث وخمسين وأربع مئة: قُتِلَ أَهْلُ تَقْيُوس^(٣) مَتَيْنَ وَخَمْسِينَ مِنَ الْعَرَبِ. وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ الْعَرَبَ دَخَلَتْ إِلَى تَقْيُوسَ مَتَشَوْفَةً، فَسَمِعَ رَجُلٌ مِنْهُمْ رَجَلًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَذَكُرُ الْمُعَزَّ بِخَيْرٍ، وَيُشَنِّي عَلَيْهِ، فَقَتَلَهُ الْعَرَبُ^(٤)، وَكَانَ مَقْدَمًا فِي الْمَدِينَةِ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبَلَدِ، فَغَزَوْهُمْ وَقَتَلُوا مِنَ الْعَرَبِ عَدَدًا مُذَكَّرًا.

وفي سنة أربع وخمسين وأربع مئة: غدر الناصر بن عَلَنَّاسِ بِلُقِينَ بْنَ مُحَمَّدَ الصُّنْهَاجِيِّ صَاحِبِ الْقَلْعَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، وَوَلِيَّ مَكَانَهُ^(٥).
وَفِيهَا: تُوفِيَ الْمُعَزُّ بْنُ بَادِيس^(٦).

(١) الكامل لابن الأثير ٩/٥٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر عنها معجم البلدان ٢/٣٧.

(٤) الكامل لابن الأثير ٩/٥٦٩-٥٧٠.

(٥) ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/٥٩٧-٥٩٨.

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي ١٠/٥٤، ولكن ابن الأثير ذكر وفاته سنة ٤٥٣ (الكتاب ١٠/١٥)، وأشار الذهبي في تاريخ الإسلام إلى وفاته سنة ٤٥٣ (٤٣/١٠) ولكنه أحال إلى سنة ٤٥٤ وهو الصواب.

بعض أخبار المُعَزِّ بْنِ بَادِيس

كُنْتُهُ: أَبُو تَحِيمَ، وَلَقَبُهُ: أَوَّلًا شَرَفُ الدُّولَةِ بْنُ أَبِي مَنَادِ بَادِيس نَصِيرُ الدُّولَةِ بْنُ أَبِي الْفَتُوحِ الْمُنْصُورِ عُدَّةِ الْعَزِيزِ بْنِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْفَتُوحِ بُلْقِينَ سَيِّفُ الْعَزِيزِ بْنِ اللَّهِ بْنِ زَيْرِي بْنِ مَنَادِ بْنِ مَقْوُشِ الصُّنْهَاجِيِّ. وَفِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالْكُنْتَىِ، يَقُولُ ابْنُ شَرَفَ [مِنَ الْخَفِيفِ]:

شَرَفُ الدُّولَةِ الْمُعَزِّ بْنُ بَادِيس	مَنْ لَهُ فِي الْعُلَىٰ ثَلَاثَةُ أَبَا
سَنَ النَّصِيرِ الْمُظَفَّرِ الْمِقدَامِ	وَابْنُ زَيْرِي أَبُو الْفَتُوحِ الَّذِي أَعْ
إِ: نَصِيرٌ وَعُدَّةٌ وَحُسَامٌ	صُورُ مَنْ صَوْبُ رَاحَتِيَ سِجَامٌ
لَدِي أَعَادِيهِ فِي الْوَرَىِ الْإِحْجَامِ	وَأَبُو الْفَتُوحِ بَعْدَ السَّيِّدِ الْمَنْ
صُورُ مَنْ صَوْبُ رَاحَتِيَ سِجَامٌ	

مُولَدَهُ: سَنَةُ تَسْعَ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَهُ، وَوَلَيَ الْمُلْكَ سَنَةُ سَبْعَ وَأَرْبَعَ مِئَهُ: وَسَنَهُ سَبْعَهُ أَعْوَانَ وَشَهْرَانَ، وَتُوْقِيَ سَنَةُ خَمْسَ وَخَمْسِينَ^(۱)، وَعُمُرُهُ ثَمَانِي وَخَمْسُونَ سَنَهُ؛ فَكَانَتْ مُلْكَتُهُ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَهُ. وَفِي سَنَهُ وَتَارِيخِ ولَيْتَهُ، يَقُولُ ابْنُ شَرَفَ

[مِنَ الرِّجْزِ]:

وَبَعْدَهَا سِتُّ سِنِينَ تَبَعُ	لَمَّا انْقَضَتْ مِنَ الْمِئَنَ أَرْبَعُ
دَارَ إِلَيْهَا أَيْمُونَ طَوَالِيَّ	وَأَوَّلُ الْعَامِ الشَّرِيفِ السَّابِعُ
مُذَلًّ كُفْرٌ وَمُعِزٌّ الْدِينِ	بِاسْمِ الْمُعَزِّ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ
مُتَهِّضًا بِحَمْلِهِ ابْنَ سَبْعَةَ	فَقُلَّدَ الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْمَنْعَهُ

صَفَتُهُ: أَسْمَرُ، جَمِيلُ الْوَجْهِ، جَهِيرُ الصَّوْتِ، حَسَنُ الْخَلْقِ، بَعِيدُ الغَوْرِ فِي الْأُمُورِ، قُتِلَ الشِّيْعَةَ وَقَطَعَ دَعْوَتَهُمْ مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ، وَلَعِنَ أَمْرَاءَهُمْ بْنِي عُبَيْدٍ عَلَى سَائِرِ مَنَابِرِ إِفْرِيقِيَّةِ، وَوَقَّيَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ حَقَّهُ، وَأَقامَ السُّنَّةَ، وَكَانَتْ^(۲) مَتْرُوكَةً مِنْذَ مِئَهُ وَأَرْبَعِينَ سَنَهُ.

(۱) هَذَا رأِيُ ابْنِ شَرَفَ.

(۲) مِنْ هَنَا إِلَى نَهَايَةِ الْفَقْرَةِ لَيْسَ فِي رِأْيٍ.

حكاية في ابتداء دولة صُنْهاجة بِإفريقيَّة^(١)

لَمَّا تغلَّبَ آلُ عُبَيْدَ اللَّهِ عَلَى مِصْرَ، وَأَرَادَ مَعَدًّا بْنَ إِسْمَاعِيلَ الرِّحْيلَ إِلَيْهَا مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ، دعا زَيْرِيَّ بْنَ مَتَّادَ، وَكَانَ لَهُ عَشْرَةُ أَوْلَادٍ؛ فَقَالَ لَهُ: ادْعُ لِي بَنِيكَ، فَقَدْ عَلِمْتَ رأْيِي فِيهِمْ وَفِيكَ. وَكَانَ أَصْغَرُهُمْ سِنًا بُلْقِينَ، فَدَعَا أَوْلَادَهُ مَا عَدَاهُ، وَالْقَدْرُ لَا يُرِيدُ سِوَاهُ. وَكَانَتْ عِنْدَ مَعَدًّا بْنَ إِسْمَاعِيلَ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمِ الْحِدْثَانِ، قَدْ عَرَفَ بِهَا بَصَائِرَ أَحْوَالِهِ، وَأَهْلَ الْغَنَاءِ مِنْ أَعْيَانِ رِجَالِهِ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ خَلِيفَتُهُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ الْمَغْرِبِ، إِذَا صَارَ إِلَيْهِ مُلْكُ مِصْرَ، عَلَامَةٌ، فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ بَنِي زَيْرِيَّ، فَلَمْ يَرَهَا، فَقَالَ لِزَيْرِيَّ: هَلْ غَادَرْتَ مِنْ بَنِيكَ أَحَدًا؟ فَقَالَ لَهُ: غَلَامًا صَغِيرًا. فَقَالَ الْمُعِزُّ: لَا أَرَاكَ حَتَّى أَرَاهُ، فَلَسْتُ أُرِيدُ سِوَاهِ! فَلَمَّا رَأَاهُ عَرَفَهُ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ مِنْ حِينِهِ، وَاسْتَخْلَفَهُ، فَاستَولَى مِنْ وَقْتِهِ عَلَى الْأُمُورِ، وَزَاحَمَتْ مَهَابَتُهُ الْأَهْوَاءِ فِي الصُّدُورِ، وَبَعْدَتْ أَسْفَارُهُ، وَاشْتَهَرَتْ أَخْبَارُهُ، وَبَلَغَ بَغْزَوَاتِهِ سَبَّتَةَ فِي خَبَرِ طَوَيْلِ^(٢). ثُمَّ أَجَابَ صَوْتُ مُنَادِيهِ، وَخَلَعَهَا عَلَى أَعْطَافِ بَنِيهِ، حَتَّى انتَهَى أَمْرُهُمْ إِلَى الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ شَرَفِ الْعَشِيرَةِ، وَآخِرِ مُلُوكِهَا الشَّهِيرَةِ^(٣). وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّهُمْ تَوَافَقُوا فِي الْاسْمِ وَالْكُنْيَةِ، أَعْنِي الْمُعِزِّ أَبَا تَمِيمِ مَعَدًّا بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْعُبَيْدِيَّ صَاحِبَ الْحِدْثَانِ، وَالْمُعِزِّ أَبَا تَمِيمِ هَذَا.

فَأَوَّلَ مَا افْتَنَحَ بِهِ شَانَهُ، وَثَبَّتَ بِهِ فِيهَا زَعْمُ سُلْطَانَهُ: قَتْلُ الرَّافِضةِ، وَمُرَاسِلَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِيِّ يَوْمَئِذٍ بِبَغْدَادَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ، وَجَاءَتْهُ الْخَلْعَةُ وَالْلَّقْبُ مِنْ عِنْدِهِ، رَأِيَا اغْتَرَّ بِبَادِيهِ، وَذَهَلَ عَنْ عَوَاقِبِهِ وَبَوَادِيهِ. وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِالْعُبَيْدِيِّ بِمِصْرَ، وَأَمْرُهُ يَوْمَئِذٍ يَدْرُوُنَ عَلَى الْجَرْجَائِيِّ، فَاضْطَغَنَهَا^(٤) عَلَيْهِ، وَفَوَّقَ سِهَامَ مَكْرُوهِهِ إِلَيْهِ. وَكَانَتْ بَطُونُهُ مِنْ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ: رُغْبَةُ، وَعَدِيُّ وَالْأَتْبَعِ، وَرِيَاحُهُمْ، وَغَيْرُهُمْ، تَنَزَّلُ الصَّعِيدُ، لَا يُسْمِحُ لَهَا بِالرِّحْيلِ، وَلَا بِإِجازَةِ النَّيلِ، فَأَجَازَهُمُ الْجَرْجَائِيُّ، وَأَذْنَ لَهُمْ

(١) «بِإفريقيَّة» من ر١.

(٢) «في خبر طَوَيْل» ليست في ر١، والخبر الآتي كلُّهُ من الذِّخِيرَةِ لابن بسامٍ /٤ - ٣٩٤ - ٣٩٢.

(٣) في أ، م: «المشهورة».

(٤) في م: «فاصطنعها»، وهو تصحيف، وهي على الصواب في الذِّخِيرَةِ.

في المُعَزِّ أمنيةً طالَّا تخلَّبتُ^(١) إليها أطْماعُهم، وعكفت عليها أبصارُهم، فغَشَاهُ
منهم^(٢) سَيْلُ العَرِم، ورماد بدلول^(٣) ابنةِ الرَّقْم، فشغل المُعَزِّ بعَصَمِهِ أَوَّلاً بخدمتهِ،
وحلَّهم أباءٌ نِعْمَتِهِ، وهم في خلال ذلك يتَمَرَّسون بجهاتهِ، ويُدْبُون إلى حماهِ، ويُطْلُون
على عَوراتِهِ، حتَّى بانَّ لهم شَأنَّهُ، وهان عليهم سلطانُهُ، فجَاهُرُوه بالعداوةِ، حتَّى جرت
بينهم تلك الْحُرُوبُ، التي تقدَّم ذكرُها مُختَصِّراً^(٤)، فأورثَتْهُ^(٥) الْبَوارِ، وضرَبَتْ
عليهِ الحِصارِ.

وفي أثناء ذلك، أعطاهم الدِّينَة، وناشدهم التَّقْيَة، واشترط المَهْدِيَّة، وزفَّ
إلى أحد رُعائِهم^(٦) من بناته، فأصبحوا له أَصْهَارًا، وقاموا دونهُ أَنْصَارًا. فلما استحکم
بأْسُهُ، وأَهْمَمْتُهُ نَفْسَهُ، استجاشَ مَنْ قِيلَهُ، واحتملَ أَهْلَهُ^(٧) وثقلَهُ، وخَلَّ الْمُلْكُ لِمَنْ
خَمَاهُ وَحَمَلهُ، وجاءَ أَصْهَارُهُ يَمْنَعُونَهُ مَنْ عَسَى أَنْ يَكِيدَهُ، حتَّى بلغَ المَهْدِيَّةَ، فأقامَ
بها سُقْطَةً من الشَّمْسِ بِالْمِيزَانِ، وأَهْوَنَّ من الفَقِيرِ عَلَى الْقِيَانِ^(٨)، ولم يَكُنْ أحدٌ في زمانِهِ
أشَدَّ بَأْسًا في الْمَلَاجِمِ، وَلَا أَطْوَلَ يَدًا بِالْمَكَارِمِ، وَلَا أَعْنَى بِلِسانِ الْعَرَبِ، وَلَا أَحْنَى عَلَى
أَهْلِ الْأَدْبِ مِنْهُ^(٩). ومن مشهور كرمِهِ: أَنَّهُ أَعْطَى الْمُتَّصَرَّ بْنَ خَرْرُونَ في دُفْعَةٍ مِئَةَ
أَلْفِ دِينَارٍ، إِلَى مَا وَصَلَهُ مِنْ مَرْكَبِ أَثِيلِ^(١٠)، وَرَزِّيَ حَفِيلِ^(١١).

(١) في م: «تَخَلَّتْ»، وهو تصحيف، وما هنا يعْضُدُهُ ما في الذِّخِيرَةِ. وتخلبت: سالت، وهي كناية عن التشوف إلى الأمر.

(٢) في أ، م: «منها» وما هنا من ر١، والذِّخِيرَةُ التي ينقل منها المؤلف.

(٣) في أ، م: «بدلول»، وما أثبتناه هو الصواب.

(٤) «مُختَصِّراً» ليست في ر١.

(٥) في الذِّخِيرَةِ: «وارته».

(٦) في ر١: «عَظَمَهُمْ»، وما هنا من أَوْيَضُدُهُ ما في الذِّخِيرَةِ التي ينقل منها المصنف.

(٧) في الذِّخِيرَةِ: «حرمه» وهي بمعنى.

(٨) في الذِّخِيرَةِ: «وَاهَوْنَ من الغَفْرِ عَلَى الْقَبَانِ».

(٩) سقطت من أ، م، وهي ثابتة في ر١ والذِّخِيرَةِ.

(١٠) في الذِّخِيرَةِ: «تفيل».

(١١) في الذِّخِيرَةِ: «نبيل»، وإلى هنا انتهى النَّقلُ من الذِّخِيرَةِ.

وكان مُتَوَقِّدَ الْذَّهْنُ، حاضرَ الْخاطِرُ، حاذقًا بِطِرائِقٍ^(١) الألحان، عالِيًّا بالمنثور والمنظوم من الكلام. ومَدَحَهُ كثيرون من الشُّعَرَاءِ، فاجزل لهم العطاء، منهم: عليُّ بن يوسف التونسي^(٢)، ويعلَّ بن إبراهيم الأركشى^(٣)، وأبو عليٍّ بن رشيق^(٤)، والقرشى، وابن شرف، وغيرهم مما^(٥) يطول الكتاب بذكرهم، لا سيما لو ذكرت مِنْ نَظِمِّهم ونُثُرِهم.

وذكر أبو الحسن الخولاني المعروف بالحداد، قال: اشتغلت على كثير من أيامه ووقائعه وصفاته حاله في خروجه من القيروان، وتسلیمه للعراب مُعظَّم ملكه، في قصيدة أوّلها [من الطويل]:

سَرَّتْ تَهَادِي بَعْدَمَا رَحَلَ الرَّكْبُ
وَقَدْ قَلَّدْتُ حِيدَ الدُّجَى الْأَنْجُمُ الشَّهْبُ

ومنها:

فَقَدْ خَانَ مَوْلَانَا العَشَائِرُ وَالصَّاحِبُ	وَإِنْ خَانَنِي صَبْرِي عَلَى بِقْتِي بِهِ
لَجَاءَتْهُ مِنْ أَقْطَارِهَا الْعُجْمُ وَالْعَرْبُ	وَلَوْ شَاءَ تَأْلِيفَ الْجَنُودِ وَجَمْعَهَا
بِمَا سَطَرْتُ فِيهِ الْمَلَاجِمُ وَالْكُتُبُ	وَلَكَنَّهُ أَغْضَى ^(٦) الْجُفُونَ لِعِلْمِهِ

ولم يمكث بالمهدية إلا نحو سنتين، وانقضت أيامه، ووافاه حمامه، فُتُّوفي يوم السبت الخامس بقين من شعبان سنة أربع وخمسين وأربع مئة. هكذا ذكر أبو الصلت، وقد تقدَّم قول ابن شرف أنه تُوفِي في سنة خمس وخمسين وأربع مئة. أولاده: تميم، وزرار، وعبد الله، وعلو^(٧)، وحماد، وبُلُقْين، وحَمَامَة، والمنصور.

(١) في م: «طرائف».

(٢) ترجمته في الوافي للصفدي ٢٢ / ٣٥٤.

(٣) نهاية الأربع للنويري ١٠ / ١٧٩.

(٤) الوافي للصفدي ١٢ / ٤٢١.

(٥) سقطت من م.

(٦) في أ، م: «أغنى»، وما هنا من رأي وهو الأصح.

(٧) في رأي: «علي».

دولة الأمير تميم ابن المعز ونبذ من أخباره

مولده بالمنصورية في رجب سنة اثنين وعشرين وأربع مئة. وأبرأه والدُه للناس ابن سَتَّين، ورَكْب، والعساكرُ وراءه، وطاف مدِيتيَ القَيْرَان والمُنْصُورَة. وُوْيَيْ المهديةَ سنة خمس وأربعين وأربع مئة، وعُمُرُه إذ ذاك ثلث وعشرون سنة. وأقام بها إلى أن خرج والدُه من المُنْصُورَة متوجّهاً نحوها، فلما دنا منها، خرج إليه فيمن معه، وترجَّل عند رُؤْيَتِه لَهُ، وقبَّل الأرضَ بين يديه، ومشَّى راجلاً أمامَهُ، وأظهرَ من طاعته له ما أبانَ كَذِبَ ما نُسِّبَ إِلَيْهِ، وزُوْرٌ من النَّفَاقِ عَلَيْهِ، فدعاهُ والدُه، وأمَرَهُ بالركوب، فركَّبَ وسارَ معه إلى المهدية، فنزلَ الْمُعِزَ القَصْرَ، وأقامَ ابنه تميمٌ متَكَفِّلاً بأمر الدولة^(١).

وفي سنة خمس وخمسين وأربع مئة: فتح تميمٌ مدينة سُوسة، وكان أهْلُها قد ناقَوا على أبيه، فعفا عنهم.

وفي سنة ست وخمسين وأربع مئة: زحف إلى المهدية حُمُّو بن ومليل^(٢) البرغواطيُّ الثاُثُرُ بمدينة سَفَاقُسْ، بمن استعان من العَرَبْ، فورد خبره على تميم، فسارَ إِلَيْهِ، ومعه طائفةٌ كبيرةٌ من رُغْبةٍ ورِيَاحٍ. وكان مع حُمُّو طائفةٌ من عَدِيَّ والأَثْبَجْ، فاقتتل الفريقيان، ثمَ ولَتْ طائفةٌ حُمُّو أَدْبَارُهَا، فأخذَتْهُ السِّيُوفْ، وتولَّتْهَا الْحُتُوفُ^(٣).

وفي سنة سبع وخمسين وأربع مئة: كسر عَسْكُرُ الناصر بن حَمَّاد، وكان قد خرجَ في عَدَدٍ كثيرٍ من صُنْهَاجَةَ ورَنَاتَةَ وعَدِيَّ والأَثْبَجْ، فلقيَتْهُمْ رِيَاحٌ ورُغْبةٌ وسُلَيْمٌ، فانهزمَ الناصر، وقتلَ من أصحابه خلقٌ كثيرٌ، ونهبتَ أمواله ومَضَارِيهِ، وقتلَ أخوه القاسم بن عَلَيَّاسْ. كان من أعظم الأسباب في ذلك ما أَبْرَمَه تميمٌ في أمره^(٤).

(١) الكامل لابن الأثير ١٦ / ١٠.

(٢) في ر: «مليل»، وفي الكامل لابن الأثير ١٠ / ٢٩: «ملك»، وهو تحريف ظاهر.

(٣) جعلها ابن الأثير في حوادث سنة ٤٥٥ هـ.

(٤) ذكر ابن الأثير هذا الخبر مطولاً في الكامل ١٠ / ٤٤ - ٤٦.

وفي سنة ثمان وخمسين وأربع مئة: جَرَّدَ تَسِيمٌ عَسْكَرًا كَبِيرًا إِلَى مَدِينَةِ تُونس، فَأَقَامَ مَحَاصِرًا لَهَا، أَخِذًا بِمُخْنَقَهَا، أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، حَتَّى وَقَعَ الْاِتْفَاقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ خُرَاسَانَ صَاحِبِهَا، عَلَى مَا اقْتَضَاهُ إِقْلَاعُ الْعَسْكَرِ عَنْهَا^(١).

وفي سنة تسع وخمسين وأربع مئة: قَامَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمْوَدِ الْحَسَنِيِّ^(٢)، اسْتُدْعَى مِنْ مَلِيلَةَ، فَعَبَرَ إِلَيْهَا، وَقَامَ بِهِ جَمَاعَةُ بَنِي وَرْتَدِيِّ فِي مَلِيلَةَ وَنَوَاحِيهَا. وَكَانَ قَدْ خُطِّبَ لَهُ بِالْخَلْفَةِ بِهَا لَقَةً، وَتَسَمَّى بِالْمُسْتَعْلِيِّ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تَغْلِبَ عَلَيْهِ بَادِيسُ بْنُ حَبُّوْسِ الصُّنْهَاجِيِّ صَاحِبُ غَرْنَاطَةَ سَبْعَ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعَ مِئَةً؛ فَانْقَرَضَتْ دُولَةُ بَنِي حَمْوَدَ يَوْمَئِذٍ بِالْأَنْدَلُسِ، وَاخْتَفَى بِالْمَرْيَةِ إِلَى أَنْ اسْتُدْعَى.

وفي سنة ستين وأربع مئة: حَاصَرَ النَّاصِرُ بْنُ عَلَنَّاسَ بْنَ حَمَّادَ مَدِينَةَ الْأَزْبِسِ^(٣)، وَكَانَ مَعَهُ الْأَثْبَجُ مِنَ الْعَرَبِ، وَبِقَيَّ عَلَيْهَا حَتَّى افْتَحَهَا، وَأَمَّنَ أَهْلَهَا^(٤)، وَقُتِلَ عَامِلُهَا ابْنُ مَكْرَازَ^(٥).

وَفِيهَا: وَصَلَ النَّاصِرُ الْمَذْكُورُ إِلَى الْقَيْرَوَانَ مَعَ الْعَرَبِ، وَدَخَلُهَا.
وَفِيهَا: اسْتَبَدَّ أَمِيرُ لَمْتُونَةَ بِالْغَربِ، وَطَاعَتْ لَهُ قَبَائِلُ الْمَصَادِمَةِ وَبِلَادُ دَرْعَةِ وَسِجْلَمَاسَةَ، وَتَغْلَبَ عَلَى زَنَاتَةِ الْمُسْتَوْطِنِينَ هَنَالِكَ.

وفي سنة إحدى وستين وأربع مئة: عَادَ النَّاصِرُ بْنُ عَلَنَّاسَ بْنَ حَمَّادَ مِنَ الْقَيْرَوَانَ إِلَى قَلْعَتِهِ، حَوْفًا مِنْ جَمْعَ الْعَرَبِ.

وَفِيهَا: شَرَعَ أَبُو بَكْرَ بْنُ عُمَرَ الْلَّمَتُونِيُّ فِي بَنَاءِ مَرَّاْكُشَ، عَلَى مَا يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ.
وَفِي سَنَةِ خَمْسَ وَسَتِينَ وَأَرْبَعَ مِئَةً: وَصَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ سَفَاقُسِ مَرَاكِبُ شَرْقِيَّةٍ فَأَخْرَجَ إِلَيْهَا السُّلْطَانُ تَسِيمُ بْنَ الْمُعَزَّ، أَسْطَوْلَهُ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ، فَأَفْسَدَهَا.

(١) الكامل لابن الأثير ١٠ / ٥٠ - ٥١.

(٢) ترجمه في تاريخ الإسلام ٩ / ٦٧٢.

(٣) ينظر عنها معجم البلدان ١ / ١٣٦.

(٤) الكامل لابن الأثير ١٠ / ٥٨.

(٥) في ر١: «مَكْرَاز» وهو صَحِيحٌ أَيْضًا لَأَنَّ أَصْلَ الْجِيمَ كَافٌ أَعْجَمِيَّة.

وفي سنة ست وستين وأربع مئة وقيل: سبع: طُرِدَتْ رُغْبَةٌ من إفريقيا، طَرَدَتْهُمْ رِيَاحٌ منها^(١)، وباعَتْ الْقَيْرَوَانَ من النَّاصِرِ بْنِ عَلَيَّاً ابْنَ حَمَادَ الصُّنْهَاجِيَّ صاحِبِ الْقَلْعَةِ. وفي سنة ثمان وستين وأربع مئة: وصلَتْ إِلَى إفريقيَّةِ عَرَبٍ مِنْ بَرْقَةِ، ونَزَلَتْ حَوْلَ الْقَيْرَوَانَ وَمَا وَالاَهَا.

وفي سنة تسع وستين وأربع مئة: كانت بِإفريقيَّةِ مجَاهِدَةٌ عَظِيمَةٌ وَوَبَاءٌ عَظِيمٌ، ماتَ فِيهِ مِنَ النَّاسِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وفي سنة سبعين وأربع مئة: اصطلحَ تَمِيمُ ابْنِ الْمُعَزِّ وَالنَّاصِرِ ابْنِ عَمِّهِ، وَزَوْجِهِ بَنْتِهِ بَلَّارَةَ، وَجَهَّزَهَا إِلَيْهِ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ فِي عَسَاكِرٍ عَظِيمَةٍ وَمَالٍ^(٢) وَأَسْبَابٍ^(٣) وَذَخَائِرٍ.

وفي سنة أربع وسبعين وأربع مئة: حَاصَرَ تَمِيمُ مَدِينَةَ قَابِسَ^(٤)، وَعَاثَ عَسَكِرُهُ فِي أَجْتِنَّتِهَا الْمَعْرُوفَةِ بِالْغَابَةِ، وَأَفْسَدَهَا^(٥). وَوَلَّ تَمِيمُ ابْنَهُ مُقَلَّدًا^(٦) مَدِينَةَ أَطْرَابُلُسَ سنَةَ سبعين وأربع مئة.

وفي سنة ست وسبعين وأربع مئة: حُوَصِرَتْ الْمَهْدِيَّةُ، نَزَلَ عَلَيْهَا مَالِكُ بْنُ عَلَوِيَّ^(٧) فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الْعَرَبِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ تَمِيمُ ابْنِ الْمُعَزِّ^(٨)، فَهُزِمَ؛ وَأَقْلَعَ عَنْهَا مَنْهَرَمًا، وَدَخَلَ الْقَيْرَوَانَ^(٩).

(١) الكامل لابن الأثير ١٠/٩٨.

(٢) من هنا إلى نهاية الفقرة ليست في ر١.

(٣) في ر١: «وأموال».

(٤) ليست في ر١.

(٥) في النسختين: «سفاقس»، وهو تحريف صوابه ما أثبتناه من كامل ابن الأثير ١٠/١٢١، ١٢١/١٠ ويعضده قوله: «وعاث عسكره في أجتنتها المعروفة بالغابة»، فالغابة هذه معروفة بقباس وقد وصفها التجاني في رحلته ٨٦، وذكرها الحميري في الروض المعطار ٤٥٠.

(٦) في ر١: «فأفسدها».

(٧) ليس في ر١.

(٨) له ذكر في نهاية الأرب للنويري ٢٤/١٢٧.

(٩) «بن المعز» من ر١.

(١٠) الكامل لابن الأثير ١٠/١٣٢.

وفي سنة تسع وسبعين وأربع مئة: حاصر تميمٌ مدينة قايس وسفاقوس معًا في زمن واحد، مما لم يسمع بمثله^(١).

وفي سنة ثمانين وأربع مئة: كسرت الشمس كسوفاً كلياً^(٢). وجرى فيها ما جرى من نزول الروم على المهدية في ثلاثة مئة مركبٍ حربية^(٣)، على ظهورها ثلاثون ألف مقاتل.

ذكر دخول النصارى^(٤) مدينة المهدية

وبسبب ذلك، مع قدر الله تعالى، غيبة عسكر سلطانها عنها، ومفاجأة الروم قبل استقدامه إليها، وأخذ الأهة للقائهم؛ وخلو كافية الناس من الأسلحة والعدّ، وقصر الأسوار وتهدمها، وتکذیب تميم بخبرهم، وسوء تدبير عبد الله بن منكور متولي أمر الدولة في قصده مخالفة قائد الأسطول في الخروج إليهم للقائهم في الماء ومنعهم من النزول في^(٥) البر، فكان ذلك^(٦) كله سبب تغلبهم على المدينتين المهدية وزوجية، ونهبهم إياهما، وقتلهم الناس فيها، وإحرارهم بالنار ما هو مشهور بالمهدية إلى الآن^(٧). وقد استوعب ذلك أبو الحسن الحداد في قصيده التي أواها [من المسرح]:

أَنِّي يُلْمُمُ الْخَيَالُ أَوْ يَقْفُ	غَرَّاً حَمَانَا العَدُوُّ فِي عَدِ
وَبَيْنَ أَجْفَانِنَا شَوَّى الدَّنَفُ	عِشْرُونَ أَلْفًا وَنَصْفُهَا ائْتَلَفُوا
هُمَّا الدُّمَّا كثِرَةً أَوْ اللَّعْفُ	جَاؤُوا عَلَى غِرَّةٍ إِلَى نَفَرٍ
مِنْ كُلِّ أُوبٍ وَلَيْتَ مَا ائْتَلَفُوا	
قَدْ جَهَلُوا فِي الْحُرُوبِ مَا عَرَفُوا	

(١) الكامل ١٠/١٥٩.

(٢) الكامل لابن الأثير ١٠/١٦٢.

(٣) ليست في ر.

(٤) في ر١: «الروم».

(٥) في ر١: «إلى».

(٦) في ر١: «هذا».

(٧) ينظر كامل ابن الأثير ١٠/١٦٥-١٦٦.

وهي طويلة^(١).

وفي سنة إحدى وثمانين وأربع مئة: مات الناصر بن عَلَّناس بن حِمَاد الصُّنْهاجيُّ،
ووليَّ ابْنَهُ المنصور^(٢).

وفي سنة اثنين وثمانين وأربع مئة: غرا^(٣) مالِك بن علوِي مدِينة سُوسَة، ودخلها
في طائفة من أصحابه، ولم يتمكَّن له شيءٌ من مُراده فيها، فخرج منها منهزمًا، وقتل
جماعَةً من رجاله، وأسر بعضهم^(٤).

وفي سنة ثالث وثمانين وأربع مئة: غَلَت الأسعار بإفريقيَّة، وكانت بها مجاعةٌ
شديدة^(٥).

وفي سنة أربع وثمانين وأربع مئة: صَلَحت أحوال إفريقيَّة في الخصب والرَّخاء^(٦).
وفي سنة ست وثمانين وأربع مئة: حاصر عسْكُرٌ تَمِيم مدِينة قَابِس، وأقام عليها
حتَّى فتحَ رَبَضَها.

وفي سنة ثمان وثمانين وأربع مئة: كان ما كان من عَدْرٍ شَاه مالِك^(٧) الغُزَّي
ليحيى^(٨) ابن السلطان تَمِيم ابن السُّمْعَر. وسَبَبَ ذلك: أَنَّ تَمِيمًا خافَ الغُزَّيَّ وأَوْحَشَ
منه نَفْسَه ونَفْسَ أَصحابه لِكَلامٍ^(٩) قاله، فَأَضْمَرَ^(١٠) ذلك شَاه مالِك في نَفْسِه، وكان

(١) «وهي طويلة» ليست في ر١.

(٢) الكامل لابن الأثير ١٦٦/١٠.

(٣) في ر١: «غدر».

(٤) ينظر كامل ابن الأثير ١٧٩/١٠.

(٥) الكامل لابن الأثير ١٧٩/١٠.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) هكذا سَمِّاه، وفي المصادر المشرقيَّة: «شاهملك» أو «شاه ملك»، وينظر الكامل لابن الأثير ٢٤١/١٠.

(٨) ترجمته في وفيات الأعيان ٦/٢١١-٢١٥، وتاريخ الإسلام ١١/١٣٢-١٣٣.

(٩) في ر١: «وَتَوَحَّشَ مِنْهُ لِكَلامٍ».

(١٠) في أ: «فَاضَر»، وهو تحريفٌ بينَ.

داهيَة مكراً، وخرج يحيى بن تَمِيم أثناه ذلك متصيّداً وفي صحبته نَفَرٌ من أهل مؤانته ومؤنادته^(١)، وكان شاه مالِك مع كثير من أصحابه، فظفر به، وقبض عليه وعلى جملة من أصحابه. ولما بلغ تَمِيمَ ذلك، أنفذ الخيل في طلب^(٢) الغُزِيَّ، فوجدوه قد فات وسار إلى سَفَاقَسَ ودخلها. فركب صاحبها^(٣) حَمْوَنَ وَمَلِيل^(٤)، وتلقى يحيى بن تَمِيم مع الغُزِيَّ الذي قبض^(٥) عليه، فأقام عنده أيامًا، وكتب إلى السلطان^(٦) تَمِيم ابن المُعَز^(٧) يُلْتَمِس منه عِيَالَ الغُزِيَّ وأولادَهُم، فأمر تَمِيم بإنفاذهم إليهم، وعاد^(٨) يحيى وأصحابه إلى المهدية^(٩).

وفي سنة تسع وثمانين وأربع مئة: فتح تَمِيم مدينة قابس، وأخرج منها عمر^(١٠) ابن المُعَز أخاه، وقد كان ولاه أهله^(١١).

وفي سنة إحدى وستين وأربع مئة: كانت بإفريقية مجاعة شديدة^(١٢).

وفي هذه السنة: فتح تَمِيم جزيرة قرقنة^(١٣)، ومدينة تونس. وخرجت عَدِيُّ من إفريقية أمام رياح.

(١) ليست في ر١.

(٢) سقطت من أ.

(٣) ليست في ر١.

(٤) في ر١: «مليل».

(٥) في ر١: «قبضاوا».

(٦) ليست في ر١.

(٧) «ابن المُعَز» ليست في أ.

(٨) في م: «ودعا»، وهو تحريف.

(٩) ينظر الكامل لابن الأثير ١٠ / ٢٤١ - ٢٤٢.

(١٠) له ذكر في تاريخ ابن خلدون ٦ / ١٦٠.

(١١) الكامل لابن الأثير ١٠ / ٢٥٧.

(١٢) ينظر الكامل لابن الأثير ١٠ / ١٧٩.

(١٣) في ر١: «قرقنة»، وهو تصحيف، وينظر عنها معجم البلدان ٤ / ٣٢٩، والروض المعطار ٤٦١، وال الكامل لابن الأثير ١٠ / ٢٧٩.

وفي سنة ثلاثة وتسعين وأربع مئة: فتح تميم سفاقوس، وخرج منها حمود بن ومليل^(١) هارباً إلى قايس، فقبله صاحبها مجّن^(٢) بن كامل الدهمني وأواه حتى مات^(٣).

وفي سنة ثمان وتسعين وأربع مئة: مات المنصور ابن الناصر بن علناس، صاحب بجاية والقلعة وما والاهم، وولي ابنه باديس، وأقام قليلاً، ومات، ثم ولـي أخيه العزيز بالله ابن المنصور^(٤).

وفيها: وصل الرمانيون إلى المهدية بأجفان كثيرة حربيّة، تسمى الشوانى، ومعهم ثانية^(٥) وعشرون مركباً، وكان قصدهم أن يجدوا فرصة كما وجدها الروم المتقدّم ذكرهم، فقصدوا إلى باب دار الصناعة؛ ليمعنوا أسطول المهدية من الخروج إليهم، فخاب ظنهم، وخرجت أسطول المهدية إليهم، فهزموهم وقتلو كثيراً منهم.

وفي سنة تسع وتسعين وأربع مئة: وجه السلطان تميم ابن المعز^(٦) أبا الحسن الفهرى إلى جزيرة جربة في عدد جم وأسطول كثير، فوجد^(٧) أهلها قد أخذوا الألهة له^(٨)، واستعدوا^(٩)، واستمروا^(١٠)، فلم يتم لهم شيء من أمرها^(١١).

(١) في ر١: «مليل».

(٢) ويكتب: «مکن» ولأن الكاف أعمجمية، فيكتب بالجيم والكاف.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢٩٨ / ١٠.

(٤) نهاية الأربع للنويري ١٣٠ / ٢٤.

(٥) في أ: «ثلاثة».

(٦) «ابن المعز» من ر١.

(٧) في ر١: «فوجدوا».

(٨) في ر١: «لهم».

(٩) ليست في ر١.

(١٠) في ر١: «واستمروا»، وهو تحريف.

(١١) ذكر ابن الأثير في الكامل (١٠ / ٢٧٩)، والنويري في نهاية الأربع (٢٤ / ١٣٠) أن تميمياً هذا قد فتح جربة سنة ٤٩١ هـ.

وفي سنة خمس مئة: غُدرَتْ مدِينَةُ باجَة، وُقُتِلَ فِيهَا حَلْقٌ كَثِيرٌ.

وفيها: رحل المهدى^(١) محمد بن تومرت^(٢) القائم بدعوة البربر المسلمين بالمؤْحَدِين من جَبَل هَرْغَة بأقصى المَغْرِب^(٣) إلى المَشْرِق في طلب العِلْم، فجاز إلى الْأَنْدَلُس ووصل قُرْطُبَة، وسار منها إلى المَرِيَّة، ومنها دخل في مركب إلى المَشْرِق، وغاب في رحلته خمسة عشر عاماً.

وفي سنة إحدى وخمس مئة: ظهر في أفق المَغْرِب كَوْكُبٌ عظيمٌ من ذوات الدَّوَائِب، وأقام ليالٍ كثيرة^(٤).

وفيها: مات السُّلْطَان تميمُ ابْنُ المُعِز^(٥)، فكانت^(٦) مُدَّتُه نحو سبع وأربعين سنة.

بعض أخبار تميم ابن المُعِز

كان، رحمه الله، شَهِمَا شجاعاً حازماً عازماً، يَسْتَصْفِر صِعَابَ الْأَمْرُور، ويَسْتَسْهُل عَظَائِمُ الْخُطُوب، ويَغْلِبُ عَلَيْهِ شَدَّةُ الْبَطْشِ وَالْمُبَادِرَة. وَهُوَ أَحَدُ فُحُولِ شُعُراءِ الْمَلُوك، وَذَوِي السَّبْقِ وَالتَّقْدِيمِ فِي مَعْانِيهِ وَبَدَائِعِهِ، حَوَى فِيهِ الْجُودَةُ وَالكَثْرَة. وَلَه دِيْوَانٌ كَبِيرٌ مِنْ شِعْرِهِ مَشْهُورٌ، فَمَنْ قَوْلُهُ [مِنَ الْوَافِرِ]:

فَإِمَّا الْمُلْكُ فِي شَرَفٍ وَعِزٍّ عَلَيَّ التَّاجُ فِي أَعْلَى السَّرَّارِ
وَإِمَّا الْمَوْتُ بَيْنَ ظُبُّا الْعَوَالِي فَلَسْتُ بِخَالِدٍ أَبْدَ الدُّهُورِ

(١) ليست في را.

(٢) تنظر ترجمة محمد بن تومرت في وفيات الأعيان ٧/١٣٦.

(٣) قوله: «بأقصى المغرب» ليست في را.

(٤) الكامل لابن الأثير ١٠/٤٥٦.

(٥) الكامل لابن الأثير ١٠/٤٤٩.

(٦) من هنا إلى نهاية الفقرة ليست في را، وقال ابن الأثير: «وَكَانَتْ وَلَيْتَهُ سَتًّا وَأَرْبَعينَ سَنَةً وَعَشْرَةً أَسْهَرَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا»، وَسَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ مِثْلُ ذَلِك.

وله في غلام اسمه مدام، من قصيدة طويلة^(١) [من المقارب]:

مُدَامٌ يَطُوفُ بِكَاسِ الْمُدَامِ
فَهَذَا الصَّدِيقُ وَهَذِي الرَّحِيقُ
وَهَذَا يَجُودُ بِالْحَاظِيَهِ^(٢)
وَمَا الْبَدْرُ وَالنَّجْمُ مِنْ ذَا وَذَاكَ

فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهُمْ أَشَرَّ بُ
وَهَذَا الْمِلَالُ وَذَا الْكَوْكَبُ
وَهَذَا بِالْبَابِنَا يَلْعَبُ
وَلَكَنَّهُ مَثَلٌ يُضَرِّبُ

وكان شميم ابن المعز^(٣) جميلاً، وسيماً، مديد القامة، دري اللون، أسماءً، أبلج. وكان يكثر من استفراغ بدنـه، ويرى أنـ بذلك تتم صحته. وكان^(٤) يستعمل كلـ حارـ من الأغذـية والأدوـية، ويـكثر الاصـطـلاء بالنـار، ويدـخل الحـمام الحـار، ويـكـثر الجـمـاع، ويـشرـب الأدوـية القـويـة، كالـمـحمـودـة وغـيرـها، ويـجاـوزـ في ذلك المـقدـار، حتـ جـفـ لـحـمـه، وفسـدـ حـركـاتـ الطـبـيعـيـة، وأـقـعـدـ، ثـ مـاتـ في مـتـصـفـ رـجـبـ من سـنةـ إـحـدىـ وـخـمـسـ مـئـةـ؛ فـكـانـ عـمـرـهـ تـسـعـاـ وـسـبـعينـ سـنةـ، وـوـلـايـتـهـ مـنـ يـوـمـ وـفـاةـ أبيـهـ ستـأـ وـأـرـبعـينـ سـنةـ وـعـشـرـةـ أـشـهـرـ وـنـصـفـاـ. وـخـلـفـ مـنـ الـأـوـلـادـ الذـكـورـ ماـ جـاـوزـ عـدـدـهـمـ المـائـةـ. وـقـيلـ: إـنـهـ كـانـ لـهـ مـنـ الـوـلـدـ وـوـلـدـ الـوـلـدـ نـحوـ ثـلـاثـ مـئـةـ.

دولة يحيى بن شميم ابن المعز ونبذ من أخباره وسيره

مولده بالمهديـةـ سـنةـ سـبـعـ وـخـمـسـينـ وـأـرـبعـ مـئـةـ^(٥)، وـولـيـ سـنةـ إـحـدىـ وـخـمـسـ مـئـةـ، وـعـمـرـهـ إـذـ ذـاكـ ثـلـاثـ وـأـرـبعـونـ سـنةـ. وـكـانـ حـاذـقاـ بـتـبـيرـ دـولـتـهـ، سـاهـراـ فـيـ سـيـاسـةـ رـعـيـتـهـ، كـثـيرـ الـمـطـالـعـةـ لـكـتـبـ السـيـرـ وـالـأـخـبـارـ، أـدـيـباـ، شـاعـراـ، ذـاـ حـظـ صـالـحـ مـنـ الـلـغـةـ وـالـعـرـبـيـةـ. وـكـانـ حـسـنـ الـوـجـهـ، أـشـهـلـ الـعـيـنـيـنـ، أـجـهـرـ الصـوتـ. وـتـوـقـيـ ثـانـيـ عـيـدـ النـحرـ

(١) «من قصيدة طويلة» ليست في ر ١.

(٢) بعده في أ: «لي» وبوجودها يختل الوزن.

(٣) «ابن المعز» ليس في ر ١.

(٤) ليست في ر ١.

(٥) الكامل لابن الأثير ٤٥١ / ١٠.

من سنة تسع وخمس مئة فجاءه مقتولاً في قصره بالمهدية، فكانت مدة ملكه ثمانين سنتين وستة أشهر. وخلف من الأولاد ثلاثين ولداً ذكوراً. وممّا حدث في أيامه من الواقع ما أذكرها^(١) ملخصاً، مؤرخة بأوقاتها^(٢).

وفي سنة اثنين وخمس مئة: فتح يحيى بن تميم قلعة أقليبة^(٣).

قال ابن القطان: كان لتميم ابن المعز من الولد نحو^(٤) ثلاثة، ففني يحيى أكبرهم إلى الشرق والمغرب والأندلس. وكانت أيام يحيى هادنةً وادعةً. وكان يطلب عمل الكيمياء، وجعل لها داراً تردها الطلبة، وأجرى عليهم الإنفاق، ومحكمتهم من الآلات.

وفي سنة ثلاثة وخمس مئة: جرد يحيى بن تميم من أسطوله خمسة عشر غراباً للغزو في بلاد الروم، فأصيب منها ستة، وعادت الباقية إلى المهدية^(٥).

وفي سنة أربع وخمس مئة: كان^(٦) بالغرب زالزل عظيمةً، دامت شهر شوال كلّه. وأمير إفريقية يحيى بن تميم ابن المعز.

وفي سنة خمس وخمس مئة: وصل سوار رسول صاحب مصر بهدية إلى أمير إفريقية يحيى بن تميم، فتلقاءه بغایة الإكرام والاهتمام، وأقام عنده حتى صرفه وأصحابه من الذخائر والألطفاف ما لا يحيط به الوصف.

وفي سنة سبع وخمس مئة: وصلت أساطل المهدية بسبعين كثیر من بلاد الروم في ربيع الآخر، فسر بذلك يحيى بن تميم وال المسلمين.

(١) في ر ١: «أذكره».

(٢) قوله: «مؤرخة بأوقاتها» ليست في ر ١، وينظر الكامل لابن الأثير ١٠/٥١٢-٥١٤.

(٣) في ر ١: «أقليمة»، وفي الكامل لابن الأثير ١٠/٤٥١: «قليبة» وكله تحريف والصواب ما أثبتنا من أنّ وهي كذلك عند البكري ٤٥، والإدرسي ١٢٥، والروض المطار ٥٢ وقال: «مدينة كبيرة على ساحل البحر بأقصى جزيرة شريك قبلي مدينة تونس، إلا أنها خربت ولم يبق منها الآن إلا قلعتها في قمة جبل، وبقية سورها القائم على الساحل ظاهر اليوم بينه وبين القلعة مسافة».

(٤) من ر ١.

(٥) الكامل لابن الأثير ١٠/٤٧٨، والغراب: نوع من السفن الحربية.

(٦) في ر ١: «كانت».

وفي سنة ثمان وخمس مئة: ولـَّ أمير إفريقيـة يحيـي ابنـَ عـَلـِيـًّا^(١) مدـِينـة سـَقـَافـُسـ، وولـَّ أخـاه عـَيـيـسى مدـِينـة سـُوسـةـ.

وفيها: هجم الرـُّومـ على مـَيـورـقةـ، هي بـِيدـ مـَبـَشـرـ الفتـَىـ مـَوـْلـَىـ ابنـَ مـَجـَاهـدـ، ودخلـوـها عـَنـوـةـ، وقتلـوا رـَجـَاهـاـ، وسبـَوـ ذـَرـارـيـهـاـ، ونسـاءـهـاـ، وذـلـكـ بـَعـدـ حـصـارـ شـَدـيدـ؛ ثـَمـ استـرـجـعـها عـَلـِيـًّاـ بنـَ يـُوسـفـ صـاحـبـ الغـَربـ والأـنـدـلسـ^(٢)ـ منـ آيـيـ الرـُّومـ وـملـكـهـ^(٣)ـ.

وفي سنة تسع وخمس مئة: وصلـ إلى المـَهـدـيـةـ رـَجـُلـانـ أوـ ثـلـاثـةـ، ذـكـرـواـ أـتـهـمـ من طـَلـبـةـ المـَصـَادـمـةـ، عـارـفـينـ بـصـنـاعـةـ الـكـيـمـيـاءـ، فـأـبـيـحـ لـهـاـ الدـخـولـ إـلـىـ دـارـ العـَمـلـ، فـلـمـّاـ أـحـكـمـاـ مـاـ أـرـادـاـ، اـسـتـأـذـنـاـ عـلـىـ السـلـطـانـ يـحـيـيـ بـنـ تـَسـيـمـ، فـقـالـ لـهـمـ: أـوـقـفـانـيـ عـلـىـ الطـَّرـحـ وـحـقـيقـةـ السـَّرـ، فـقـالـاـ: عـلـىـ أـنـ لـاـ يـحـضـرـ^(٤)ـ إـلـاـ أـنـتـ وـوزـيرـكـ فـحـضـرـ هوـ وـوزـيرـهـ وـعـبـدـهـ أبوـ خـنـوـسـ، فـصـنـعـاـ الـبـُوطـ وـأـلـقـيـاـ الرـَّصـاصـ، وـأـحـيـاـ عـلـيـهـ، وـجـعـلـاـ كـأـئـمـهـاـ يـخـرـجـانـ الإـكـسـيرـ، فـأـخـرـجـاـ خـنـاجـيـرـهـماـ وـقـتـلـاـ الـوـزـيرـ وـأـبـاـ خـنـوـسـ، وـأـكـثـرـاـ فـيـ السـلـطـانـ الـجـراـحـاتـ^(٥)ـ، فـبـقـيـ يـعـانـيـ جـراـحـهـ^(٦)ـ حـتـىـ مـاتـ. وـقـالـاـ لـهـ حـبـنـ جـراـحـهـ: أـيـهـاـ الـكـلـبـ! نـَحـنـ أـخـوـاـكـ فـلـانـ وـفـلـانـ! نـَفـيـتـنـاـ وـبـقـيـتـ فـيـ الـمـُلـكـ! وـثـارـتـ الصـيـحـةـ إـذـ ذـاكـ، فـدـخـلـ الـعـَيـيـدـ وـقـتـلـ الـرـجـلـانـ فـيـ الـحـيـنـ^(٧)ـ.

ومـاتـ يـحـيـيـ يـوـمـ عـيـدـ الـأـضـحـىـ منـ سـنـةـ تـسـعـ وـخـمـسـ مـئـةـ. وـكـانـ الـأـمـيـرـ يـحـيـيـ، مـدـدـةـ مـرـضـهـ^(٨)ـ إـثـرـ هـذـهـ النـوبـةـ وـالـغـدرـ، نـفـيـ اـبـنـهـ (أـبـاـ)^(٩)ـ الـفـتوـحـ إـلـىـ قـصـرـ زـيـادـ، وـأـظـهـرـ

(١) تـرـجـمـتـهـ فـيـ تـارـيـخـ الـإـسـلامـ للـذـهـبـيـ، فـيـ وـفـيـاتـ سـنـةـ ٥١٥ـ هـ (١١/٢٤٣ـ).

(٢) «صـاحـبـ الغـَربـ والأـنـدـلسـ»ـ منـ رـ١ـ.

(٣) لـيـسـ فـيـ أـ.

(٤) فـيـ رـ١ـ: «يـحـضـرـهـ»ـ.

(٥) فـيـ رـ١ـ: «الـجـراـحةـ»ـ.

(٦) فـيـ رـ١ـ: «يـعـانـيـهـ»ـ.

(٧) فـيـ أـ، مـ: «وـقـتـلـ الـرـجـلـانـ لـلـحـيـنـ»ـ، وـمـاـ أـثـبـتـنـاهـ مـنـ رـ١ـ.

(٨) «مـدـدـةـ مـرـضـهـ»ـ لـيـسـ فـيـ رـ١ـ.

(٩) زـيـادـ يـقـضـيـهـ صـحـةـ الـاسـمـ، وـيـنـظـرـ كـامـلـ اـبـنـ الـأـثـيـرـ (١٠/٤٧٣ـ)، وـتـارـيـخـ اـبـنـ خـلـدونـ (٦٧٥ـ)ـ وـغـيرـهـماـ.

اتهامه في القضية، فأقام^(١) هناك إلى حين وفاة أبيه ولاية على أخيه، ثم نفاه أخوه^(٢) على أيضًا إلى المشرق، فتوفي هنالك^(٣).

وفي هذه السنة: عقد الأمير يحيى نكاح العزيز بالله ابن المنصور، صاحب القلعة وبجایة، على بنته بدر الدجى، وجهزها إليه.

دولة الأمير علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بالمهدية

وبعض بلاد إفريقية^(٤)

لما توفي الأمير يحيى، اجتمع أهل الدولة على إنفاذ^(٥) كتاب إلى علي على لسان أبيه؛ وكان على^(٦) يلي سفاقس؛ فكتبه الكاتب، وكتب علامة يحيى^(٧) وكانت: «الحمد لله وحده»، فوصل الخبر إلى علي ليلًا، فخرج لوقته، فوصل إلى المهدية ثالث عيد النحر، فدفن أبوه في القصر، ودخل الناس إليه معزين ومهنيين، وعمره ثلاثون سنة، فاستتب^(٨) له الأمر، واستوسق له الملك. وكان كريماً جواداً، يركن إلى الراحة واللذات، وانكل على قوم فوض إليهم تدبير دولته، فعاجلته ميتته في ربيع الآخر من سنة خمس عشرة وخمس مئة^(٩)، فكانت دولته^(١٠) خمس سنين وأربعة أشهر واثني عشر يوماً. وخلف من الولد الذكور أربعة: الحسن، والعزيز، وبادييس، وأله.

(١) في ر ١: «فبقي».

(٢) ليست في أ.

(٣) هذه الأخبار في مقتل يحيى بن تميم وما جرى بعدها ذكرها ابن الأثير في سياق مشابه، ولكن في سنة ٢٥٠ هـ (الكامل ١٠ / ٤٧٢ - ٤٧٣).

(٤) جاء العنوان في ر ١: «دولة الأمير علي بن يحيى بن تميم وبعض أخباره».

(٥) في م: «نفذ».

(٦) ليس في ر ١.

(٧) في ر ١: «فكتب إليه كاتب أبيه بعلامته».

(٨) في ر ١: «فاستتب» وكلاهما بمعنى.

(٩) الكامل لابن الأثير ١٠ / ٥٨٨.

(١٠) في ر ١: «مدته».

وفي سنة عشر وخمس مئة: أمر بعماره الأسطول إلى جربة، فحاصروها إلى أن أفرأ أهلها بالطاعة له^(١)، ونزلوا على حكمه^(٢).

وفي سنة إحدى عشرة وخمس مئة: أرجف العوامُ بأنه سيكون في رمضانَ حادِثٌ كبيرٌ، وأنَّ السلطانَ يموت فيه، وفَشَا القولُ بذلك، وانتشر، فأكذَبَ اللهُ أحادِيَّهم. وقال الشعراة في ذلك كثيراً، فمِنْ [من الطويل]:

أَشَاعُوا أَبْسَاطِيلًا وَبَشُوا رَخَارِفًا
دَعَتْهُمْ لَهَا آمَاهُمْ وَالسَّمَاطَامُ
لَضَمَّتْكَ أَحْشَاءَ لَهُمْ وَأَصَالَعُ
فَلَوْ يَسْتَطِعُ النَّاسُ مِنْ فِرْطِ حُبِّهِمْ

ومنه [من الطويل]:

وَأَصْبَحَ قَوْلُ الْمُبْطِلِينَ مُكَذِّبًا
وَمَدَّ لَكَ الرَّحْمَنَ فِي أَمْدِ الْعُمْرِ
إِذَا مَرَ^(٣) لِلصُّوَامِ عَشْرُ مِنَ الشَّهْرِ
فَأَيْنَ الَّذِي حَدَّ الْمُنْجَمُ كَوْنَهُ

وفيها^(٤): وصل رسولُ صاحبِ مصر بهديَّة إلى المهدية.

وفيها: حاصرَ عليُّ بن يحيى مدِينةَ قايس، ودونَ بعض قبائلِ العربِ، فلما بلغ ذلك رافعاً صاحبَها، خرجَ مُتَطَارِحاً على وجوهِ الجيشِ، راغباً في الصُّلحِ، فلم يجِدْهُ عليٌّ إلى ذلك، وفي أثناءِ ذلك، نزلَ على المهديةَ بيته، ومن ساعدَه من عشيرته، فخرجَ من كانَ بالمهديَّة، فهجموا على بيته، فتصايَحَنَ نساءُ العربِ، فغارَت العربُ لذلك، ووقعتُ الحربُ بينَ الفريقيْنِ، والأميرُ على بابِ زَوِيلَةِ ثُمَّ إِنَّ علياً دونَ على رافعِ ثلاثةِ أخْمَاسِ العربِ من جيشهِ، فصمدَ رافعٌ نحوَهُمْ، والتقى الجماعانِ، ثمَ ولَّ^(٥) رافعٌ قاصداً إلى القَيْرَوانَ. واجتمعتُ شيوخُ دَهْمانَ، واقتسَمُوا البِلَادَ بينَهمْ،

(١) في ر ١: «حتى أذعن أهلها إلى الطاعة له».

(٢) الكامل لابن الأثير ١٠/٥١٤-٥١٣.

(٣) في ر ١: «عد».

(٤) في ر ١: «وفي سنة إحدى عشرة المذكورة».

(٥) في ر ١: «فولى».

فأعطوا رافعاً مدينة القيروان. ووصلت العربُ المدونةُ إلى الأمير عليّ بن يحيى، فوذهبها أموالاً جمّةً، وأمرها بالمسير إلى القيروان، فوقع بينهم وبين رافع قتالٌ شديد، كان الظهور فيه لحزب عليّ بن يحيى، في خبرٍ طويلٍ.

وفي سنة اثنتي عشرة وخمس مئة: وصل إلى الأمير عليّ بن يحيى، من قبل صاحبِ صقليةِ رجَار^(۱)، رَسُولٌ منه يلتّمِس تجديداً للعقود، وتأكيداً للعهود، ويطلب أموالاً كانت له موقفةً بالمهديّة، وذلك بعنفٍ وغلظة، فرداً على رسوله دون جواب، وجَبه بالقول؛ فتزايَدت الوحشةُ بينه وبين رجَار، فأوسع شرّاً، وحاوَلَ بعد ذلك مكْرراً^(۲).

قال ابن القَطَان: وكان في هذه السنة غلاءً عظيمً، ووباءً، وبلغ رُبع الدقيق بـ١٠٠ درهماً.

وفي سنة ثلث عشرة وخمس مئة: أغزى إبراهيمُ بن يوسف أخوه عليّ^(۳) بن يوسف بن تاسفين، ملكَ الغرب، قورياً^(۴) بالأندلس، ففتحها اللهُ عليه. وأمير إفريقية عليّ بن يحيى بن تميم.

وفي سنة أربع عشرة وخمس مئة: كانت وقعةً بالأندلس، انهزم فيها المسلمون، وهي وقعة قُنْدَة^(۵)، قال ابن القَطَان: مات فيها نحو عشرين ألفاً^(۶). وفيها: كان حلوُّ محمد^(۷) بن تُورَّت المُتَلَقّب بالمهديّ بأئمّات، مُحرّضاً على الخروج على السلطان، وتفريق الكلمة المُتَنَظِّمة.

(۱) له ترجمة جيدة في الوافي للصفدي ١٤ / ١٠٥ فما بعد، والضبط منه ومن را.

(۲) في را: «غدراً».

(۳) ترجمة علي في وفيات سنة ٥٣٧ من تاريخ الإسلام ١١ / ٦٣٧.

(۴) ينظر عنها معجم البلدان ٤ / ٤١٢.

(۵) الكامل لابن الأثير ١٠ / ٥٨٦.

(۶) من استشهد فيها من العلماء المحدث المشهور القاضي أبي علي الصدفي الذي ألف ابن الأبار «المعجم» في أصحابه، وكان من العلماء العاملين المجاهدين.

(۷) من را.

وفي سنة خمس عشرة وخمس مئة: خرج عليٌّ بن يوسفَ من مَرَاكِش إلى الأندلُس، فوصلها في ربيع الأول، وأخْرَى ابن رُشد عن القضاء، وولَّ أبا القاسم بن حَمْدِين، ثُمَّ رجع إلى مَرَاكِش.

وفيها: تُوْفيَ أمير إفريقيَّة عليٌّ بن يحيى بن تَمِيم ابن المعز^(١).

دولة الأمير الحَسَن بن عليٍّ بن يحيى بن تَمِيم ابن المُعَز بِإفريقيَّة^(٢)

كان أبوه فَوَضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ فِي حَيَاتِهِ، وَعُمُرُهُ اثنتَا عَشَرَةَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرَ، وَمُولُودُهُ بِمَدِينَةِ سُوْسَةَ فِي رَجَبِ سَنَةِ اثْتَيْنِ وَخَمْسِ مِئَةٍ. فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ، دَخَلَ النَّاسَ إِلَيْهِ مُهْنَئِينَ بِالْمُلْكِ وَمُعَزِّينَ بِالْوَفَاءِ^(٣)، وَأَنْشَدَتْهُ الشَّعْرَاءُ، وَتَكَفَّلَ بِأَمْرِ دُولَتِهِ صَنْدُلُ الْخَادِمُ، لَا لِمَعْرِفَةٍ وَلَا سِيَاسَةٍ.

وفي سنة ست عشرة وخمس مئة: غزا أبو عبد الله بن مَيْمُون، قائدُ عليٍّ بن يوسف، مَلِكِ الْبَرَّيْنِ^(٤)، جَزِيرَةَ صِقْلَيَّةَ، فَاقْتَطَعَ بِهَا مَدِينَةَ سَقْوَطْرَه^(٥) مِنْ عَمَلِ رُجَارِ صَاحِبِ صِقْلَيَّةِ^(٦)، وَسَبَى نِسَاءَهَا وَأَطْفَالَهَا، وَقُتِلَ رِجَالُهَا^(٧)، وَسَلَبَ جَمِيعَ مَا وَجَدَهُ^(٨) فِيهَا، فَلَمْ يَشَكْ صَاحِبُ صِقْلَيَّةَ أَنَّ الْمُحَرَّكَ لِذَلِكَ وَالْمُسَبِّبَ لَهُ هُوَ أميرُ إفريقيَّةِ الحَسَنِ بْنُ عَلَيٍّ؛ لَمَّا تَقدَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ مِنَ الْوَحْشَةِ الْعَظِيمَةِ، فَاسْتَنْفَرَ أَهْلَ^(٩) بِلَادِ الرُّومِ قَاطِبَةً، فَالْتَّأَمَ لَهُ مَا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ كثِرَةً. فَعَلِمَ بِذَلِكَ الحَسَنُ بْنُ عَلَيٍّ^(١٠)، فَأَمْرَ بِتَشْيِيدِ الْأَسْوَارِ،

(١) «ابن المعز» من ر١.

(٢) جاء في العنوان في ر١: «دولة الأمير الحسن بن علي بن يحيى وبعض أخباره».

(٣) في أ، م: «مهنيين ومعزين بالملك والوفاة»، وما أثبتناه من ر١ وهو أجود.

(٤) «ملك البررين» ليست في ر١.

(٥) في أ: «سقطرة»، وفي م: «نقطرة».

(٦) «من عمل رجار صاحب صقلية» ليست في ر١.

(٧) في أ: «شيوخها».

(٨) في ر١: «وجد».

(٩) ليست في ر١.

(١٠) «بن علي» ليست في ر١.

والتَّخَادُ الأَسْلَحة، وَحَسْدُ الْقَبَائِل، وَاسْتِقدَام^(١) الْعَرَب، فَجَاءَتِ الْحَشُودُ مِنْ كُلَّ جَهَةٍ وَمَكَانٍ، وَالنَّاسُ مُتَاهِبُونَ لِمَا يَطْرُقُهُمْ مِنْهُم^(٢).

وَفِي سَيِّنَةِ عَشَرَةِ وَخَمْسِ مِئَةٍ: فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْأُولَى، وَصَلَّتْ أَسْطُولُ الرُّوم^(٣) إِلَى جَزِيرَةِ الْأَحَاسِي^(٤)، وَخَرَجَ مِنْهُمْ إِلَى الْبَرِّ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَانْبَسَطُوا حَتَّى بَعُدُوا عَنِ الْبَحْرِ أَمِيَالًا. وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي، جَاءَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ شَيْئًا، فَعَايَنُوا الْعَسَاكِرَ وَالْحَشُودَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ، فَوَجَدُوا الْعَرَبَ قَدْ كَشَفُوا مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الرُّومِ عَنِ مَوَاضِعِهِمْ، وَمَزَّقُوا مَضَارِبَهُمْ، فَقَوَيْتُ نُفُوسُ الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ. وَكَانَ رُجَّارٌ قَدْ أَمَرَ أَسْطُولَهُ أَنْ يَدْخُلَ^(٥) تِلْكَ الْجَزِيرَةَ، وَيَأْخُذَ^(٦) قَصْرَ الدِّيَاسِ، وَأَنْ يَسِيرَ الْخَيْلُ وَالرَّجُلُ مِنْ هَنَاكَ عَلَى تَبَعَّةِ فِي الْبَرِّ^(٧) إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، فَدَخَلُوا الْقَصْرَ لِلَّيْلَتَيْنِ خَلَّتَا مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، وَفِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ، كَبَرَ الْمُسْلِمُونَ، وَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَانْزَمَ الرُّومُ إِلَى أَجْفَانِهِمْ، بَعْدَمَا قَتَلُوا بِأَيْدِيهِمْ كَثِيرًا مِنْ خَيْوَهُمْ. وَأَخْذَ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ نَحْوَ أَرْبَعِ مِئَةٍ فَرْسٍ، وَآلاتٍ كَثِيرَةٍ، وَأَسْلَحَةٍ. وَأَحَاطَتِ الْعَسَاكِرُ بِقَصْرِ الدِّيَاسِ، تُقَاتِلُهُ، وَأَهْلُ الْأَسْطُولِ فِي الْبَحْرِ يَعَايِنُونَ ذَلِكَ، إِلَى أَنْ طَلَبَ الرُّومُ الْأَمَانَ مِنَ السُّلْطَانِ الْحَسِنِ بْنِ عَلَيٍّ بْنِ يَحْيَى بْنِ تَمِيمٍ، فَلَمْ تُسَاعِدِ الْعَرَبُ عَلَى ذَلِكَ، وَخَرَجُوا فِي مُتَّصَفٍ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَأَخْذَتِهِمُ الْسَّيْفُ، وَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ. وَكَانَ عَدْدُ الْأَجْفَانِ نَحْوَ ثَلَاثِ مِئَةٍ، وَعَدْدُ الْخَيْلِ فِيهَا نَحْوَ أَلْفِ فَرْسٍ^(٨).

(١) فِي ر١: «وَسَوق».

(٢) الْكَاملُ لابنِ الْأَثِيرِ / ١٠ - ٦١٢ - ٦١١.

(٣) فِي أَ، م: «الإِفْرَنج».

(٤) يَنْظَرُ عَنْهَا الرُّوضُ الْمَعْتَارُ ١٤.

(٥) فِي ر١: «بَدْخُول».

(٦) فِي ر١: «وَأَخْذ».

(٧) «فِي الْبَرِّ» لِيُسْتَ فِي ر١.

(٨) فِي أَ، م: «فَارِس».

أَخْبَرَ أَبُو الصَّلْتَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلَى
بَابِ رُجَارِ بِصِقْلِيَّةِ رَجُلًا مِنَ الْإِفْرَنجِ، طَوِيلَ الْلَّحِيَّةِ، يَتَنَاهُ طَرَفُ لَحِيَتِهِ بِيَدِهِ، وَيُقْسِمُ
بِالْإِنْجِيلِ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ مِنْهَا شَعْرَةً حَتَّى يَأْخُذَ ثَأْرَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَهْدِيَّةِ. فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقَيْلَ لِي:
إِنَّهُ، لَمَّا انْهَزَمَ، جَذَبَ بِهَا حَتَّى أَدْمَأَهُ. إِلَى هَنَا انتَهَى كَلَامُ أَبِي الصَّلْتَ فِي أَخْبَارِ الْمَهْدِيَّةِ
وَأَمِيرِهَا الْحَسَنِ بْنِ عَلَيٍّ بْنِ يَحْيَى بْنِ تَمِيمٍ إِلَى سَنَةِ سِبْعَ عَشَرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ.

وَبَقَى الْحَسَنُ بْنُ عَلَيٍّ مَالِكًا لِلْمَهْدِيَّةِ وَبِلَادِ تَلْكَ الْجَهَاتِ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثَ وَأَرْبَعِينَ
وَخَمْسَ مِائَةٍ، ثُمَّ خَرَجَ بِاسْتِيلَاءِ صَاحِبِ صِقْلِيَّةِ عَلَيْهَا.

وَفِي سَنَةِ ثَمَانَ عَشَرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ: اسْتَفْحَلَ أَمْرُ الْمَهْدِيِّ وَالْمُوَحَّدِينَ بِالْغَرْبِ،
وَأَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةِ الْحَسَنُ بْنُ عَلَيٍّ بْنِ يَحْيَى.

وَمَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ، صَاحِبُ بِجَایَةِ، وَوَلِيُّ ابْنِهِ يَحْيَى^(۱). وَكَانَ
لِبْنِي النَّاصِرِ بْنِ عَلَيَّنَاسَ بْنِ حَمَّادَ بِبِجَایَةِ وَالْقَلْعَةِ وَتَلْكَ الْبَلَادِ وُزَّارَاءُ يُعْرَفُونَ بِبَنِي
حَمْدُونَ، تَوَارَثُوا وَزَارَتْهُمْ، مِنْهُمْ مَيْمُونُ بْنُ حَمْدُونَ عِنْدَ يَحْيَى هَذَا، فَنَشَأَ لِيَحْيَى
وَلَدٌ وَلَاَهُ الْأَمْرُ بَعْدِهِ وَفَوَّضَ الْأُمُورَ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، فَجَعَلَ الْوَلْدَ يُسْتَنْقَصُ^(۲) الْوَزِيرُ
مَيْمُونًا، وَيُقْبَحُ أَفْعَالَهُ، وَيُسَمِّيَ الشَّيْخَ الْكَذَابَ، فَخَافَ مِنْهُ مَيْمُونٌ عَلَى نَفْسِهِ،
وَخَاطَبَ أَبَا مُحَمَّدَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ.

وَفِي سَنَةِ تَسْعَ عَشَرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ: كَانَ أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةِ الْحَسَنُ بْنُ عَلَيٍّ عَلَى حَالِهِ. وَخَرَجَ
الْطَّاغِيَّةُ ابْنُ رُدَمِيرٍ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ^(۳)، فَدَوَّخَهَا بِلَدًا بِلَدًا، وَضَيَّقَ عَلَيْهَا.

وَفِي سَنَةِ عَشَرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ: اجْتَمَعَتْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ، فَتَلَاقَوْا
مَعَ عَدُوِّ اللَّهِ ابْنِ رُدَمِيرٍ، وَكَانَ قَدْ أَذَاقَ الْمُسْلِمِينَ شَرًا^(۴) مُدْسِنِينَ، فَدارَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ
حَرْبٌ عَظِيمَةٌ، كَانَ الظَّفَرُ فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ أَخْبَرَ النَّاسُ أَنَّ مَيْمُونًا رَجَعَ فَارِّاً بِنَفْسِهِ،
فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ، وَرَكِبُوهُمُ النَّصَارَى بِالْقَتْلِ، وَاحْتَوَوْا عَلَى الْمَحْلَةِ بِمَا فِيهَا. وَسَارَ تَمِيمٌ إِلَى

(۱) يَنْظَرُ نَهَايَةُ الْأَرْبَ لِلنَّوِيرِيِّ ۲۴/۱۳۹.

(۲) فِي رِ ۱: «يُسْتَنْقَصُ»، وَهُوَ وَجْهٌ.

(۳) لَيْسَ فِي أَ، مَ.

(۴) فِي رِ ۱: «أَضَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ».

غَرْنَاطَة، وانبسطت خِيلُ النصارى عَلَى الْمُسْلِمِينَ، يقتلوهُمْ كَيْفَ شَأْوُوا. وَتَفَرَّقَ النَّاسُ أَيْدِي سَبَا، وَلَجُوا إِلَى الْمَعْاْلِ، وَكَانَتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّهُمْ^(١).

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَقِيلَ: فِي عَشْرِينَ: نَهْضَابُو التَّولِيدِ بْنِ رُشْدٍ إِلَى مَرَّاكِشِ لِلْاجْتِمَاعِ بِعَلَيِّ بْنِ يَوسُفِ فِي الْمَصَالِحِ وَعَزْلِ تَمِيمٍ عَنْ غَرْنَاطَةِ.

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ: أَشَارَابْنُ رُشْدٍ بِبَنَاءِ سُورِ مَرَّاكِشِ، فِي بَنَاءِ عَلَيِّ بْنِ يَوسُفِ، وَأَنْفَقَ فِيهِ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وَفِيهَا: بَعْثَ العَزِيزَ بْاللهِ ابْنَ الْمُنْصُورَ صَاحِبَ بِجَاهِيَّةِ عَسْكَرَى إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، قَوَادَ عَلَيْهِ ابْنَ الْمُهَلَّبِ، فَنَزَلَ عَلَيْهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ نَاكِصًا عَلَى عَقِيبِهِ.

وَفِيهَا: وَصْلُ مُطَرَّفِ بْنِ عَلَيِّ بْنِ حَزْرُونَ الزَّنَاتِيِّ إِلَى تُونِسِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِالْحَقِّ بْنِ حُرَّاسَانَ، وَقَفَّلَ إِلَى الْحِجَازِ، وَبَهَا مَاتَ عَلَى مَا يُأْتِي. وَوَلَى تُونِسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَرَامَةُ ابْنِ الْمُنْصُورِ الصُّنْهَاجِيُّ مِنْ قِبَلِ صَاحِبِ بِجَاهِيَّةِ.

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ: كَانَ الْأَمِيرُ إِلَيْفَرِيقِيَّةِ حَسَنُ بْنُ عَلَيِّ، عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي السَّنَةِ قَبْلَهَا، وَصَاحِبُ بِجَاهِيَّةِ يَحْيَى بْنِ الْعَزِيزِ بْاللهِ، وَوَزِيرُهُ مَيْمُونُ بْنُ حَمْدُونَ.

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعَ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ: قُتِلَ الْأَمِيرُ مِصْرَ الْمُلَقَّبُ بِالْآمِرِ، وَكَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا، قُتِلَ الْغَلَامُ الَّذِي اسْمُهُ حِرْزُ الْمُلُوكِ، وَكَانَ اسْتَبْدَ بِالْوِزَارَةِ لَهُ. وَكَانَ الْآمِرُ وَلَى عَهْدَهُ عَبْدُ الْمُجِيدِ^(٢).

وَفِي سَنَةِ سِبْعَ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ: قَالَ الْوَرَاقُ فِي «مِقْبَاسِهِ»: بَعْثَ اللهُ قَوْمًا تَحَالِفُوا عَلَى قُتْلِ الْجَبَّارِ العَنِيدِ بِمِصْرِ الْمُلَقَّبِ بِالْآمِرِ. قِيلَ: إِنَّهُمْ قَصْدُوا إِلَيْهِ مِنْ بَلَادِ الشَّامِ، احْتَسَابُوا، وَكَانُوا عَشْرَةُ أَنَاسٍ، فَأَقَامُوا بِمِصْرَ، وَعَلِمُوا يَوْمَ رُكُوبِهِ، وَكَانَ، إِذَا رَكَبَ، سُدَّتِ الْحَوَانِيَّةُ وَالْدِيَارُ فِي مَمَّرَّهُ، وَلَا يَمُرُّ فِي طَرِيقِهِ أَحَدٌ سُواهُ، وَيَجْعَلُ نِصْفَ عَسْكَرِهِ أَمَامَهُ، وَنِصْفَهُ وَرَاءَهُ، وَفِي وَسْطِ تَلْكَ الْمَسَافَتَيْنِ الَّتِي أَمَامَهُ وَخَلْفَهُ فَارِسَانِ،

(١) فِي ر١: «فَسَلَمُوا» بَدَلًا مِنْ عَبَارَةِ: «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّهُمْ»، وَيَنْظَرُ كَامِلُ ابْنِ الْأَثِيرِ ٦٣١ / ١٠.

(٢) يَنْظَرُ كَامِلُ لَابْنِ الْأَثِيرِ ٦٦٤ - ٦٦٥ / ١٠.

بينها وبينها ما بينها وبين العسكر، وحوله أربعة من عيده. فقصد هؤلاء القوم إلى طريقه، وفيه فرن، فقصدوا إلى الفران، ومعهم دقيق، وقالوا له: نريد منك أن تخذلنا هذا الدقيق، فإنّا قومٌ غرباءٌ مسافرون. فاعتذر لهم بالسلطان، فرغبوه، وشرط عليهم في العجلة، ثم أشغلوه بالحديث إلى أن مرّ عليه مقدّم العسكر الأوّل، فأعنت عليهم في الخروج، فلما رأوا ذلك، أدخلوه داخل الفرن وسدوا فمه بقطائه، وغلقوا باب الفرن عليهم، إلى أن سمعوا حوافي فرسه، فأوّل من خرج من الفرن كهل منهم، فجعل يسجد إلى الأرض، وينادي^(١): «أنا بالله وبعدل مولانا!» ويُسجد مرّةً بعد أخرى إلى أن ألقى بيده في شکائم الفرس، وأخرج سكيناً، وضرب بها بطن الفرس، فسقط إلى الأرض، وخرج أصحابه من الفرن مبادرين، فضربوه بسلاسلٍ ينتمي إلى أن فرغوا من قتله، وقتلوا في الحين أجمعين. وأراح الله من الفاجر الطاغي، وهو الذي كثُر^(٢) في زمانه دعوى الباطل ونصر الظالم^(٣)، وعمل جهنّم يعذّب فيها الناس، وأباح المحظورات جهاراً في التزاهات، وغير ذلك من قبائحهم - لعنهم الله، أعني الشيعة العبيدية.

وفي سنة ثمان وعشرين وخمس مئة: كان ولاة إفريقية على ما كانوا عليه في السنة قبلها.

وفي سنة تسع وعشرين وخمس مئة: صرخ المُوحّدون بموت المَهْدِي، وسمّوا عبد المؤمن بأمير المؤمنين.

وفيها: ولّي قضاء فاس عبد الحق بن عبد الله بن معيشة، فأراق الخمر، وكسر الدنان، وشدّد على أهلها، وزاد في الجامع الكبير، فكان البناء فيه في آخر هذه السنة.

وفي سنة ثلاثين وخمس مئة: نزل عليُّ بن حمود على المهدية، بعسكرٍ من قبل صاحب بجاية العزيز ابن المنصور، ومال برسم العرب. فنزل بظاهر زويلة، وناشب القتال براً وبحراً؛ فأخرج إليهم صاحب المهدية أسطوله، فأخذوا من أسطول بجاية غرائب، وأمر بسجن قائدهما، فأماماً الواحد، فمات من سهم أصابه. ثم وصلت العرب

(١) سقطت من ر١.

(٢) في م: «أكثر».

(٣) من هنا إلى ثلاث صفحات قادمة سقطت من ر١، وسأشير هناك إلى نهاية السقط.

لنصرة المهدية، فرحل عسکر بجاية عن المهدية بعد إقامته سبعين يوماً. وأمر الحسن بن عليّ قائده بقتل القائدين، فُقتل أحدهما بين يديه، وُجِدَ الآخر قد مات من سُهْمٍ كان أصابه. وفيها: جَهَزْ رُجَارْ صاحبِ صِقلِيَّةً أَسْطُولًا، فقصدوا جزيرةَ حَرْبة، واستولوا عليها، وسبوا أهلها.

وفي سنة اثنين وثلاثين وخمس مئة: كان موت عبد المَجِيد صاحب مصر^(۱). وكان للشيعة في تولية خليفة عليهم خبر طريف، يُذكَرُ في موضعه.

وفي سنة ست وثلاثين وخمس مئة: توفي أبو عبد الله المازريُّ، وأبو الصَّلت.

وفيها: أخذ صاحب المَهْدِيَّة المركب الذي أنشأه صاحب بجاية، وبعثه بهدية إلى صاحب مصر؛ وسبب ذلك: أنَّه كان في الإسكندرية مركبُ للحسن صاحب المهدية، عطَّله عن السفر صاحب الديوان؛ لأنَّه سعى في الشَّتَّات بين الحسن وبين صاحب مصر، وقصد المواصلة بين صاحب مصر وصاحب بجاية، فأفلعت المراكب، وبقي هو محبوساً. وأفلع في جملتها المركب البجائي بضائعَ عظيمةٍ لها شأنٌ، وأثنان للتجار، وهدية إلى صاحب بجاية، فعمل عليه الحسن، وأخذَه، وأمرَ بتفریغه، وبقي المركب فارغاً حتى جاءت صدمةُ أكتوبر، فانكسر.

وفي هذه السنة: خرج جُرجي من صِقلِيَّةٍ في خمسةٍ وعشرين غُراباً، وضرب على مَرسى المهدية، فأخذ جميعَ ما كان فيه من المراكب، فيه مركبُ جديدٌ أنشأه الحسن من خشب المركب الذي انكسر لصاحب مصر.

وفي سنة سبع وثلاثين وخمس مئة: خرج أَسْطُول صاحب صِقلِيَّة، فضرب على مدينة أَطْرَابُلُس، فخَيَّبه الله^(۲).

وفي سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة: دَخَلَ مدينة سَفَاقُس، ودخلت في عمل رُجَار صاحب صِقلِيَّة.

(۱) هكذا قال، وعبد المجيد هو الحافظ، وكانت وفاته سنة ۵۴۴هـ. كما هو مشهور (الكامن لابن الأثير ۱۱/۱۴۱، واعظام الحنف ۳/۱۸۹، وغيرهما).

(۲) ينظر الكامن لابن الأثير ۱۱/۹۱.

وفي سنة ثلاثة وأربعين وخمس مئة: كان تغلب الروم على مدينة المهدية، وخرج منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المُعَز بن باديس ابن المنصور بن بلجّين بن زيري بن مناد بن منقوش الصنهاجي بحملته وحاشيته، وتبّعه أهل البلد فارّين بأهليهم. وكان قائداً رجّاراً صاحب صقلية جرجي^(١) بن ميخائيل الأنطاكي، وكان أبوه علّاجاً من علّاج أبيه تميم، فكان هذا اللعين عارفاً بعورات المسلمين بالمهدية وغيرها، فلم يزل رجّاراً قائداً جرجي يحيّلان على المهدية بحيلتها، إلى أن استولوا عليها في هذه السنة. وتُعرف هذه الكائنة الشناع بـكائنة يوم الاثنين، وبقيت بأيدي الروم حتى افتحتها الموحدون، على ما ذكر في دولتهم. ولما استولى صاحب صقلية على هذه المدينة، كانت بإفريقية مجاعة عظيمة، فخاف أهل تونس من أهل هذه السواحل من النصارى. وكان صاحب صقلية افتح سفاقس، ودخل بونة، وسبى أهلها، فأخذ أهل تونس في الاستعداد والأبهة والوقوف بجماعاتهم وقتاً بعد وقتٍ عند باب البحر، بمحضر واليهم معد ابن المنصور، وهو في الديوان الذي على الباب، فخرجوا يوماً من أيام عرضهم، فوجدوا قارباً يوصق زرعاً، فأبكرت العامة خروج الزرع من بلدتهم في تلك الشدة إلى موضع تحت مملكة الروم، واجتمعوا على منعه، وضجّت العامة، وارتفع صياحُهم، فعرّض لهم رجال معد ابن المنصور، فوضعوا السلاح فيهم وفي عيده معد واليهم، وقتلواهم قتلة شنيعة، وأطلقوا النار تحت برج الديوان، فنزل معد عنه، واستسلم للعامة، فوقفوا عنه، فكانوا يأخذون رجاله وعيده من تحت ركباه، ويقتلونهم. وبقي معد بعد ذلك بتونس على حال قهرٍ من العامة، وكتب إلى بجاية، فجاءه غرّابٌ منها، فطلع فيه مع بنيه، وسار إلى بجاية. ورجع النظر في تونس لقائد من قواد صنهاجة مدة يسيرةً، ثمّ انصرف، وبقي البلد في حكم العامة، فكانت الفتنة المشهورة فيهم، والقتال بين أهل باب السويفة وأهل باب الجزيرة، ومدبرهم في تلك المدة قاضيهم أبو محمد عبد المنعم ابن الإمام أبي الحسن، رحمه الله.

ولما اشتدَّ خوفُ أهل تونس من صاحب صقلية وممّا سمعوه من غضبِ صاحب بجاية واستعدادِه لهم، أخذوا في تملّك محمد بن زياد العربي بإرادة قاضيهم،

(١) له ذكر في اعتراض الحنفأ / ٣٨٨.

فلما عزموا على ذلك، ووصل ابن زيد إلى تونس، وخرج القاضي والأشياخ إلى لقائه، صاح رجلٌ من العامة: «لا طاعة لعربيٍ ولا غزيٌ!» وقامت الفتنة، فرجع ابن زيد إلى القلعة، وأراد القاضي الرجوع إلى المدينة، فمنعته العامة وأخرجه، فسار مع ابن زيد إلى القلعة، وأقام بها مدةً طويلةً، إلى أن مات، رحمه الله، فيقال: إنَّه كان راقدًا في الصيف في طاقِ علوٍ فوقع منها ومات، ويُقال: إنَّه رُميَ منها.

ثمَّ إنَّ العامة وجهاهوا إلى أبي بكر بن إسماعيل بن عبد الحقِّ بن خراسان، فوصل إلى تونس بالليل^(١)، فرفع في قبة من السُّور وؤيَّ تونس، فأقام عليها نحو سبعة أشهر، ثمَّ غدرَ به عبد الله ابن أخيه عبد العزيز، على ما يأتي. وإذا قد وقع ذُكرُبني خراسان، فادْكُرْ ولايتهم مدينة^(٢) تونس على النسق، ومن ولتها من غيرهم، إلى دخول المُوحدين إليها، بحول الله تعالى^(٣).

ذكر من ولَيَ تونس من الأمراء من بعد زوال مُلك المُعزِّ بن باديس منها

لَمَّا انتقلَ المُعزِّ بن باديس^(٤) من الفَيْروان والمتصوريَّة إلى مدينة المهدية، وأسلمهَا إلى العرب^(٥)، واحتلَّ مُلكُه بفتنة العرب الواثليين من المشرق، كما تقدَّم، واستحوذوا على كثيرٍ من حواضر إفريقيَّة، وكانَ منهم في حصار تونس وما يليها من الْبُلُدان ما كانَ، مثلَ باجة والأربُس وما يليهما، وكانَ بنو حمَّاد قد طمعوا في مُلك إفريقيَّة، وصارت عمالُ الفَيْروان في أيديهم مُدَّةً بمُداخلتهم العرب وإحسانهم إليهم، وانقطعَ مُلك المُعزِّ عن تونس وغيرها، وضفت دولُهم بالمهديَّة عن حمايتها، مَشَى^(٦)

(١) إلى هنا انتهى السقط من ر ١.

(٢) من ر ١.

(٣) خبر تغلب الروم على المهدية في كامل ابن الأثير ١٢٥-١٥٩ / ١١ باختلاف ملحوظ.

(٤) ليست في أ، م.

(٥) في ر ١: «وأسلما ذلك للعرب».

(٦) في أ، م: «فمشى».

أَشِيَّخُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَى النَّاصِرِ بْنِ عَلَنَّاسَ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ فِي الْقَلْعَةِ دَارِ مُلْكِهِمْ، وَنَاظِمِهِ
سَلْكِهِمْ، فَاسْتَدْعُوا مِنْهُ النَّظَرَ إِلَى مَدِينَتِهِمْ وَتَقْدِيمِهِمْ وَالِّيْ مِنْ قِبَلِهِ عَلَيْهِمْ، فَأَمْرَهُمْ أَنْ
يَخْتَارُوا شِيَخًا مِنْهُمْ، يَقُولُ بِأَمْرِهِمْ خَلَالَ مَا يَنْظَرُ إِلَيْهِمْ. فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ رَامُوا تَقْدِيمَ
كَبِيرٍ مِنْهُمْ، فَاسْتَعْفَى وَتَوَقَّفَ. فَوَلِيهَا مِنْ قِبَلِ النَّاصِرِ عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
خُرَاسَانَ، فَأَقَامَ بِهَا وَالِّيَّا إِلَى أَنْ ماتَ سَنَةً ثَمَانِيْنَ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعَ مِائَةً، ثُمَّ وَلَيْهَا بَعْدَهُ وَلَدُهُ
عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ ماتَ فِي^(١) سَنَةِ خَمْسَ مِائَةً، ثُمَّ وَلَيْهَا وَلَدُهُ
أَحْمَدَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ، فَبَقِيَ وَالِّيَّا عَلَيْهَا اثْتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، حَتَّىْ أَخْرَجَهُ
عَنْهَا^(٢) مُطَرَّفُ بْنُ عَلَيِّ بْنِ حَمْدُونَ إِلَى بِجَاهِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ بَنَى قَصْرًا بِتُونِسِ، سُمِّيَّ
قَصْرَ بْنِي خُرَاسَانَ، وَطَالَتْ مَدْدُهُ كَمَا ذَكَرْنَا، فَاشْتَدَّ وَطَائِهُ، وَخَرَجَ عَنْ سِيرَةِ
الْأَشِيَّخِ إِلَى آثارِ جَبَابِرَةِ الْمُلُوكِ، وَقُتِلَ عَمَّهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ، وَكَانَ أَحَقُّ مِنْهُ
بِالْإِمْرَةِ. وَفَرَّ وَلَدُهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْمَاعِيلٍ إِلَى بَتْرُزَتْ^(٣)، فَأَقَامَ بِهَا خَوْفًا مِنْهُ، وَأَخْرَجَ
جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ تُونِسِ وَأَشِيَّخَهَا^(٤)، وَنَفَاهُمْ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ فِي أُمُورِ
تُونِسِ، إِلَى أَنْ وَصَلَتْ أَخْبَارُهُ إِلَى الْمُنْصُورِ صَاحِبِ بِجَاهِيَّةِ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا قَدَمَ عَلَيْهِ
مُطَرَّفُ بْنِ عَلَيِّ بْنِ حَمْدُونَ، فَوَصَلَ إِلَى تُونِسِ عَامَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةً، فَخَرَجَ
أَحْمَدُ إِلَيْهِ، وَاسْتَسْلَمَ فِي يَدِيَّهِ، فَنَقَلَهُ إِلَى بِجَاهِيَّةِ، وَوَلَى تُونِسَ كَرَامَةَ ابْنِ الْمُنْصُورِ، مِنْ بَنِي
حَمَادَ، إِلَى أَنْ ماتَ فِي^(٥) سَنَةِ كَذَا وَخَمْسَ مِائَةً. ثُمَّ وَلَيْهَا بَعْدَهُ أَخُوهُ أَبُو الْفُتوْحِ ابْنِ
الْمُنْصُورِ، إِلَى أَنْ ماتَ، ثُمَّ وَلَيْهَا بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفُتوْحِ، فَلَمْ تُسْتَحْسِنْ سِيرَتُهُ،
فَأُخْرَجَ عَنْهَا، وَوَلَيْهَا مَعْدُونَ بْنُ الْمُنْصُورِ، وَكَانَ آخِرَهُمْ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا إِلَى سَنَةِ ثَلَاثَ
وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةً، حِينَ اسْتِيَالَ الرُّومُ عَلَى الْمَهْدِيَّةِ، فَخَافَ أَهْلُ تُونِسِ مِنَ الرُّومِ^(٦)،

(١) لَيْسَ فِي ر١.

(٢) فِي ر١: «مِنْهَا».

(٣) انْظُرْ عَنْهَا مَعْجَمَ الْبَلْدَانِ ٤٩٩ / ١.

(٤) فِي ر١: «وَأَشِيَّخَهُمْ».

(٥) لَيْسَ فِي ر١.

(٦) فِي أ١، م: «مِنْهُمْ».

وثاروا على أميرهم مَعْدَ، كُمَا تَقْدَمَ، وثارت العَامَّة بِهَا، وَكَانَتِ الْفَتْنَةُ الْمُشْهُورَةُ فِيهَا. ثُمَّ إِنَّهُمْ وَجَهُوا إِلَى بَنْزُرْتَ، وَقَدَّمُوا أَبَا بَكْرَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ، ثُمَّ غَدَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ إِقَامَتِهِ فِي وَلَايَتِهِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، وَأَخْرَجَهُ فِي قَارِبٍ فِي الْبَحْرِ، فَرَمَاهُ الْبَحْرُ مِنْتَأَّ عِنْدَ قَلْعَةِ ابْنِ غَبُوشَ. فَيُقَالُ: غَرِيقٌ، وَيُقَالُ: غُرِيقٌ. فَوْلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ الْمَذْكُورُ نَحْوَ عَشْرِ سَنِينَ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْقَاضِي أَبَا الْفَضْلِ جَعْفَرَ بْنَ حُلْوَانَ، وَقُتِلَ مَعَهُ وَلَدُهُ وَوْلَدُ أُخْتِهِ ابْنِ الْبَنَادِ؛ لَمَّا خَشِيَ أَنْ يَجْمِعُوا عَلَيْهِ الْعَرَبُ.

وَفِي أَيَّامِهِ، وَجَهَ عَبْدُ الْمُؤْمِنَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سُلَيْمَانَ فِي قِطْعَةِ أَسْطُولٍ سَبْتَةَ، وَأَمْرَهُ بِالْكَشْفِ عَنْ تُونِسِ وَقَوْتَهَا وَالْمُجَاوِرِينَ لَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ، وَبَعْدَ ذَلِكِ بِعَامٍ، وَصَلَ السَّيِّدُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ إِلَى تُونِسَ، وَنَازَلَهَا وَحَاصَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خُرَاسَانَ فِيهَا مَدَّةً، ثُمَّ أَقْلَعَ عَنْهَا إِلَى بَجَائِيَّةِ، وَذَلِكَ فِي^(١) سَنَةِ ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِيْنَ مِئَةً.

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِيْنَ مِئَةً فِي شَوَّالٍ: كَانَ الْقِيَامُ عَلَى النَّصَارَى بِالْمَهْدِيَّةِ وَحَصَارُهُمْ فِيهَا.

وَفِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِيْنَ مِئَةً: اسْتَوْلَتِ الرُّومُ عَلَى زَوِيلَةِ.

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِيْنَ مِئَةً: دَخَلَ عَبْدُ الْمُؤْمِنَ إِفْرِيقِيَّةَ، الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ، وَنَازَلَ تُونِسَ، ثُمَّ أَقْلَعَ عَنْهَا وَحَاصَرَ النَّصَارَى بِالْمَهْدِيَّةِ^(٢).

وَفِي سَنَةِ خَمْسَ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِيْنَ مِئَةً: دَخَلَ أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدُ الْمُؤْمِنَ مِنْ مَدِينَةِ الْمَهْدِيَّةِ صُلْحًا، وَاسْتَوْلَى الْمُؤْمَنُونَ عَلَيْهَا فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ مُحَرَّمٍ^(٣).

وَفِي سَنَةِ ثَمَانَ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِيْنَ مِئَةً: كَانَتْ كَائِنَةً يَوْمَ السَّبْتِ بِنَزْوَلِ الرُّومِ عَلَى الْمَهْدِيَّةِ، وَأَخْذُوا مِنْ مَدِينَةِ سُوْسَةِ، ثُمَّ خَرَجُوا عَنْهَا.

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِيْنَ مِئَةً: كَانَتْ كَائِنَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِنَزْوَلِ النَّصَارَى عَلَى الْمَهْدِيَّةِ ثُمَّ غَدَرَهَا أَبْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا، وَدَخَلَهَا يَحْمَى بْنُ غَانِيَةَ

(١) لَيْسَ فِي ر١.

(٢) الْكَامِلُ لَابْنِ الْأَئْمَرِ ٢٤١ / ١١.

(٣) الْكَامِلُ لَابْنِ الْأَئْمَرِ ٢٤٥ / ١١.

المَيُورقِيُّ في شعبان من سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، فلم يزل بها هو وأصحابه لِمُتْوْنَةٍ وَمَسْوَفَةً، يُغِيرُونَ مِنْهَا عَلَى إفريقيَّةٍ، حَتَّى تَمَلَّكُوا بَعْضَ بَلَادِهَا، إِلَى أَنْ دَخَلُوهَا أَبُو عبد الله الناصِرُ مَعَ الْمُوَحَّدِينَ، فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ عَامِ اثْنَيْنِ وَسَتِّ مَائَةٍ.

ذكر الْأُمَّارِ وَالْوُلَّاةِ بِإفريقيَّةٍ لِحُلَفاءِ بَنِي أُمَّيَّةَ

عُقبَةُ بْنُ نَافِعٍ. ثُمَّ أَبُو الْمُهَاجِرِ. ثُمَّ عُقْبَةُ ثَانِيَّةً. ثُمَّ رُهَيْرُ بْنُ قَيْسٍ^(١). ثُمَّ حَسَانُ بْنُ النُّعْمَانَ الْعَسَانِيُّ. ثُمَّ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ. ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدٍ. ثُمَّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِيمَ التَّقْفِيِّ. ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَوْسَ الْأَنْصَارِيُّ. ثُمَّ شِرْرُ بْنُ صَفْوَانَ. ثُمَّ عَيْدَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ. ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ^(٢) الْحَبْحَابِ. ثُمَّ كُلُّثُومُ بْنُ عِيَاضَ. ثُمَّ حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ. ثُمَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبِ الْقُرَشِيِّ. ثُمَّ الْيَاسُ بْنُ حَبِيبٍ. ثُمَّ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. فَهُؤُلَاءِ الشَّاهِنَةِ عَشَرُ هُمُ الْوُلَّاةُ عَلَيْهَا مِنْ بَنِي أُمَّيَّةَ، رَحْمَمُ اللَّهُ!

وَوَلِيهَا لِلصُّفْرِيَّةِ:

عَاصَمُ الْوَرْفُجُومِيُّ، وَعَبْدُ السَّمَلِكِ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ. وَكَانَتْ مُدْتَهَا^(٣) سَنَةً وَاحِدَةً وَشَهْرَيْنِ.

وَوَلِيهَا لِلإِبَاضِيَّةِ^(٤):

أَبُو الْخَطَابِ عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ السَّمْحَ، مَوْلَى الْمَعَاافَرِ، وَكَانَتْ مُدْتَهَا سِتَّيْنَ اثْنَيْنِ.

وَوَلِيهَا لِبَنِي الْعَبَّاسِ:

مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ الْخُزَاعِيُّ. ثُمَّ عِيسَى بْنُ يُوسُفَ الْقَيْسِيُّ. ثُمَّ الْأَغْلَبُ بْنُ سَالِمٍ^(٥) التَّمِيميُّ. ثُمَّ الْحَسَنُ بْنُ حَرْبِ الْكِنْدِيِّ. ثُمَّ الْأَغْلَبُ. ثُمَّ سَالِمُ ثَانِيَّةً. ثُمَّ عُمَرُ بْنُ حَفْصِ الْمُهَلَّبِيِّ. ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمِ السُّلَمِيِّ. ثُمَّ دَاوُودُ بْنُ يَزِيدٍ. ثُمَّ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ.

(١) هَذَا الاسم لَيْسَ فِي ر١.

(٢) سقطت مِنْ م.

(٣) فِي أَ، م: «مُدْتَهَا».

(٤) فِي ر١: «لِلإِبَاضِيَّةِ»، مِنْ غَيْرِ «وَوَلِيهَا».

(٥) مِنْ هَنَا إِلَى قَوْلِهِ: «سَالِمُ ثَانِيَّة» سقط مِنْ ر١.

ثُمَّ الفضل بن رَوْح بن حاتِم. ثُمَّ هَرْثِمَة بن أَعْيَن. ثُمَّ مُحَمَّد بن مُقَاتِل العَكْيُ. ثُمَّ شَمَّام بن تَسِيم التَّمِيمِيُّ. ثُمَّ مُحَمَّد بن مُقَاتِل ثانِيَّةً.

وَوَلِيهَا مِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ:

إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ، وَالْأَغْلَبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَغْلَبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْأَغْلَبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَزَيَادَةُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ الْأَغْلَبِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ الْأَغْلَبِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ الْأَغْلَبِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ الْأَغْلَبِ، وَزَيَادَةُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ الْأَغْلَبِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ، وَهُوَ آخِرُ بَنِي الْأَغْلَبِ بِإِفْرِيقِيَّةِ. وَكَانَ انْقِراصُ دُولِهِمْ سَنَةً سَتَّ وَتَسْعِينَ وَمَئِيْنَ.

وَمِنْ الشِّيَعَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ^(١):

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّاعِي. ثُمَّ عُبَيْدُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ، وَإِلَيْهِ تَنْسَبُ الْعُبَيْدِيَّةُ بِمِصْرَ. ثُمَّ ابْنُهُ أَبُو^(٢) الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ^(٣). ثُمَّ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ مِصْرَ، وَرَحَلَ إِلَيْهَا فِي آخرِ أَيَّامِهِ.

وَمِنْ^(٤) صُنْهَاجَةِ الْقَائِمِينَ بِدُعْوَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ وَمِنْ وَلَائِتِهِمْ:

بُلْجِينُ بْنُ زِيرِيٍّ، وَالْمُنْصُورُ بْنُ بُلْجِينِ، وَبَادِيسُ بْنُ الْمُنْصُورِ، وَالْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسِ، وَتَسِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ. ثُمَّ يَحْمَى بْنُ تَسِيمٍ. ثُمَّ عَلَيُّ بْنُ يَحْمَى. ثُمَّ الْحَسَنُ بْنُ عَلَيٍّ، وَعَلَيْهِ دُخُلُّهَا الرُّومُ.

ثُمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ الْبَيَانِ الْمُغْرِبِ،
فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) في ر ١: «وَوَلِيهَا مِنْ الشِّيَعَةِ بَنِي عُبَيْدٍ».

(٢) سقط من م.

(٣) في م: «عَبْدُ اللَّهِ»، خطأ.

(٤) في ر ١: «وَلِيهَا مِنْ».

المحتويات

الصفحة	الموضوع
	المقدمة
٢٦	ذكر حد المَغْرِب وإفريقية وما اتّصل بها وعُدَّ معهُا
٢٧	ذكر فضل المَغْرِب وما ورد من الأخبار والآثار
٣١	ابتداء التاريخ سنة إحدى وعشرين من الهجرة
٣١	فتح إفريقية للإسلام
٣٢	بعض أخبار عبد الله بن سَعْد وإمرته
٣٣	ذكر قُتل عبد الله بن الزُّبَير رضي الله عنه لجريح مَلِك إفريقية والمغرب كُلُّه
٤١	ومن أخبار معاوية بن حُدَيْج الكندي بإفريقية
٤٣	ذكر ولادة عقبة بن نافع إفريقية وغَزَواته فيها واحتياطه مدينة القَيْرَوان
٤٦	ولادة أبي المهاجر إفريقية وعرْل عقبة
٤٨	ذكر فتح المَغْرِب الأقصى على يد عقبة المُجاب رضي الله عنه وغَزَواته
٥٤	ذكر وفاة عقبة بن نافع رضي الله عنه
٥٨	ذكر محاربة زُهير بن قيس البلوي مع كُسيلة بن لمزم البرئي
٥٩	خروج زُهير إلى بَرْقة وكيفية مقتله بها
٦٠	ولادة حَسَان بن النُّعْمَان إفريقية والمغرب
٦٠	بعض أخبار حَسَان بن النُّعْمَان
٦١	ذكر قَرْطاجَنة إفريقية
٦٢	خبر حَسَان مع المَلِكة الكاهنة وهزيمتها له
٦٤	ذكر مقتل الكاهنة المَلِكة
٦٦	ذكر ولادة أبي عبد الرحمن موسى بن نُصَيْر إفريقية والمغرب وبعض أخباره

فتح المغرب الأقصى على يد الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصیر ٦٩	
ولاية محمد بن يزيد إفريقية والمغرب ٧٥	
ولاية يشر بن صفوان إفريقية والمغرب ٧٨	
ولاية عيادة بن عبد الرحمن السُّلْمَيْنِ إفريقية والمغرب ٧٩	
ولاية عبيدة الله بن الحبّاب إفريقية والمغرب كلَّه ٨١	
ولاية كُلُّثوم بن عياض إفريقية ومقاتلته مع أمير المغرب خالد بن حميد الزَّناني ٨٤	
ذكر بَرْغُواطة وارتدادهم عن الإسلام ٨٧	
ولاية حنْظلة بن صفوان إفريقية والمغرب كلَّه ٨٨	
انتزاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري بإفريقية وبعض أخباره ٩١	
بنية أخبار عبد الرحمن بن حبيب بإفريقية ٩٩	
مقتل عبد الرحمن ١٠٠	
ولاية إلياس بن حبيب إفريقية ١٠١	
ذكر قيام حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمه إلياس وتغلُّبه على بلاد إفريقية ١٠١	
ذكر ولاية محمد بن الأشعث الخُزايني إفريقية ١٠٥	
ثورة عيسى بن موسى بالقيروان وببعض بلاد إفريقية ١٠٦	
ولاية الأغلب بن سالم التَّمِيمِي ١٠٧	
ولاية عمرو بن حفص بن قيصرة إفريقية ١٠٨	
ولاية يزيد بن حاتم إفريقية والمغرب ١١٢	
ولاية داود بن يزيد بن حاتم إفريقية ١١٧	
ذكر ابتداء الدولة الهاشمية بالبلاد العربية، وهم الأدارسة رحمهم الله ١١٨	
ولاية روح بن حاتم بن قيصرة بن المهلب إفريقية ١٢٠	
ولاية نصر بن حبيب المُهَلَّبِي إفريقية ١٢١	

١٢٥.....	ولادة هرئمة بن أعين إفريقية
١٢٦.....	ولادة محمد بن مُقاتل العَكْيِي إفريقية
١٢٧.....	ثورة تَسَّام بن تَمِيم التَّمِيمي على محمد بن مُقاتل العَكْيِي
١٣٠.....	ولادة إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التَّمِيمي إفريقية
١٣٣.....	ولادة عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية
١٣٦.....	ذكر ولادة الله بن الأغلب إفريقية وبعض أخباره.....
١٤٣.....	ذِكر مدينة البَصْرَة بالعَرَب
١٤٨.....	ولادة أبي عِقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية
١٤٨.....	ولادة أبي العَبَّاس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية
١٥٢.....	ولادة العَبَّاس بن الفَضْل، رحمه الله، جزيرة صِقْلَيَّة
١٥٤.....	ولادة أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب إفريقية
١٥٦.....	ولادة زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب إفريقية
١٥٦.....	ولادة أبي الغَرَانِيق محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب
١٥٩.....	ولادة إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب إفريقية
١٦٤.....	ثورة الدَّرَاهِم على إبراهيم بن أحمد
١٦٨.....	ابتداء الدولة العُيُّونِيَّة الشيعيَّة
١٧٤.....	قصَّة ابن الأغلب مع الشيخ الصالح أبي الأحوَص
١٧٦.....	ومن أخبار إبراهيم بن أحمد على الجُمْلة ووفاته
١٧٨.....	ولادة أبي العَبَّاس بن إبراهيم بن أحمد وسيرته
١٧٨.....	مقتل أبي العَبَّاس بن إبراهيم بن أحمد
١٧٩.....	ولادة زيادة الله بن أبي العَبَّاس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب
١٨٣.....	هروب زيادة الله من رَقَادَة

ذكر دخول أبي عبد الله الشيعي مدityti رَقَادَة والقيروان وحاله بها	١٨٤
ذكر توجُّه الداعي إلى سِجْلَمَاسَة واجتماعه بعُبَيْدَ اللَّهِ الشَّيْعِيَّ بها	١٨٦
ذكر وصول عُبَيْدَ اللَّهِ الشَّيْعِيَّ إلى رَقَادَة وتَبَدُّلُ من أخباره وما قيل في نَسَبِه	١٨٨
ذكر قُتل عُبَيْدَ اللَّهِ الشَّيْعِيَّ لأَبي عبد الله الداعي وأَبِي زَاكِ	١٩٠
تلخيص أخبار أُمراء مدينة نُكُور من حين بناها على الجملة إلى هذه السنة المُؤَرَّخة	١٩٥
ذكر مدينة جَرَاوَة	٢٠٧
ذكر مدينة تاھُرْت	٢٠٧
ذِكْرُ مَنْ مَلَكَ مَدِينَةٍ تَيَهَرْتَ مِنْ حِينِ ابْتِدَائِهَا مِنْ بَنِي رُسْتُمْ وَغَيْرِهِمْ	٢٠٨
ذكر مدينة تِلْمُسَان	٢١١
ذكر سَبْتَة	٢١٢
ذِكْرُ مَنْ وَلَيَ سَبْتَة لَبْنِي أُمَيَّة	٢١٥
ذِكْرُ مَنْ وَلَيَ سِجْلَمَاسَة مِنْ حِينِ فَتَحَهَا الشَّيْعِيُّ	٢١٥
ذكر رَقَادَة	٢١٦
ذِكْرُ الْمَهْدِيَّةِ وَالقَيْرَوَان	٢١٧
ذِكْرُ ولَايَةِ أَبِي القَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِفْرِيقِيَّة	٢١٨
ذِكْرُ أَخْبَارِ الْأَدَارِسَةِ رَحْمَمَ اللَّهِ، وَسَبَبِ دَخْوَلِهِمْ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَبَنَائِهِمْ مَدِينَةَ فَاس	٢٢٠
وَمِنْ أَخْبَارِ أَبِي يَزِيدَ مَخْلُدِيَّ بْنِ كَيْدَادِ الْيَقْرَانِيِّ الزَّنَانِيِّ	٢٢٨
ولَايَةِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَبِي القَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ	٢٣١
ثُمَّ وَلَيَ الْمُمْلَكَةِ مَعَدُّ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْمُعَزُّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَبِيدِيِّ	٢٣٤
خَبَرَ بَرْغَوَاطَة	٢٣٨
ابْتِداءُ الدُّولَةِ الصُّنْهَاجِيَّةِ بِإِفْرِيقِيَّة	٢٤٥
ولَايَةِ أَبِي الْفُتوحِ يُوسُفِ بْنِ زِيَّرِيِّ بْنِ مَنَادِ الصُّنْهَاجِيِّ إِفْرِيقِيَّة	٢٤٥

٢٤٦.....	ولالية العزيز بالله زَيْرَار
٢٥٠.....	ذِكْرُ مدِينَةِ أَصْبَلَا
٢٥٤.....	ذِكْرُ مَنْ وَلَى مَدِينَةَ الْبَصْرَةِ
٢٥٨.....	ذِكْرُ وفَاهُ أَبِي الْفُتوحِ يُوسُفِ بْنِ زَيْرِيِّ بْنِ مَنَادِ الصُّنْهَاجِيِّ
٢٥٨.....	ولالية أَبِي الْفُتوحِ الْمُنْصُورِ بْنِ أَبِي الْفُتوحِ إِفْرِيقِيَّةِ
٢٦٤.....	مَقْتَلُ الثَّائِرِ أَبِي الْفَهْمِ
٢٦٨.....	إِمَارَةِ أَبِي مَنَادِ بَادِيسِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفُتوحِ يُوسُفِ بْنِ زَيْرِيِّ بْنِ مَنَادِ
٢٧٠.....	ذَكْرُ هَزِيمَةِ عَسْكَرِ إِفْرِيقِيَّةِ وَاسْتِيلَاءِ زَيْرِيِّ بْنِ عَطِيَّةِ عَلَيْهِ، وَظَهُورِ رَزَانَةِ عَلَى صُنْهَاجَةِ
٢٧٤.....	بعضُ أَخْبَارِ رَزَانَةِ وَدَوْلَتِهِمْ بِالْعَرَبِ إِلَى حِينِ ظَهُورِ الْمُرَابِطِينَ
٢٩٠.....	ذَكْرُ وفَاهَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ بَادِيسِ ابْنِ الْمُنْصُورِ
٢٩١.....	ولالية الْمُعَزِّ بْنِ بَادِيسِ إِفْرِيقِيَّةِ وَمَدِّهِ
٢٩٨.....	ذَكْرُ قِيامِ الْمُعَزِّ شَرْفِ الدُّوَلَةِ بِالإِمَارَةِ وَقَطْعِهِ الدَّعْوَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ الشِّيعِيَّةِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ
٣٠٣.....	ذَكْرُ السَّبِبِ فِي قَطْعِ الدَّعْوَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ مِنَ الْمُخْطَبِ بِالْقَيْرَوَانِ وَغَيْرِهَا
٣٠٣.....	ذَكْرُ وُقُوعِ التَّضْرِيحِ بِلَعْنَتِهِمْ فِي السُّخْطَبِ بِجَمِيعِ إِفْرِيقِيَّةِ وَخَلْعِهِمْ
٣٠٤.....	ذَكْرُ تَبْدِيلِ السَّكَّةِ عَنْ أَسْمَاءِ بْنِي عُيَيْدٍ
٣٠٥.....	ذَكْرُ ولالية الْعَهْدِ لِتَمِيمِ ابْنِ السُّلْطَانِ الْمُعَزِّ بْنِ بَادِيسِ
٣٠٧.....	ذَكْرُ مَا قَبِيلَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ
٣١٥.....	ذَكْرُ طَرَفِ مِنَ الْفِتْنَةِ الْعَظِيمَةِ وَدَمَارِ الْقَيْرَوَانِ
٣١٦.....	ذَكْرُ هَزِيمَةِ الْعَرَبِ لِلْمُعَزِّ بْنِ بَادِيسِ
٣١٨.....	تُبَدِّدُ مِنْ وَقْعَةِ بَابِ تُونِسِ، أَحَدِ أَبْوَابِ الْقَيْرَوَانِ
٣١٩.....	هزِيمَةِ صُنْهَاجَةِ أَيْضًا بِجَبَلِ حَيْدَرَانِ، وَهَزِيمَةِ الْمُعَزِّ بْنِ بَادِيسِ مِنْ وَجْهِ آخَرِ
٣٢٣.....	بعضُ أَخْبَارِ الْمُعَزِّ بْنِ بَادِيسِ

٣٢٤.....	حكاية في ابتداء دولة صُنْهاجة بإفريقية.....
٣٢٧.....	دولة الأمير تَمِيم ابن المُعِز وَبُذُّ من أخباره.....
٣٣٠.....	ذكر دخول النصارى مدينة المهدية.....
٣٣٤.....	بعض أخبار تَمِيم ابن المُعِز.....
٣٣٥.....	دولة يحيى بن تَمِيم ابن المُعِز وَبُذُّ من أخباره وسِيره
٣٣٨.....	دولة الأمير علي بن يحيى بن تَمِيم ابن المُعِز بالمهدية وبعض بلاد إفريقية.....
٣٤١.....	دولة الأمير الحَسَن بن علي بن يحيى بن تَمِيم ابن المُعِز بإفريقية.....
٣٤٨.....	ذكر مَن وَلَيَ تُونسَ من الْأَمْرَاءِ مِنْ بَعْدِ زَوَالِ مُلْكِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسِ مِنْهَا
٣٥١.....	ذكر الْأَمْرَاءِ وَالْوُلَاةِ يَافْرِيقِيَّة لِحُلْفَاءِ بَنِي أُمَّةَ
٣٥١.....	وَوَلَيَّهَا لِلصُّفْرِيَّةِ
٣٥١.....	وَوَلَيَّهَا لِلإِبَاضِيَّةِ
٣٥١.....	وَوَلَيَّهَا لِبَنِي العَبَّاسِ
٣٥٢.....	وَوَلَيَّهَا مِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ
٣٥٢.....	وَمِنْ الشِّيَعَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ
٣٥٢.....	وَمِنْ صُنْهاجَةِ الْقَائِمِينَ بِدُعَوةِ الْعُبَيْدِيَّةِ وَمِنْ وَلَيَتَهُمْ





دار الغرب الإسلامي

تونس

لصاحبها: الحبيب اللصي

نهج الدالية بالف - تونس - فلكس: 0021671396545 - خلوي: 216-96-346567

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.: 677 - R.P. 1035 TUNIS

الرقم: 537 / 1000 - 10-2013 تونس

التنضيد: المؤلف

الطباعة: برنت شوب - بيروت

AL-BAYAN AL-MUGHРИB

By

Abu Al-Abbas Ibn Athari

(Died after 712 AH)

Vol. 1

Edited with a Critical Introduction

By

Prof. Bashar A.Marouf & Mahmoud B.Awad



*DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
TUNIS*